دار العيداروس للكتاب الحديث

الكتاب الخامس

دراسات في :

الخليج والجزيرة العربية

البروفيسور الدكتور / محمد حسن العيدروس



دار الكتاب الحديث

دار العيدروس للكتاب الحديث

دراسات فى:

الخليج والجزيرة العربية

الكتاب الخامس

الدكتور / محمد حسن العيدروس
أستاذ التاريخ والعلاقات الدولية -
رئيس مركز العيدروس للدراسات والاستشارات

دار الكتاب الحديث

953.001 العيدروس ، محمد حسن.
م ح د ر دراسات فى الخليج والجزيرة العربية/ محمد
حسن العيدروس.-ط 1.- القاهرة:دار الكتاب الحديث ،2008م.
مج. 442 ص ؛ 24 سم .
تدمك: 4 -191-350-977

1- شبه الجزيرة العربية – تاريخ .
أ- العنوان



القاهرة	94 شارع عباس العقاد – مدينة نصر – القاهرة ص.ب 7579 البريدي 11762 هاتف رقم : 22752990 (202 00) فاكس رقم : 22752992 (202 00) بريد إلكتروني : dkh_cairo@yahoo.com
الكويت	شارع الهلالي ، برج الصديق ص.ب : 22754 – 13088 الصفاه هاتف رقم 2460634 (965 00) فاكس رقم : 2460628 (965 00) بريد إلكتروني : ktbhades@ncc.moc.kw
الجزائر	Wilaya d'Alger- Lot C no 34 - Draria B. P. No 061 - Draria Tel&Fax(21)353055 Tel(21)354105 dkhadith@hotmail.com_E-mail
السويد	SCANDINAVIAAN CULTUER COMMERCIAL CONNECTIONS Norra kvar stad 8 . – 27396 Tommelilla- Sweden " EMAI: alaidaroosgp@hotmail.com
الامارات	دار العيدروس للكتاب الحديث ص ب 2855ابو ظبى هاتف 026392062 فاكس 0097126392065 aidaros@emirates.net.aeEMAIL:

رقم الإيداع	2008/7979
I.S.B.N	977-350-191-4

إهداء

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢)﴾ [الأنعام].

﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ... (٢٣)﴾ [الإسراء].

صدق الله العظيم

إلى روح والدى الشريف/ حسن أحمد علوى العيدروس.. طيب الله ثراه وأغمده الجنة إن شاء الله..





مقدمة

أول ما نبدأ بالحمد لله، حمدا كثيرا، وثناء عظيما، والصلاة على نبيه الأمين، وعلى ذريته الطاهرين.

أخيرا كانت بداية فكرة قديمة، تحققت بعد مرور أكثر من خمسة عشر عاما، وهى محاولة لجمع الأبحاث التى قدمت فى المؤتمرات العلمية، وكذلك التى نشرت فى الدوريات العلمية، وهى حصيلة لتلك الأعوام فى هذا الكتيب.

ليست هذه هى جميع الأبحاث، وإنما تم اختيار بعض منها فى الفترة الزمنية الممتدة من الاستعمار الإرهابى الأوروبى المسيحى، إلى ما بعد قيام مجلس التعاون الخليجى على نهاية مشارف القرن العشرين، أى أبحاث تتناول فى التاريخ الحديث والمعاصر لمنطقة الخليج العربى، كما تشمل مختلف أقاليم المنطقة، وتم ترتيب المواضيع، حسب المراحل الزمنية التاريخية، وعلى حسب الأقاليم الجغرافية، وليس الحدود السياسية المصطنعة من قبل الاستعمار الإرهابى المسيحى الأوربى، لأن التاريخ العربى هو تاريخ واحد، سواء أكان فى المشرق أم المغرب، وإن كنا نتناول فى هذا الكتيب جزءا من تاريخ المشرق العربى، وبالتحديد فى الخليج العربى، وذلك لاختصاصنا الدقيق، فى حين سوف يكون هناك كتابات لأبحاث فى التاريخ العربى بشكل عام، وخاصة فى الأعمال القادمة بإذن الله تعالى.

وأتمنى أن يكون هذا العمل الإقليمى، دافعا إلى العمل القومى، وهو الهدف والغاية المنشودة لأجل كتابة تاريخ الأمة العربية، فلا يمكن الوصول إلى الكل، إلا بالبدء عن طريق جمع الأجزاء المتناثرة من التاريخ العربى الموحد والذى مزقه الاستعمار المسيحى الأوربى الإرهابى من جهة، والظروف الخارجة عن إرادة الشعب العربى، بعد أن خرج العرب من التاريخ بسقوط «بغداد» فى المشرق، وضياع دويلات وإمارات العرب فى الأندلس بالمغرب العربى، بسبب الملذت والأهواء وحب الذات للحكام العرب والاستعانة بالمسيحيين الإرهابيين ضد إخوانهم المسلمين من أجل الحفاظ على الحكم، وبالتالى ضياع المجد العربى، وسيطرة العثمانيين الأتراك الذين أعادوا المجد للإسلام والمسلمين مع بداية العصر الحديث من جهة، والتسلل الاستعمارى الإرهابى المسيحى الأوربى من جهة، وتكوين الكيانات والأنظمة القطرية من جهة ثالثة.

نجد من هنا التاريخ الحديث والمعاصر للعرب، متأثرا بهذه النواحى الثلاث، وهذا ما نلاحظه من خلال دراستنا للأبحاث العلمية، وبالتالى يجب إعادة النظر فى هذا التاريخ للاستفادة من الدروس والعبر بقدر الإمكان لأننا نجتاز اليوم مرحلة حاسمة من تاريخنا القومى العربى، بعدما أصبحنا نعيش على هامش التاريخ، وليس فى داخل التاريخ لتاريخنا المعاصر، وهنا تكمن المشكلة؟ ولكن كيف الحل!!

موضوعات الأبحاث فى الجزء الخامس

تتناول الدراسات فى هذا الجزء الخامس عدة مواضيع وهى، الفصل الأول ـ التاريخ السياسى للدولة الصفوية، الفصل الثانى ـ صراع القوى الاقليمية على البحرين فى ضوء الوثائق البريطانية لعامى 1820 ـ 1830، الفصل الثالث ـ

الاحتـجاجـات الإيرانية على التصـرفات البـريطانية فى البـحرين 1862 ـ 1906 «دراسـة وثائقيـة»، الفـصل الرابع ـ اتفـاقـية دارين لعـام 1915 بين ابن سـعود وبريطانيا، الفصل الخامس ـ ظفار والتـدخل العسكرى الإيرانى، الفصل السادس ـ «الحدود السـياسية العـربية ـ العربية» مـجلس التعاون الخليجى كنمـوذج، الفصل السابع ـ وضعـية الدراسات العثمـانية فى الخليج العربى 1979 ـ 1999، الفصل الثامن ـ العلاقات العربية ـ الإيرانية بين الواقع وطموحات المستقبل فى بداية القرن الواحد والعشرين.

وفى الختـام نرجو من الله تـعالى أن يوفقـنا إلى كتابة الحـق، وقول الحق، وعمل الحق، إنه ولى التـوفيق وسميع مـجيب، وأن يكون هذا العمل دافـعا إلى أعمال بحثية أخرى مستقبلا، وأن يكون البداية وليس النهاية.

آخر ما نختم بالحمد لله والصلاة على أشرف خلق الله سيدنا وحبيبنا محمد ﷺ، وعلى آل بيته الطاهرين رضوان الله عليهم أجمعين.

د. محمد حسن العيدروس



الفصل الأول



التاريخ السياسى للدولة الصفوية

قدم هذا البحث فى محاضرة بدار العمارة والفنون الإسلامية فى نوفمبر 1999 ـ الكويت.



الدولة الصفوية

مقدمة

ينتسب الصفويون إلى الشيخ صفى الدين الاردبيلى 1252 ـ 1343، وقد ساعدت الظروف السياسية والاجتماعية التى كانت تمر بها إيران خلال حكم المغول والتيموريين على زيادة الإقبال على دعوات الزهد والتصوف التى راجت فى كل أرجاء إيران، ومنها دعوة الزهد والتصوف التى نادى بها الشيخ صفى الدين الاردبيلى، وبعد وفاته تبعه ابناؤه وأحفاده فى تولى مشيخة الجماعة الصوفية، وبعد مقتل الشيخ حيدر المرشد السادس من البيت الصفوى تم إسناد المشيخة لابنه إسماعيل وأعلن فى عهده قيام الدولة الصفوية بشكل رسمى عام 1500 وتوسعت حتى شملت أذربيجان والعراق وفارس وكرمان ومازندران واستراباد ولاهيجان وجيلان. وبعد وفاة إسماعيل تولى ابنه طهماسب الأول الذى اتسم عهده بكثرة الحروب بين الصفويين والاوزبك فى الشرق والعثمانيين فى الغرب. ثم تولى ابنه إسماعيل الثانى الذى استمر حكمه حوالى عام واحد، وبعد اغتياله تولى اخوه الضرير محمد خدابنده ثم أخذ ابنه عباس حكم إيران فى عام 1587. وكان الشاه عباس شخصية قوية، وفى عام 1598 نقل العاصمة إلى أصفهان وقام بتعمير إيران وتقوية الجيش، وقد خلفه بعد حكمه سلسلة من الحكام ضعفاء نسبيا، فقد جاء عباس صفى 1629 ـ 1642 والشاه عباس الثانى 1642 ـ 1667 والشاه سليمان 1667 ـ 1694، ثم الشاه سلطان حسين 1694 ـ 1722 وثارت قبائل الأفغان، وفى عام 1722 قاد محمود بن ميرويس القبائل لفتح كرمان وتقدم إلى اصفهان وتنازل الشاه حسين وتوج محمود شاه على إيران وبذلك انتهت الدولة الصفوية.

بداية الصفويين:

تعرضت إيران للغزو المغولى فى نهاية عهد الدولة العباسية، وبذلك

خضعت للحكم الوثنى المغولى حتى أسلم ملكها «غازان» وبدأ يساهم فى الحضارة الإسلامية تحت أسرة «الايلخانيين» المغولية، ثم تعرضت إيران لهجرة مغولية ثانية فى عهد «تيمور لنك» فى العقد الأخير من القرن الرابع عشر، وبعد نهايتها سيطرت قبائل «القره قونيلو» التركية منذ عام 1404 على «أذربيجان» ثم توجهوا إلى العراق وأصفهان ثم دخلوا فى صراع مع قبيلة تركية أخرى وهى «الآق قوينلو».

برزت الأسرة الصفوية من خلال الدعوة الصوفية ومن أصول درويشية شأنها فى هذا شأن كثير من الأسر التركمانية الحاكمة فى ذلك الإقليم الذى يضم «الأناضول» «ودياربكر» و «اذربيجان»، حيث كان التركمان كثرة ومؤثرين على المستوى السياسى، وخاصة فى «أردبيل» بمنطقة «اذربيجان». حيث اقام الشيخ صفى الدين الجنيد المتوفى عام 1334 طريقته الصوفية المعروفة «بالطريقة الصفوية» التى ازدهرت فى منطقة تعج بمختلف الانتماءات الدينية[1].

ساعدت الظروف السياسية والاجتماعية التى كانت تمر بها إيران وخاصة القبائل التركية، خلال حكم «المغول» و «التيموريين» على زيادة الاقبال على دعوات الزهد والتصوف التى راجت فى كل أنحاء إيران ومنها دعوة الزهد التى نادى بها الشيخ صفى الدين وطريقته «الصوفية»، لذا تجمع حوله مريدون عديدون، كما كان الناس يزورونه فى «أردبيل» للبركة والتعلم حتى ذكر بعض المؤرخين ان عدد الذين وفدوا على مقر الشيخ صفى الدين من سكان مدينتى «مراغه» و «تبريز» خلال ثلاثة أشهر فقط قد زاد على الثلاثة عشر ألف مريد[2].

حدث تآلف بين الحياة الروحية الدينية والتوجه السياسى الحربى كالجهاد وهو

---

(1) د. بديع محمد جمعه ـ الشاه عباس الكبير ـ 1588 ـ 1629 دار النهضة العربية ـ بيروت 1980 ـ ص8.

(2) د. بديع محمد ـ نفس المرجع ص8.

من أهم أهداف الدعوة الصوفية، وكانت الحركات الصوفية فى الأقاليم «التركمانية» توجهت إلى حركة الجهاد ضد المسيحيين فى مناطق «الارمن» و«الجركس» و«طرابزون» و«القوقاز» مثلما حدث فى المغرب العربى فيما بعد ضد «البرتغال» و«الاسبان». وكان الشيخ صفى الدين ينتسب إلى العلويين من أسرة الجنيد، وكان قد هاجر من جنوب الجزيرة العربية فى حضرموت إلى العراق ثم استقر فى اذربيجان الشرقية فى «اردبيل»، وتزوج من ابنة شيخ فى الطريقة الصوفية «زاهد الجيلانى»، وحظى بمقام كبير عند رشيد الدين وزير الايلخان فى الدولة المغولية، وأصبح الشيخ صفى الدين ذا شأن، وامتد أعقابه حتى الجيل الثالث بالشهرة التى تمت له كولى من الأولياء، وان حفيده «خوجا على» بلغ من فروع الصيت مبلغا مما جعل «تيمورلنك» بعد انتصاره على بايزيد السلطان العثمانى إلى أن يجعل «اردبيل» وضواحيها وقفًا عليه كولى من أولياء الله الصالحين وعلى اعقابه وطريقته الصوفية «الصفوية»، وهكذا انتهت ملكية هذا الوقف إلى أن أصبح ارثا يتوارثه أحفاد الشيخ المؤسس كمشيخة للطريقة «الصوفية»، ولكن هذا الإرث لم يكن من حق الأرشد بل من حق من يختاره الشيخ من أولاده وكان يمثل الشيخ لدى أتباعه المقيمين خارج «أردبيل»، «خليفة» ينوب مقامه شأنه فى ذلك شأن مشايخ الطرق الصوفية الأخرى جميعا، وكان الشيخ صفى الدين قد زج فى السجن عام 1360 بأمر من حاكم أذربيجان المغولى، وفى عام 1447 نشب نزاع بين الشيخ جنيد بن صفى الدين الجنيد العلوى الذى كان لايزال قاصرا دون سن الرشد وبين عمه الشيخ جعفر الوصى عليه، فحرض الأخير ابا زوجة ابنه، جهان شاه خان «القره قيونلى» على إبعاد جنيد من البلاد ففعل، وبذلك اضطر ان يعيش حياة المغامرة والترحل من مكان إلى آخر فى آسيا الصغرى ثم استقر فى جبل «ارسوس» على خليج الأسكندرونه ونجح فى جمع أعداد فى قلعة قديمة من قلاع الصليبيين، ولكن السلطان جقمسن سلطان المماليك رغب فى اعتقاله ففر الشيخ جنيد إلى «جانيق» على البحر الأسود واستطاع هناك ان يجمع حوله أعدادا كبيرة من الاتباع

ثم أعلن الجهاد ضد مملكة «طرابزون» المسيحية ولكن السلطان العثماني محمد الثاني حرمه ثمرة نصره بأن ألحق «طرابزون» بدولته(أ).

لقى الشيخ جنيد حفاوة بالغة فى حماية أوزون حسن خصم السلطان العثماني «بديار بكر» واستطاع الشيخ جنيد ان ينشر طريقته الصوفية الحضرمية فى البلاد الواقعة فى حوزة «اوزون حسن» فى الأناضول، وفى عام 1459 رجع الشيخ جنيد إلى موطنه «أذربيجان» بعد ان تزوج من ابنة «اوزون حسن» فى «الأناضول»، ولكى يبتعد من النفى مرة أخرى من قبل زعيم قبائل التركمانية خان «القره قيونلى» أعلن الشيخ جنيد الجهاد ضد «الجراكسة» ثم انه تقدم فى أراضى شروان شاه فتصدى له هذا الأخير، وفى 4 مارس 1460 سقط قتيلا فى معركة دارت رحاها بوادى «قره صو» الفرات الغربى فى حين وضعت زوجة الشيخ جنيد بعد انقضاء شهر على وفاته طفلا اسمه «حيدر»، ونشأ حيدر فى كنف زعيم الأتراك فى «ديار بكر» «اوزون حسن» ورعايته حتى عام 1470 حيث اعاده إلى «أذربيجان» فى «أردبيل» ليخلف أباه فى حكمها، ولما بلغ سن الرشد وانتهت وصاية عمه الشيخ جعفر عليه زوجه «أوزون حسن»، كبرى بناته «دسبينة خاتون» التركية أميرة «طرابزون» فرزق فى 17/ 7/ 1487 ثانى أولاده إسماعيل الذى قام بتأسيس السلالة الصفوية، وكان الشيخ حيدر الجنيد قد أصبح مستقلا فى أموره بعد وفاة جده، واعاد تنظيم طريقته على أسس جديدة رامزا إلى ذلك جريا على العادات فى المشرق باستحداث لباس للرأس جديد هو «تاج الشيخ حيدر الجنيد» الأحمر ذو الاثنى عشرة ذؤابة كناية عن الاثنى عشر اماما، وأطلق عليهم العثمانيون اسم «قزل باش» أى «الرؤوس الحمراء» وكان أتباع الشيخ حيدر الجنيد ينتسبون إلى مختلف القبائل التركية، ولقد احتل أبناء أسرى الحرب من سكان الأتراك فى الأناضول

(أ) كارل بروكلمان - تاريخ الشعوب الإسلامية - دار العلم للملايين - بيروت 1988 ص494.

الذين كان قد تركهم «تيمورلنك» عبيد «الخوجا على» مركزاً ممتازاً بينهم، وفى عام 1483 افتتح الشيخ حيدر الجنيد حملاته الحربية بغزوة ناجحة ضد «الجراكسة»، أجاز له «شروان شاه» اثناءها عبور الأراضى الواقعة فى حوزته ولكن الشيخ حيدر الجنيد كان يطلب عند هذا الأخير ثأر أبيه ففى عام 1488 أخذ «شروان شاه» على حين غرة بعد ان تظاهر بالرغبة فى شن حملة جديدة على «الجراكسة» وحاصره فى قلعة «كلستان»، بيد ان الأمراء الأتراك التابعين «لشروان شاه» ما لبثوا ان وجهوا إليه النجدات فاضطر الشيخ حيدر الجنيد إلى الانسحاب ونجاة «شروان شاه» بنفسه وهذا ما دفع السلطان يعقوب سلطان تركمان ابن عم الشيخ حيدر الجنيد جيشا لمقاتلة نسيبه هذا بينما كان ملقيا الحصار على قلعة «دربند» (باب الأبواب)[1].

دارت معركة بين الشيخ حيدر وقواته من «قزل باش» وابن عمه السلطان يعقوب حاكم التركمان فى 9 يوليو 1488 عند سفح جبل «اليرز» وسقط فيها الشيخ حيدر قتيلا، وحمل السلطان يعقوب أولاد نسيبه القتيل ومعهم أمهم من «أردبيل» فى «اذربيجان» إلى «اصطخر» فى مناطق القبائل التركمانية، وعندما توفى السلطان يعقوب فى نهاية عام 1490 نشبت الحروب بين أبنائه المتنازعين على خلافته وفى غمرة هذا الصراع أطلق أولاد الشيخ حيدر من السجن ليدعوا أتباعهم إلى نصرة رستم حفيد «دسبنية»، ضد بايسنقر بن يعقوب، وفى عام 1493 نجح الشيخ على أكبر أولاد الشيخ حيدر وجنوده «قزل باش» إلى أن ينزل الهزيمة بجند «بايسنقر» ثم تابع تقدمة ليتولى زعامة الدولة الصفوية فى «أردبيل»، ولم يكد يبلغ قرية قريبة من «اردبيل» حتى تصدى له «رستم» واثناء هذه المعركة سقط الشيخ على فى النهر فغرق، اما الشيخ إسماعيل والشيخ إبراهيم أخوا الشيخ على فقد حجبهما أتباعهما فى «اردبيل» عن اعين المكلفين بملاحقتهما وبعد ذلك تم تهريب الشيخ إسماعيل إلى مأمن فى منطقة «جيلان» وكان حاكمها على صلات حسنة

(1) كارل بروكلمان ـ نفس المرجع ص495.

بأسرته رغم تبعيته «للآق قيونلى» وهناك عاش الشيخ إسماعيل متخفيا إلى ان فقد رستم سلطانه وحياته عام 1497 على يد ابن عمه أحمد[1].

قيام الدولة الصفوية

بدأ أحفاد الشيخ صفى الدين الجنيد يهتمون بتدريب أتباعهم عسكريا وتعويدهم على التضحية والفداء حتى يكونوا خير مدافع عن الطريقة فى حالة تعرضها لأى ضغط سياسى من حكام القبائل التركمانية التى سيطرت على مقاليد الحكم فى إيران ومن بينها «اذربيجان» و «شيروان» ومدينة «اردبيل» التى كانت المقر الأساسى للأسرة الصفوية والتى يتجمع فيها أكبر عدد من مريدى البيت الصفوى الجنيدى، وأهم هذه القبائل التركية قبيلتان هما:ـ «القره قيونلى» و«آق قيونلى»، وقد حدثت معارك كثيرة بين أنصار البيت الصفوى ورؤساء هاتين القبيلتين التركيتين انتهت بمقتل الشيخ الجنيد مؤسس الأسرة الصفوية بأمر من حاكم «شيروان» زعيم قبائل «القره قيونلى» كما قتل ابنه الشيخ حيدر (والد إسماعيل) على ايدى «الاق قيونلى» و«القره قيونلى» معا وذلك عندما اتحدا لبعض الوقت للتصدى للخطر القادم من أنصار الأسرة الصفوية والذى كانوا قد بدأوا يهددون تلك القبيلتين التركيتين بعد ان تزايدت أعدادهم وتضاعف تسليحهم وتدريبهم[2].

نشأت خصومة شديدة بين الأسرة الصفوية وبين القبيلتين التركيتين، وأصبح الأمر قضية حياة أو موت لأى طرف من هذه الأطراف ولهذا لجأ البيت الصفوى الجنيدى إلى تدعيم مركزه على أساس ان القوة السياسية يجب ان تعتمد على قوة عسكرية مخلصة تربطها به وشائج عقائدية متينة تجعلها مستعدة للاستماته فى الدفاع عن قائدها وعن معتقداتها ومن هنا اعتمد الشيخ إسماعيل الجنيد المذهب

---

(1) كارل بروكلمان ـ نفس المرجع ص496.

(2) د. بديع محمد جمعه ـ المرجع السابق ص9.

الشيعى الإثنا عشرى بدلا من الفكر الصوفى «السنى» السابق ليدخل القبائل التركية فى إيران فى المذهب الجديد ويستمد منه الأيدلوجية الجديدة وسوف يستخدمه ضد الخصم السلطان العثمانى السنى، وكان «خوجا على» حفيد صفى الدين قد حظى بمقابلة تيمور لنك واستطاع ان يحصل منه على عفو عن الأسرى الأتراك الذين كانوا لديه، وذلك عندما انتصر تيمور لنك خلال عملياته العسكرية ضد السلطان العثمانى فى موقعة «انقره» وحبسه فى قفص عام 1402، ومن نسل هؤلاء الأسرى الأتراك من لعب ادوارا هامة فى تأسيس الدولة الصفوية وتثبيت أركانها، وحيث ان العصر كان عصر العصبيات القبلية فقد أصبح على البيت الصفوى ان يعتمد على القوى العشائرية التركية، وبرغم ان الاتراك مشهورون بتعصبهم للمذهب السنى إلا ان معظم الأتراك فى إيران أصبحوا متعصبين للمذهب الشيعى[1]، ولهذا اعتمد الشيخ إسماعيل الجنيد عليهم.

لجأ البيت الصفوى إلى تدعيم مركزه عن طريق توطيد صلاته ببعض القبائل التركية القوية فى شمال إيران وفى غربه والمتطلعة إلى القيام بدور فعال فى الحياة السياسية الإيرانية، ولكن لم تواتها الفرصة لتسلط القبيلتين التركيتين القوتين وهما «القره قيونلى» فى شمال إيران و «الآق قيونلى» فى غرب إيران، وقد أطلق على هذه القبائل التركية التى انضمت إلى البيت الصفوى اسم «قزل باش» أى أصحاب القلانس الحمراء حيث كانوا يغطون رؤوسهم بلباس رأس أحمر، وقد كانت القلانس الحمراء رمز الطريقة الصفوية، وقد بلغ عدد هذه القبائل الغزلباشية التركية سبع قبائل وهى تستوطن من خراسان فى شرق إيران إلى غربها حتى «تبريز» وهى 1 ـ اوستاجلو 2 ـ شاملو 3 ـ فكالو ـ 4 ـ بهارلو 5 ـ ذو القدر 6 ـ افشار 7 ـ قاجار. وبذلك جمع معظم سكان إيران وهم من الأتراك وذلك بعدما أصبح

---

(1) د. عبدالعزيز سليمان نوار ـ الشعوب الإسلامية ـ دار النهضة العربية ـ بيروت ـ 1991 ص220.

الفرس أقلية نتيجة من جراء الحروب من الدولة العباسية حتى الغزو المغولى اضافة إلى الهجرات الكبيرة للمغول والأتراك والعرب والبلوش والأزوباك والتركمان وبذلك انتهت القومية الفارسية وأصبحت الغالبية العظمى من القومية التركية. وليس هناك أثر من الفارسية سوى الثقافة واللغة الفارسية التى أحياها واعتمدها الشيخ اسماعيل الجنيد وكانت هذه القبائل التركية قد هاجرت من أواسط آسيا فى أول الأمر مع من كان يهاجر من السلاجقة وأصبحت فيما بعد دعامة قوية من دعائم الشيخ إسماعيل الجنيد وسنداً رئيسيا للبيت الصفوى. وقد حدث هذا التلاحم بين القبائل الغزلباشية التركية وبين البيت الصفوى بدافع المصلحة المشتركة والوحدة المذهبية والقومية التركية فى إيران. فالصفويون فى حاجة إلى مريدين وأعوان يحاربون معهم ضد أعدائهم حتى يتحقق الأمل المنشود ويصبح البيت الصفوى هو البيت الحاكم لكل إيران تحت لواء القبائل التركية، وكانت هذه القبائل تتطلع للقيام بدور متميز فى حكم إيران حيث سيكون لها الفضل على الأسرة الصفوية فى حالة الوصول إلى الحكم وتوحيد الشعب والقومية التركية فى إيران[1].

خرج الشيخ إسماعيل الجنيد مطالبا بإرث أبيه وهو لا يتعدى الثالثة عشرة ولكن سلطان التركمان «على بك جاقرلى» ما لبث ان أخرجه من «أردبيل»، فاتجه إلى بحر قزوين وهناك جمع انصاره من القبائل التركية ومن اتباعه وكذلك الأتراك من الأناضول وبلاد الشام وبعدها تكاثر الأتراك مع الأيام تكاثراً كبيراً حتى وجد فى نفسه القدرة فى ربيع عام 1500 على إعلان الجهاد ضد المسيحيين فى «جورجيا» وانه اتخذ من ذلك ذريعة إلى الانتقام لأبيه من حاكم تركمان «شاه شروان». وفى معركة دارت رحاها عند «كلستان» قتل «الشروان شاه» فانتهت بموته سلالته، ثم احتل إسماعيل مدينة «باكو»، ثم توجه لقتال «الموند» زعيم «الآق قيونلى» فى «أذربيجان» وان هذا الانتصار مهد أمامه السبيل إلى «تبريز» حيث توج

---

(1) د. بديع محمد جمعه ـ المرجع السابق ص9.

نفسه ملكا ومع ان علمـاء الشيعة التبريزيين أخبـروه بأن سكان «تبريز» من الأكراد السنة، وكانت تضم المديـنة ثلاثمائة ألف كردى سنى، فـقد سارع إسمـاعيل إلى جعل التـشيع مذهب الدولة الرسـمى، ثم حارب مراد «الوند» وبذلك سـيطر عام 1503 على «شيراز» و «استراباد» و «يزد» ثم فتح الجـزيرة الفراتية والعراق وسيطر على المدينتـين المقـدستـين «النجف» و «كربـلاء» وكان يجـرى فى عروق الشـيخ إسماعيل الدم العربى من ناحيـة الأب والجد من آل الجنيد الذين هاجروا اصلا من جنوب الجزيرة العربية فى حضرموت وكذلك الدم التركى من ناحية الأم والأخوال والأنساب، وكـان يعتـمد على القـبائل التركـية القـوية فى حكم إيران التى تضم مختلف القوميات التركية والكردية والمغولية والعربية البلوشية والأوزبك والبختيارية وغـيرهم ولكن الأتراك كـانوا يشكلون 65٪ وان العلمـاء الذين ساعدوا الـشيخ إسماعيل على النـهوض بالشيعة إلى مقام القـوة فى إيران انحدروا فى الغالب من أصول تركية مختلفة وقد جعلوا العربية لغة للتأليف ولم يكن عهد الشيخ إسماعيل الجنيد الحـافل بالنضال والكفـاح أفضل مـا يكون لازدهار الانتاج الأدبى، فـوجد شعراء عصره الـقلائل من الرعاية والحظوة فى قصور التركمان والتـيموريين ما لم يجدوه فى بلاطـه هو ومن أشهرهم كـان هلالى الاسترابـادى وكان تركى الأصل وكان مدينا للرعاية التى احاطه بها «نوائى» الشاعر التركى الشرقى الكبير(1).

اختلف الشيخ إسماعيل الجنيد فى نظام الحكم عن سلفه من الحكام السابقين من «الايلخانيـين» أو «الجلائرين» أو «القره قـيونلى» أو «الاق قيونلى» حـيث كان الشيخ إسمـاعيل يجمع فى نفسه الحـاكم والمرشد الأكبر للمـذهب الشيعى الاثنى عشرى، فهو زعيم سيـاسى ودينى فى آن واحد واتخذ من السيف والقلم والدعوة باللسان أساليب مـتكاملة لتحقيق أهدافـه الخاصة والعامة، ومن هنا كـانت أهمية الشيخ إسمـاعيل الجنيد لتاريخ إيران، حيث خلق منهـا كيانًا سياسـيًا جديدًا على

(1) كارل بروكلمان ـ المرجع السابق ص499.

أنقاض حكام وزعماء القبائل «المغولية» و «التيمورية» و «التركية» و «الازباكية» وهو أول من اتخذ من المذهب الشيعى الإثنى عشرى مذهبا رسميا للدولة وأخذ يوطده فى داخل إيران حيث كان المذهب الشيعى فى إيران هو السمة واللغة العربية هى السائدة، وكانت الأمور من حوله تسير فى اتجاهات تفرض عليه ان يصطدم بها أو يعمل على تطويعها واخضاعها ليستمر مع أهدافه وآماله، وهذا لا يعنى ان وصول الشيخ إسماعيل الجنيد للحكم بأن الأمور قد توطدت، فقد كانت القوى المعادية لإسماعيل تحيط به وكان عليه إلى جانب الوصول إلى حدود آمنه ان يشبع حماسه الدينى على حساب القوى الأخرى المناهضة للمذهب الشيعى، وكانت هذه القوى المناهضة تحيط بدولته من أكثر من جانب وكان هو مهتما اهتماما كبيراً بنشر المذهب الشيعى لا بين من يصادقه فقط وإنما فى أراضى أعدائه أيضا ولهذا فإنه كان محاطًا بعدة قوى من حوله وهى[1]:ـ

(1) فمن الغرب العراق كان يوجد به مراد بن يعقوب الذى هرب إليه آخر أمراء «الآق قيونلى» والى الشمال كانت توجد إمارة تابعة أيضًا «للآق قيونلى» يطمع فيها الشيخ إسماعيل وهى إمارة «البستان» وكان عليها علاء الدولة.

(2) وفى الشمال والغرب كان الاناضول قلب الدولة العثمانية الفتية وهى منطقة تركية سنية مجاهدة فى البلقان ضد القوى المسيحية الأوربية.

(3) فى الجنوب فى مياه الخليج العربى كان فى عربستان دولة المشعشين العربية اضافة إلى مملكة هرمز العربية وذلك قبل احتلالها من قبل الاستعمار الصليبى المسيحى البرتغالى كما كان فى البصرة إمارة «المنتفق» بزعامة شيوخ المقامس.

---

(1) دونالد ولبر ـ إيران ماضيها وحاضرها ـ دار الكتاب المصرى ـ دار الكتاب اللبنانى ـ بيروت، 1985ص 57.

(4) فى الشمال الشرقى كانت توجد قبائل الاوزبك بزعـامة محمد الشيبانى وكان يسيطر على خرسان وعلى أجزاء من شمال شرق إيران.

(5) إلى الشرق توجـد القبائل الأفـغانية الشـديدة المراس النازلة فى مناطق صعبة المسالك والجبال.

(٦) إلى الجنوب توجد قـبائل البلوش القوية ذات المذهـب السنى فى منطقة مكران و «جمبرون» التى تغير اسمها بعد دخول عباس إلى بندر عباس.

استعمل إسماعيل القوة والعنف والقسـوة فى تغيير مذهب السنيين الممتنعين للمذهب الشيعى وان هذا التحول إلى التشـيع قد أذكى عداوة الأتراك العثمانيين، وكان سلاطينهم فى الآستانة قد صاروا خلفاء على جميع المسلمين السنيين وأصبح الشيـعة فى إيران يفـصلون الكتلة السنية فى وسط آسـيا والهند وأفـغانسـتان عن السنيين فـى تركيا والعـراق ومصر والدول الإسـلامية الأخـرى الواقعـة فى غرب إيران.

إسماعيل والوضع فى غرب إيران

وجه الشيخ إسماعيل الجنيـد أولى حملاته العسكرية ضد «علاء الدولة» فى إمـارة «البسـتان» عـام 1507 وسـيطر على هذه الإمارة وبـذلك أصبح احـتكاك إسمـاعيل مـباشـرا بأكبـر قوتين فى هذا القـسم من الشرق الأدنى وهـما الأتراك العـثمـانيـون والأتراك المماليك. وكـان العـثمـانيـون يمتـدون من «طوروس» و «الأناضول» إلى أوربا وكـانوا فى جهاد ضدهـا، وكان المماليك فى الشام ومـصر والحجاز فـبدأ إسماعيل الجنـيد بالاستيلاء على العـراق مما أثار اهتمام العثـمانيين وتحرك ضده السلطان سليم الأول وهزمه فى موقـعه جالديران، ولـم يشأ ان يتوغل فى أثر إسماعيل وجيشه وبرغم ان هذه الهزيمة كانت قاسية ولكن لم تكن قاتلة، وبما ان الحكم الصفوى كان على أساس عقائدى ومذهبى لذلك لم يلبث ان استعاد كيانه ولكنه كان أضعف من ان يخوض الحرب مرة أخرى ضد العثمانيين ويبدو أن

العثمانيين لم يريدوا دخول إيران لأنهم كانوا مهتمين بدخول الشام ومصر والحجاز وخوفا من ان يضعف الجيش وتطول المدة، ولهذا لم ينتظر السلطان سليم طويلا بعد جالديران إذ هاجم مماليك الشام ومصر وانتصر عليهم فى «مرج دابق» 1516 واستولى على الشام ومصر والحجاز واليمن.

إن عودة السطان سليم من مصر إلى الآستانة منتصرا والقضاء نهائيا على دولة المماليك كانت كافية لان يتوقف إسماعيل الجنيد فى التحرش على الأقاليم العثمانية فى العراق والأناضول حتى لا يعرض نفسه لحملة شاملة عثمانية أخرى تؤدى إلى نهاية كيانه الحديث، إلا ان إسماعيل الجنيد لم يتوقف عن البحث عن حلفاء له ضد العثمانيين الذين أصبحوا القوى الكبرى التى تحول بينه وبين الوصول إلى البحر المتوسط، وتحالف إسماعيل الصفوى مع البرتغاليين المسيحيين الذين كانوا أشد القوى خطرا على العالم الإسلامى حينذاك، هذا فى الوقت الذى كان المسيحيون البرتغاليون يخشون من وجود جبهة إسلامية قوية ضدهم فى المياه الإسلامية، ووجدوا ان هناك من يريد ان يتعاون معهم، ومع ان ملك مملكة «هرمز» العربية التى اضيرت مملكته بشدة فى اقتصادياتها التجارية بمجيء البرتغاليين طلب مساعدة إسماعيل الجنيد الذى رفض ذلك بل تعاون مع القوى الصليبية البرتغالية ضد حاكم «هرمز» ومملكته العربية التى أصبحت تحت الاحتلال البرتغالى، وبذلك وضع شاه إيران مصالحه الخاصة وحقده الشديد على الأتراك العثمانيين فى مقدمة أية تسوية أو تحالف مع البرتغاليين، ووافق على ان تظل مملكة «هرمز» العربية تحت الاحتلال المسيحى البرتغالى فى مقابل حصوله على مساعدات عسكرية ضد حاكم البلوشستان فى «مكران»، ولكن حتى هذه المساعدات لم يقدمها البرتغاليون لحليفهم شاه إيران، وكانت النتيجة ان ساعدت سياسة شاه إيران هذه على تقوية التسلط المسيحى البرتغالى فى الخليج العربى[1].

---

(1) د. عبدالعزيز سلمان نوار ـ المرجع السابق ص226.

توجه إسماعيل إلى الشمال الشرقى من إيران

تسكن قبائل «الاوزبك» فى المناطق الشمالية الشرقية من إيران فى «خراسان» وكـانت وثنية ثم اعـتنقت الإسـلام على المذهب السنى واشـتهـرت هذه القبـائل بالشجاعة ولكنهـا كانت متفرقة ولهذا لم تكن لها تاريخ واضح حـتى ظهر محمد الشيـبانى واستطاع ان يسيطر علـى قسم كبيـر فيها وبذلك برزت هذه القـبائل فى تاريخ المنطقة، و «الاوزبك» كلمـة تعنى سيد نفـسه أى المستقل، ويعـتبر محـمد الشيبانى من أشهر زعـماء الاوزبك ويطلق عليه أيضا «شاه بخت» أى ملك الحظ، ولقد كانت تسنح له فعلا فرص طيبة لإبراز شجـاعته، واستطاع محمد الشيبانى ان يبنى لنفسه ملكا على حساب الدولة «التيمورية» المحـتضرة معتمداً على قوة رجال «الاوزبك» وبذل جهـودا كبيرة حـتى استولى على «سمـرقند» عام 1500 ولكنها استنجـدت «ببابر» سلطان دولة المغول الإسـلامية فى الهند وهو أيضـا من سلالة «تيمورلنك»، فلبـى بابر النداء وصعد بقواته من الهند حتـى خلص «سمرقند» من يد محمد الشـيبانى ورجاله «الاوزبك»، و لكن محمد الشيـبانى لم يستسلم ودخل فى معركة ثانية مع «بابر» وكان النصر حليـف الشيبانى فى هذه الجولة الثانية برغم استمـاته بابر ورجالة فى القتال وسقطت «سـمرقند» للمرة الثانية فى يد الشـيبانى وبذلك انتهت دولـة «التيمـوريين»، ثم توجه الشيـبانى وسيـطر على «هراة» عام 1507 ثم على «خراسـان»، وهكذا أصبح مـواجها لإسـماعيل الجنيـد، وحدثت مشادة مذهبـية بين علماء الأتراك السنة فى وسط آسيا وعلمـاء الأتراك الشيعة فى إيران، وأصبح الصراع بين الشيبانـى وإسماعيل الجنيد لا على الأرض وإنما صراع مذهب وكل منهما يعتقد انه هو على الحق، وأخذ الشـيبانى يدعو إسماعيل الجنيد إلى العودة إلى طباع أهل السنة وإلى مذهب غالبية الشعب التركى فى إيران نفسها وأصبحت الحرب لا مفر منها، وفى الوقت الذى كان إسماعيل يعد قواته للزحف شمالا لملاقاة الشيبانى، وقعت عدة أحـداث احرجت مركز الأخير فقد ثارت قبائل

منطقة «فيرزكوه» على الشيباني الذى عجز عن اخضاعهم كما وقعت عدة اضطرابات ساعدت على تشتيت قوات الشيباني الذى اتصف بالجرأة والاقدام ولم يكن فى مستوى إسماعيل الجنيد من حيث الخداع والتكتيك فاستغل ذلك وجر الشيباني إلى ميدان معركة سيطر عليه إسماعيل الجنيد بقواته حتى سقط الشيباني فى المعركة. وبسقوط الشيباني ضعفت دولته وتعرضت لأخطار من الهند وإيران، فلم يتخل «بابر» عن استعادة بلاد أجداده، وكان إسماعيل مستعداً للتعاون مع سلطان مغول الهند رغم اختلاف المذهب واتفق إسماعيل مع بابر ضد الشيبانيين فاستولى «بابر» على «سمرقند» إلا ان قائد «الاوزبك» الجديد عبيدالله خان انزل هزيمة قاسية بجيش «بابر» قرب «بخارى» واستعاد «سمرقند» عام 1512[1].

تعنى هزيمة «بابر» ان «الأوزبك» استعادوا قدرتهم على توجيه الضربات إلى الأقاليم الشمالية الشرقية لإيران وبالتالى ضياع آمال إسماعيل الجنيد فى السيطرة على تلك المناطق، وكانت الآمال معقودة على تحقيق هذا التحالف بين المغول والصفويين وان تحقيقها سيصبح بعيد المنال لو تمكنت القبائل «الاوزبكية» من الانفراد بالجيش الهندى المغولى وارغامه على الانسحاب من الحرب، وكان إسماعيل الجنيد يدرك أهمية هذا التعاون قبل ان يستطيع عبيدالله خان ان يضرب ويهاجم الهند وإيران ولهذا اسرع إسماعيل إلى إرسال النجدات إلى الجيش الهندى والتقى الحليفان عند «ترمذ» وأحرز الحليفان نصرا عندما استولت جيوشهما على مدينة «مارشى» التى وقعت فى يد نجم ثانى القائد الإيرانى، وكان قائد «قارشى» من أبناء عمومة عبيدالله خان الذى وجد ان من الصعب الدفاع عنها فاستسلم وسلم المدينة، فما كان من القائد الإيرانى الشيعى إلا أن قتل كافة رجال الحامية وسكان المدينة حتى ذلك العالم الشاعر الكبير «ملابنائى» فكان لذلك صداه العميق لدى بابر. حقيقة كان عبيدالله ورجاله من أكبر أعداء «بابر» الذى كان يعتبر مقاتلا

(1) د. عبدالعزيز نوار ـ نفس المرجع ص230.

كريما وفيا لعهوده إذ قطعها مقدرا للعدو الشجاع ومحتقراً للمنتصر والمنتقم خاصة إذا كان الانتقام بدون مبرر، ولقد كان انتقام «نجم ثانى» القائد الإيرانى وارتكابه المجزرة الجماعية دون تمييز بين محارب وعالم وبين مقاتل ومستسلم أسير، مثار إزعاج لنفسية بابر العظيمة. أدرك بابر ان وراء تلك المذبحة الجماعية تعصبا مذهبيا ضد السنة وكان «بابر» سلطان الهند مسلما سنيا ولكنه كان يحترم مذاهب الآخرين حتى من غير المسلمين، وكان ينتقد تلك المذاهب دون ان يهزأ منها وكان يناظر علماءها دون أن يفرض عليهم رأيه أو معتقده ومن ثم كانت أعمال القائد الإيرانى الانتقامية عاملا أساسيا فى ان يعيد «بابر» النظر فى تحالفه مع إسماعيل، حيث كان هذا التحالف محدود الأهداف لمجرد كسر شوكة قبائل «الأوزبك» فى شرق وشمال إيران، واستعادة «بابر» عاصمة التيموريين. وكانت الأهداف العاطفية الأسرية هى التى تدفع «بابر» إلى إرسال قواته ضد قبائل «الاوزبك» وكان بعد المسافة أرغمه على التعاون مع القوة الأخرى المناهضة «للاوزبك»، ولكن لم يكن هناك تقارب مذهبى بين حكام الهند وإيران فى وقت كانت فيه للفكرة المذهبية أهمية بالغة فى عقد التحالفات أو شن الحروب. لقد كان السلطان «بابر» مسلما سنيا غير متعصب، وكانت له آفاقه الفكرية البعيدة عن نظرية التعصب المذهبى بعكس إسماعيل حاكم إيران؛ ولذلك طالما المصلحة المشتركة ضد الأوزبك ظلت قائمة فإن التحالف بين الهند وإيران قائم ولكن بشرط ألا تظهر خلال ذلك مشاكل مذهبية أو إنسانية بين «بابر» و «إسماعيل»[1].

تجلت قسوة القائد الإيرانى «نجم ثانى» ضد سكان «قارشى» من «الاوزبك» السنة فى ارتكابه تلك المذبحة الصادرة عن نفس متعصبة كل التعصب لمذهبها. بدا «لبابر» ان هذا التحالف مع المتعصبين الإيرانيين يجب ان ينحل وان هذا لم يكن رأى «بابر» وحده بل كانت كل عشائر وسط آسيا تنظر فى هلع وخوف شديد إلى

---

(1) د. عبدالعزيز سلمان نوار ـ نفس المرجع ص232.

التوسع الإيرانى إذا كانوا يقدرون ان هذا التوسع ليس مجرد ظهور فاتح جديد أو تولى ملك عليهم بقوة السلاح فقط وإنما كانوا يدركون أن وراء ذلك سيفا مسلطا على رقابهم باستمرار إذا هم ظلوا متمسكين بمذهبهم السنى، مما اضطر «بابر» ان يعيد النظر فى التحالف مع إيران ولم يلبث ان قطع علاقاته معه وغادر المنطقة عائدا إلى العاصمة الهندية ليصارع قبائل «الاوزبك» مع إيران، وكان نجم ثانى مغرورا بنفسه ولم يدرك ان قدراته العسكرية بعد رحيل سلطان المغول الهندى أصبحت أضعف من ان تتفوق على «الاوزبك» فى أراضيهم، فتابع مهاجمته للقرى «الاوزبكية» واحرز عدة انتصارات محلية. وكانت قبائل «الاوزبك» تراقبه عن كثب ويفسحون له الطريق ليتوغل داخل بلادهم حتى إذا ما نزل فى منطقة احكم «الاوزبك» دراستها اطبقوا عليه فدارت معركة اقرب إلى المذبحة حيث قتل فيها جميع أفراد الجيش الإيرانى بما فيها قائدهم نجم ثانى فى المعركة التى عرفت باسم «غجديوان» عام 1513، ولكن المنتصرين فى هذه المعركة لم يكونوا جيشا ضخما وإنما عبارة عن بعض العشائر «الاوزبكية»، ولقد أدى انتصار عبيدالله خان فى «غجديوان» إلى النتائج التالية[1]:

(أ) لقد بدا واضحا ان التعصب الدموى الإيرانى الشيعى ضد السنة من قبائل «الاوزبك» يجب ان يواجه بتعصب مذهبى مماثل مما أدى إلى تصاعد حرب التدمير والتقتيل والابادة بين العشائر «الاوزبكية» والحكومة الإيرانية.

(ب) كانت هزيمة القائد الإيرانى «نجم ثانى» تعنى ان أقاليم ومناطق القبائل «الاوزبكية» قد تحررت من الحكومة الإيرانية وأصبحت مساحة الأقاليم التى يحكمها عبيدالله خان بعد موقعة «غجديوان» تعادل تقريبا تلك المساحة التى كان يحكمها محمد الشيبانى فى أوج قوته.

---

(1) د. عبدالعزيز سلمان نوار ـ نفس المرجع ص233.

(جـ) اما وقد استعاد «الاوزبك» مناطقهم فبدأ الضغط «الاوزبكى» على الأقاليم الشرقية والشمالية من إيران فى وقت كان فيه إسماعيل الجنيد يواجه الحملة العثمانية فى موقعة جالديران 1514، وأخذ «الاوزبك» يخربون ويدمرون وينهبون مدن وقرى إيران، ولقد أبرز «الاوزبك» الكثير من ضروب الشجاعة والجرأة التى اتصفوا بها، كما كان الحماس المذهبى يحثهم على العمل على تقويض القوى الشيعية، وشن عبيد الله خان حملات ضارية استرجع بعدها «مرو» و«مشهد» و «استراباد».

طهماسب الأول 1524، 1576

توفى إسماعيل الجنيد عندما كان يزور «اردبيل» عام 1524 ولم يتجاوز من العمر ثمانية وثلاثين عاما، وخلف «طهماسب» اباه وهو فى العاشرة واستطالت مدة حكمه لإيران حتى استغرقت اثنين وخمسين عاما ونصف حفلت بالحروب المتصلة ضد أعدائه «الاوزبك» فى الشرق والعثمانيين فى الغرب. وكان عبيدالله خان ابن الشيبانى قد شن أكثر من سبع حملات على إيران ابتداء من عام 1525 حتى وفاته عام 1540، وكان طهماسب يفيد من فترات السلم المعترضة ما بين حروبه فى الشرق والغرب فى غزو المسيحيين فى «الكرج» وقد بلغت غزواته ضد المسيحيين فى «جورجيا» أكثر من سبعة ولكنه لم يوفق فيها إلى انتصارات دائمة على الرغم من ان كثيرين من جورجيا دخلوا فى خدمته فى ما بعد، وقد سعى طهماسب إلى المجد عن طريق الاتباع الدقيق إلى أقصى الحدود لجميع التعاليم الشيعية مهما تكن ثانوية والذى حبس نفسه طوال الأعوام الأخيرة من حكمه حبسا يكاد يكون كليا فى قصره، وكان فى إيران الكثير من العصابات وقطاع الطرق مما أدى إلى عدم وجود الأمن واضطراب فى الأحوال الداخلية ويقول «منستودى أليساندرى» سفير «البندقية» فى بلاد «طهماسب» كيف ان هذا الأخير عزم على ان يخفف من وطأة الضرائب التى تثقل كواهل رعاياه، لأنه رأى فى منامه ملاكا

يتوعده من أجلها. والذى يؤخذ من السيرة التى ترجم فيها لنفسه، ان الأحلام قد لعبت على العموم دوراً هاما فى حياته فقد أقلع عن معاقرة الخمر وهو فى العشرين من عمره وأمر بإغلاق جميع حوانيتها فى إيران إثر رؤيا قرعه فيها الإمام «على الرضا»[1].

اتسم عهد «طهماسب» بكثرة الحروب، فقد هاجم العثمانيون العاصمة الإيرانية «تبريز» واحتلوها أكثر من مرة مما دفع طهماسب إلى نقلها إلى الداخل واتخذ من مدينة «قزوين» عاصمة جديدة للدولة الصفوية. ولاشك ان حروب الإيرانيين فى العراق ضد العثمانيين قد ادخلت السرور على المسيحيين الأوروبيين ولذا تراهم يحاولون الاتصال بالشاه «طهماسب» يعرضون عليه خدماتهم وذلك على أمل عقد اتفاقية ضد العدو المشترك وهو الدولة العثمانية بغية إرباك العثمانيين الذين كانوا يهاجمون أوروبا بصفة منتظمة وجعلوها دارا للحرب والجهاد، فوجد الأوربيون فى إيران عونا لهم يستطيع حكامها طعن العثمانيين من الخلف كلما تقدموا صوب أوروبا أو لتخفيف الضغط العثمانى عليهم، وبالتالى يضطر العثمانيون لتفتيت قواهم ونقل أعداد كبيرة من جنودهم إلى الجبهة الشرقية المتاخمة لإيران مما يخفف الضغط عن أوروبا[2].

توفى طهماسب فى عام 1576 من غير ان يسمى خليفة وكان ابنه البكر محمد «خدابنده» الذى أقام فى «هراة» من عام 1536 إلى عام 1565 بوصفه حاكما عليها والذى اضطر إلى ان يتخلى عن مركزه ويستعيض عنه بحكم شيراز وذلك بسبب النزاع الذى وقع بينه وبين أحد المواظفين الكبار، وكان محمد خدابنده فقد البصر منذ وقت بعيد فأقصى عن خلافة أبيه وذلك ما كان يحدث فى

---

(1) كارل بروكلمان ـ المرجع السابق ص500.

(2) د. بديع محمد جمعه ـ المرجع السابق ص12.

منطقة الشرق، اما الابن الثانى لطهماسب ويدعى إسماعيل فقد كان على نقيض والده وأخيه، قويا وشجاعا ويميل إلى العسكرية ومحبا إلى «القزل باش»، وكان قد سبق ان لمع نجمه فى الحروب التى خاضعها مع الجيش الإيرانى ضد الدولة العثمانية، وفى العمليات العسكرية الناجحة ضد حاكم «ارضروم» اسكندر باشا العثمانى عام 1552، وعندما أصبح حاكما لولاية «خرسان» عام 1556 خلفا لأخيه الأكبر، استثار شكوك والده «طهماسب» بما أظهره من استقلال فى العمل العسكرى وتفرد فى رسم الخطط الحربية له، فأمر «طهماسب» بحبس ابنه إسماعيل الثانى عام 1557 فى قلعة «قهقيه» فى جبل «سولان» بين «اردبيل» و«تبريز»، وكان لطهماسب سبعة ابناء آخرين وأحبهم إليه كان ابنه حيدر، وكان قد طلب من السفير الإيرانى فى الآستانة بأن يقنع الدولة العثمانية بعدم معارضة حيدر فى استلامه للحكم فى إيران وكان يؤيده جماعه من «جورجيا» فى البلاط الإيرانى وقبيلة «أسنا جلو» من بين «القزل باش» وحظى فوق ذلك بتأييد رعاياه الإيرانيين، ولكن انصار أخيه إسماعيل وقفوا بقيادة أخته لأمه «بيرى خان خاتم» إلى ان استولوا على القصر فى العاصمة «قزوين» وقتلوا «حيدر» قبل أن ينجو إسماعيل من سجنه فى قلعة «قهقه»[1]. ونشب صراع انتهى بتولى إسماعيل الحكم فى إيران بمساعدة بعض أفراد من قوات «القزل باش» وقد كان هذا الصراع بين أبناء الأسرة الصفوية ولكنه جر معهم أفراد القوات الموالية لهم من «القزل باش» مما اوجد شيعًا واحزابا ومناصرين ومتناصرين حول السلطة والنفوذ مما نتج عنه انتشار المجازر والقتل الجماعى بأبناء الأسرة الصفوية للتخلص بعضهم من بعض.

إسماعيل الثانى 1576،1582

سارع إسماعيل إلى العاصمة فى 23مايو 1576 بعد ان أطلق مدير السجن

---

(1) كارل بروكلمان ـ المرجع السابق ص105.

سراح إسماعـيل عندما سمع خبر اغتيـال أخوه حيدر، فدخل إسماعـيل العاصمة بتاريخ 13يونيه وفى 22 أغسطس تولى حكم إيران، وكان إسمـاعيل قد تأثر عقله بسبب الفترة الطويلة التى كان فيها مـقيما بالسجن ولم يلبث ان جعل هدفه تدعيم حكمه والتـمكين له مفرغـا فى سبيل ذلك كل مـا يملك من جهد وقوة، فـأقدم إسماعـيل على الفتك بكل من نازعوه السلطة من إخوته وابـناء أخوته، حيث لم تمض فترة وجيزة حتى كان قد قتل جميع إخوته ما عدا أخوه الكبير الضرير محمد «خدابنده» فقـد قتل جميع أبناء الأخيـر باستثناء أكبرهم حـسين الذى قتل مع من قتل، أمـا عباس ابن «محـمد خدانبـده» فلم ينج إلا بأعجوبة، وهكذا أصـبحت العلاقة بين ابناء الأسرة الصفوية علاقة عداء وتوجس وتخيفة كما أصبح الشاه لعبة فى أيدى «القزل باش» الذيـن يسيرونه حـسب رغباتهم حـتى ان بعض أفراد هذه القوات ارادوا ان تمتص الخلافـات الداخلية بافتعال أزمـات خارجية حيث شـجعوا إسماعيل على مـهاجمة العثمانيين الذين عـاجلوهم بضربة قوية مما زاد من غضب الإيرانيين والأمراء بتصرفات إسماعيل الذى احتفظ «بقزل باش» الذين كانوا دعامته الأساسية بما أظهره من كراهية علنية للمذهب الشيعى فقد أغفل ذكر شعارهم على ما ضرب من نقود، وحظر سب الخلفاء الثلاثة الأولين من على المنابر فى المساجد وانه من الصعب فهـم هذه الشخصية الغـامضة والتى افسدتهـا المسكرات، وتجعلنا نحدد الأسباب أو العوامل التى دفعته إلى هذا التوجه أو السلوك هل هو راجع إلى استرضاء جماعة السنة أعداء التقليـديين لدولته أم هو مجرد الرغبة فى الانتقام من ذكرى والده الذى أفـسد عليه حيـاته إذ ألقاه فى السجن طول حـياته تقريبـا حتى مقتل أخيه حيدر، وبعد عام واحـد تقريبا من تولية إسماعيل الحكم رزق مولد ابنه البكر حيث قضى إسماعيل بعد ذلك نحبه مسموما فى منزل غلام كان يتعشقه فى 24 أكتوبر 1577، وكانت أخته لأمه أى خالتـه طموحًا وقد سبق لها ان فكرت بان تتولى الوصـاية باسم ابنه الصغيـر، ولكن شيوخ «القـزل باش» رفعوا محـمد

خـدابنده الذى كان ضـريراً إلى حكم إيران ولكن الدولة قـد أخذت فى الضـعف وكان شيـخًا من مشايخ الطريـقة الصوفية «القـادرية» ما لبث ان ظهر فى مـقاطعة «لورستان» الكردية مدعيا انه الشاه القتيل فعمرت سلطته هناك حتى عام 1582(أ).

محمد خدابنده

لم يجد المتآمرون على مقتل إسماعيل الثانى من بديل ينصبونه حاكما جديداً إلا هذا الضرير ولعلهم نصبوه لمعـرفتهم بأنه ضعيف الشخصـية وبالتالى لن يقوى على الوقوف أمام أطماعهم فى الحكم، وأمام ضعف شـخصية محمد خدابنده بدأ دور نساء الـقصر الصـفوى فى التـدخل فى شؤون الحكم والـظهور على مـسرح الأحداث فـقد حـاولت أخت خدابنده وتدعى بيـرى خانم والتى شـاركت «القزل باش» فى اغتيال أخيـها إسماعيل الثانى ان تكون صاحبة الـكلمة الأولى فى تسيير الأمور داخل الأسـرة الصفـوية وان يظل أخوها محـمد خدابـنده، مجرد واجـهة تختفى من ورائه ولكن هذا أثار حفيظة «مهد عليـا» زوجة محمد «خدابنده» حيث تطلعت إلى ان تكون الكلمـة لها، لا لأخت زوجهـا، مما أوجد نزاعـا مريرا بين نساء القصر، فى حـين سارع محمد خدابنده عـقب توليه الحكم إلى التخلص من أخته لأمه بيرى خانم ومن ابن إسماعيل القاصر والواقع ان زوجته وكانت ابنة سيد «مرعـشى» من «مازندران» هى التى تولت شـؤون إيران الفعلية بالنـيابة عنه، ولم ينته هذا الصراع فى القصر الصفوى بين النساء إلا بمقتلهما حيث تآمرت مهد العليا ضد «بيرى خـانم» وتم اغتيالها لكى يخلو المسرح السياسى للزوجة «مـهد العليا» التى تجـبرت وفـرضت نفـوذها وسيـطرتها على كل رجـال الدولة وعلى رؤسـاء الطوائف «القزل باش» مما جعل صورتها كريهة لدى الجميع ولذا اقدم بعض «القزل باش» على سفك دمـها وهى ترقد على الفـراش بجوار زوجهـا محمـد خدابنده، وأمام هذه الاضطرابات داخل الأسـرة الصفويـة الحاكمة بـدأت كل القوى المناوئة

(أ) كارل بروكلمان ـ نفس المرجع ص502.

للصفـويين بالتحرك ضدهم حـيث كان أعداؤها يستـغلون تلك الأحداث من كل جانب، وما انتهت إليه من ضعف سواء فى ذلك المعسكر «الاوزبكى» فى الأقاليم الشرقـية من إيران أو الدولة العثـمانية التى أغارت علـى حدود إيران الغربية كـما أصبح كل طامع فى الحكم يتخفى وراء أميـر من أمراء البيت الحاكم حتى يصل به إلى الحكم فيكون صاحب الكلمة الأولى فى الدولة، وهذا ما حدث بالنسبة لحماة عباس بن محمد خدابنده فقد عزم عباس الذى كان حاكما «لخراسان» على التدخل فى شؤون الحكومة المركزية فى العاصمة بعد مصرع أخيه الأكبر. وفى سبتمبر عام 1587 اكره اباه على التنازل عن الحكم وسمل عـيون أخويه الأصغرين وحبـسهما حـتى الموت. وهكذا وصل عبـاس إلى الحكم بعـد فـترة مـريرة من الاضطرابات الداخلية والمنازعات بين أبناء الأسرة الصفوية والفتن بين زعماء القزل باش(1).

عباس الأول 1588. 1629

شهدت إيران فى الأعوام الثلاثة والأربعين التى استغـرقها عهد عباس الكبير تطوراً كبيراً وبـلغت ذروتها فلم يكد عباس يتولى الحكم وليس له من العـمر غير سبعة عـشر عاما حتى سعى إلى أن يضـمن لنفسه حرية العمل فأصـدر امره بقتل مرشد قولى خان الذى سبق ان تعـهد بالعناية به اثناء ولايته على «خرسان» والذى ساعده على تولـى الحكم، ثم ان عباس نظر إلى إيران فوجدهـا فى ضعف شديد وخطير فما كان منه إلا ان سارع إلى عقد صلح ذليل مع العثمانيين يتنازل بمقتضاه عن «اذربيجان» و «جورجيا» وجزء من «لورستان»، وكـان العثمانييون قد استولوا على هذه المقاطعـات، وتعهد أيضًا للعـثمانيين بالكف عن سب الخلفـاء الراشدين الثلاثة فى أراضى مملكتـه وهم أبوبكر وعمر بن الخطاب وعثمـان بن عفان، وبأن يبعث بابن عمه حيدر ميرزا رهينة إلى الاستانة ومن ذلك الوقت فرغ عباس لإقرار الأمن فى داخل إيران ووقايتها من عدوان قـبائل «الاوزبك» الذين غزوا «خرسان»

(1) د. بديع محمد جمعه ـ المرجع السابق ص14.

أكثر من مرة حتى إذا ما توفى زعيمهم الخان عبدالمؤمن فى عام 1598 صار فى مقدرة عباس ان يطردهم من إيران، ولكى يتحرر من سيطرة «القزل باش» الذين اعتمد اسلافه عليهم كما ازعجوهم أيضا أعظم الازعاج قام بإنشاء جيش جديد على غرار الانكشارية وذلك من الذين دخلوا فى الإسلام حديثا من «جورجيا» و «الارمن»، وشكل حرسا خاصا جديدا من الأتراك سمى «شاه سون»، وفى عهد السلطان محمد الثالث كانت الدولة العثمانية مشغولة بحروب المسيحيين الأوربيين الذين كانت تسميهم دار الحرب والجهاد ضد الكفار وخاصة حروبها المستمرة ضد النمسا اضافة إلى انشغالها لاخماد الثورة التى قامت بها الطريقة الجلالية فى «الاناضول» أعلن عباس الحرب ضد العثمانيين عام 1602 فتمكن بجيشه الجديد استرجاع «تبريز» و «شروان» واستولى على «بغداد» وان تكون هذه الأخيرة قد سقطت بعد عدة مرات فى أيدى العثمانيين على عهد عباس نفسه كذلك مكن للسلطة الإيرانية فى منطقة «القوقاز» وعزز الحدود حتى منطقة «مرو» و«بلخ»[1].

استفاد عباس من العرض الذى قدمه البريطانيان الأخوان «انطوانى» و «روبرت شيرلى» فى بداية حكمه بمساعدة صانع مختص بصناعة المدافع كان يصحبها من ان يسلح الجيش الإيرانى بسلاح المدفعية التى كان يحتاجها من قبل والذى كان الإيرانيون عاجزين بسبب فقدانه عن مجاراة العثمانيين فى القتال، وقد قال «انطونى شيرلى» عن عباس فى وصفه[2] بأن شخصيته مطابقة لذكائه الطبيعى، وتعد ملائمة جداً للنهاية المقدرة لوجوده فكان ذا هندام جميل وبنية متناسقة وكان قويا نشيطا وكان لونه أميل إلى سمرة الرجال العاديين وقد لفحته الشمس فبدا أكثر سمرة، وكان تركيبه العقلى ملكيا إلى أبعد حد وكان عاقلا

(1) كارل بروكلمان ـ المرجع السابق ص503.

شجاعا سـخيا معتدلا رحيمـا ذا حب مفرط للعدل يتمتع بمزايا ملكيـة أخرى كما كان بعيدا عن الكبر والغرور وعن كل الدلالات والأعمال غير الملكية».

تحالف عـباس مع بريطانيـا لطرد البرتغاليـين من جزيرة «هرمـز» واعطائها لإيران مقابل امتيازات سخية وكـبيرة تشمل جميع المجالات فى إيران عام 1622، وانشأ قاعدة تجـارية جديدة فى مدينة «جمبرون» الذى غيـر اسمها إلى اسم «بندر عباس»، وشجع التجار الأوربيين وخاصة البريطانيين والهولنديين على التجارة فى هذا الميناء الجـديد وجعل منهـا أهم مركـز لتصـدير الحريـر، كمـا اقام عـلاقات دبلوماسية مع الدول الأوربية المسيحـية ونقل القبائل الكردية من شمال غرب إيران وخاصـة من «تبريز» إلى شـمال شـرق إيران حيث تنشئ سـدا قائمـا ضد قـبائل «الاوزبك» كمـا نقل طائفة كـبيـرة من «الارمن» من «جلفا» فى «أذربيـجان» إلى «جلفا» جديدة أقامـها لهم على شاطئ نهر «زاينده رود» فى مواجهـة «اصفهان»، وكان متسامحا مع غير المسلمين غيورا على الأمن العام متشدداً فى قضائه المنصف مسرفا فى هباته السـخية، واضافة إلى جعل «اصفهـان» موضع اعجاب العالم من الناحية المعمارية فإنه اهتم من الناحيـة المعمارية والجمالية لمدينة «شيراز» و «اردبيل» و «تبريز» واقام مبانى جديدة وجميلة كـما وجه عنايه خاصة إلى مزار الإمام على الرضـا فى «مشـهد» ويبـدو انه كان يهـدف بذلك إلى حفظ الأمـوال داخل إيران بجعله مزارا جذابا للحجاج والزائرين وقام هو برحلات عديدة لضريح الإمام على الرضا وكانت احداها سـيرا على الأقدام من «اصفهان» إلى «مشهـد» وانشأ اقساما جديدة فـى مبنى المزار، كمـا شيـدت الطرق والقنوات وأماكن نزول القـوافل فى جميع أنحاء إيران[1].

نقل عباس عاصمته إلى«اصفهـان» بعد ان تحملت العاصمة القديمة «قزوين» من الأرزاء ما سلبها بهجتها ورونقهـا، واختص العاصمة اصفهان عام 1598 بكل

(1) دونالد ولبير ـ المرجع السابق ص89.

عناية ورعاية فسرعان ما دوت المدينة بالنشاط فى الفنون والصنائع وشجع عباس الاصلاحات فى كل ميدان من ميادين الحياة العامة، وتولى عباس بناء ضاحية أو مدينة ملكية جديدة فى «أصفهان» مجاورة للمدينة القديمة، وقد تم بالمرحلة الأولى من هذا العمل بناء الخطوط الرئيسية للخطة العامة وانشاء المبانى الضرورية للاحتياجات العائلية والمدنية والدينية للبلاط، اما المرحلة الثانية التى بدأت فى عام 1611 فقد اهتمت بتوسيع هذه المبانى ومضاعفتها حتى جعلتها أوسع وأجمل، وزين عباس «اصفهان» نفسها بالمبانى الكبيرة مثل الجامع الكبير وقصر الأعمدة الأربعين «جهل ستون» والجسر الكبير القائم على نهر «زندرود» وبالبساتين الأربعة (جارباغ) ولقد بقيت هذه الآثار الفخمة فى حالة حسنة حتى الوقت الحاضر وتعطى مدينة «اصفهان» من بين سائر المدن لزائرها صورة كاملة لإيران القديمة، فقد صف حول الميدان الملكى، قصر ومسجد ملكى (مسجد شاه) ومسجد أصغر ومدخل كبير للأسواق المسقوفة وتوجد إلى غربى الميدان حديقة فسيحة مرصعة بقصور ملكية وجواسق جميلة يخترقها شارع واسع يواصل امتداده عبر النهر عن طريق معبر جديد فيؤدى إلى حدائق القصور على الضفة المقابلة، وشملت المدينة المحاطة بحيطان من الآجر والطين على ستمائة ألف نسمة ومائة واثنين وستين مسجدا وثمان وأربعين مدرسة دينية ومئتان وثلاثة وسبعين حمام عمومى وألف وثمانمائه واثنين رباطا لمبيت القوافل وقد كان كثير من شوارعها ضيقا ملتويا ولكن كل منزل تقريبا كان يحتوى على فناء يعد بمثابة حديقة[1].

الجيش الإيرانى

اعتمد الجيش الإيرانى قبل عباس على رجال «القزل باش» البالغ عددهم ستين ألف جندى، وكانوا يتلقون أوامرهم من رؤساء الفرق التابعين لهم، إذ لم يكن من حق شاه إيران الصفوى إصدار الأوامر مباشرة لجنده بل عليه ان يصدر

---

(1) دونالد ولبير ـ نفس المرجع ص89.

الأمر لرؤساء الفرق العسكرية ثم يقوم كل رئيس فرقة بإبلاغ الأمر لتابعيه من الجنود ونتيجة لهذا النظام العسكرى أصبحت قبضة شاه إيران على رجال «القزل باش» ضعيفة لأن رؤساء الفرق إذا لم يرق لهم أمر الشاه امتنعوا عن إبلاغه للجنود بل أصبح فى استطاعة هؤلاء الرؤساء بعد ذلك تأليب أتباعهم ضد الشاه وسرعان ما كان يستجيب الأعوان لهم ولهذا قام عباس بخفض عددهم إلى النصف ثم قام بإضعاف قوات الحرس الصفوى وأبعدهم عن المشاركة فى الدفاع عن الدولة والأسرة الصفوية وبعدها بدأ بتجديد الروح العسكرية فى إيران، وقام بإنشاء جيشين جديدين أحدهما يتكون من رعايا إيران الذين أسلموا من «جورجيا» و«الارمن» و «الشركس» وهو جيش خاضع لعباس مباشرة وهو شبيه بالجيش «الانكشارى» وكان يتولى الدفاع عن الشاه وحراسة قصوره، أما الجيش الثانى فكان يتكون من رعايا إيران سواء كانوا من أفراد «القزل باش» الأتراك أو من غيرهم وقد أطلق على الجيش الثانى «شاهسون» أى محبى الملك. وبتكوين عباس لهذين الجيشين الذين يأتمران بأوامره المباشرة استطاع ان يحكم قبضته فى الداخل كما استطاع أن يوجههم لمحاربة أعدائه فى الخارج فأحرز بفضل إخلاصهم له انتصارات فى الشرق والغرب اضافة إلى تسليح بعض الفرق العسكرية بالبنادق والمدافع فقد أدرك ان الجيش العثمانى ينتصر دائما على الجيش الإيرانى لا بفضل كثرته العددية ولكن لأنه مزود بالبنادق والمدافع فقد زود عباس جيشه بخمسمائه عربة مدفع وستين ألف بندقية وقد صنعت هذه الأسلحة النارية داخل إيران حيث قامت أفراد البعثة البريطانية بقيادة الأخوين شارلى بإنشاء مصنع لانتاج السلاح والذخيرة عام 1597، كما ساعد أفراد البعثة العسكرية البريطانية الجيش الإيرانى فى رسم الخطط العسكرية وشارك بعضهم فى الحروب التى دارت ضد العثمانيين حيث أسندت إلى الضابط روبرت شارلى رئاسة إحدى الفرق العسكرية الإيرانية ضد العثمانيين إلا ان عباس لم يحاول انشاء قوات بحرية برغم طول سواحله البحرية مما أدى إلى

إحلال النفوذ المسيحى الاستعمارى البريطانى وقواته البحرية فى السواحل الإيرانية[1].

عباس والأوضاع الداخلية

بدأ عباس يتطلع إلى الانفراد بالحكم والقضاء على سلطة القواد والحكام وإعادة الحكم المركزى إلى ما كان عليه أيام إسماعيل الأول وطهماسب ولكن أهدافه هذه اصطدمت بأطماع بعض حكام الأقاليم المتطلعين إلى بسط نفوذهم على الأماكن التى يتولون حكمها فقام عباس بإخماد أربع أهم ثورات داخلية وذلك قبل ان يستفحل خطرهم وبذلك دخل فى حروب كثيرة مع هؤلاء الثائرين وانتصر عليهم وهذه القواد الأربع هى كما يلى:[2]

(أ) ثورة يعقوب خان ذى القدر فى فارس:

أصدر عباس بعد توليه حكم إيران بأن يتولى يعقوب خان حكم منطقة فارس ولكن هذ. الأخير سرعان ما عمل على زيادة رقعة نفوذه فضم إلى حكمه مناطق «يزد» و «كرمان» وبدأ يتصرف بدون الرجوع إلى عباس وكأنه حاكم مستقل وكون جيشًا مستقلا وسلحه بأسلحة كثيرة تمكنه من محاربة جيش عباس وأمام هذا الخطر تقدم عباس بجيشه عام 1590 وطلب عباس من يعقوب خان الصلح الذى لم يقبل القاء السلاح إلا بعد ان أقسم الشاه بأنه سيصفح عنه فاستسلم ولكن عباس قام بقتله بعد ذلك.

2 ـ ثورة خان أحمد خان حاكم «جيلان»:

تولى خان أحمد خان حكم منطقة «جيلان» من قبل طهماسب، ولكنه حاول الاستقلال بها، فألقى طهماسب القبض عليه وسجنه عشرة أعوام حتى أفرج عنه

---

(1) د. بديع محمد جمعه ـ المرجع السابق ص66.

(2) د. بديع محمد جمعه ـ نفس المرجع ص67.

خدابنده واعاده إلى حكم «جيلان» وزوجه أخته مريم ولكن خان أحمد خان انتهز فرصة ضعف محمد خدابنده وبدأ يوسع دائرة نفوذه حتى تولى عباس الحكم وأراد اخضاع حاكم جيلان لسلطته ولكن خان أحمد خان رفض ذلك واستقل عدد كبير من قواد «القزل باش» الفارين من سطوة عباس مما زاد الموقف بينهما تأزما واضطرابا فأصدر الشاه أوامره إلى قائد الجيش بالتحرك جهة «جيلان» والقضاء على ثورة خان أحمد خان وأخيرا التقى الجيشان فى «جيلان» وعندما أدرك خان أحمد ان الهزيمة من نصيبه آثر الفرار بحرا إلى «شيروان» ومنها واصل سيره إلى العاصمة العثمانية حيث عاش هناك.

3 ـ ثورة شاهور ديخان فى «لارستان»

انتهز شاهور ديخان فرصة انشغال عباس ببعض المهام وهاجم قلعة «صدمرة» واحتلها ودعا جميع أمراء منطقة «لارستان» للاتحاد معه ضد عباس الذى امر قائده بالتوجه صوب قلعة «صدمرة» والقضاء على ثورة شاهور دينحان فتقدم جيش عباس واحتل القلعة مما دفع شاهور دينحان للهرب إلى بغداد، وبعد فترة من الانتظار والترقب استغل الأخير انشغال عباس ضد «الاوزبك» فى «خرسان» وعاد لمهاجمة «لارستان» واحتلها، فاضطر الشاه لإرسال حملة أخرى إلى المنطقة واستطاعت هذه الحملة القضاء على الثورة وألقت القبض على «شاهور ديخان» وقتلته.

4 ـ ثورة حاكم «لار» إبراهيم خان.

تمتعت منطقة «لار» قبل حكم للصفويين بحكم ذاتى وحرص حكامها على مهادنة أية حكومة قوية تجاورهم وكانوا يتفقون مع هذه الحكومة على دفع الجزية مقابل الابقاء على الاستقلال الذاتى لحكومة «لار» واستمر الحال كذلك إلى مجىء عباس الذى أراد اخضاع لار للحكم المباشر وكان يترقب الفرصة التى واتته عندما

هاجم حاكم «لار» أحد التجار الأوربيين الوافدين إلى إيران، مما جعل عباس يصدر أوامره إلى حاكم «فارس» لكى يتقدم بقواته إلى «لار» ويقضى على إبراهيم خان ويقوض بعد ذلك دعائم حكومة «لار» المستقلة. وقد نجح حاكم فارس فى قمع ثورة إبراهيم خان والقى القبض عليه وأرسله مكبلا إلى عباس، وفرض ضرائب باهظة على سكان «لار» كما استولى على خزائن حكومة «لار»، ومن بين ما عثر عليه فى هذه الخزائن تاج مرصع بالدر والياقوت قيل انه تاج «كينجرو الساسانى» وكان عباس يشعر بالضيق لوجود جزء من إيران لا يخضع لحكمه المباشر وحكمه المطلق.

نشبت إلى جانب تلك الثورات السابقة ثورات أخرى أقل أهمية واستطاع عباس القضاء عليها قبل ان يستفحل خطرها، ومن هذه الثورات: ثورة «شاه ملك» فى منطقة «جيلان»، وثورة جماعة عرفت باسم «يوش» فى استراباد. وقد أدى نجاح عباس فى اخماد هذه الفتن إلى استتباب الأمن فى إيران وتمتع عباس بالحكم المطلق والسلطة المركزية إذ أصبح جميع حكام الأقاليم يخشون سطوته وكان حكم عباس حكما فردبا :كتاتوريا.

الإدارة فى عهد عباس

اعتمد عباس على عدد من المعاونين الوزراء والقواد برغم حكمه الدكتاتورى والمطلق وذلك لاتساع رقعة إيران وكثرة المهام التى يزوالها عباس وانشغاله بالحروب الكثيرة، وأهم هؤلاء المعاونين الذين كانوا يكونون مجلس البلاط وهم سبعة أفراد وترتيبهم حسب الأهمية(1):

أولا: اعتماد الدولة أى الوزير الأعظم

يعد الشخص الثانى بعد الشاه كما انه الرئيس الأعلى لأركان الدولة وعامة

---

(1) د. بديع محمد جمعه ـ نفس المرجع ص73.

الأمراء فى البلاط وجميع أمراء الولايات وهو المشرف على الأمور المالية والمتصرف فى جميع نفقات الخزانة ويجلس إلى يمين الشاه فى المجلس؛ لذا كان يقال له أحيانا وزير الميمنة، وكان الوزير يوقع القرارات أولا ثم ترفع بعد ذلك للشاه لكى يعتمدها.

ثانيا: ركن السلطنة.

يعتبر ركن السلطنة الشخص الثانى فى بلاط الشاه وهو يتولى رئاسة جميع فرق «القزل باش» وكذلك إدارة الحرس الخاص ويوقع على كشوف المرتبات لهذا الحرس.

ثالثا: ركن الدولة

تعنى ركن الدولة أى رئيس «غلمان الشاه» فقد تولى رئاسة ذلك الجيش الذى كونه عباس من خاصة غلمانه ومعظمهم من «جورجيا» و «شركس» و«الأرمن» وقد انشئ هذا الجيش للقضاء على سلطان «القزل باش» وسطوتهم.

رابعا: كبير الياوران

يعتبر كبير «الياوران» المسئول عن تنظيم مجلس الشاه وتحديد المكان الذى سيجلس فيه كل عضو وكذلك تحديد عدد الواقفين وكان يرأس أربعين من المشرفين على التشريفات ويتناوبون فيما بينهم تنظيم مجالس الشاه.

خامسا:ـ قائد حملة البنادق.

وهو قائد الجيش الذى كونه عباس من الفلاحين ورعايا الولايات وأفراد القبائل العربية الأقوياء، وقد سلح عباس هذا الجيش بالبنادق وكانت مهمة هذا القائد الإشراف على تدريب هذه الفرقة وإعدادها الإعداد الذى يسمح للشاه باستخدامهم فى إضعاف قوة «قزل باش».

سادسا: رئيس الديوان

يشرف على جميع قصور الشاه وخزائنها وكذلك أملاك الشاه الخاصة كما يعتمد ميزانية تلك القصور ويرسلها إلى اعتماد الدولة كى يوقعها وتصبح سارية المفعول، ومن واجباته أيضا توفير أردية الشاه الخاصة وكذلك الخلع التى سينعم بها الشاه طوال عام قادم على من يريد.

سابعا: كاتب مجلس الشاه

يعتبر كاتب مجلس الشاه أكثر الناس احتراما فى البلاط بعد شخص الوزير الأعظم؛ لذا كان يسمى «عاليجاه مقرب الخاقان» وهو يجلس إلى جوار الشاه فى المجالس الخاصة والعامة ويحاول الجميع كسب وده لمعرفته التامة بجميع أسرار الدولة ولأنه يخط بيده كل أوامر الشاه. ومن مهام هذا الكاتب إعداد جميع أوامر الشاه وتبليغها للجميع وإعداد ردود الشاه على مراسلات الملوك الأجانب كما يتولى عرض رسائل حكام الولايات على الشاه، وفى المجلس يجلس إلى يسار الشاه دائما ولذا كان يقال له احيانا وزير الميسرة.

يتكون مجلس البلاط الذى يرأسه عباس من كبار رجال الدولة التى ذكرناها سابقا وفى بعض الأوقات كان المجلس يضم أيضا بعض شاغلى المناصب الأخرى إذا كان المجلس فى احتياج إليهم وأحيانا يضم المجلس بعض من يثق عباس فى رأيهم حتى ولو كانوا من غير شاغلى المناصب الإدارية فى الدولة، وكانت عمة الشاه عباس وتدعى «زينب بيكم» تحضر بعض المجالس الرسمية للشاه فكانت المرأة الوحيدة التى يسمح لها بالحضور وإبداء الرأى حيث كان عباس يأخذ برأيها أحيانا، وبرغم أن مجلس البلاط كان يضم كبار رجال الدولة فإن رأى جميع المشتركين فيه استشارى فقط وغير ملزم للشاه بل إن رأى الشاه هو الملزم للجميع ولا يجرؤ أحدهم على مناقشته ورده إذا رأى رأيا غير ما يراه اعضاء المجلس وعلى

هذا فإن جميع هؤلاء الأعضاء ما هم الا مستخدمون فى بلاط عباس ومن حقه ان يبقيهم ومن حقه كذلك ان يطردهم أو يطرد أى واحد منهم بل ويقتله، وإلى جانب تلك المناصب الرسمية كان عباس يلجأ فى تسيير أمور الدولة إلى الاعتماد على نظام التخابر والتجسس حيث بث عيونه ومخبريه وجواسيسه فى كل مكان لكى يخبروه بكل ما يدور من أحداث فى جميع أركان إيران كما كان يكلف بعضهم بالتصنت على أحوال الرعايا وسماع شكاياتهم من الأمراء والحكام إلى درجة انه لم يكن احد من الإيرانيين يستطيع التحدث عن عيوب الشاه مع أخلص اصدقائه أو حتى داخل منزله [1] وبذلك كان حكمه تسلطيا مطلقًا.

ازدهرت الحياة الفكرية فى عهد عباس الطويل وكان محمد باقر بن محمد داماد أشهر الشموس اللامعة فى البلاط فاحترمه الشاه نفسه وكرمه وانه عنى بالفلسفة والعلوم الطبيعية فضلا عن الفقه فأجرى بنفسه بعض التجارب العملية فى النحل، ولمع كذلك بهاء الدين العاملى وكان عالما متعدد جوانب الثقافة راغبا فى ان يحيط بجميع العلوم المعروفة لعهده، وكذلك ازدهر الشعر والموسيقى فى عهد عباس الذى كان الأقل نبلا وحكمة فى علاقاته العائلية فقد قتل بعض أبنائه وأهمل تعليم الآخرين وتمرينهم على طريقة الحكم حسدا وخوفا من ان يحل أحدهم محله فى الحكم فقوض بذلك مستقبل الدولة الصفوية، حيث إن عباس لم يتورع عن قتل ولده البكر صفى ميرزا بعد أن أوجس خيفة منه بسبب من الشعبية التى تمت له بين الناس.

خلفاء عباس

توفى عباس فى ربيع عام 1629 فى قصره الصيفى فى «فرح آباد» من أعمال «مازندران» وخلفه حفيده «سام ميرزا» الذى تسمى باسم أبيه صفى عند

---

(1) د. بديع محمد جمعه ـ نفس المرجع ص78.

توليه الحكم 1629 ـ 1642، وكان عهد صفى هذا من أتعس العـهود التى عرفتها إيران فى تاريخها الحافل بالأرزاء والآلام ذلك بأنه سعى بوصـفه طاغية عاجزا إلى ان يمكن لسلطته فى الداخل عن طريق الأعـمال الوحشيـة المتكررة اما فى الخارج فقـد وفق إلى صد غارات «التركـمان» فى «خراسـان» ولكنه أضاع «قندهار» التى فتحت فى عـهد طهماسب واستـردت فى عهد عبـاس، كما اضاع بغداد ليـستولى عليها العثمانيون، ولكن إيران ما لبثت أن عرفت فترة قصيرة من الازدهار فى عهد ابنه عباس الثـانى الذى خلفه فى الحكم عام 1642 ـ 1667 وهو فى العاشرة من عمـره فقـد استرد «قـندهار» وكان عليـه فيمـا عدا ذلك ان يخـمد ثورة قـام بها «الجورجيـون» بقيادة «المهمـورث خان» عام 1659 وانه اصطنع العدل فى مـعاملة رعاياه جميـعا بصرف النظر عن معتـقداتهم. وعلى الرغم من انه حاول ان يحظر شرب الخمرة نزولا عن إلحاح رجال الدين فقد تردى هو نفسه فيما بعد فى مهاوى الادمان الذى عجل وفـاته، وواصل صفى الذى تسمى بسليمـان عند توليه الحكم عام 1667 ـ 1694 سياسـة التسامح التى وضعـها أبوه ولكنه كان مدمنا لـلخمر وكان فى ساعات سكره كثيرا ما ينزلق إلى أعـمال همجّية يصب جامها على أفراد حاشيته، اما ابنه السلطان حسين الذى خلفه عام 1694 فكان منحطا ضعيفا، ولقد وكل شؤون الدولة كلها إلى رجال الدين من الشـيعة الذين أساؤوا السلطة وأمعنوا فى التنكيل بمواطنيهم من أهل السنة وكان الملا محمد باقر مجلى أشد رجال الدين هؤلاء على رجال الصوفـية من السنة فاضطهدهم بشدة عمـياء وقام بتنكيلهم بكل قوة[1].

ثارت قبيلة من قـبائل الأفغان تسمى «غلـزاى» فى مدينة «قندهار» واحرزت استـقلالهـا ثم حذت قـبيلة «ابادى» أو «الابداليـين» حذوها فى «هـراة» وفى عام 1722 قاد مـحمـود بن ميرويس القـبائل لفـتح «كرمان» وتقـدم إلى «اصفـهان» وحينذاك تـنازل الشاه حسـين وتوج هو بنفســه محـمودا شاهًا جـديدا على إيران وبذلك انتهت الأسرة الصفوية فى إيران.

---

(1) كارل بروكلمان ـ المرجع السابق ص506.

كتبت رسائل فلسفية عديدة فى العهد الصفوى ومنها ما كتبه السيد أبو القاسم الفندرسكى ـ وشيخ بهائى ـ وملا صدرا ـ وتلاميذه العديدون ـ ولكن أعمال هؤلاء لم يكن فيها إلا ابتكار قليل، ونَحَتْ فى الغالب نحو إعادة كتابة التفسيرات السابقة التى كتبها «ابن سينا»، ووجه النفوذ الدينى الشيعى القوى جميع الأفكار المكتوبة فجعلها تطابق العقيدة الشيعية، وفقد عقيدة التصوف «السنى» فى النهاية قوته المواجهة بسبب الأعمال القمعية التى ارتكبها الشيعة ضدهم، واقتصرت الإجادة فى الشعر والنثر على العناية بالألفاظ دون الموضوع فأصبحت أهم متعة للكتاب تقع فى استعمال الأساليب المزيفة المنمقة وتطورت بذلك الأساليب كثيرا واشتملت بعض الفنون التى استعملت فى الكتابة فى هذا العهد والعهد التالى له على التورية والتجنيسات والأسجاع والطباق والترصيع والمربعات (وهى أربعة أبيات أو مصاريع تقرأ عرضا وطولا)، والموشحات والحذف (وهو تجنب استعمال بعض الحروف الهجائية) والألغاز التى يحصل فيها على التواريخ العددية لحروف معينة فى كلمات بعينها واشتملت الصور البلاغية على الإغراق (وهو الصورة الممتدحة أكثر من غيرها من الصور) والتشبيه والإبهام، وكان النشاط المعمارى من أهم علامات هذا العهد الصفوى ويشتمل العدد الكبير من الأبنية التى شيدت فى هذا العهد وما زالت فى حالة حسنة إضافة إلى عدد وفير من المزارات الصغيرة الواقعة فى قرى غير ظاهرة وتعد تصميمات الأبنية وطرق البناء والمواد المستعملة جميعها تتمة للأعمال التى تمت فى العهود السابقة قبل الصفويين، وكانت العلامة المميزة للفن فى ذلك العهد هى اللون والفسيفساء اللامعة المتعددة الألوان التى أخذت تكسو الجدران من الداخل والخارج فى الآثار الرئيسية. وكان الجهد الذى يبذل فى قطع آلاف كثيرة من القطع الصغيرة اللامعة وتهيئتها وجمعها يستغرق أعوامًا عديدة فى البناء الواحد وهى تدل فى النهاية على أنها وضعت بتمهل وأنها غالية جدا لأنها أبطلت وحل محلها أسلوب كان ذا اثر فعال وهو المسمى «هفت رنكى» أو

«ذو الألوان السبعة» تنقش فيه التفاصيل الزخرفية بسبع صبغات مختلفة على قراميد مربعة ثم تحرق هذه الألوان بعد ذلك على القراميد فى عملية مستقلة[1].

يعتبر استعمال القبة المزدوجة من أهم طابع هذا العهد كما كانت الحجرات المربعة تعلوها قباب داخلية قليلة الارتفاع تقوم عليها قبة عالية أكثر استدارة وتملأ المسافة الخالية التى بينها بإطارات متشابكة من الخشب، ومن السمات الخاصة للعهد الصفوى إقامة أبنية ذات ألوان زاهية فى وسط الحدائق الغناء وفى مقابل الأحواض والأنهار، كما أقيمت مزارات للأئمة والأولياء فى مثل هذه الحدائق. ويعد قبر محمد المحروق فى «نيسابور» مثالا رائعا حيث تضم الحديقة نفسها رفات عمر الخيام وقد بنيت قصور كثيرة بواسطة عباس وملوك آخرين من الأسرة الصفوية فى الحدائق الملكية ولاتزال القصور المسماة بـ «جهل ستون» و «تالار أشرف» و «هتشت بهشت» وغيرها فى حالة جيدة حتى الان فى مدينة «اصفهان»، اضافة إلى القصور الموجودة على طول ساحل بحر «قزوين» فى «آمل» و «أشرف» وكان ملوك الصفويين يحبون المعيشة فى الهواء الطلق كما جاء فى بعض التقارير التى تقول[2]:ـ

«وقد احتفل الملك بذلك العيد ثلاثين يوما متواصلة تحت خيام نصبت فى حديقة كبيرة قطرها يزيد على ميلين تخترقها جداول صغيرة من الماء الجارى وكان كل رجل يأتى يجلس تحت خيمة أو أخرى حسب منزلته ويقدم له اللحم بكثرة والفاكهة والشراب وكانوا يشربون كما يشتهون سواء بإفراط أو باعتدال دون اكراه، وهى أبهة ملكية لم أرها ولن أراها مرة أخرى الا بواسطة الملك نفسه».

وصلت صناعة السجاد والمنسوجات إلى درجة كبيرة من الاتقان فى عهد

---

(1) دونالد ولبير ـ المرجع السابق ص92.
(2) دونالد ولبير ـ نفس المرجع ص92.

الصفوى وكانت السجاجيد الكبيرة المنسوجة فى المصانع الملكية والمتخصصة للقصور والمزارات أسعارها غالية جدا وهى كما نراها حتى الآن وهى معلقة فى جدران المتاحف، والتى كان الناس يمشون عليها فى تلك الفترة، وكانت المناظر الطبيعية والحدائق المزهرة تكون نماذج الزخارف المرسومة عليها وكانت أهم المناظر المستعملة هى مناظر الصيد ومناظر الحدائق الكاملة كما ترى من أعلى وكذلك مناظر الشعيلات التى تتألف من وسام فى الوسط محاط بحقل من الزهور أو النقوش العربية والحيوانات ومناظر الحقول المكونة من صفوف الأصص المملؤة بالأزهار أو المكونة من بيوت من الزهر ومناظر الأشجار المورقة، وهناك ثلاث من السجاجيد المشهورة هى، سجاد الصيد مؤرخة بعام 1522 وهى أكثر من 22 قدما طولا و11 قدما عرضا وعليها اسم غياث الدين الجامى وهى الآن فى متحف فى «ميلان»، ثم السجادة الكبيرة جدا ذات الوسام الكبير فى وسطها وثريات المسجد معلقة فيها وهى التى أمر بصنعها «طهماسب» لتوضع فى مزار جده الشيخ صفى الدين فى «اردبيل» وهى ممهورة باسم مقصود الكاشانى فى عام 1539، ثم السجادة ذات الوسام والنقوش العربية وهى أكثر من 26 قدما طولا و13 قدما عرضا وهى منسوجة فى الثلث الأول من القرن السادس عشر، كما نسجت فى هذه الفترة السجاجيد الحريرية فى مصانع «كاشان» اضافة إلى سجاجيد الصلاة، وقد حشد عباس فى جزء من عمارة المزار الموجود فى «اردبيل» مجموعة كبيرة من الخزف الصينى الأزرق والأبيض وأحضر عباس ثلثمائة من صانعى الفخار الصينيين وعائلاتهم إلى إيران لتعليم الصناع المحليين، فصار الخزف الإيرانى ينتج بكميات كبيرة ولكنه لم ينافس الخزف الصينى الأصلى، والنموذج الإيرانى المثالى لهذه الصناعة يسمى بالفخار القباجى ويحمل شكل إنسان مرسوم بسرعة مع منقوشات باللون الأرزق والأحمر(1).

(1) دونالد ولبير ـ نفس المرجع ص94.

الفصل الثانى



صراع القوى الإقليمية على البحرين فى ضوء الوثائق البريطانية لعامى 1830،1820

نشر فى المجلة الهولندية:

Rottardam Islamic studies - vol - 1 - No: 1 Jan 2 vol - Netherlands - "Strong Regional Struggle on Bahrain in the light of the British documents.



مقدمة

ندرس فى هذا البحث صراع القوى الإقليمية على البحرين فى الخليج العربى، من خلال الوثائق البريطانية للمذكرة التاريخية عن البحرين الصادرة من حكومة الهند ـ India Office - Historical Memorandum on - Bahrein - 1920 - 1830"

تكشف لنا هذه الوثائق، بعض جوانب الصراع والتنافس مع البحرين، والدور البريطانى فى هذا الصراع فى الحفاظ على أسرة الخليفة حكام البحرين بعد توقيعهم اتفاقية 1820.

نبدأ هذه الدراسة عن علاقة أسرة الخليفة وكيف نجحوا فى الاستيلاء على البحرين، ومن ثم الحفاظ على مركزهم فى هذه الجزيرة، فى وسط تيارات وصراع القوى الإقليمية المجاورة لهم. ثم علاقة بريطانيا بالبحرين، وكيف نشأت هذه العلاقة، وكيف اتبعت بريطانيا سياستها تجاه البحرين.

نتناول أيضا محاولات سلطان عمان استرجاع سيادته على البحرين، ثم علاقة إيران بالبحرين وادعاءاتها، وكذلك اتفاقية «شيراز» التى وقعها الكابتن «بروس» بدون تفويض من الحكومة، مما أثار مشكلة وجدلا فى الأوساط المعنية فى المنطقة.

ثم نختتم الدراسة عن بعض الملاحظات التى توصلنا إليها من خلال هذه الدراسة عن صراع القوى الإقليمية فى الخليج العربى على البحرين.

حكم آل خليفة للبحرين

هاجرت جماعات من العرب عرفت باسم الخليفات والعتوب، من «وادى عبيدة» جنوب المآرب وإلى الشمال الغربى من صحراء حضرموت فى اليمن إلى

الاحساء وقطر(ا) التى كانت خاضعة لحكم بنى خالد، وبعد أن قضوا فترة من الزمن فى قطر اتجهوا إلى الكويت، وهم مجموعة من الأفراد سموا بالعتوب والخليفات[2]، الذين اشتق من فعل عتب أى ارتحل أو انتقل، واشتقاق الأسماء من الأفعال معروف عن العرب وتولى صباح بن سلمان بن أحمد زعامة العتوب فى الكويت ويساعده كل من جابر بن عتبة الجلاهمى وخليفة بن محمد الذى ينسب إليه آل خليفة[3].

اختلف خليفة بن محمد مع عبدالله وعلى أثرها قرر الأول أن يهاجر من الكويت وأن يستقر فى «الزبارة» التى تقع فى الشمال الغربى من شبه الجزيرة القطرية وهى منطقة غنية باللؤلؤ وعلى مقربة من البحرين وأنشأ فيها مركزاً للتجارة والغوص[4]، وكانت قبائل «المذكور» التى ترجع فى أصولها إلى عمان يحكمون منطقة «البوشهر» فى جنوب إيران، وقد قاموا فى عام 1735 بالاستيلاء على البحرين بعدما سحب العمانيون قواتهم من البحرين أثناء قيام الحرب الأهلية العمانية فى تلك الفترة[5]، وعندما ازدهرت «الزبارة» وأصبحت تنافس تجارة

---

1 - Hopwood, Derek - The Arabian peininsula society and politics - London - 1972 - p.32.

2 - Dickson - H.R.P. - Kuwait and her Neighbours - London - 1956 - P. 63.

3 - Extracts from briet notes relative to theories and progress of the Arab Tribes of the persian gulf, prepared August 181. by francis warden Member of council Bombay under Uttoabee Arabs - Bahrein - I.S.B.O. vol. xxiv. pp. 362 - 372.

4 - Al - Baharna Hussain - The Legal status of the Arabian Gulf states - 1988 - P.3.

5 - Miles, Sammuel. B. - the Countries and tribes of the persian Gulf, 2 vols, London 1919 - 2nd, Ed. in one Volume 1966 - P. 288.

البحـرين، أخذ «المذكـور» يفكرون فى الاستـيلاء على «الزبارة» مما أدى إلى قـيام معركة[1]، وحرب بينهما انتهت بهزيمة «آل مذكور» ونجاح آل خليفة فى الاستيلاء على البحرين عام 1783[2]. علما بأن حكم آل مذكور للبـحرين دام ثلاثين عامًا فقط[3].

بسط «الخليفة» نشـاطهم التجارى فى البحرين، وأخذوا ينقلون الـبضائع ما بين المدن الساحليـة فى عمان والبصـرة، كما استقـبلت البحرين الكثـير من تجار الهند[4]. لفت هذا النشاط التجارى أنظار بريطانيـا إلى البحرين من جديد، وهى التى كانت تـعمل على احتـواء أى نشاط ينافس نشـاطها ومصـالحهـا، أو ضربه والقضاء عليه، وأدركت حكومـة الهند البريطانية، بأن البحرين بموقعـها الجغرافى وأهميتها الاستـراتيجية وخبرتها المتعددة، تشكل قاعدة صالحـة لتحقيق الكثير من أهدافهـا الاستعـمارية المسـيحيـة، وأنها تسـاعد على تكريس الوجود الـبريطانى والهيمنة البريطانية فى الخليج العربى، والتحكم بها على وجه أفضل. ويرجع أول اتصال بين حكام البحرين وبريطانيا إلى عام 1805 عندما تقدم شيوخ البحرين إلى بريطانيا يطلبون تزويدهم بسفينة أو سفينتين لمقاومة حكام «الدرعية» ولدرء خطرهم المحدق بهم وبتجـارتهم وعملهم فى الغوص، ولم تستجب بـريطانيا لهذا الطلب نظرًا لانشغـالها بالحرب مع فـرنسا وبعض السلاطين المسـلمين فى الهند[5]. ومع ذلك فإن بريطانيا كانت تراقب الأوضاع فى الخليج العربى بحذر، وكذلك التعامل

---

1 - I.O.R - R/15/Y 35 - Brief History of Bahrein Islands P.I.

2 - I.O.R. - R/15/Yo/84 - Bombay selection otto abes - PP. 362.

3 - Kelly. J.B. - Britan and the Persian Gulf London - 1965 - P. 31.

4 ـ د. أحمد مصطفى أبو حاكمه ـ تاريخ شرقى الجـزيرة العربية ـ منشورات دار مكتبة الحياة ـ بيروت ـ 1965ص105.

5 ـ د. فتـوح عبـدالمحسن ـ تاريخ البـحرين السـياسى ـ ذات السـلاسل الكويت ـ 1992 ـ ص15.

مع شيوخ القبائل بحذر شديد فى الوقت الذى كانت تجارتها تتزايد فى نشاطها خاصة مع الموانئ الإيرانية والبصرة.

جاء فى تقرير عن سياسة الحكومة البريطانية تجاه البحرين فى الفترة ما بين عام 1819 _ 1820، بأنه فى عام 1799 قامت المشيخة التى نالت استقلالها عام 1783 (ويقصد بها استيلاء آل خليفة على البحرين بعد طرد آل مذكور منها) بالتصريح بقيام وحدة بينها وبين الدولة الإيرانية وبدفعها للأتاوة السنوية، ولكن سرعان ما قام سلطان عمان بالاستيلاء على مشيخة البحرين التى وقعت فيما بعد تحت تأثير أمير «الدرعية» وسلطته المطلقة، وبعد أن تحررت عام 1811 من قبل سلطان عمان لجأت إلى أمير «الدرعية» عام 1816، للاستعانة به فى مواجهة سلطان عمان وهزيمته فى عام 1816 أو 1817، تم استقبال المبعوث الإيرانى فى البحرين وتم تبادل الهدايا، وحيث لم تتوافر أية تفاصيل عما حدث بالضبط فى هذه المناسبة، ولم يكن لهذا الحدث أثر يذكر، ولم يكن للسلطات الإيرانية أى تواجد فعلى بين تاريخ تلك الزيارة وعام 1820، و هو العام الذى أصبحت به الجزيرة تابعة للسيادة العمانية[1].

أبرمت البحرين فى عام 1820 معاهدتها الرسمية الأولى مع الحكومة البريطانية، والتى تتعهد من خلالها الحكومة البريطانية إذا قام شيوخ البحرين بالامتناع عن تشجيع أنشطة القرصنة، بالدفاع عنهم عند تعرضهم للاعتداء[2].

لا نعلم ما مدى صحة ما جاء فى التقرير البريطانى عن قيام وحدة بين البحرين وإيران، وقد يكون حدث التباس أو قد يقصد بها حكم «آل مذكور»

1- I.O.R - R/B/2/484 - Confidential - P.E. 4718/1934. Historical Memorandum on Bahrein - Policy of British Government 1819 - 1820 - No. 14 - P. 2953.

2 - I.O.R. - R/15/2/484 - Ibid. - No. 19 - P. 2954.

شيوخ إمارة «بوشهر»، فى جنوب إيران للبحرين، ولم يكن لحكام البحرين من آل خليفة أى ارتباط مع إيران فى تلك الفترة.

يتضح من هذا التقرير الصراع الذى كان دائراً بين القوى الإقليمية وخاصة سلطنة عمان التى أخضعت البحرين لحكمها عدة مرات، وكذلك تعاون أمراء «الدرعية» مع حكام البحرين ضد السيادة العمانية على البحرين وطرد القوات العمانية منها.

بريطانيا والبحرين:

يرتبط تاريخ البحرين الحديث ارتباطا قد يكون وثيقا بالوجود الاستعمارى المسيحى البريطانى فى الخليج العربى شأنها فى ذلك شأن بقية مشيخات شرق الجزيرة العربية، وقد لعب النفوذ البريطانى دوراً مؤثراً فى مجريات الأمور بالبحرين وخاصة فى كثير من شؤونها الداخلية والخارجية، ولم تكن البحرين وحدها المستهدفة من الاحتلال البريطانى المسيحى، فقد كان هذا النفوذ قاسما مشتركا سيطر إلى درجة كبيرة على تطور الأحداث فى الخليج العربى اضافة إلى وقوع تلك الأحداث، وأن الأربعة قرون التى سيطرت فيها بريطانيا على الخليج العربى لتأمين طرقها إلى الهند، وإحكام قبضتها على هذا الممر المائى الهام، كانت قرونا حافلة بالأحداث التى كان لبريطانيا وحدها دون منازع السيادة الأولى والأخيرة فى توجيه الأحداث الداخلية والخارجية لصالحها، برغم أضرار الشعب العربى فى شرق الجزيرة العربية الذى عانى الكثير من الاحتلال والنفوذ البريطانى المسيحى الاستعمارى[1].

أعدت بريطانيا حملة بحرية كبيرة بقيادة «جرانت كير» عام 1819، الذى استطاع أن يقوض نفوذ «ساحل عمان» ويقضى على القوى الوطنية هناك، وبذلك استطاعت بريطانيا ان توطد نفوذها على ساحل جنوب شرق الجزيرة العربية بدون

---

1 ـ د. فتوح عبدالمحسن الخترش ـ المرجع السابق ص9.

منافس، وأن تقيد مشيخات ساحل عمان بأكمله باتفاقيات استعمارية والتى تسمى باتفاقيات «السلام العامة» عام 1820، ونتيجة لهذه الاتفاقيات أصبح الطريق ممهدا لربط البحرين بمحورها ونفوذها الاستعمارى المباشر، فقد سارع الشيخ سلمان بن أحمد وأخوه عبدالله بالتوقيع على هذه المعاهدة لدفع الأخطار الخارجية التى تهدد شيوخ البحرين حسب تبرير شيوخ البحرين، وكانت هذه الاتفاقية الأولى حيث أعقبتها سلسلة من اتفاقيات أخرى تم عقدها مع شيوخ البحرين فيما بعد، وسجلت بداية تطبيق النفوذ الاستعمارى الفعلى لبريطانيا فى البحرين ومشيخات ساحل عمان[1].

سبق اتفاقية 1820، أن تعاون إبراهيم باشا مع الشيخ رحمة بن جابر الجلاهمة الذى كان يقوم بهجمات ضد السفن البريطانية فى مياه الخليج العربى كما كان من ألد أعداء حكام البحرين الذين اتفقت مصالحهم مع بريطانيا ضد الشيخ رحمة بن جابر الذى قدم مساعدات بحرية كبيرة للمصريين، انتقاما من حكام «الدرعية»، الذين هدموا حصنه المنيع فى «الدمام» عام 1816، وكان القائد المصرى إبراهيم باشا، يريد أن يجعل له أنصارا فى الخليج العربى يعتمد عليهم ولذا تحالف مع الزعيم رحمة بن جابر الذى قام بقصف «القطيف» فى اللحظات الأولى من وصول القوات المصرية للاحساء واستولى عليها باسم القوات المصرية ولهذا كافأه إبراهيم باشا بإعادة بناء قلعة «الدمام» وكان هذا التحالف هاما بالنسبة للمصريين [2] لأن الزعيم رحمة ابن جابر كان يملك قوة بحرية كبيرة فى الخليج العربى وبالتالى كان يشكل خطراً على البحرين مما يجعل حكامها فيما بعد يوقعون اتفاقيات السلام العامة.

حدث بعد الانسحاب المصرى من الاحساء فى شرق الجزيرة العربية عام 1819، فراغ سياسى وعسكرى، فحاولت بريطانيا أن تملا هذا الفراغ وتجعل من

---

1 ـ د. فتوح عبدالمحسن الخترش ـ نفس المرجع ص16.

2 ـ د. محمد عرابى نخلة ـ تاريخ الإحساء السياسى ـ ذات السلاسل الكويت 1980 ص25.

نفسهـا حكما فى شئـون المنطقة العربية وبذلك تهـيأت لبريطانيا الظروف المـناسبة للتدخل فى الشئون الداخلية لشيوخ الـقبائل فى ساحل عمان بالجنوب الشرقى من الجزيرة العـربية، ووجدت أن أهم خـطوة يجب أن تبـدأ بها هى تكريس الهـيمنة والاحتـلال، وتأييد شيـوخ القبائل وزعـماء القوى البـحرية العربيـة ضد بعضـها البعض، ومن ثم حـماية هؤلاء الشيوخ بخلق كـيانات ومشيـخات سياسـية تحت حمايتها والمحافظة عليها، وأرادت تأكيد هذه السـياسة عن طريق عقد اتفاقية عامة تضع فيها شروطها وتكبل شيوخ القبـائل فى الخليج العربى، فانبثقت عنها معاهدة السلام العامة فى 8 يناير 1820، بعدما قاد «جرانت كيـر» الحملة البريطانية ضد ساحل عمان عام 1819 وقام باحتلال مدينة «رأس الخيمة» ثم وضع أسس وشروط اتفاقية السلام العـامة وطلب من شيوخ قبائل ساحل عمان توقيـعه، فوقعها فى 11 يناير 1820 كل من شيخ قـبائل «رأس الخيمة» و«أبوظبـى» و«دبى» و «الشارقة»، وفى 5 فبـراير من نفس العـام وقعهـا «عبـدالجليل الطباطبـائى» نيابة عـن شيخ البحرين، ثم وقعـها شيخ قبائل النعيم فى «عـجمان» و«أم القوين» فى 12 مارس 1820، وبذلك ظهرت مشيخات سياسـبة فى شرق الجزيرة العربية تحت الاحتلال والحمـاية البريطانيـة. وقد يرجع توقيع شـيوخ البحـرين على هذه الاتفاقـية إلى تخوفهم من سلطان عمان الذى كان يريد إرجاع البحرين لسيادة عمان، إضافة إلى محاولات الزعيم رحمة بن جابر الجلاهمة الاستيلاء على البحرين ثانية.

أخذ رحـمة بن جـابر يهاجم الـبحرين مـن قاعدته عـلى ساحل الاحـساء والسفن البحـرينية، ويضيق الخناق على حكامها من آل خليـفة، مما اضطر بريطانيا إلى أن تعترف له بالسيادة على منطقة «القطيف» وأن تجعل منه مشيخة مستقلة تحت حمايتها، مقابل أن يكف عن مهاجمة البحرين وسفنها، وكانت بريطانيا تريد بذلك تأكيد نتائج إيجابية لاتفاقيات السلام العـامة، فعرضت على رحمة بن جابر اتفاقية

1820، وطلبت منه التوقيع عليها، إلا أنه لم يستجب ورفض التوقيع عليها، لأنه كان يرمى إلى أهداف خاصة يريد تحقيقها ويعمل من أجل قضية سياسية قد تؤثر على وجوده فى المنطقة، كان يرى أن الحلول لا تنفع مع أعدائه شيوخ البحرين، وكان توقيعه على اتفاقية 1820، سيلزمه بعدم مهاجمة البحرين، وكان يدرك أن بريطانيا قادرة على انهاء أى هجوم يقوم به بعد ذلك[1]، وبذلك يمثل مقاومة على سياسة بريطانيا الاستعمارية فى المنطقة.

شعر شيوخ البحرين بالخوف من الحملة البريطانية ضد ساحل عمان، وتأكدوا من تهديد بريطانيا رسميا لهم، وشعروا بأنهم فى خطر مما يحيكه سلطان عمان باستعادة البحرين، وكذلك رحمة بن جابر، وزاد خوفهم أكثر عندما وصل الكابتن «لوس» إلى البحرين فى 17 يناير 1820، وقام بتدمير عشر سفن تابعة لقبائل ساحل عمان الشمالى فى رأس الخيمة، وذلك بعد توقيع اتفاقية 1820، مما يعنى أن هدف بريطانيا ليس سياسيًا فقط وإنما اقتصادى استعمارى مسيحى لحرمان أبناء العرب فى المنطقة من التجارة ومنافستهم للتجارة البريطانية فى المنطقة، أى أنها حرب إبادة اقتصادية مما يعنى عجزهم عن منافسة التجارة البريطانية بعد تدمير وحرق معظم السفن العربية، وبالتالى ينغلق هذا المجتمع المسلم العربى على نفسه وعلى اخوانه العرب ويصبح عالة على المعونات والمساعدات البريطانية للحفاظ على نظامه وحكمه فى الاستمرارية.

بعد تدمير سفن قبائل ساحل عمان فى ميناء «المنامة» أخذ القائد البريطانى الكابتن «لوس» فى 17يناير 1820 تعهدا من مشايخ البحرين بعدم المتاجرة مع القراصنة ويقصد بهم قبائل ساحل عمان الشمالى حسب ما كانت تطلقها بريطانيا هذه الكلمة، وهى تعادل نفس الكلمة التى تطلقها اليوم الولايات المتحدة كلمة «الإرهاب» على العرب!!. وهى كلمة تطلق على كل من يقاوم الاحتلال المسيحى. كما طلب القائد البريطانى من مشايخ البحرين عدم السماح لهم

1 ـ د. فائق حمدى طهبوب ـ تاريخ البحرين السياسى ـ ذات السلاسل ـ الكويت 1983.

ولسفنهم باستخدام موانى ساحل عمان. كل ذلك جعل شيخ البحرين يرسل عبدالجليل الطبطائى وكيلا عنه إلى الشارقة لمقابلة الجنرال «كير»، فأعلن ولاته نيابة عن شيخ البحرين، وطلب التوقيع على اتفاقية السلام العامة، وقد رحب «كير» بذلك وسمح للطبطائى بتوقيع الاتفاقية فى 5 فبراير 1820[1]، وذلك بعد أن حصل على تعهد خطى بإطلاق سراح جميع الأسرى الهنود فى البحرين والامتناع عن الاتجار مع القراصنة.

تعتبر اتفاقية السلام العامة 1820، غير متكافئة، ومن طرف واحد وهو الطرف الأقوى بريطانيا ضد الطرف الأضعف وهم مشايخ العرب بعدما فقدوا قوتهم واستسلموا لبريطانيا، وكان من نتائجها وضع البحرين تحت الحماية البريطانية مما كان لها آثارها البعيدة، فاستطاعت بريطانيا تشديد قبضتها على البحرين، وفتح الباب للتدخل فى شؤونها الداخلية، وتمكينها من التحكم فى مجرى الأحداث وتوجيهها إلى ما يوافق مصالحها وأهدافها، كما تحقق لشيخ البحرين من الحماية صيانة كيانه وحفظ نظامه،فقد تصدت بريطانيا للقوى الأقليمية المحيطة بها والطامعة فى الاستيلاء عليها إضافة إلى حرص بريطانيا على تثبيت الأوضاع الراهنة فى الخليج العربى،والإبقاء على القوة العربية مجزأة فى شكل كيانات وأنظمة قبلية صغيرة، وقد زادت هذه الكيانات القبلية فيما بعد، وإن من بين مبررات دخول شيخ البحرين فى اتفاقية السلام العامة، الخوف من نوايا سلطان عمان الذى كان يتربص بالبحرين لاستعادتها للسيادة العمانية، ومن المعروف أن سلطان عمان كان قد جهز حملة بحرية عام 1819 لهذا الغرض، فقد ساومت بريطانيا على البحرين فى مناورة سياسية حين أجرى الكابتن «كوجان»، مفاوضات مع سلطان عمان فى محاولة لإقناعه بترك تجارة الرقيق مقابل ضم البحرين[2].

1 - I.O.R- R/15/1/0/184 - Bombay selection Uttoabes P. 362.

2 ـ د. فتوح عبدالمحسن ـ المرجع السابق ص17.

تراجعت بريطانيا فيما بعد عن سياستها بالسماح لسلطان عمان بضم البحرين، فقد جاء فى المذكرة البريطانية عن سياسة حكومتها تجاه البحرين فيما بين عامى 1819 ـ 1820 فى الفقرة «14»، قامت حكومة بومباى، وحكومة الهند، بدراسة الحكومة البريطانية الواجب اتباعها تجاه البحرين وذلك خلال الفترة من 1819 ـ 1820، وتحديد ملامح هذه السياسة بحيث تكون محايدة بشكل متكامل، وبعد أن أعطى مشروع نقل البحرين لتصبح تحت سلطات حاكم عمان، وبعد أن أعطى هذا المشروع حقه من الدراسة الوافية والكافية، قررت الحكومة البريطانية حفاظا على مصالحها، عدم القيام بهذه الخطوة فى الوقت الحاضر[1].

اقترحت حكومة بومباى أن يتم اعلام شيخ البحرين بأنه طالما كان قادرا على كبح جماح رعيته ومنعهم من القيام بأعمال القرصنة، فإنه سينال ميزة الحياد الإيجابى من جانب بريطانيا، بينما إذا ظهرت أية أنشطة قرصانية، فإن إجراءات صارمة ستطبق بحقه، وأضافوا أن نتيجة تلك العلاقة مع شيخ البحرين بمفهومها العام، قد يكون لها الأثر البالغ فى إقناع أسرة الخليفة العربية بنزاهة وصدق نواياها[2].

نلاحظ مما سبق ذكره، كيف كانت بريطانيا تتبع سياسة مزدوجة مع كل من سلطان عمان وشيخ البحرين، لتحقيق أهدافها ومصالحها، دون مراعاة لمصالح الحكام العرب، ففى الوقت الذى كانت تتفاوض مع سلطان عمان بترك تجارة الرقيق مقابل ضم البحرين، كانت تنظر بعينها الثانية إلى البحرين وتخويفها وجعلها تتجه من تلقاء نفسها لتطلب الحماية البريطانية، هذا ما حدث فعلا عام 1820 باتفاقية السلام العامة. فقد جاء فى المذكرة البريطانية عن معاهدة 1820 بين البحرين وحكومة بريطانيا فى البند «16»:ـ

1 - I.O.R - R/15/2/484 - op. cit. p. 2953 - No. 14.

2 - I.U.R - R/15/2/484 - Ibid.

وافق شـيخ البحـرين فى السـابع عـشر من يناير عـام 1820، على تسليم مجـموعة مـن القراصنة (رجال المقـاومة) التـجأت إلى أراضيـه وتعهد لـلحكومة البريطانية بأن لا يسمح لأية قوارب تعود ملكيتـها للقراصنة بالالتجاء إلى أرضه ما لم يكن ذلك بتخويل من السلطات البريطانـية، وفى الخامس من فبراير 1820، تم توقيع اتفاقـية السلام المبدئية بين شـيخ البحرين والحكومة البـريطانية، وفى الثالث والعشـرين من فبراير من العـام نفسه سمـح لشيوخ البحـرين وشيوخ القـبائل فى ساحل عـمان، بقطف ثمـار معاهدة السـلام العامـة التى تم إبرامها بـين الحكومة البريطانية فى مـقابل امتناع شيوخ القـبائل العربية فى ساحل عمـان والبحرين عن تشجيع أعمال القرصنة، أى أعمال المقاومة ضد الاستعمار البريطانى وتجارة العبيد، «تتعهد الحكومة البريطانية بالرد على أى اعتداء يتعرضون له» ـ المادة العاشرة [1].

استطرد شيخ البحرين بادعائه فيما بعد، بأن الاتفاقية المذكورة، تنطوى على جانب الحـماية بينه وبين الحكومـة البريطانية ويفـقد اسـتقلاله، إلا أنه ولتـوضيح الصورة بشكل جدى لشيخ البحرين من قبـل الحكومة البريطانية، فقد قام المندوب البريطانى فى الخليج الـعربى، خلال زيارته للبحـرين عام 1823، بالتأكيـد لشيخ البحرين على خطأ تحليله ذاك[2].

تقصد الحكومة البريطانية بكلمة «مـجموعة من القراصنة» فى المذكرة أعلاه، مجـموعة من أبناء ساحل عـمان والذين كانوا يعـملون فى السفن البحـرية عندما كانوا يقومـون بالزيارة لميناء البحرين من أجل التـجارة والملاحة، وكثيـرا ما كانت بريطانيا تنعت سكـان ساحل عمان «بالقـراصنة» لأنهم كانوا يعتـدون على السفن

1 - I.O.R - R/15/2/484 - Historicall Memoerandum on Bahrein - Treaty of 1820 Between Bahrain and his Majesty's Government. P.2953 No- 16.

2 - I.O.R - R/15/2/484 - Ibid. P.2953 No - 16.

البريطانية بعدما ضايقت الأخيرة فى مصدر رزقهم بالتجارة مما أصبحوا يقاومون الاستعمار المسيحى البريطانى. كما نجد استياء شيخ البحرين من اتفاقية السلام والتى اعتبرها نوعا من الاحتلال والتحايل لأنه يقضى على استقلال البحرين ويجعله تحت الحماية البريطانية، وبذلك يتحول هذا الاتفاق إلى احتلال بريطانى ولكن عن طريق الاتفاق والتراضى أى بمحض إرادة شيوخ القبائل فى ساحل عمان والبحرين.

عمان والبحرين:

ترجع علاقة البحرين بعمان إلى عهد «الإمامة اليعربية»، عندما قام أئمة عمان من «اليعاربة»، بتحرير التراب العمانى من الاستعمار المسيحى البرتغالى وطردهم من «رأس الخيمة» «وخورفكان» و «مسقط» ثم ملاحقتهم فى الخليج العربى، وطردهم من البحرين بعد معارك عنيفة ومن ثم أخضعت البحرين للحكم والسيادة العمانية، كما كان الإمام سلطان بن سيف الثانى أرسل حملة بحرية إلى البحرين عام 1717 لإخماد التمرد الذى قام ضده، ثم قام ببناء قلعة «عراد»[1] الشهيرة والتى لازالت أثارها باقية إلى اليوم هنا، وترك حامية عمانية فى البحرين وقفل راجعا إلى عمان[2].

استمرت السيطرة العمانية على البحرين حتى قيام الحروب الأهلية فى عمان[3]، وعندما تم خلع الإمام سيف بن سلطان اليعربى[4]، فإنه رفض هذا

1 ـ فالح حنظل ـ المفصل فى تاريخ الإمارات العربية المتحدة ـ الجزء الأول ـ لجنة التراث والتاريخ ـ أبوظبى 1982 ص 127.

2 ـ فالح حنظل ـ نفس المرجع ص 127.

3 ـ حميد بن محمد بن رزيق ـ مخطوطة الشعاع الشايع ـ تحقيق عبدالمنعم عامر ـ وزارة التراث القومى والثقافة ـ مسقط 1978. ص 240.

4 - Miles, samuel.B. - OP. cit. P.288.

الخلع وقـام بطلب المسـاعـدة من «نادر شـاه»[1]، الذى طلب من الإمـام المخلوع التنازل عن البحرين لحكام «بوشـهر» العرب من قبيلة «المطاريش» العمـانية، مقابل إرسال قوات إيرانية إلى عمان لإرجاعه إلى الحكم، فوافق الإمام المخلوع، وطلب من الوالى العمـانى على البحرين ناصر الـغافرى[2] الرجوع إلى عـمان، وتسليم البحرين إلى الشيخ غيث زعيم قبيلة «المطاريش» العربية عام 1736، وبعدها حكم الشيخ نصر المذكور حتى انتزع منه أسرة الخليفـة والجلاهمة الخليفات البحرين عام 1783[3].

أراد سلطان عمان أن يعيد البحرين إلى السيـادة العمانية كما كانت فى عهد الإمامة اليعربـية، فقرر إرسال حملة عسكرية لإعادة البـحرين تحت الحكم العمانى عام 1799[4]، ولكن يبدو أن هذه الحملة لم تنجح فقرر إرسال حملة بحرية ثانية فى عام 1802 واستولى على البحرين كما أخذ السـفـن البحرينية وعقد اتفاقية مع حاكمـها، وطلب منه التخلى عن الحكم وأن يضع أخاه رهينـة لدى سلطان عمان مقابل ضمان أملاك شيخ البحرين وأمواله[5].

اعتمد سلطان عمان فى هذه الحملة على حليف أشد خطراً على آل خليفة، وهم سكان البـحرين المعارضـين لحكم شيـوخ الخليفة والذين تعـاونوا مع سلطان

1 - Laurence Lookhart - Nadir shah's compaigns in Oman 1737 - 1744 - Bulletin of the school of Oriental and African studies, vol. v111. 1936 - pt. I - p. 168.

2 ـ سرحان بن سعيـد الاذكوى العمانى ـ (مخطوطة) تاريخ عمان المقتـبس من كتاب كشف الغمة لتـاريخ الأمة ـ تحقيق عبـدالمجيد القبيـس ـ وزارة التراث القومى والثقافـة ـ مسقط 1980 ص336.

3 - I.O.R - R/15/1/5/184 - Bombay selection Uttoabes - P. 364.

4 - J. Lorimer - Gazttel of the Persian Gulf vol - 111, 1915 - P. 840 - The Conqouest of the Imam to Bahrein.

5 - J. Lorimer - Ibid P. 840 - vol - 111.

عـمان. مما اضطر آل خليـفـة أن يتعـاونوا مع «أمراء الـدرعيـة» الذين تمكنوا من الاستيلاء على الحامية الصغيرة لعمان فى البحرين عام 1809[1].

قام سلطان عمان بهجوم على البحرين عام 1816 ولكن لم ينجح، فقرر فى عام 1819 شن هجوم كبير على البحرين، وعندما شعر حكام البحرين بذلك أرادوا أن يستبقوا الحـملة العمانية وأن يتجنبوا الهجـوم العمانى، وأرسلوا ممثلا عنهم إلى مسقط يعلن خضوعهم إلى سلطان عمان، وإبرم شيوخ البحرين من خلال وكيلهم اتفاقا مع سلطان عمان فى العام التالى وتعـهدوا بأن يدفعوا له ضريبة وزكاة سنوية مقدارها 10،000 كراون ألمانى، على أن يتعهد سلطان عمان مقابل ذلك بإطلاق سراح عدد من شـيوخ الخليفة، وأن يعيـد جميع السفن والممتلكـات البحرينة التى يحبسها على أن يدفع آل خليفة 3,000 كراون إضافى لعمان[2]

جاءت المذكـرة البريطانيـة عن النزاعات بين البـحرين وعمـان لعام 1822 ـ 1829 فى البند رقم «22»، قـولها بأنه بحلول عـام 1822 إن لم يكن قبل ذلك توقف شيـوخ البحرين عن القـيام بالتعهـدات التى أخذوها على أنفسـهم فى عام 1820، بخصوص دفع الأتاوة والزكاة السنويـة إلى سلطنة عمان، وفى عام 1822 أصبح قيام سلطان عمان بمهاجمة البحرين أمراً وشيكا نتيجة تفاعل الأحداث، وقد اقترح حاكم بومباى فى مراسلاته مع شيخ البحرين وسلطان عمان، بأنه إذا كانت هذه الأتاوة والزكاة، لهـا أصول قديمة فيـجب دفعها بشكل منتـظم، وإلا فيجب إسقاطها نهائيا[3].

احتج حاكم بومـباى فى عام 1825، على رغبـة سلطان عمان ومحـاولته

---

1 - J.B Kelly, Eastern Arabian Frontiers - London, 1964 - p. 79.

2 ـ فائق طهبوب ـ المرجع السابق ص136.

3 - I.O.R- R/15/2/484 - Bahrein - Muscat Disputes - 1822 - 24 - p.2933 No - 22

التدخل فى اختيار الشيخ الذى سيحكم البحرين، فى أعقاب وفاة الشيخ سلمان الذى حكم المشيخة منذ عام 1896 بمساعدة أخيه عبدالله خلال السنوات الأخيرة[1]. اقتحم سلطان عمان فى 27 أكتوبر 1828 ميناء المنامة للاستيلاء على البحرين ولكن تم حل المشكلة بين الطرفين بطريقة ودية فى ديسمبر 1829 بدفع آل خليفة الزكاة السنوية لسلطان عمان، فقد جاء فى المذكرة البريطانية فى البند رقم «25»:

فشل هجوم قام به سلطان عمان على البحرين فى أكتوبر عام 1828، ولم ينجح فى الاستيلاء على البحرين وتم إخراجه منها بعد محاولات غير نزيهة لإبرام اتفاق مع شيخ البحرين، وفى الثانى من ديسمبر عام 1829 تحقق السلام أخيراً بين شيوخ البحرين وسلطان عمان، وكانت أحكام الاتفاقية تنص على أن الزكاة السنوية سوف تدفع من قبل البحرين إلى سلطان عمان وأنه يتوجب على كلا الطرفين عدم التدخل منذ ذلك التاريخ فى شئون بعضهما البعض، وقد ألزم الطرفان نفسيهما من خلال اتفاق شفوى ملحق بتلك الاتفاقية بمساعدة بعضهما البعض فى حال تعرض أحدهما للهجوم من قبل طرف ثالث[2].

تقول المذكرة البريطانية فى البند «26»، أنه خلال العامين الأولين، 1820، 1822 تم الاعتراف بسيادة البحرين لفترة معينة، ودفعت الزكاة إلى سلطان عمان، ومن عام 1822 حتى عام 1829 كانت البحرين على نزاع وخلاف مع عمان، وفى عام 1829 تم إبرام الاتفاقية التى تتنازل بها عمان عن إدعاءاتها بالسيادة وحق الزكاة[3].

---

1 - I.O.R - R/15/2/474 - Ibid - P2933 - No 23.

2 - I.O.R - R/15/2/484 - Reassertion of persian claim. - 1825 - P. 2934 No 24.

3 - I.O.R - R/ 15/2/484 - Summary 1820 - 1835. P. 2934 - No 26.

إيران والبحرين:

بدأت الادعاءات الإيرانية على البحرين مع عام 1820، بقولها: ولما كانت إيران لا تملك أسطولاً بحريًا قويًا فقد تبنت سياسة تشجيع سلطان عمان للاستيلاء على البحرين وفى هذه المرحلة لم تكن لبريطانيا سياسة محددة تجاه البحرين، وكانت إيران تأمل فى الاعتماد على بريطانيا لاحتلال البحرين، مستندة على معاهدة عام 1814 حيث تنص المادة العاشرة:- إن على بريطانيا أن تمد إيران بالقوة البحرية اللازمة لمنع أى اضطراب يقع على شواطئها ولكن بريطانيا ردت على ذلك بأن المعاهدة كانت دفاعية فقط، وفى ديسمبر 1820 طلبت الحكومة الإيرانية من زعماء القبائل فى جنوب إيران أن يجمعوا كل ما يقع فى أيديهم من سفن لاستخدامها فى حملة لغزو البحرين، ورغم ما كان يتوقع لهذه الحملة من فشل فقد قام المقيم السياسى البريطانى فى الخليج العربى «بروس» بزيارة خاصة إلى البحرين وطمأن حكامها إلى أن بريطانيا تعترف باستقلال البحرين وقدم لشيخها ضمانًا بمساعدة الحكومة البريطانية له مما أثار غضبا شديدا فى الأوساط الإيرانية إلى حد أن طلب شاه إيران من حكومة الهند سحب «بروس» من منصبه كمقيم سياسى بريطانى فى الخليج العربى[1].

أرادت بريطانيا أن تنهى المشكلة سياسيا واقترحت عمل وساطة بين إيران والبحرين، فقد جاءت المذكرة البريطانية عن العرض البريطانى للتوسط لدى البحرين عام 1820 فى البند رقم (15) بقولها بأنه قد تزامن قيام حكومة بومباى بإرسال الرسالة التالية من خلال القائم بالأعمال فى طهران والتى تنص على ما يلى:

---

1 ـ د. فائق طهبوب ـ المرجع السابق ص161.

«نحن نقصد تجنب كافة أشكال التدخل بخصوص جزيرة البحرين، ولكننا نملك من الأسباب ما يجعلنا نعتقد بأنه فى حالة قبول الحكومة الإيرانية بأن يستمر حكم أسرة الخليفة للبحرين دون منغصات أو إثارة مشاكل فإن شيخها سيكون مستعدا للاعتراف والإشادة بصنيعهم، ولتحقيق هذا الغرض فإن الحكومة البريطانية ستكون مستعدة للتوسط شريطة أن يتم الاستفادة من هذه الوساطة بالأسلوب الذى يجنبنا كافة أشكال التدخل فيما يتعلق بالإجراءات التجارية للأطراف المعنية بعد انتهاء المفاوضات المشار إليها»[1].

يبدو أن جهود الحكومة البريطانية لن تثمر فى هذا الاتجاه فقد ذكرت المذكرة فى البند رقم (17)، عدم قبول الدولة الإيرانية لاقتراح الوساطة البريطانية مع البحرين بقولها:ـ

أبلغ الوزير البريطانى المفوض فى طهران، فى العاشر من مايو عام 1820، بأن حكومة بومباى باجتماعهما مع شاه إيران فى الخامس من مايو 1820، وطرحه للمقترح المشار إليه فى الفقرة(15) بشأن الوساطة البريطانية بشرط ضمان ولاء البحرين للدولة الإيرانية!!

أجاب شاه إيران قائلا:ـ

إنه كان يرغب فى تأجيل وساطة الحكومة البريطانية، وقبول تبعية البحرين للدولة الإيرانية إلى حين استلامه للتعليمات الخاصة بذلك من حاكم «شيراز»[2].

1 - I.O.R - R/15/2/484 - Historical Memorandum on Bahrein - British Offers to Persia of Mediation with Bahrein - 1820 - P. 2933 No 15.

2 - I.O.R - R/ 15/2/484 - Historical Memorandum on Bahrein - proposol for British Mediation with Bahrein not taken up by persia - P. 2953 - No 17.

أشار «ويلوك»:

إن نفور شاه إيران بشكل كبير من فكرة إنشاء أية مستعمرة بريطانية فى المنطقة المجاورة للدولة الإيرانية، كان مرده إلى وضوح موقف الحكومة البريطانية، وعدم استجابته الفورية للوساطة البريطانية، بخصوص تبعية جزيرة البحرين، والذى كان الشاه يريد تحقيقه على الفور، وكانت الحكومة البريطانية تنظر إلى هذا الأمر مع أنه صعب التحقيق فى المستقبل القريب، وهذه الرؤية نتيجة لتطور المباحثات بين شيوخ البحرين وسلطان عمان[1].

نتيجة لتلك التطورات وموقف شاه إيران فإن الحكومة البريطانية توقفت عن جهودها فى هذا الاتجاه، فقد ذكرت المذكرة فى البند رقم «18» عن الانسحاب من الوساطة عام 1820 قولها:

أصدرت حكومة بومباى تعليماتها للسير «ويلوك» باستغلال أقرب فرصة لإخبار الحكومة الإيرانية، بما أن اهتماماتنا بمجملها تنصب على إنهاء أعمال القرصنة فإنه فى ضوء الوضع الحالى فى الخليج العربى، سيكون من المناقض لسياستنا القيام بالوساطة بين شاه إيران وأسرة الخليفة فى البحرين كما كنا قد سبق واقترحناه لكم[2].

إن الاحتفاظ بالنفوذ البريطانى فى الخليج العربى كان يعتبر من أهم أهداف السياسة البريطانية لحكومة الهند، وبما أن الكابتن «بروس» كان يرغب الاحتفاظ بمنصبه كمقيم سياسى بريطانى فى الخليج العربى، فإنه عندما أحس بالموقف المعادى له من قبل شاه إيران تغلبت عليه المصلحة الشخصية خوفا على مشاريعه

---

1 - I.O.R - R/15/2/484 - IBID P 2953 NO 17.

2 - I.O.R - R/15/2/484 - Historicl Memorandam on Bahrein - and rcirhdrauen 1820 - No 1485 to Tehran.

التجارية[1] فتوجه بصفة شخصية إلى حاكم إيران فى «شيراز» لتسوية مشكلة البحرين وأنه اتفق على احتلال البحرين ووضعها تحت السيادة الإيرانية [2]، كما كان الكابتن «بروس» المقيم السياسى البريطانى فى الخليج العربى سبق له وأن اعترف باستقلال البحرين بدون تفويض من الحكومة البريطانية عام 1816[3].

وقع الكابتن «بروس» المقيم السياسى فى الخليج العربى مع حاكم فارس فى «شيراز» اتفاقية فى 30 أغسطس عام 1822 وهى مؤلفة من مقدمة وخمس مواد، وتنص المادة الثانية على ما يلى:-

«إن جزيرة البحرين كانت دائما خاضعة لإقليم فارس وأن عرب العتوب مالكى الجزيرة استطاعوا أن يخدعوا قائد الحملة الجنرال «جرانت كير» وحصلوا على موافقته برفع علم مميز، وان هذا العلم يجب أن يسحب منهم، وأن تمتنع الحكومة البريطانية من تقديم المساعدة لهم، وقد اشترط حاكم فارس خمسة شروط، كان الشرط الرابع منها ينص على ضرورة مساعدة بريطانيا لفارس عسكريا عند القيام بحملتها لاسترداد البحرين، وفى الختام اتفق كل من «بروس» و «زكى خان» حاكم فارس أن يرفعوا الاتفاقية إلى حكومتها للموافقة والتصديق عليها[4].

رفضت الحكومة البريطانية التصديق على هذه الاتفاقية واعتبرتها لاغية وغير شرعية، لأنها جاءت بتصرف شخصى من «بروس» بدون توجيهات من الحكومة البريطانية[5]، كما رفضت الحكومة الإيرانية نفسها التصديق على هذه

---

1 ـ د. فائق طهبوب ـ المرجع السابق ص161.
2 - J. Lorimer - op/ cit - P.750.
3 - J.B. Kelly - The Persien claim to Bahrein "International Affairs - vol. 33/1957 - p.51.
4 ـ د. فائق طهبوب ـ المرجع السابق ص162.
5 - Dr. I. Adamyiat Frydom - Bahrein Island legal and Diplomatic study of the British Iranian controvers - ferederic & A.Preaeger New York - 1955 - p185.

الاتفاقية[1]. وبذلك افتقدت هذه الاتفاقية شرعيتها لعدم وجود تفويض رسمى من الحكومة البريطانية لكابتن «بروس»[2].

ذكرت المذكرة البريطانية فى البند رقم «20» تحت عنوان، الاتفاقية غير المعتمدة بين الكابتن «بروس» وأمير ولاية «شيراز» قولها:

قام النقيب بروس والذى أصبح فيما بعد المقيم السياسى البريطانى فى الخليج العربى، من تلقاء نفسه فى عام 1822، ودون أى تخويل أو توجيهات مسبقة من الحكومة البريطانية، وبعد طرحه للوثيقة المرسلة إلى «شيراز»، قام «بروس» بتوقيع اتفاقية مع الوزير المفوض من قبل أمير ولاية «شيراز»، الذى وقع بالنيابة عن الدولة الإيرانية، وتزعم هذه الاتفاقية فيما يختص بالبحرين، بأن الجزر كانت دائما تتبع لحكم إيران ضد سلطة شيوخ العتوب، الذين تمردوا عليه، وأن الراية الشخصية المتخصصة لعتوب البحرين، بموجب معاهدة السلام العامة مع بريطانيا عام 1820، والتى إن كانت قد منحت، فيجب سحبها، وأنه يجب على بريطانيا فى المستقبل، عدم تقديم أية مساعدة لعشيرة العتوب فى البحرين، بل على العكس، فإنه ينبغى على الحكومة البريطانية إذا طلبت منها ذلك، مساعدة إيران ضد البحرين بتقديم سفينة حربية أو أكثر لهم[3].

---

1 - Al - Baharna Hussain - op. cit. P.167.

2 - F.O.60 - 21 - 1866

سميت هذا الاتفاقية باتفاقية «شيراز»، نسبة إلى عقدها فى مدينة «شيراز» الإيرانية بتاريخ 30اغسطس 1822.

3 - I.O.R - R/15/2/484 - Historical Memorandum on Bohrein - Iv - 1820 0 30 - Unauthorized Agreement Between captain Bruce and the peince Governor of shiraz 1822 capt. Broceto Govt of Bombay 3.9.1822.

بمعنى آخر فإن الدولة الإيرانية قد منحت بصورة واضحة حق امتلاك البحرين، وأن الجدال الذى دار مع الكابتن «بروس» بخصوص إبرامه هذه الاتفاقية غير المعتمدة، حمل فى طياته، أن تسليم البحرين للسلطة الإيرانية سيكون له أثرٌ بالغ على الجانب العربى فى الخليج العربى أكثر من أى إجراء آخر اتخذ فيما مضى[1].

تقول المذكرة البريطانية فى البند رقم (21): لقد تم التنصل من الإجراء الذى قام به المفوض، ولم تعتمده حكومة بومباى، وقد جاء فى الرسائل من الحاكم إلى أمير فارس، التى نصت على (ليس فى نية هذه الحكومة اعتماد أيه مزاعم للقوى والدويلات المعتمدة فى الخليج بما يتجاوز مفهوم السيطرة على أنشطة القرصنة.. ولن يكون هناك أى إشارة فى الراية الممنوحة للعتوب، مما يعتبر عملا عدائيا تجاه الدولة الإيرانية، وأنه لا يوجد أدنى علاقة بين تلك الراية، والراية البريطانية، ولا أدنى إشارة إلى كونها تقع تحت سيادة الحكومة البريطانية[2]. وفى إشارة لعدم الاستحسان لما قام به الكابتن «بروس» فقد تم إبلاغ سلطان عمان وشيخ البحرين بعزل ذلك الكابتن عن منصبه، أما بخصوص بند الاتفاقية المتعلق بالبحرين، فقد أشارت حكومة بومباى إلى أن (الاعتراف بأحقية ملك الدولة الإيرانية بملكية البحرين والذى لا يستند إلى أدنى دليل لا يمكن أن تقبله الحكومة البريطانية، لما له من آثار سلبية على علاقتها مع سلطان عمان وعشيرة العتوب). أما فى الجانب الإيرانى، فلم يرفض الشاه اعتماد الترتيبات المتفق عليها فحسب، بل إنه أيضا أبدى امتعاضه من قيام أمير «شيراز» بإبرام أية اتفاقيات مع الحكومة البريطانية دون

1 - I.O.R - R/15/2/484 - Ibid.

2 - I.O.R - R/15/2/484 - Govt. of Bombay to capt. Broce - No. 1491 - of 1-11-1822- Para - 6 - Teh - Desp - No - 1 - 25/1/1823.

معـرفتـه، أو الرجوع إليـه، وعليه فإن هـذه الاتفاقيـة كانت مـرفوضـة من قبل الطرفين[1].

ذكـرت المذكرة البـريطانيـة فى البند رقم «22»، فى يناير عام 1823، قام المفـوض والمقيم السـيـاسى البريـطانى فى الخليج العـربى الملازم «مكلود»، بزيارة البحرين لطمأنه الشـيوخ العتوب بخصوص المعاهدة المفسـوخة التى أبرمها الكابتن «بروس» مع حاكم ولاية «شـيراز»، ولإخبارهم بأن تلك المعـاهدة لم يكن لها أى أثر، وإن تغيرت سـياسة الحكومة البريـطانية. وفى ربيع عام 1823، فى أعقاب انتشـار إشاعات بقـيام كل من الدولة الإيرانيـة وسلطان عمان، وعـرب الجزيرة، بهجوم على البحرين، طلب إلى الوزير فى «طهـران» فى مناسبة خاصة أن يجنب إيران تعكير صفو منطقة الخليج العربى[2].

قام المـقيم السـياسى البـريطانى فى الخليج العربى فـى فبرايـر عام 1824، بتسوية الخـلافات الداخلية المزمنة منذ السنتين الماضـيتين، فيما بين أعـضاء الأسرة الحاكمة، والتى كانت لسنوات عديدة معلما من معالم تاريخ البحرين[3]. وفى عام 1825، لمح المقيم السـياسى البريطانى فى الخليج العربى، لحـاكم إيران الذى كان يجهز لعملية يقوم من خلالها بإخضاع البحرين، وقام وزيره، بالطلب من المفوض بإعطاء توجيهاته إلـى الشيخ لإنزال الراية التى سمحت الحكومة البريطانيـة لعشيرة

---

1 - I.O.R - R /15/2/484 - Ibid.

2 - I.O.R - R/15/2/484 - Historical Memorandum on Bahrein - 1822 - 24 - Bahrein - Muscat - Disputed - lor - 1. 851 - Gover - to Imam, 19, 8. 1822 0 Govr 0 to sheikh 0 19080 1822 - precis, 850. Resdt to Govt. of Bombay No - 8 0, 27.2.1822.

3 - I.O.R - R /15/2/484 - Historical Memorandum on Bahrein - lor.I.851 - lor. I. iii. X, Table.9.

العتوب فى البحرين برفعها، وكانت تلميحات المقيم السياسى البريطانى فى الخليج العربى، بأن يخبر حاكم فارس بأن حكومة بريطانيا ليس لها أى سلطة على شعب البحرين، وإن الرسالة التى تلغى معاهدة النقيب «بروس»، أظهرت بوضوح سلوك الحكومة البريطانية تجاه البحرين، وقد تم التخلى عن تلك المحاولة لإخضاع البحرين (عندما تجنب شيخ البحرين الخطر الذى كان يتهدده بإرسال كميات كبيرة من الهدايا)[1]. كما أثير موضوع المطالبة الإيرانية فى عامى 1822 _ 1825، ولكنه لم يدعم بأية إجراءات على أرض الواقع[2].

الخلاصة:

نصل بعد نهاية هذه الدراسة إلى عدة ملاحظات هى:ـ

1 ـ يرجع صراع القوى الإقليمية فى الخليج العربى على البحرين وخاصة عمان وإيران إلى موقع البحرين وأهميتها فى تلك الفترة نظراً لما كانت تلعبه من دور مهم فى الحركة التجارية فى الخليج العربى.

2 ـ يتضح كيف لعبت بريطانيا دوراً مزدوجا فى إدخال البحرين تحت الحماية، عن طريق تشجيع سلطان عمان فى الاستيلاء على البحرين، وعندما يشعر حكام البحرين بالخطر العمانى. يتجهون إلى بريطانيا من تلقاء أنفسهم، وهذا ما حدث عندما وقعت البحرين اتفاقية السلام العامة 1820.

3 ـ نجد اعتراض البحرين على اتفاقية السلام العامة 1820، والتى اعتبرها تمس استقلال البحرين وتجعله تحت الحماية البريطانية، مما أدى إلى إرسال بريطانيا مندوبا عنها لاقناعه بخطأ فكرته عن تلك الاتفاقية.

---

1 - I.O.R. -/15/2/484 - Ibid

2 - I.O.R 15/2/484 - Historical Memorandam on Bahrein - P. 2953 No - (26).

4 ـ أما فيما يتعلق بادعاءات إيران على البحرين، فإن بريطانيا وقفت إلى جانب البحرين ضد فارس، وليس انطلاقا من نصرة الحق العربى، وإنما خوفا على مصالحها الاستعمارية فى المنطقة، وخاصة أن البحرين كانت تشكل أهم مركز سياسى وتجارى لبريطانيا، إضافة إلى التحكم فى الخليج العربى من الناحية الاستراتيجية. ولهذا فإنها رفضت اتفاقية «شيراز» وبادرت إلى عزل الكابتن «روس» من منصبه كمقيم سياسى بريطانى فى الخليج العربى، وذلك حتى لا يتكرر ذلك مستقبلا من قبل الموظفين البريطانيين فى المنطقة إضافة إلى طمأنة شيوخ القبائل العربية الذين كانوا قد وقعوا اتفاقيات السلام العامة 1820، مع بريطانيا ومن ضمنهم شيوخ عشيرة العتوب فى البحرين.

الفصل الثالث



الاحتجاجات الإيرانية على التصرفات البريطانية فى البحرين 1862، 1906

نشر هذا البحث فى دورية «مجلة الإنسانيات» العدد الرابع - عام 1999 - كلية الآداب فرع دمنهور - جامعة الإسكندرية - مصر.



مقدمة:

تتناول هذه الدراسة، الاحتجاجات الإيرانية على التصرفات البريطانية فى البحرين، وتعتمد هذه الدراسة على الوثائق البريطانية التى لم يسبق نشرها، حيث جاء اعتمادنا على الوثائق غير المنشورة فقط، لإتاحة الفرصة أمام القراء والباحثين ليستفيدوا من هذه الوثائق، إضافة إلى بعض الوثائق المنشورة فى الدراسات السابقة، ليقارنوا ويتعرفوا أكثر على الأحداث ومجريات الأمور فى البحرين، كما إننى لم أحاول إضافة الوثائق المنشورة أو أعتمد على المراجع الأخرى، لنشر أكبر قدر من المعلومات من الوثائق غير المنشورة فى هذه الدراسة، وسوف تكون هناك دراسة أخرى مقارنة بين الوثائق غير المنشورة، والوثائق المنشورة فيما بعد، ولهذا جاءت هذه الدراسة وثائقية فى معظمها دون الاعتماد على المصادر الأخرى والتى سبق وأن تناولتها فى أبحاثى ودراساتى السابقة.

جاءت الاحتجاجات الإيرانية فى الفترة 1862 ـ 1906، بعد ما أرادت بريطانيا أن تسيطر على البحرين سيطرة كاملة، وذلك فى أعقاب الانسحاب المصرى، حيث كانت البحرين قد دخلت تحت السيادة المصرية، وحتى لا تحاول دولة أخرى، سارعت بريطانيا لملء هذا الفراغ حيث كانت الدولة العثمانية أيضا تحاول ملء هذا الفراغ الذى خلفه انسحاب الجيش المصرى من البحرين، ومن هنا كانت التصرفات البريطانية موجهة ضد حاكم البحرين الذى كان يرفض الخضوع للهيمنة الاستعمارية المسيحية البريطانية.

تشمل هذه الدراسة احتجاج إيران ضد احتجاز بريطانيا سفينة بحرينية عام 62 ـ 1865، وأحداث عام 1878 فى البحرين والاحتجاج الإيرانى، والرد البريطانى على الاحتجاج الإيرانى، والاحتجاج الإيرانى لأحداث 1869،

والاحتجاج الإيرانى على اتفاقيات 1880، ومحاولة بريطانيا تبرير تصرفاتها تجاه حاكم البحرين وكذلك اتفاقياتها الجائرة.

احتجاج إيران ضد احتجاز بريطانيا سفينة بحرينية 1865،62:

تقدم الوزير الإيرانى باحتجاج لدى السفير البريطانى فى باريس فى يناير 1862، وذلك ضد عملية احتجاز السفينة «حمراء» فأجابه السفير، بأن الحكومة البريطانية لن تجيب على مثل هذه التساؤلات حتى تعرف ما هى مصلحة إيران فى البحرين وبالتالى إعطاؤه تفسيرا لما يزمعون القيام به[1].

يرجع ذلك عندما فرضت بريطانيا بالقوة اتفاقية 1861 على حاكم البحرين، وأن إحدى السفن التابعة لشيخ البحرين أعيدت إليه، وأن السفينة الثانية تم احتجازها كضمان لحسن سلوكه، وبعد تعيين الكولونيل بيلى كمقيم سياسى بريطانى فى الخليج العربى أوصى باعادة السفينة إلى شيخ البحرين، على أمل أن يرى فى هذا الاجراء دليلا على سياسة الاسترضاء المتبعة ازاء حاكم البحرين، وقد تمت الموافقة على هذه التوصية من جانب حكومة الهند، ولكن هذا التقدير الذى ابداه الجانب البريطانى نحو شيخ البحرين لم يقابل من جانبه إلا بتعليق ينم عن عدم احترام بريطانيا، كما ورد فى تقرير للمقيم السياسى البريطانى المؤرخ فى 17/ 12/ 1865 والذى كتبه فى البحرين معلقا على مسلك حاكم البحرين والاجراءات التى يرى ضرورة تطبيقها ازاءه كما يلى[2]:

---

1 - I. O. L. & R - R/15/2/484 - VIII - 1861 - 67. From the Convention of 1861 to the Punitive Expedition of August 1868 - Persian Protest - 1802. No = 13 - Lord Cowley to F. O. No. 15, - 7 - 7- 1862. - F. O. to Lord Cowley No. 209, - 22 - 2 - 1862.

2 - وثائق - ج - ج - سلدانها - تاريخ البحرين السياسى - د. فتوح الخترش - ذات السلاسل - الكويت 1992 ص 65.

طوال السنوات الثلاث التى قضيتها فى الخليج العربى بذلت كل جهد مستخدما كافة النصائح والوسائل الودية من أجل أن يسلك الشيخ المسلك المتعقل واللائق، وبالرغم من ذلك اضطر الرعايا الهنود البريطانيون المقيمون فى جزيرته إلى الفرار من وجهه ولجأوا إلى «بوشهر» ومن بين الشكاوى العديدة أن الشيخ يحتفظ لديه بمبلغ كبير من المال من مستحقات رعايانا ويرفض دفعه لهم فى تعسف، وعند وصولى إلى «بوشهر»، وجدت أن مطالب «البانيان» من الرعايا الهنود لم يستجب لها بعد فأخطرت الشيخ بأنه إذا لم يف بوعده فسوف أجد نفسى مضطراً إلى اتخاذ الإجراءات اللازمة لضمان الحقوق العادلة لرعايانا، ولسنا فى حاجة إلى إزعاج الحكومة بالخوض فى تفاصيل الإهانات التى لا حصر لها التى تميز مسلك حاكم البحرين، ولكن يبدو أن علاقته بالأمير فيصل بن تركى قائمقام نجد والاحساء العثمانى، تمثل فى ظل الظروف الراهنة مسألة يمكن أن تؤدى إلى نتائج غير مواتية إذا ما قدر لقائمقام «نجد والاحساء» النجاح فى تحقيق سياسته التى تستهدف إعادة الساحل العربى فى شرق الجزيرة العربية كله تحت نفوذه المباشر، ولقد تعلمنا من تجربتنا السابقة أن وقوع الساحل تحت مثل هذا النوع من الحكم لا يعنى إلا انتشار القرصنة على نطاق واسع ويمكن فى ظله لسفينة مسلحة حمولة 500 طن مزودة بعشر مدافع أن تلحق اضراراً فادحة بأى سفينة حربية بريطانية تصل إلى هذه المواقع، ولقد قمت بمصادرة سفينة حاكم البحرين، وسوف أقترح بيعها ودفع أى مبالغ متبقية «للبانيان» وتقسيم ما تبقى من ثمن السفينة على البحارة الذين قاموا بأسره.

غرقت السفينة البحرينية قبل أن تصل إلى ميناء بوشهر، وكانت حكومة الهند قد أصدرت أمراً برد السفينة «دينار» لحاكم البحرين إذا تيسر ذلك، وبعد أن غرقت هذه السفينة فإن حكومة الهند أصدرت تعليمات إلى المقيم السياسى البريطانى فى الخليج العربى بألا يقوم مستقبلا بعملية القرصنة ومصادرة السفن

التى يملكها حكام المشيخات على مسؤوليته الخاصة، وعندما علمت الحكومة الإيرانية بأنباء ما اتخذه المقيم السياسى البريطانى من خطوات فى البحرين، وجه وزير خارجية إيران احتجاجًا إلى بريطانيا بأنه حول معاملة المقيم السياسى البريطانى فى عام 1862 للسفينة التى يملكها حاكم البحرين وهى من ممتلكات إيران، وحدها، وللأسف، وكان يتوقع ألا يرتكب المقيم السياسى البريطانى مثل هذا العمل مهما كانت الأحداث، ولكن مما يدعو إلى الأسف الشديد أن المقيم السياسى البريطانى عاد من جديد إلى الاستيلاء بالقوة على السفينة «دينار» بل وأحدث به ـ علاوة على ذلك ـ ثقبا حتى يصبح غير صالح للاستعمال، «وغرقت فيما بعد» وتنفيذًا لأوامر الشاه، استأذن فى تضمين هذه الرسالة نسخة من الاتفاق المبرم بين وكيلى بريطانيا وإيران فيما يتعلق بالمسائل الناشئة فى الخليج العربى وخاصة حول البحرين وبعد اطلاعكم على الاتفاق المذكور، فسوف تدركون إلى أى مدى يتعارض هذا المسلك من جانب المقيم السياسى البريطانى مع الشروط الواردة فى هذا الاتفاق وهو أمر يدعو إلى الأسى. ونحن نحتفظ بأصل هذا الاتفاق ممهورا بخاتم الممثلين الرسميين للحكومتين فى سجلات وزارتنا ونحن على استعداد لتقديمه لكم للفحص إذا لزم الأمر، وليس لدى الوزير الإيرانى أى شك فى أن فخامتكم لن تألو جهدا من أجل التوصل إلى اتفاق عاجل يمنع تكرار هذا المسلك من جانب الموظفين البريطانيين وانك سوف تتخذ أيضا الخطوات اللازمة لدفع التعويض لحاكم البحرين وبكل احترام أرجو أن تخطرنى بالخطوات التى اتخذتموها[1].

ذكرت السلطات البريطانية أنه بين عامى 1863 و1865، استمر الشيخ بالتمرد حتى احتجزت السفينة «دينار» بناءً على تعليمات المقيم السياسى البريطانى فى الخليج العربى، وتقدمت «طهران» بشكوى فى عام 1866، تتعلق بأحداث

1 ـ وثائق ـ ج ـ ج ـ سلدانها ـ نفس المرجع ـ الاحتجاج الإيرانى ـ الرقم 43 ـ سياسى أ. ـ ديسمبر 1866 ـ 7 ـ 958 لعام 1866.

السفينة «دينار» وعلى أساس أن البحرين وبناء على اتفاقية 1822 تعتبر من مسؤولية إيران، وبعد تداول هذه الاتفاقية من قبل حكومة الهند مع حكومة بومباى، صرح هؤلاء برأيهم «الطهران» بأنه مهما تكن مزاعم إيران حول سيادة البحرين، ومهما كانت الأسس التى بنيت عليها هذه المزاعم، فإن شاه إيران ليس له أى حق فى الجزيرة التى تخضع للوصاية البريطانية، وقد وافقت الحكومة البريطانية على ذلك بنفس السنة[1].

يتضح من ذلك كيف أن الحكومة البريطانية كانت تمارس الإرهاب والقرصنة الرسمية، وذلك بالاستيلاء على السفن البحرينية بالقوة، ومن ثم الضغط لتوقيع اتفاقية 1861، كى تفرج عن إحدى السفن، وتحتفظ بالأخرى كضمان لتطبيق حاكم البحرين للاتفاقية، مما يعتبر نوعا من «القرصنة المنظمة للدولة» «أو ارهاب الدولة».

وعندما وجد المقيم السياسى البريطانى فى الخليج العربى، بأن الشيخ لا يلتزم بالاتفاقية مع بريطانيا، فادعى بأن حاكم البحرين يضايق الرعايا البريطانيين من طبقة «البانيان» الهنود، فطلب منه دفع تعويضات بدون تفويض من حكومته، وعندما رفض حاكم البحرين ذلك، قام المقيم السياسى البريطانى بالاستيلاء على إحدى سفنه وتدعى «دينار»، بالقوة المسلحة عن طريق سفن الأسطول الحربى البريطانى واخذها إلى ميناء «بوشهر»، وقبل أن تصل السفينة إلى الميناء قام بخرقها مما أدى إلى «غرقها»، حتى لا يتم اعادتها إلى حاكم البحرين بحجة غرقها، وادعى بأنها غرقت بسبب العواصف البحرية علما بأن منطقة الخليج العربى لا يحدث فيها عواصف كما يحصل خارج مياه الخليج العربى، ولماذا يكون الغرق لهذه السفينة دون باقى السفن المرافقة لها؟

1 - I. O. L. & R - R/15/2/ 484 - Persian Protest - 1866 - No - 14 - Lor I, 891 - I. O. tp Gof I. No. 37 of 28 / 8 / 1867.

تدل تلك الأعمال الإرهابية والقمعية «على قرصنة رسمية» صارخة، كما أن حكومة الهند لم تعوض حاكم البحرين الذى كان قد سبق ورضخ لمطالب المقيم السياسى البريطانى ودفع التعويضات، وإنما اكتفت حكومة الهند بأن طلبت من المقيم السياسى البريطانى بعدم تكرار ما سبق من أعمال الإرهاب والقرصنة بدون تفويض رسمى، ولكنها لم تعاقبه على أفعاله وتصرفاته.

فى حين برر المقيم السياسى البريطانى عمله «بالقرصنة الرسمية» «أو إرهاب الدولة»، عن طريق الاستيلاء على تلك السفينة، بالتخوف من وقوع البحرين ومشيخات شرق الجزيرة العربية، تحت حكم قائمقام «نجد» الذى يخضع للحكم العثمانى، مما يعنى تزايد نفوذ الباب العالى الذى يشكل خطراً على المصالح البريطانية، وهو عذر أقبح من الذنب، مما يعنى كون الادعاءات البريطانية عن تصرفات الشيخ ضد الهنود ما هى إلا غطاء ظاهرى يخفى وراءه توجه حاكم البحرين إلى قائمقام نجد العثمانى، وهذه الحقيقة لتبرير تلك الأعمال، تحت شعار زائف هو مناهضة الهنود.

أما إيران، فإنها دخلت بطريقة عرضية، ولهذا فإنها غيرت مسار القضية البريطانية مع شيخ البحرين والقائمقام العثمانى فى «نجد» إلى الادعاءات الإيرانية فى البحرين والاحتجاجات الدبلوماسية، وبذلك استغلت إيران هذه الحادثة لتبرر ادعاءها بالمطالبة بالبحرين تحت شعار زائف أيضا، بأنها صاحبة الشأن فى الدفاع عن حقوق البحرين.

أحداث 1868 فى البحرين والاحتجاج الإيرانى:

تمثلت هذه الفترة بالدفاع المستميت عن المصالح البريطانية فى البحرين ضد مطالب إيران[1]. فى ضوء مطالبة البحرين وتصريحات حكومة الهند، بالسيطرة

1 - I. O. L. & R - R/15/2/ 484 - Sammary, 1861 - 67 - No - 76.

عليها تحت مخاطبة إيران عبر الشيخين على بن خليفة ومحمد بن خليفة، ولكن التمرد الذى قام به البحرينيون ضد المقيم السياسى البريطانى فى الخليج العربى قد اختبر جيداً من قبل الحكومة البريطانية بالتفصيل للتحول إلى سلسلة جديدة من الأحداث[1].

قامت بريطانيا فى شهر أغسطس 1868 بخلع الشيخ محمد بن خليفة وتعيين شقيقه على بن خليفة نظرا لمواقف الأول العدائية من بريطانيا ولرفض السيطرة الاستعمارية فقامت بريطانيا بتدمير السفن والمبانى والحصون وفرضت غرامة كبيرة على البحرين[2]. وكتبت تقارير حول الأحداث ولم تتضمن أى إشارة سوى رفرفة العلم الإيرانى من قبل محمد بن خليفة[3].

تقول المذكرة البريطانية: اكتملت فيما بعد كل الحقائق عن أحداث 1868، ووصلت إلى الهند ولندن، وقد أدى عمل حكومة الهند البريطانية إلى احتجاج إيرانى عام ورسمى، وقد جاء الاحتجاج بعد المناشدة والاستناد لروح نصوص اتفاقيات 1809 ـ 1814 ـ 1822 ـ 1857 بين إيران وبريطانيا، وقد جاء فى الاحتجاج، بأن المقيم السياسى البريطانى بدلا من أن يحترم حقوق الإيرانيين فى الخليج العربى، وعلى الأقل حسب نصوص تلك الاتفاقيات، قد قضى على عرى الترابط مع السلطات الإيرانية، واحتل البحرين التى لاتزال جزءا من إيران ودمر الحصن الحكومى الرسمى فى البحرين وقصر الحاكم، وتسبب فى العديد من

1 - I. O. L. & R - R/15/2/484 - IX - Discussions and Incidents, 1868 - 70. No - 78.

2 - I. O. L. & R - R/15/2/484 - Punitive Expedition of August - September 1868 - No - 79 - Bushire Desp. 3 of 25/9/ 1868 - Aitch. XI, No. xi, 236 - 7.

3 - I. O. L. & R - R/15/2/484 - No - 80 - Pol. Res. to Govt. of Bombay No. 3, 25/9/1868.

الأضرار، وقد قام أيضا بتعيين شقيق الشيخ محمد بن خليفة، الشيخ على بن خليفة كحاكم بديل على البحرين، وتخوفا من الشيخ محمد، كما طلب من الشيخ على بن خليفة أن يبحث عن أخيه ويرسله للسلطات البريطانية، كل هذا حدث بنفس الوقت الذى أعلن فيه الشيخ محمد بن خليفة ولاءه للدولة الإيرانية، واعتبار البحرين جزءا منها حيث أن العلم الإيرانى كان يرفرف عليها خلال فترة حكمه[1].

أعلم الوزير المفوض البريطانى لدى «طهران»، أن يقدم بيانا تفسيريا للحكومة الإيرانية، وقد اقترح مكتب الخارجية فى ضوء الأحداث السابقة وكونها أصبحت ضرورية الآن بأن يقدم ذلك التقرير إلى الحكومة، وحيث إن هذا التساؤل اعتبر هجوما ضد العمل الذى قام به المقيم السياسى البريطانى، فقد رد عليه، وزار السفير الإيرانى فى لندن، حيث صرح بغرق السفن الثلاثة فى الخليج العربى من قبل المقيم السياسى البريطانى، وهذه السفن ترجع ملكيتها إلى حاكم البحرين، والذى أحرق قصره أيضا حيث ترتفع فوقه الأعلام الإيرانية، وطالبه بتعويضات وإصلاح الأضرار التى حدثت، وقد أعلم السفير الإيرانى، بأن شيخ البحرين كان شيخًا مستقلا ولديه معاهدة واتفاق مع بريطانيا يلتزم ببنودها الموقعة[2].

أرفق مع الاحتجاج الإيرانى، رسائل صادرة عن شيخ البحرين فى سنوات 1858 ـ 1869، إلى رئيسه الامبراطورى فى إيران «الشاه» والأمير الحاكم أيضا فى «شيراز»، وقد أرخت تلك الرسائل فى التاسع والثانى عشر من أبريل عام 1869، حسب ترجمتها، ومن خلال تسلسل الأحداث، فإن الرسائل تدل على أنها كتبت

1 - I. O. L. & R - R/15/2/484 - Persian Protest, November 1868 - No - 81 - the. Desp. to G. Of I., 28/10/1868 - the. Desp. 149 of 17. 11. 1868.

2 - I. O. L. & R - R/15/2/484 - No - 82 - F. O. to I. O. 1/2/1869 - From Gen Mohsin Khan, 11/2/1869.

عام 1860، إثر زيارة البحرين من قبل ميرزا مهدى خان، وتؤكد بأن البحرين تشكل جزءا من إيران، وتشير إلى الضرائب التى كانت تدفع، «إن جانب الرفض لسيادتكم الامبراطورى ينبع من كونهم «البريطانيون» لم يحمونا بعد، ولكن بعد الآن وبعد زيارة سموكم مهدى خان للاستفسار عن ذلك، والبحث فى شؤون البلد فإننى وأخى أيضا والمواطنون نقر، بأننا سنؤدى خدماتنا لكم وأى شىء يطلب إلينا من قبل حكومة جلالتكم الموقرة، وكون البحرين جزءا لا يتجزأ من إيران» وأضاف حاكم البحرين حسب قول المذكرة الإيرانية ـ «بأننى سوف أسرع برفرفة العلم الإيرانى فى محل إقامتى حيث يحمل العلم اشارات الشمس والأسد التى تدل على السيادة الإيرانية»[1].

الرد البريطانى على الاحتجاج الإيرانى:

جاءت وجهة النظر البريطانية حول المذكرة الإيرانية بأن الجواب عن السؤال المعطى حول الاحتجاج قد تمت دراسته نيابة بين وزارة الدولة لمكتب الهند ووزارة الخارجية، وقد أشار إلى ذلك دوق «أرجيل»، سكرتير الدولة لدى الهند، وعلى الرغم من كون رأيه ضمن الخط السياسى البريطانى المعتمد فيما يخص الشيخ محمد بن خليفة، كسلطة مستقلة، ورفض السلطة الإيرانية كما حدث عام 1845 ـ 1848 ـ 1860 ـ فإنه لايستطيع الآن ترك هذا الخط الذى تتبعه حكومته، حيث يشكل ذلك خطراً على السلام فى الخليج العربى، وهو أيضًا لا يتعالى عن العقوبات التى تسعى لتجنب الأسباب التى أدت لكل التمردات غير المسؤولة فى مطالب «طهران»، وبالتالى يجب على اللورد «كلاريندون» أن يعتبرها مسألة محاكم وقضايا بالنسبة للحكومة الإيرانية، ويصدر تعليمات إلى حكومة الهند لتصدر بدورها أمرا للمقيم السياسى البريطانى فى الخليج العربى، لأن يصرح

1 - I. O. L. & R - R/15/2/484 - No - 83 - From Gen. Mohsin Khan to Duke of Argyll - 13/4/1869.

بحقيقة الأمر إلى الوزير المفوض البريطانى فى طهران، حول المعلومات الخاصة بحكومة الشاه، وربما تدعو الاختلافات الموجودة المقيم السياسى البريطانى، لأن يعترف على مسئوليته وبالتالى لا يكون لسكرتير الدولة أى تصرف بخصوص قرارات الحكومة البريطانية، حقق مكتب الخارجية بهذا الخصوص والأمور وتم إعلام ممثل أو مندوب إيران بذلك[1].

ردا على تقرير وزارة الخارجية، قال السفير الإيرانى، بأن محتويات التقرير يجب أن تعدل لكى تكون ملائمة لدى قراءة الشاه لها، وبعد مناقشة جرت بين «دوق أرجيل» واللورد «كلاريندون» ـ والتى لم يصلنا شيء منها من ذلك التاريخ حيث ضاعت ـ وبعد مقابلة بين اللورد كلاريندون، والوزير المفوض فوق العادة السفير الإيرانى، تم قبول التعديل فى افتتاحية الرسالة الموجهة للشاه، ولكن مع وجود إضافة فى نهاية الرسالة وأن النص ـ الذى يعتبر ذا أهمية بالنسبة للايرانيين، حيث يتم تقديمه من قبل حكومتهم، ويضاف لمطلبهم لحكومة بريطانيا حيث تقر لهم بالسيادة على البحرين ـ هو على الشكل التالى باختصار:

«تعترف حكومة بريطانيا للشاه، بأنها قد احتجت زيادة على حقوق الإيرانيين بالسيادة على البحرين كون البريطانيين تجاهلوها وأنهم «البريطانيون» الآن يضمون فى الاعتبار هذا الأمر»[2].

رد وزير الدولة فى الحكومة البريطانية بتقرير حول هذا الأحداث فى تاريخ 14/11/1869 للوزير الإيرانى للشؤون الخارجية، من حيث إن إيران لم يتم لها السيطرة الكافية، والسلطة الواجبة فى ذلك الجزء من الخليج العربى (البحرين) من

1 - I. O. L. & R - R/15/2/484 - British Note of 29 th April - 1869 - No - 84 - I.O. to F. O. 21/4/1869.

2 - I. O. L. & R - R/15/2/484 - No - 85 - F. O. to I. O. 11/5/1869 - I. O. to F. O. 19/5/1869 - 5/6/1869.

أجل احـلال نظامهـا فـيه، ولكـن الوزير البريطـانى يتمنى احـلال سلطة الشـاه بالبحرين، وتقـديم تعويضات خسائر المرحلة الحاليـة المتدهورة من قبل، وهو يريد ذلك لإيران، وبالتالى فليس من الضرورى أن تتخـذ السلطات البريطانية إجراءات معينة بخصوص البحرين[1].

أضاف الوزير البريـطانى، بأن الشيخ على بن خليفة بعث برسـالة للحكومة الإيرانية يعترف فيها بولائه لإيران وللشاه، وتقديم خدمات له وللحكومة، كما أن ميرزا مهدى خـان الذى جاء إلى البحرين، قد أعدم رسميـا الشيخ على بن خليفة الذى كان قـد تولى كحاكم للبحـرين، وذلك فى الوقت الذى قيل إن محـمد بن خليفة هو الذى قام بالجريمة التى أدت لمقتل على بن خليفة[2].

أدينت فى نوفمبر 1869، جريمة قـتل فيها الشيخ على بن خليـفة من قبل الحكومة البـريطانية، وقد اتهـمت إيران بأنها وراء العمليـة، وتم استدعـاء الشيخ المسئول عن ممتلكات الـبحرين، واحلال السلام فـيها ليتم سؤاله عن مـقتل الشيخ على بن خليفة، الذى وضع بالقوة فى السلطة البحرينية ومن قبل بريطانيا[3].

وردا على هذه الملاحظات، قال الوزير الإيرانى للشؤون الخارجية بأن الشيخ محمـد بن خليفة، والذى هو وراء الأحداث الراهنة قد قـتل (وتقول بريطانيا هذا غير صـحيح) وبالتالى فإن مـجهودات المقيم السيـاسى البريطانى ستصـبح عديمة

---

1 - I. O. L. & R - R/15/2/484 - Over therow and Death of Sheik Ali - August - September 1869 - No 86 - Pol. Res, to Govt. of Bombay, 165 of 11/9/1869.

2 - I. O. L. & R - R/15/2/484 - 181 of 25/9/1869, - 184 of 5/10/1869. - the. Desp. No 81 - 14/11/1869.

3 - I. O. L. & R - R/ 15/2/484 - Britsh Punitive Expedition - November - December 1869 - No - 88 -

الفائـدة، وأنه سوف تستـدعى حكومة بـريطانيا للعـودة وعدم التـقدم للبـحرين. وأضاف بأن الحكومة الإيرانية سوف تقـوم على إدارة شؤون البحرين البرية، إن أى شىء يؤثر عليها من جهة البحر فسوف يستدعون بريطانيا لإرسال قوة بحرية لإعادة شؤون الدولة لنصابهـا الصحيح، ولكن حتى الآن لم تسقط هيئـة شؤون البحرين ولم تحصل فيها الفوضى[1].

وصل الوكيل الإيرانى، حـاملا رسالة إلى الشيخ مـحمد بن عبـدالله ليعلن فيها رسمـيا توليه السلطة فى البحرين والذى جاء إلى البحـرين فى سفينة إيرانية، إلا أن المقيم السيـاسى البريطانى فى الخليج العربى منع هذا الموفـد من الهبوط فى البحـرين ومقـابلة الشيخ والاتصال مـعه، وتم أخـذ الرسالة منه وأوصلهـا المقيم السياسى البريطانى بنفسه للشيخ محـمد بن عبدالله، وقد قال الموفد الرسمى، بأنه ليس لديه تفـويض من الـشاه، ومنـع من قـبل حاكـم «لار» فى إيران الذى يكن الطاعة والولاء لميرزا مهدى خان[2].

نلاحظ مما جاء فى المصادر البريطانية، بأن إيران اعـتادت استغلال الحوادث، والأخطاء البريطانية لتجـديد ادعاءاتها وإيجاد مبررات بالسيادة على الـبحرين، كما نجد بوضـوح تآمر وزير الخارجيـة البريطانى مع إيران من خلال ما أعلنـه وما كان ينوى تقـديمه لإيران، وهذا ليس غـريبا على الحكومـة البريطانـية التى سـاعدت وقدمت كل مـا لديها من الدعم الـسياسى والمادى، حـتى تفرض إيران سـيطرتها وسيادتها على الممتلكات والإمارات العربية فى الساحل الشرقى من الخليج العربى، ولهذا لا يمكن لبريطانيـا الاعتراف أو الموافقة على المطالب الإيرانيـة فى البحرين،

1 - I. O. L. & R - R/15/2/484 - No - 89 - Pol. Res. to the. tel. of 14/11/1869, - 15/11/1869.

2 - I. O. L. & R - R/15/2/484 - No. 90 - the. Desp. 83 of 16/11/1869 - Bushire Desp. 216 of 15/12/1869.

وأن صاحب ذلك الحق هو الشعب العربى فى البحرين وفى الوطن العربى، كما نجد إيران تتخذ من تلك الرسائل والتصريحات، مستندا-للمطالبة بالبحرين فيما بعد وخاصة عند تقديمها مذكرة إلى عصبة الأمم فى عام 1922، ولكن نجد أن حكومة الهند المعنية بالأمر تتخوف على المصالح البريطانية فى الخليج العربى، وكانت قد عقدت معاهدة 1861، فإنها وقفت ضد هذه المخططات، نظراً لأن البحرين تشكل قاعدة استعمارية متقدمة للوجود البريطانى فى الخليج العربى وليس للدفاع عن الحق العربى فى البحرين ضد الادعاءات الإيرانية الباطلة.

الاحتجاج الإيرانى لأحداث 1869:

نتج عن الإجراءات السريعة الحاسمة التى اتخذتها الحكومة البريطانية، الخضوع العام لكل من الشيخ محمد بن خليفة والشيخ محمد بن عبدالله فى سبتمبر 1869، وكان الشيخ محمد بن عبدالله قد تقدم بالتماس للبريطانيين والمقيم السياسى البريطانى إلا أن ذلك الطلب قد رفض وتم التكتم عليه، كما طلب الحماية من قائمقام نجد العثمانى أيضا، أما الشيخ عيسى ابن المقتول الشيخ على فقد تم تعيينه مسؤولا وحاكما من قبل المقيم السياسى البريطانى فى الخليج العربى من قبل حكومة الهند، أما الشيخ محمد بن عبدالله فقد أرسل إلى الهند، وبعد توليه السلطة، تلقى الشيخ عيسى بن على، رسالة من حيدر خان حاكم «دشت»، على الساحل الإيرانى، مصرحا له بأن ينظم له طاعة وحماية شاه إيران، ولكن الأحداث تشير إلى أن ذلك لم يكن ممكنا[1].

تلقى وزير الدولة للشؤون الخارجية الإيرانية، معلومات تفيد بأن الشيخ محمد بن خليفة وأن بريطانيا لديها اهتمامات مشتركة فى البحرين وفى صنع

1 - I. O. L. & R - R/15/2/484 - No. 91 - Submission of Usuring Sheikhs - Sheikh Isa bin Ali becomes sheikh. - Pol. Res - to Govt. of Bombay 165 of 11/9/1869 - 184 of 5/10/1869.

السلام فى البحرين وبالتالى لا تعترض إيران على العقوبات البريطانية، ولكنه احتج بشدة على الاجراءات التى قام بها المقيم السياسى البريطانى من منع الموفد الإيرانى من مقابلة الشيخ فى البحرين وتسليمه رسالة وكذلك وزير الدولة للشؤون الخارجية البريطانى فعل نفس الشىء، وقالت حكومة الهند، بأنه لا سلطة للشاه على حاكم البحرين، وذلك لمنع رسائل الخضوع لإيران من الوصول للبحرين، كما أنه بعد تولى الشيخ محمد بن عبدالله الحكم فى البحرين تجاهلت الحكومة الإيرانية بأنه من العائلة الحاكمة والمستوطنة فى البحرين منذ أمد، ولذلك لا يحق للشاه مطالبة المقيم السياسى البريطانى فى الخليج العربى بشىء، كما تم استدعاء حكومة شاه إيران إلى جلسة الانعقاد ليتم شرح الأوضاع والأعمال التى يقوم بها المسؤولون فى الخليج العربى، ومعارضته لمصالح بريطانيا هناك، بغض النظر عن خضوع محمد وعلى أبناء خليفة لإيران وطلب حمايتها، كما أن حكومة الهند صرحت بأنه ليس لهم شأن فى أمور الشيخ على بن خليفة أو أمره بالطاعة والولاء لإيران، وبالتالى لاسلطة ولا سيادة لإيران على البحرين[1].

تلقى وزير الشؤون الخارجية البريطانية، معلومات بأن الحكومة البريطانية ربما تعانى من استمرار السلطات الإيرانية فى تقديم التماس مع الرئيس القرصانى، المسؤول عن الهجوم على الشيخ محمد بن عبدالله، الذى وصل إلى السلطة بالقوة عن طريق بريطانيا، كما تلقى معلومات بأن الحكومة لا تريد أن تصل لها أية ملاحظات حول المقيم السياسى البريطانى فى الخليج العربى عن تصرفاته فى البحرين، حتى تستطيع الحكومة الإيرانية تقديم شرح كامل حول مضمون رسائلها للشيوخ الحكام فى البحرين[2].

1 - I. O. L. & R - R/15/2/484 - No - 92 - Persian Protst, 1869 70, - Views of Government of India.

2 - I. O. L. & R - R/15/2/484 - No - 93 - British Reply to Persia, March, 1870. - To The, No - 22 - 30/3/1870.

بعث الوزير المفوض البريطانى فى طهران برسالة فى 6/ 4/ 1870، إلى الشؤون الخارجية لحكومة الهند مفادها، بأنه تلقى معلومات من المسؤولين الإيرانيين فى «شيراز» وليس من وزير الدولة للشؤون الخارجية الإيرانية، بأن الشيخ محمد بن خليفة قد عين حاكما بعد مقتل أخيه على بن خليفة، كما أن ميرزا مهدى خان لدى مغادرته «طهران»، تلقى معلومات حول قيادته باتجاه البحرين بأن يحترم شعبها، ولكن التفاصيل تمت فى «شيراز» وأن الفرمان كان باسم الحاكم الفارسى وليس باسم الشاه[1].

تم تسخير كثير من الأمور لمصلحة سيطرة شاه إيران على البحرين، وأن الشيخ على بن خليفة، قد كتب باستمرار ليقر بولائه للشاه وللحكومة الإيرانية، وأن عددا من هذه الرسائل يوجد بحوزته الآن، وقد بدا لدى استيائه للقاء الذى تم بين الحكومة البريطانية وصندوق الشاه فى لندن، أن الإيرانيين يسعون لتوطيد سلطة الشاه فى البحرين، ويفعلون كل مابوسعهم لإمكان تحقيق سيطرتهم ومصالحهم، وابتداع حقوق لهم فى البحرين، وميرزا مهدى خان تم نقله إلى «شيراز» بحيث يمثل مطالب حكومته وينفذ أهدافها، وقد قررت السلطات الإيرانية فى «شيراز» بأن الفرمان يجب أن يرسل للشيخ محمد بن عبدالله وحكومته البحرينية، ويأمل ميرزا خان من أن يتمكن من الوصول إلى صيغة معينة مع حاكم البحرين حول ملكية المكان[2].

يتضح من أقوال الوزير المفوض البريطانى فى طهران والمعلومات التى حصل عليها، بأن إيران كانت تورطت فى أحداث 1869، وشاركت فى مقتل الشيخ على بن خليفة، وكان لدى ميرزا مهدى خان فرمان من حاكم «شيراز» بأن يحكم

1 - I. O. L. & R - R/15/2/484 - No - 94 - April 1870 - from M. of. ther. to Lov. of India.

2 - I. O. L. & R - R/15/2/484 - Ibid.

البحـرين باسم الشاه ويحـسن معـاملة الشعب، ولكن التـدخل البريطانـى أفشل المحاولة الانقلابيـة أو الإطاحة بالحكم العربى فى البحـرين وإحلال الحكم الإيرانى فيـها، مما يعنى أن حكومـة الهند سوف تتخـذ من الآن فصـاعدا مواقف حـازمة ومتـشددة من التدخل الإيرانى فى الشـؤون البحرينية، كـما أنها منعت المبـعوثين الإيرانيين من المجىء إلى البحرين، أو تقديم أية رسـائل إلى حاكم البحرين خوفا من أن تكون هذه الرسائل تحتوى على قبول السيادة الإيرانية على البحرين.

أرسل الوزير المفوض الـبريطانى فى طهران، فى الثـامن من أبريل 1870، رسالة إلى حكومـة الهند مفادها أن ميـرزا خان أرسل له برسالة يقول له فـيها بأن رسالة الشـيخ على بن خليفة الـتى يقر فيـها بولائه لإيران، والتى أخبـر بها وزير الدولة للشؤون الخارجـية الإيرانية إلى وزير الخارجيـة البريطانية هى غير حقـيقة، وأنه وجد من خلال التحـقيق بأن محمد بن خليفـة هو الذى أرسلها وليس حاكم فارس[1].

علقت حكومة الهند على هذه الحـقائق بقولها، إن مهـدى خان، غادر إلى «طهران» ليبحث عن من هو الشـخص الذى يمكن أن يحكم البحرين، وأنه ليس هناك خطة معينة فى الحكومة الإيرانية فى «طهران»، حول كـيفية حكم البحرينيين والسيادة على الجزيرة[2].

تتخوف حكومة الهند البريطانية من أن مطالب إيران فـى البحرين، ستقابلها مطالب أخـرى من جانب الدولة العـثمـانية، وهذا مـا يلوح بالأفق، وهذا يخلق وضعـا أسوأ من وضع إيـران، وكان ذلك قد رفـض من قبل «بالميـرستـون» عام

1 - I. O. L. & R - R/15/2/484 - No 95 - fom M. of ther to Gout. of India 8 th April 1870.

2 - I. O. L. & R - R/15/2/484 - No - 96 - Views of Government of India, May 1870.

1851، وبرأينا يجب أن لا يتكرر ذلك، كما أن قائمقام نجد العثمانى وسلطان عمان، قد يطالب بنفس الشىء، إذا تعقدت مسألة الولاء فى المستقبل وأصبح صعبا، ولهذا يجب اتخاذ الاجراءات الحاسمة من الآن، وعلى هذا الأساس ربما نطالب بأن تكون البحرين جزءاً من الممتلكات البريطانية، ولكن من خلال الوضع فى البحرين الذى نريده ونتعرف به، ورتبنا له، وفى كل معاملاتنا فى الخليج العربى، ومفاوضاتنا مع حكام الخليج العربى، نصل لنتيجة، بأن البحرين دولة مستقلة فى سيادتها، ولن تتبع لأحد، لا للدولة العثمانية ولا لإيران وليس للعثمانيين وليس لقائمقام العثمانى ولا حتى للحكومة البريطانية[1].

نلاحظ مما سبق، ما مدى التخوف البريطانى من وقوع البحرين تحت السيادة العثمانية، حيث كان «الباب العالى» هو الهاجس الأول فى حين كانت الادعاءات الإيرانية والعمانية وكذلك قائمقام نجد العثمانى، لم تشكل خطورة على المصالح البريطانية، مثلما كان الخطر العثمانى وكذلك قررت بريطانيا من جانب واحد إعلان البحرين دولة مستقلة وفى الوقت نفسه عقدت سلسلة من المعاهدات والاتفاقيات، وكانت أقرب إلى الحماية، حتى انتهت تلك الاتفاقيات فيما بعد إلى اتفاقية الحماية، مما يدل ذلك على تناقض أقوال البريطانيين عن أفعالهم على أرض الواقع فى البحرين.

قالت السلطات البريطانية، إنه ليس هناك من واجب يحتم الولاء لإيران من قبل سكان البحرين وحاكمها الشيخ على بن خليفة، ولا حتى من خلال ما كان يقوم به الإيرانيون لرفرفة العلم مدة من الوقت فوق البحرين، وخصوصا حسب وفاق 1868، ولذلك فإن أى ولاء حصل لإيران فى عام 1868 ـ 1869، فإن ذلك يكون من عمل الشيخ السابق محمد بن خليفة، ولاسيما بعد غضبه وتمرده ليطلب

1 - I. O. L. & R/15/2/2/484 - No - 97 - G. of india Desp. No - 28 - of 20/5/1870.

حمـاية إيران للبحـرين، وحيث إن البيـان حول ذلك قد أرسـلته وزارة الخارجـية البريطانية إلى الحـكومة الإيرانية فى 29 أبريل 1869، ويشرح فيـه تبريرات حول شروحات معينة أملتها الضغوط الإيرانية، واحتجاجاتها، ومطالبتها التاريخية بحقها فى الجزيرة، وأن البريطانـيين لم يطالبوا بمثل تلك المطالب بل كل اهتمـامهم فقط بالشؤون البحرينية، لدرجة أنه تم تغيير بعض بنود اتفاقاتهم مع حكامها وملاءمتها للسلام والأمن فى الخـليج العربى [1] (حسب المفـهوم البريطـانى). وأن الإيرانيين ينصبون أنفسـهم أوصياء ومحامين لشيخ البحرين، وما يقومون به من تصرفات فى أراضيهم، ومعاقبـة الشيوخ محمد بن عبدالله ومحمد بن خليفـة ـ تبعا لاتفاقيات 1820 ـ 1861 مع البحرين ـ وكذلك اقترافهم للجـريمة ضد الشيخ على بن خليفة الذى وضعته بريطانيا بالقوة[2].

عندما قـامت الدولة العثمـانية بإرسـال حملة مدحت باشـا، والتى أعادت الاستقرار والسيادة العثمانيـة على منطقة الاحساء، كما تم إدخال قطر تحت السيادة العثمـانية، فإن إيران تخوفت من احتمـال التوسع العثمانى تجاه البـحرين، ولهذا طلب شاه إيران من السلطات البريطانية تقديم إيضاحات عن مجريات الأمور، وما مدى توجه العثمانيين نحو البـحرين، حيث كانت إيران تخشى من دخول البحرين تحت السيادة العثمانية، بعدما كان العـثمانيون نجحوا فى الستينيات من رفع علمهم على البحرين فى عـهد الشيخ محمـد بن خليفة، وكذلك عندمـا دخلت البحرين تحت السـيادة المصريـة عام 1839، وأمام هذا التـخوف الإيرانى، قامـت بريطانيا

1 - I. O. L. & R - R/15/2/484 - No - 98 - Review of Discussions of 1868 - 70.

2 - I. O. L. & R - R/15/2/484 - Ibid.

بطمأنة إيران من أن التوسع العثماني في الاحساء وقطر، لن يشمل البحرين[1]، وأنها تراقب الأوضاع عن كثب، كما قدمت تحذيراً إلى الحكومة العثمانية من مغبة ارسال قواتها إلى البحرين.

الاحتجاج الإيراني على اتفاقية 1880:

فرضت بريطانيا اتفاقية جائرة على البحرين في عام 1880، وهذه الاتفاقية حولت البحرين رسميا إلى مستعمرة تحت الحماية البريطانية، وأن نصوص الاتفاقية تمنع البحرين من التصرف في الشؤون الخارجية، وذلك بعدما حصلت بريطانيا على تفويض كامل من حاكم البحرين بأن تتصرف في الشؤون السياسية والاقتصادية، وتقيم العلاقات والاتصالا - وتعقد الاتفاقيات مع الدول والقوى السياسية والمنظمات، نيابة عن البحرين، وبذلك أصبحت البحرين جزءا من المستعمرات البريطانية وتحت حمايتها[2].

أرسل شاه إيران بعد اتفاقية 1880 بين بريطانيا والبحرين، رسالة إلى الحكومة البريطانية عن طريق الوزير المفوض البريطاني في طهران، ويقول شاه إيران، إن محادثات أبريل 1869، تقر له بحقوق في البحرين وأنه يقوم بدراسة الطريقة أو الكيفية التي سيبسط بها سلطته وسيادته على البحرين، بشكل مؤثر وفعال وذلك إما بإرسال حاكم من قبله يحكم البحرين أو باعتماد الشيخ نفسه كممثل للسلطة الإيرانية، على أن تبقى السلطة التشريعية والقانونية تحت سيادة السلطة البريطانية، وقد رفضت بريطانيا المطالب الإيرانية، وجهزت الحكومة البريطانية ردودها وأنها لم تتفق مع الاطروحات الإيرانية التي جاءت في رسالة الشاه، فالبريطانيون لديهم اتفاقية مع شيخ البحرين الذي يعتبرونه مستقلا ويلزمون

1 - I. O. L. & R - R/15/2/484 - No - British Assurances to Bahrein, 1871. - Lor., I. 919.

2 - I. O. L. & R - R/15/2/484 - No - 109 - Summary 1870 - 80.

حاكم البحرين ببنود الاتفاقية التى وقعوها معه، مقابل التزام بريطانيا بما قرر فى ما جاء بالاتفاقية من الحماية البريطانية والرعاية الكاملة للبحرين طالما شيخ البحرين[1] ملتزم بها. وبعد هذا الرد البريطانى لم يعد الشاه لإثارة هذا الموضوع. كما أرسل حاكم مقاطعة «لار» الإيرانية فى هذه السنة هدايا كثيرة إلى حاكم البحرين الذى رفض تقبلها ورد تلك الهدايا إلى إيران[2].

بدأت إيران من جديد إثارة مشاكل فى عام 87 _ 1888، وخلق فوضى من أجل بسط السيادة والنفوذ الإيرانى فى المنطقة، وبرغم أن بعض تلك المشاكل قد تكون صغيرة بالنسبة للادعاءات الإيرانية فى البحرين، إلا أن القضية الأهم كانت قضية تحويل البحرين إلى ولاية إيرانية وإيجاد ادارة إيرانية، وأن الحكومة الإيرانية كانت قد أقرت وصادقت على إقرار عقوبة سياسية واقتصادية وعسكرية بالبحرين مع برنامج وخطط لمشروع السيطرة على البحرين، وذلك عن طريق الشيخ قاسم ابن محمد قائمقام العثمانى فى قطر، الذى تعهد بإحلال السيادة الإيرانية فى البحرين، وأمام هذه الأحداث والمشاكل وصلت سفينتان من الأسطول البريطانى لشواطئ البحرين فى فبراير 1888، ولديهما تعليمات بصد أى هجوم معاد بالقوة، وردع أية محاولة للاستيلاء على البحرين سواء من قائمقام قطر العثمانى أو من الإيرانيين، كما طلب إلى الوزير المفوض البريطانى فى «طهران» أن يخبر

1 - I. O. L. & R - R/15/2/484 - No - 110 - XI - 1880 - 92 From the conclusion of the First to the conclusion of the Second Exclusive Agreement with Her Majestu's Government - Persian Demarche, 1886. Lor. I, 919. - The. tel 188 - 27/9/1886. - F. O. to I. O. 30/7/1886 - F. O. to The. tel. No - 58 - 8/10/1886.

2 - I. O. L. & R - R/15/2/484 - No. 111 - Lor I, 911.

حكومة «الشـاه» بأن حكومة الهند البريـطانية لن تسمح له ولجنوده بالاقـتراب من البحرين[1].

استمرت إيران فى سلوكها بتحريك ادعاءتها ومطالبها بالسيادة على البحرين بطرق مختلفة ومنـها عندما زار ضابط بلجيكى يعمل فى خـدمة الحكومة الإيرانية بتاريخ 3/ 8/ 1901 البحرين، وهو ضابط فى البحرية الإيرانية، وطلب مقابلة شيخ البحرين وأخبـره برغبة الشاه بوضع موظف رسمى إيرانى فى البـحرين، وقد قدم مثل هذا الطلب فى نفس الوقت إلى حكومة البحرين من قبل وزير الدولة للشؤون الخارجية الإيرانية، وقد رد عليها المندوب البريطانى «هاردنج» بأنه لا يوجد تفويض وغير مسـموح لأى إيرانى يمثل الشاه أو حكومته أن يقـيم فى البحرين، وأن هذه الجزيرة مستقلة وتخضع للقرارات والحماية من قبل الحكومة البريطانية التى لا تقبل بوجود قوة أخرى غيرها فى المنطقة[2].

حدثت فـى عام 1904 ـ 1905 بعض الهـجـمـات على المرافق والرعـايا الإيرانيين فى البحرين مما أدى إلى تقـديم هؤلاء الرعايا شكوى إلى شاه إيران عما لحق بهم من أذى من جراء تلك الهجمات فى البحرين واحتجت الحكومة الإيرانية على ذلك إلى بريطانيا، وهنا ردت الحكومة البريطانية بأنها سـتتخذ اجراءات فعالة لمنع وقوع تلك الهجمات ومعاقبة مرتكبيها[3].

أكـد الإيرانيـون فى عـام 1905 مطالبـهم بالبـحـرين مـرة أخـرى، وفى 19/ 2/ 1906، وردت عدة رسـائل تحث البريطانيين على الاتفـاقيات المبـرمة مع

1 - I. O. L. & R - R/15/2/484 - No. 112 - Lor. I, 920.

2 - I. O. L. & R - R/15/2/484 - No - 120 - the Incident of 1901 - Lor, I, 934 - 6. - The. Desp. No 140 of 18/9/1901.

3 - I. O. L. & R - R/15/2/484 - No - 121 - the Disorders of 1904 - 05. - Lor. I, 938 - 42.

إيران فى الأعوام 1809، 1814، 1857، فقد أخبر الوزير المفوض البريطانى فى «طهران» السلطات الإيرانية، بأن حكومته تضع فى اعتبارها هذه المعاهدات، ولكن لا يسعها الآن الرد على هذه المطالب، فلم تعترف بريطانيا قط لإيران بالسيادة على البحرين، فتلك المطالب ملتصقة دائما برؤسائهم، وتعتبر بريطانيا البحرين ومواطنيها تحت الحماية الخاصة لحكومتها، ويجب أن ترفض أن تتنازل وتجادل فى أى أمر بخصوص هذا الموضوع، كما بعث بنفس هذا الرد على العثمانيين الذين يقولون بمطالب لهم فى البحرين، كما ينتهى البيان إلى استجداء إيران للمساعدة من بريطانيا فى عام 1904 _ 1905، وانتهى بتأكيدات وضمانات (بند 121) بالنسبة للمواطنين الإيرانيين فى البحرين ومن ثم أرسل البيان إلى حكومة طهران[1].

تقدم الإيرانيون بمطالب جديدة فى رسالة تشير إلى الكابتن «بروس» واتفاقيته المعروفة لعام 1822[2]، وقد ردت بريطانيا بأنه تم استدعاء ذلك الكابتن مرة أخرى[3]. وأكد مسؤول إيرانى كبير أن الشاه نفسه رفض اتفاقية 1822 وابدى امتعاضه من كون أمير «شيراز» يدخل فى اتفاقيات وتعاون مع الحكومة البريطانية بدون علمه وتعليماته[4]، وكذلك فإن بريطانيا قد تخلت عن المسؤولية وتنصلت من اتفاقية 1822 وكذلك فعل شاه إيران، كما احتجت «طهران» عام 1908، من

1 - I. O. L. & R - R/15/2/484 - No - 124 - Reassertions of Persian claim, 1905 - 13 - 19/2/1906.

2 - I. O. L. & R - R/15/2/484 - No - 125 - The. Desp. No 3 of 3/1/1907 - The. Desp. No - 61 of 27/3/1907.

3 - I. O. L. & R - R/15/2/484 - No - 126 - The. Desp. No. 179 of 15/8/1907.

4 - I. O. L. & R - R/15/2/484 - No - 127 - The. tel. 95 of 11/4/1908/ - The. Desp. No - 10 of 22/1/1909.

حيث إن حقها فى البحرين لا يمكن أن يتجاهل، جاء ذلك على لسان وزير الدولة للشؤون الخارجية الإيرانية، وقد قبلت «طهران» فى أعوام سابقة، المقترحات المعدلة عن طريق الوزير، وأكدت أن وضع البحرينين من أصول إيرانية، هو مسؤولية إيران فى تمثيلهم، مع قبول إيران بالحماية البريطانية على البحرين[1].

نتائج الدراسة:

اعتادت إيران إثارة ادعاءاتها على البحرين من حين لآخر، ولكن فى هذه الدراسة نجد أن إيران اتبعت أسلوبًا آخر، وهى تقديم الاحتجاج تلو الاحتجاج على الأحداث الداخلية وعلى التصرفات البريطانية تجاه حكام البحرين، ويعتبر هذا الأسلوب من أساليب الحكومة الإيرانية لتأكيد مطالبها وادعاءاتها فى البحرين.

نلاحظ من خلال دراستنا السابقة أيضا، أن إيران كانت تتحين الفرص والأحداث فى البحرين، ولم تكن هذه الاحتجاجات بهدف الدفاع عن حقوق شعب البحرين أو حكامها ضد التصرفات البريطانية، وإنما كانت إيران تهدف من وراء هذه الاحتجاجات، إلى تأكيد مطالبها بالسيادة على البحرين، فلم تمر حادثة فى الفترة من 1862 إلى 1906، إلا واحتجت إيران عليها.

نجد أن معظم الاحتجاجات الإيرانية كانت تتم عن طريق الوزير المفوض البريطانى فى إيران، والذى كان بمثابة السفير البريطانى لدى «طهران»، وكذلك عن طريق وزيرها المفوض الذى كان يمثل السفارة الإيرانية فى لندن، حيث كان يقدم الرسائل والمذكرات الإيرانية إلى الخارجية البريطانية، لأن السياسة البريطانية فى لندن قد تختلف بعض الشىء عن السياسة الخارجية لحكومة الهند البريطانية فى بومباى التى كانت أقرب إلى الأحداث، فى حين كانت الخارجية بعيدة بعض

1 - I. O. L. & R - R/15/2/484 - No. 95 of 95 of 26/4/1910 - O. 3539/ 10.
- P. G. 13, 67, 24.

الشيء عن مجريات الأمور، فكانت كثيرا ما تسأل وتستفسر عن تلك الأحداث من حكومة الهند، ولهذا كانت الردود البريطانية تأخذ بعض الوقت.

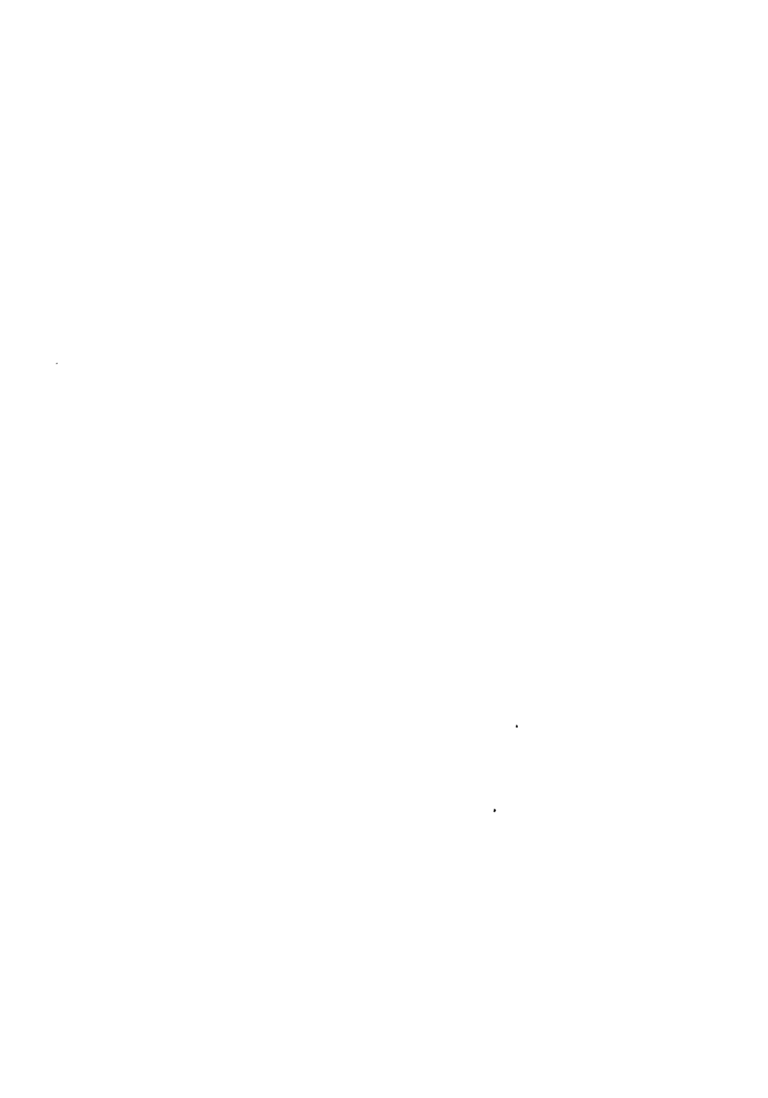
لهذا كانت إيران قلما تقدم الاحتجاجات مباشرة إلى حكومة الهند إلا عند الضرورة، برغم وجود المقر الخاص للمقيم السياسى البريطانى فى الخليج العربى فى مدينة «بوشهر» الإيرانية، حيث كان هذا المقيم السياسى البريطانى لديه الالمام الكامل عن البحرين والمطالب الإيرانية، فإنه عندما كان يدافع عن البحرين، فإن هذا الدفاع لم يكن ناتجًا عن الحقوق العربية، وإنما عن المصالح البريطانية فى الوقت الذى كانت الخارجية البريطانية فى لندن بعيدة بعض الشيء عن مصالحها فى البحرين، ولذا فإن إيران كانت تحاول استغلال هذا التعارض وأحيانا هذا التباين، من خلال تقديم المذكرات والاحتجاجات واستغلال بعض الثغرات، ولكنها لم تنجح فى سعيها أو فى تحقيق أهدافها بالاستيلاء على البحرين، أو تحقيق أية مكاسب سياسية أو اقتصادية فى البحرين فى هذه الفترة، نظرا لوقوف المقيم السياسى البريطانى فى الخليج العربى ضد المطالب الايرانية.

نجد أن إيران فى الفترة ما بين الحربين العالميتين تستفيد من خبرتها السابقة فى الاحتجاجات والمذكرات، لتقديم ادعاءاتها ومطالبها من جديد، وخاصة عن مذكرات «كلارندون» لعام 1869، للخارجية البريطانية والتى ذكرناها سابقا فى هذه الدراسة، والتى سوف تكون لها أهمية فيما بعد عندما تستند إليها إيران فى مطالبها على البحرين لدى عصبة الأمم.

الفصل الرابع



اتفاقية «دراين» لعام 1915 بين ابن سعود وبريطانيا



المقدمة:

تأتى أهمية اتفاقية «دارين» 1915، بعد اتفاقية «الصبيحية» لعام 1914، وذلك لاختلاف الظروف والاوضاع المستجدة على الساحة العالمية بعامة وعلى الخليج والجزيرة العربية بخاصة، وذلك بعد اعلان الدولة العثمانية الحرب ضد الحلفاء مما تطلب الامر لبريطانيا السعى نحو ايجاد حلفاء لها فى المنطقة، وفسخ عرى الصداقة والاخوة الاسلامية بين الاتراك وعرب الجزيرة العربية ومنهم ابن سعود الذى كان قد وقع قبل عام اتفاقية «الصبيحية» والتى بموجبها اصبح قائمقام عثمانى، ولأجل ان تكسب بريطانيا ابن سعود ضد حركة ابن رشيد زعيم قبائل الشمر اليمنية القوية وحليف العثمانيين من جهة ثانية وذلك عن طريق حماية الخطوط الجنوبية للقوات البريطانية التى قامت باحتلال العراق من هجمات ابن رشيد.

تستعرض هذه الدراسة خط سير اتفاقية «دارين» والمباحثات التى جرت حولها، إلى ان تم إخراجها الى حيز الوجود. وذلك من خلال تطلع ابن سعود تجاه بريطانيا واعادة الاتصالات البريطانية مع ابن سعود ومن ثم الدور الخاص للضابط البريطانى «شكسبير» فى اتفاقية «دارين» ثم المسودة الأولى لاتفاقية «دارين» والدور الذى قامت به حكومة الهند فى اقناع الخارجية البريطانية بعقد اتفاقية الحماية مع ابن سعود، وبعدها توقيع اتفاقية «دارين» فى 26 ديسمبر 1915.

تطلع ابن سعود تجاه بريطانيا

اطلع ابن سعود على الاوضاع السياسية الدولية فى شمال الخليج العربى عندما كان لاجئا فى الكويت، ورأى مدى قوة النفوذ البريطانى وتفوقه وسيطرته فى شمال الخليج العربى مقابل ضعف الدولة العثمانية وايران، وكذلك ضعف النفوذ الروسى وتنافسه المانيا فى المنطقة. وهذا ما جعله يتجه الى التفكير فى

الاستعانه بالنفوذ والتأييد البريطانى، وبعد الاستيلاء على الرياض بمساعدة الشيخ مبارك عام 1902، فكر ابن سعود بالاستعانة بالبريطانيين، وتلت ذلك محاولات مختلفة من جانب ابن سعود لكى يظفر بالحماية البريطانية وخاصة فى فبراير عام 1906، حيث ذكر صراحة أنه يريد تأييد الأسطول البريطانى فى حملة تهدف إلى إخراج العثمانيين من الإحساء وعرض فى مقابل ذلك التأييد امتيازات غير محددة تحصل عليها بريطانيا فى بلاده[1].

رحب «بيرسى كوكس» المقيم السياسى البريطانى فى الخليج العربى بهذه الفكرة، وبعث بالمزايا العديدة التى تحصل عليها بريطانيا بعروض ابن سعود إلى الحكومة البريطانية فى لندن، ومنها أنه يساعد على مكافحة «القرصنة».(المقاومة العربية ضد الوجود الاستعمارى البريطانى) التى تجددت بسبب فوضى العثمانيين إضافة إلى أن ابن سعود سيصبح تحت الرقابة البريطانية فلا يجرؤ على مهاجمة مشيخات شرق الجزيرة العربية [2] والتى هى تحت الحماية البريطانية غير أن الحكومة البريطانية كانت ما تزال متمسكة بالسياسة التقليدية بالحفاظ على الدولة العثمانية وعدم التورط فى مواجهة معها فى الجزيرة العربية نظرا لتعاطف القبائل العربية مع الخلافة العثمانية فى عهد السلطان عبد الحميد الثانى، ولهذا فإن الحكومة البريطانية قد رفضت عروض ابن سعود.

تلقى المقيم السياسى البريطانى تقريرا من المعتمد السياسى البريطانى فى البحرين عن استيلاء ابن سعود على الإحساء [3]، وانسحاب الحامية العثمانية من

---

1 - د. صلاح العقاد - التيارات السياسية فى الخليج العربى - مكتبة الأنجلو المصرية - القاهرة 1991 - ص 184.

2 - د. صلاح العقاد - نفس المرجع - ص184.

3 - سجلات الخارجية البريطانية F.O.-371/1820(32590)

برقية من السير «برسى كوكس» المقيم السياسى البريطانى فى الخليج العربى إلى حكومة الهند بتاريخ 5 يونيو 1913، تتضمن فحوى تقرير وصله من البحرين حول اتجاه أفراد من القوة العثمانية إلى «العقير» واستسلامها فيما بعد إلى ابن سعود.

القطيف إلى البحرين فى الأول من يونيو 1913 [1]، كما بعثت وزارة الهند برسالة إلى الخارجيــة البريطانية وفيها مــعلومات لسكرتير الشؤون الخارجـية لحكومة الهند عن ابن سعود [2]، الذى كان قد بعث برسالة إلى «برسى كوكس» المقيم السياسى البريطانى فى الخليج العربى بعد استيــلائه على الإحساء مباشرة فى 8 رجب 1331 الموافق 13 يونيو 1913 يقول فيه:

«بعد الاستفسار عن صحتكم الغالية، نخاطب سيادتكم بالنظر إلى الصداقة القديمة بيننا وبينكم، وإلى المعاهدة الأسبق من ذلك التى تعود إلى عهد المغفور له جدى فيصل بن تركى والتى انقضت من مدتها خـمس وخمسون عاما ويبقى منها خمس وخمسون عاما، وأننى أرغب فى إقـامة العلاقة ذاتها على النحو ذاته الذى كانت عليـه بينكم وبين أجدادى، وهذه الحقـيقة دفعـتنى للإشارة إلى ذلك أولا، لأننى واثق من أنه لن يحـدث شىء لشعبكم (يقـصد فيـه الرعايا البريـطانيين من الهنود فى الأحساء) من شــأنه أن يولد أسبابا قد تكون منافية للصــداقة والقوانين، وقد فتــحنا هذه الأيام بلاد آبائنا وأجدادنا أى الأحساء والقطيف وكـذلك توابعها، وعفونا عن الجنود المتـبقين هناك وأرسلناهم إلى البحـرين لأنه كان من الأيسر لهم أن يتوجـهوا إلى البـصرة من ذلك المكان [3]. وبعد ذلـك تحدث ابن سعـود عن

---

1 - نفس المصدر F.O.371/1820(32590)

2 - سجلات الخارجية البريطانية F.O.371/1820-(38503)

كتاب من وزارة الهند إلى وزارة الخارجـية تبعث إليها معه نسخا من مـرفقات رسالة الهند حول ابن سعود.

3 - سجلات الخارجية البريطانية F.O.371/1820(38503)

كتــاب من ابن سعــود إلى «برسى كوكس» المقـيم السيـاسى البريطانى فى الخليج الـعربى بتاريخ 13 ينيو 1913، ويعرب فيه عن رغبته فى إقامة علاقات ودية مع بريطانيا كما كانت على عهد جده قائمقام العثمانى فى نجد فيصل بن تركى.

التزامه بالاتفاق الذى تعهد فيه بعدم مهاجمته أو تعرضه للمشيخات العربية الواقعة تحت الحماية البريطانية فى شرق الجزيرة العربية بقوله:

«وبالنظر إلى مشاعرى الودية أود أن تكون علاقتى بكم كتلك التى كانت بينكم وبين أجدادى وأن تبقى هذه العلاقة بينى وبينكم من بعدهم.

إذا كانت العلاقة كما فى السابق وكان لزاما على الطرفين كليهما أن يحميا الرعايا، فإننا نلتزم تجاهكم فى ما يتعلق بأولئك الذين هم بطرفنا وبما يخص رعاياكم، وسنحترم شرفهم ونحميهم ونكون مسؤولين عنهم لأنه مازال بعض الناس فى جانبنا يناصبونكم العداء ونطلب معاملة مماثلة منكم إذا كان هذا هو الحال حقا بالنظر إلى الصداقة القديمة والقوانين، نرجو أن تشعر بذلك، أما إذا تغيرت الأحوال وكان الحال على غير ما نتوقع، فنرجو أن تبلغونا حتى نكون على علم بذلك»[1]. وبعث المقيم السياسى البريطانى فى الخليج العربى نسخة من هذه الرسالة وفى ما يتصل بعلاقة ابن سعود الماضية والمستقبلية مع الحكومة البريطانية[2]. وحول هذا الوضع الجديد وعلاقة ابن سعود مع بريطانيا فقد طلب «لويس ماليت» من الخارجية البريطانية إلى وزارة الهند بأخذ الحذر والحيطة فى الاتصال مع ابن سعود [3] وقال: - إننى مكلف بأن أبدى أنه بالنظر إلى أنه من

---

1 - نفس المصدر. F.O.371/1820(38503)

2 - سجلات الخارجية البريطانية F.O.371/1820(3803)

كتاب من السير «برسى كوكس» المقيم السياسى البريطانى فى الخليج العربى إلى حكومة الهند حول علاقات ابن سعود الماضية والمستقبلية مع الحكومة البريطانية.

3 - سجلات الخارجية البريطانية F.O.371/1820(27206)

كتاب من وزارة الخارجية البريطانية إلى وزارة الهند بتاريخ 18 يونيو 1913، تقترح فيه إصدار تعليقات إلى المعتمد السياسى بالامتناع بقدر الإمكان عن الاتصال بابن سعود، وعن عدم إلزام الحكومة البريطانية بأى خط سياسى تفاديا لإثارة شكوك الحكومة العثمانية.

المهم جدا عدم إثارة شكوك الحكومة العثمانية في اللحظة الراهنة، سيكون السير «إدوارد غرى» (وزير الخارجية البريطانية) مسرورا إذا تكرم «ماركيز كرو» (وزير الهند) إن لم يجد مانعا، فأمر بتوجيه تعليمات برقية إلى المعتمد السياسى البريطانى فى الكويت بالامتناع بقدر الإمكان عن الاتصال بأمير نجد وعن عدم إلزام الحكومة البريطانية بأى خط سياسى مهما كان [1].

نلاحظ كيف أن ابن سعود يذكر بالعلاقات التقليدية التى تربط بين بريطانيا وأسلافه السالفين من آل سعود، ويريد إحياء تلك العلاقات التاريخية القديمة القوية، ولم يكن يدرى ابن سعود بأنه فى نفس الوقت كانت تجرى الاستعدادات لتوقيع اتفاقية الأنجلو - عثمانية لعام 1913 فى شهر يوليو القادم فى لندن، ولم يكن لدى المسؤولين البريطانيين أى مجال لإعطاء أى رد واضح، ولهذا اتسم الموقف البريطانى من ابن سعود بالتردد والحذر فى هذه الفترة، وأنه فى الوقت الذى كانت الخارجية البريطانية فى لندن لا تريد التورط بعلاقات مع ابن سعود خوفا على مصالحها الضخمة وامتيازاتها فى الدولة العثمانية، نجد حكومة الهند ورجالها فى الخليج العربى يريدون الإبقاء على الأقل، على العلاقات الودية مع ابن سعود بشكل غير رسمى والاتصال معه بشكل دورى، أى عدم قطع «شعرة معاوية» والحفاظ على استمرارية اللقاء بين الضباط البريطانيين فى الخليج العربى وخاصة فى البحرين والكويت مع ابن سعود، ونجح المسؤولون فى حكومة الهند فى إقناع الخارجية، التى وافقت على طلب حكومة الهند باستمرار تلك الاتصالات بقولها: - «عدم الالتزام بأى خط سياسى مهما كان».

إعادة الاتصالات البريطانية مع ابن سعود:

أرسلت الحكومة البريطانية منذ شهر أكتوبر 1914 بعض قواتها من الهند للمرابطة فى البحرين التى تحولت إلى قاعدة حربية بريطانية، وقبل إعلان

1 - نفس المصدر F.O.371/1820(27206)

العثمانيين الحرب قامت بريطانيا بإعادة اتصالاتها مع حلفائها الثلاثة فى الخليج العربى وهم الشيخ خزعل، الشيخ مبارك، ابن سعود. هذا وترجع استجابة ابن سعود للتحالف مع بريطانيا إلى العلاقات القديمة والمعارك المستمرة مع ابن رشيد زعيم قبائل «الشمر» حلفاء العثمانيين فى نجد، وطلب ابن سعود منذ نهاية عام 1914 وبداية عام 1915 الدخول تحت الحماية البريطانية، ولا سيما أن طلب الحماية يرجع منذ استيلائه على الحكم فى نجد والإحساء، إلا أن ظروف وعلاقة بريطانيا مع الدولة العثمانية بعد اتفاقية 1913 حالت دون تحقيق ذلك الهدف، والآن بعدما دخلت الدولة العثمانية الحرب ضد بريطانيا، فإن ابن سعود أعاد تلك المطالب، فى حين كانت بريطانيا فى أمس الحاجة إليه وإلى العرب الآخرين للتخلص من «إعلان الجهاد» من قبل العثمانيين [1]، فقد طلب ابن سعود من بريطانيا إرسال مندوب بريطانى ليقيم لديه فى الرياض وقد اختير الضابط النقيب «شكسبير» للقيام بهذه المهمة [2]. وأرسل ابن سعود رسالة إلى الكولونيل «بيرسى كوكس» المقيم السياسى البريطانى فى الخليج العربى فى 5 ديسمبر 1914 جاء فيها: -

«تسلمت رسالة من صديقى الكابتن «شكسبير» يطلب فيها أن يرانى، وقد كتبت إليه جوابا عينت فيه محلا للقائنا، لدى لقائنا سأشرح له أمورا لابد وأنه سيبلغكم بها وهى تهم مصالح الأمة العربية وتؤكد العلاقات القديمة بيننا وبين الحكومة العليا البريطانية، إننا لا نزال متمسكين بعلاقتنا القديمة وليس هناك شىء يستطيع أن يغير موقفنا إلا ما قد يسىء إلى ديننا وإلى الأمة العربية، إنكم أفضل الناس من هذه الناحية ونحن نأمل كل خير منكم [3].

1 - د. صلاح العقاد - المرجع السابق - ص 217

2 - د. صلاح العقاد - نفس المرجع السابق - ص217.

3 - سجلات حكومة الهند I.O.R - R/15/5/25

رسالة من ابن سعود إلى السير «برسى كوكس» المقيم السياسى البريطانى فى الخليج العربى مؤرخه فى 17 محرم 1333 هـ الموافق 5 ديسمبر 1914.

لقد وصلنا الآن إلى مكان يسمى «المستوى» وسمعنا بوصولكم إلى البصرة وباحتلال القوات البريطانية لذلك المكان، والمعاملة الحسنة والعادلة والرعاية التى أبديتموها للناس، وهذا مما يزيد فى امتنانى، إذ أن لى فى البصرة أشخاصا أثق بهم وهم جديرون بالاحترام» [1].

استلم الضابط «برسى كوكس» رسالة ابن سعود وشعر بارتياح تجاه مشاعر ابن سعود من الاحتلال البريطانى المسيحى الاستعمارى للعراق ورد عليه مباشرة فى 17 ديسمبر 1914 بقوله:

وصلتنى رسالتكم الكريمة فى ساعة سعيدة هنا فى «القرنة» بيد صديقنا عبد اللطيف بن منديل، وقد سررت بتسلمها كثيرا وكذلك لتلقى ما أعربتم عنه من الارتياح لدى سماعكم باحتلال البصرة وشط العرب ورضا السكان ولا يخفى عليكم ان الحكومة البريطانيا لم تكن لديها رغبة فى دخول حرب ضد الدولة العثمانية ولكن أعمالها العدوانية الناجمة عن دسائس المانيا وتحريضها كانت بدرجة لا تطاق ولذلك لم يكن لدينا بديل آخر. ولكننا كما شرحنا لشعب البصرة والقرنه اننا فى حرب مع الحكومة العثمانية فقط واننا لا نستهدف شيئا ضد الشعب العربى أو بلاد العرب بل إننا على العكس من ذلك نرغب فى ان نكون اصدقاء لهم وسندا ونأمل انهم تحت العلم البريطانى يستمتعون بأقصى الحرية والعدالة، وفيما يتعلق بكم فأرجو أن تزدهر أموركم اكثر من السابق نتيجة ما حصل الآن، منطقتكم ستحرر من المزعجات والتدخلات من جانب الأتراك مما سبق أن عانيتم منه حتى الآن [2].

---

1 - نفس المصدر I.O.R - R/15/5/25

2 - سجلات حكومة الهند I.O.R - R/15/5/25

رسالة ابن سعود من السير «برسى كوكس» المقيم السياسى البريطانى فى الخليج العربى - بتاريخ 29 محرم 1333 هـ الموافق 17 ديسمبر 1914.

الأمل أنه عندما تصلكم رسالتى هذه سيكون صديقكم الكابتن «شكسبير» معكم وهو سيحيطنى علما بما سيجرى بينكم ولكم ان تتأكدوا اننى والحكومة البريطانية سننظر إليها بكل عطف. وخلال ذلك لن نخفق إن شاء الله ان تظهر رعايتنا واهتمامنا بأصدقائكم فى البصرة والزبير[1].

أعاد ابن سعود التأكيد على مطالبه السابقة وطلب الحماية البريطانية والاعتراف وعقد معاهدة وقد وافقت بريطانيا على ذلك وقال ابن سعود: أما فيما يتعلق بالأمور الثلاثة التالية من قبلكم أى وعد الحكومة البهية بحمايتنا ضد الحكومة العثمانية بمنحنا معونتها وحمايتها لنا فى المستقبل ضد أى هجوم أو عدوان قد يأتى من البحر واعترافها باستقلال مشيختى فى جميع أنحاء نجد والاحساء والقطيف وان عقد المعاهدات بيننا سيعقد على وصولنا الى الكويت، اننى مغادر فى هذا التاريخ ومتوجه الى الكويت[2]، واننا سنجرى المفاوضات الشفوية اللازمة لكى نحصل على موافقة صديقتنا حكومة بريطانيا العظمى، آمل ان تواصلوا دعم الصداقة المخلصة بيننا[3]. وقال ابن سعود فى رسالته المؤرخة فى الأول من يناير 1915 ردا على رسائل المقيم السياسى البريطانى الضابط بيرسى كوكس: حمدت الله على سلامتكم وسررت بنجاحكم وكذلك سررت بأن أقرأ ما كتبتموه الى حول نجاحكم فى القرنة وأرجو لكم التوفيق الدائم وبعد ذلك كتبتم لى كما وعدتمونى فيما يتعلق بحسن المعاملة والرغبة فى الخير والعدل، اما فيما

---

1 - نفس المصدر I.O.R - R/15/5/25

2 - سجلات الخارجية البريطانية (F.O.371/2479(21633

كتاب ابن سعود إلى برسى كوكس» المقيم السياسى البريطانى فى الخليج العربى والقنصل العام للحكومة البريطانية فى بوشهر بتاريخ 9 محرم 1333 هـ الموافق 28 نوفمبر 1914، حول طلب بريطانيا إليه التعاون لتحرير البصرة بالتعاون مع شيخى الكويت وعربستان وعزلها عن السيادة العثمانية، يشرح موقفه ويبدى تأييده لبريطانيا ويدعو إلى إجراء مباحثات.

3 - نفس المصدر (F.O.371/2479(21633

يتعلق بى فقد بعثتم فى نفسى الأمل انه نتيجة ما تم من امر احتلالكم هذه البلاد فسيكون لدينا اعظم من السابق للرضا وان البلاد ستكون بمأمن من استبداد الحكومة التركية التى عانينا منها فى الماضى، إننى شاكر لهذا وليس هناك شك بأنكم اعدل الناس واكثرهم تقديرا لحقوقنا وحقوق الناس المحترمين واننى كنت معتزا دائما بمشاعر الصداقة والاحترام نحوكم ولا أفكر بأى أمر يكون معارضا لرغبتكم[1]. اننى مقتنع بأنكم صادقون وعادلون اما فيما يتعلق بأمورى فإننى سأشرحها لك بالتفصيل بعد التشاور مع الكابتن «شكسبر» والآن قد تسلمنا بكل احترام امركم، واننا مقتنعون بأن مصلحتنا وشرفنا يتوقفان على اطاعة أوامركم[2].

الدور الخاص لضابط الاستخبارات البريطانى «شكسبير» فى اتفاقية «دارين»:

رغم اعتماد البريطانيين على الشريف الحسين، ما كان بوسعهم ان يتجاهلوا ابن سعود، وكانوا يريدون من ابن سعود شيئا واحد هو ان يشل حركة حليف العثمانيين «ابن رشيد»الذى يهدد جناح الجيش البريطانى فى جنوب وادى الرافدين بقبائل «الشمر»[3]. مما يعيق الاحتلال البريطانى للعراق بسبب مقاومة وهجمات الشمر القوية ضد قوات الاحتلال المسيحى البريطانى. وعندما بدأت العمليات العسكرية فى جنوب العراق استدعى المقيم السياسى المسيحى البريطانى فى الخليج العربى السير «برسى كوكس» مخبره الموهوب الضابط «شكسبير» من اجازته وارسله الى ابن سعود[4].

1 - سجلات حكومة الهند I.O.R - R/15/5/25

رسالة من ابن سعود إلى السير «برسى كوكس» - المقيم السياسى البريطانى فى الخليج العربى بتاريخ 15 صفر 1333 هـ - الموافق الأول من يناير 1915، يؤكد فيه صداقته لبريطانيا ويبدى أن السيد طالب النقيب مخلص لها يرجو أن ترعاه بريطانيا.

2 - نفس المصدر I.O.R - R/15/5/25

3 - السكس فاسيلييف - تاريخ العربية السعودية، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر - بيروت 1995 - ص 307.

4 - اليكس فاسيييف - نفس المرجع ص 307.

جاء اختيار الضابط «شكسبير» لمهمة اعادة التحالف والصداقة مع ابن سعود نظرا لخبرته السابقة وعلاقته مع ابن سعود عندما كان معتمدا سياسيا فى الكويت. تعتبر هذه الخطوة تحولا كبيرا فى السياسة البريطانية تجاه ابن سعود الذى كانت بريطانيا تعتبره اميرا قبليا داخليا[1]، وكان قد اعقبت ذلك خطوة أخرى بالخطاب الذى ذكرناه سابقا من بريطانيا تطلب التعاون من ابن سعود مع شيخ عربستان والكويت لاحتلال البصرة مقابل تعهد بريطانيا بصد أى اعتداء يقوم به العثمانيون عن طريق البحر أو البر، والاعتراف به كحاكم مستقل فى نجد والاحساء ومن ثم ابرام معاهدة حماية تثبت رسميا تلك المقترحات[2]، غير ان ابن سعود لم يستطع القيام بأى عمل عسكرى لاحتلال البصرة وذلك لوجود قبائل «الشمر» اليمنية القوية فى «نجد» مما حال دون تقديمه المساعدة لبريطانيا ولهذا تم ارسال الضابط «شكسبير» لتذليل هذه العقبة، ولتقديم اقتراح عن عقد اتفاقية الحماية مع كتابة تقرير شامل للأوضاع فى وسط الجزيرة العربية.

غادر الضابط «شكسبير» الكويت فى 12 ديسمبر 1915 ووصل مخيم ابن سعود فى 31 ديسمبر قرب الكويت ولكن نظرا لفقر المراعى شمالى الدهناء ووجود قوة كبيرة من «الشمر» اضطر ابن سعود الى نصب خيامه فى «الخفسة» الى الجنوب الغربى من الكويت بحوالى ثلاثمائة وثلاثين ميلا تقريبا واستقبله ابن سعود واخوانه بكل ترحاب، ثم كتب شكسبير تقريرا عن الحالة السياسية العامة وعن الحملة ضد قبائل الشمر بقيادة ابن رشيد، وعن علاقة بريطانيا بابن سعود وقال فى تقريره:

تملص ابن سعود من العثمانيين حين تسلم خطاب من بريطانيا فى

---

1 - د. فتحية النبراوى ود. محمد نصر مهنا - الخليج العربى - منشأة المعارف - الإسكندرية - ص 335.

2 - د. فتحية النبراوى ود. محمد نصر - نفس المرجع - ص 335.

20/ 10/ 1914 بأنها سـوف توفد الكابتن شكسبـير اليه وكان خـلال هذه المدة قد تسلم رسائل وبرقـيات ووعودا من الباب الـعالى لكنه كاث مؤمـلا على أن إيفادى يدل على ان الحكومة البريطانيـة أخذت تنظر مجددا فى طلبه القـديم لوضعه تحت الحماية البريطانيـة، استمر ابن سعود على موقف التملص من العـثمانيين ثم تسلم فى نهاية اكـتوبر الرسائل من «كرنل غـراى» التى تحمل رقم 41 - C والمؤرخة فى 21/ 10/ 1914 وبعد ذلك جاء فى منتـصف نوفمبر 1914 اعلان الحرب بين الدولة العثمانية والبريطـانية والوثائق المذكورة فى رسالة الكويت التى تحمل رقم 45 - C والمؤرخة فى 7/ 11/ 1914 وضمنـها رسالة لـتأكيـدات من وكيل المقـيم السيـاسى البريطانى فى 3/ 11/ 1914 وقد طلب من ابـن سعود فى هذه الوثيـقة الأخـيرة ان يتعهد بالحرب علنا ضد الدولة العثمانية وتقوم الحكومة البريطانية مقابل ذلك:

1 - بضمانة ضد أى هجوم من الدولة العثمانية.

2 - بضمانة ضد اى هجوم من البحر.

3 - بالاعتراف بوضعه الواقعى فى نجد والاحـساء واعلامه بموافقة الحكومة البريطانية واستعدادها للدخول فى عقد اتفاقية الحماية (الذى كان ابن سعود يسعى من أجلها منذ فترة طويلة).

وجد ابن سعود نفسه فى موقف صعب، فهو يثق بالحكومة البريطانية ثقة لا توازيها الثقـة بالآخرين، وهو يرغب فى أوثق الصلات معهـا وكدليل على صدق ذلك عرض نفسه لبعض الأخطار، والآن طلب اليه ان يتـعهد بالحرب العلنية ضد اقوى اعدائه واعنفـهم وهم العثمانيون، وجاء ذلـك الطلب من الدولة التى اخبرته الا وهى بريطانيا قـبل ستة اشهر ويقـصد به اتفاقية «الصـبيحية» بأنـها لا تستطيع التوسط لأجله وتركته وحـيدا فى التفاهم مع العثمانيين. وصـحيح بان ابن سعود

تسلم تأكيدات بريطانية لحمايته موخرا لكن الوثيقة عبارة عن رسالة غامضة ولم تعين هل هذا التأكيدات محددة فقط بالحرب الحاضرة أى الحزب العالمية لأولى أو تمتد أيضا الى المستقبل، كذلك لم تصرح هل تطلب منه شروط أخرى بعد ذلك ولا تعتبر أداة ملزمة بين فريقين فى المستقبل، يضاف إلى ذلك أن المنطقة محاطة من الغرب بالحجاز قبل أن تعلن الحرب ضد العثمانيين ومن الشمال قبائل الشمر القوية يحكمها اتباع الدولة العثمانية، فإذا أدت المكائد والمساعدة العثمانية فى المستقبل الى مجموعة أقوى من ان يستطيع ابن سعود مجابهتها بمفرده فإلى أى حد سيطبق التأكيدات البريطانية؟ ونظرا لهذه الامور المجهولة فإن خطر تعرض نفسه وبلاده للعدوان المستمر من جانب الدولة العثمانية واتباعها الذين تستطيع ان تحركهم ضده كان اعظم مما يمكنه الاستخفاف به ولكنه كدليل على رغبته الصادقة فى مساعدة الحكومة البريطانية بدون ان يعرض نفسه للخطر بصورة لا أمل فيها فإنه أوقف ابن الرشيد زعيم قبائل الشمر الموالى للعثمانيين فى محله، وحث وطلب من شيوخ وامراء العرب بالمثل الذى ضربه بالوقوف مع بريطانيا ضد الدولة العثمانية[1].

يقول الضابط البريطانى «شكسبير»: بذلت جهدى لازلة المخاوف التى ابداها ابن سعود فيما تقدم ذكره سابقا ولكنى لما وجدت أنه لا يرضى بأى شيء دون عقد «معاهدة الحماية» يصرح مؤادها بوضوح على واجبات الفريقين ولأجل تركيز ما كان فى ذهنه، اقترح على ابن سعود بأن الامور التى يكون مستعدا لقبولها وما

---

1 - سجلات حكومة الهند I.O.R - R/15/5/25

المعسكر 17 - جزيرة العرب الوسطى - الرقم 1915 - 13 - S(سرى) - البصرة 4 يناير 1915 - التقرير الأخير للكابتن «شكسبير» قبل مقتله بعشرة يوما، من الكابتن «و هـ ى شكسبير» - الضابط السياسى بمهمة خاصة - إلى المقيم السياسى البريطانى فى الخليج العربى حول زيارته لابن سعود ومحادثاته معه.

يرغب فيه، وقد وافق على ذلك، ولى الشرف ان ارسل طيا صورة للمسودة لاتفاقية الحماية وان ابن سعود يفهم جيدا ان هذه المسودة ليست سوى محاولة لإنتاج شيء نهائى الى حد ما للعمل بموجبه وان من المحتمل أن يجرى عليها تغيير كبير بادخال بعض الشروط والغاء بعضها، ولكن اذا رغبت الحكومة البريطانية فى تغيير الشروط فيجب أن يكون مفهوما ان ابن سعود لا ينوى ترك موقفه المحايد مع حرية اتخاذ ترتيباته الخاصة مع العثمانيين، وهو واثق من انه يستطيع ان يحصل منهم على ما يكون الخيار الثانى الافضل الى ان يتسلم معاهدة موقعة ومختومة مع الحكومة البريطانية، ولا يتحرك خطوة أخرى نحو جعل الامور أسهل لنا واصعب للعثمانيين فيما يتعلق بالحرب الحالية أى الحرب العالمية الاولى حتى يحصل فى تلك المعاهدة على ضمان قوى جدا لوضعه مع بريطانيا فى وضع يشبه عمليا وضع التابع للمتبوع، فإذا صح هذا فإنه يمكن الاعتماد عليه فى استعمال كل موارده ونفوذه الواسع فى بلاد العرب الى جانبنا ليس فى الحرب العالمية الحالية فحسب ولكن بعدها ايضا ضد الشريف الحسين الذى يريد توحيد العرب ، واستمراره بعد عقد معاهدة الحماية على عدم عقده صلات مع اية دولة أجنبية قبل ان يراجعنا وهو يلتمس ان يتخد قراراً بأسرع ما يمكن لأن موقفه المحايد يعرضه للشبهة كثيرا لدى الدولة العثمانية، واذا لم يتم اتفاق واسع سريع معنا فإنه لأجل الدفاع عن نفسه ولتفادى الانتقام يكون عليه ان يقدم دليلا عمليا على نياته للوقوف الى جانب العثمانيين وهذا لا يعنى وجود أى تهديد لأن كراهية العثمانيين المرة هى شعور متسلط على ابن سعود، لكنه يعلم انه بدون حماية بريطانية لابد له من مصالحة عدوه واثبات كونه صديقا مخلصا وإلا فليس عنده طريق وسط[1].

يتابع شكسبير تقريره بقوله: أتجاسر فأعرض ان ابن سعود لا يطلب فى الحقيقة سوى ما يزيد قليلا على ما تقدم له بالفعل فى تأكيدات وكيل المقيم

1 - نفس المصدر I.O.R - R/15/5/25

السياسى البـريطانى فى الخليج العربى، فيما إذا كانت هذه التـأكيدات تنطبق على المستقبل، ولم تكن مـحصورة فى أوان الازمة أو الحرب الحالية، وفيـما إذا فسرت هذه التأكيـدات بحرية وسخاء فيعـرض ابن سعود مقابل ذلك ان يجـعل من نفسه تابعا لبريطانيـا الى النهاية ويظهر ان مسؤوليـاتنا تجاه ابن سعود ليست صـعبة وانما سهلة وهى كالاتى:

أولا: ان التهديدات العثمانية من غرب نجـد وشمالها. ولو انها حقيقة لابن سعود ليس من شأنها أن تقلقنا، فلا سـبب هناك للافتراض بأنها تكون ناجحة فى المستقبل اكـثر مما كانت فى السنوات العشرين أو الثلاثين الآخـيرة بينما يكون ابن سعود بضمـان عدم الهجوم عليه بحرا فى وضع افضل كثـيرا لرد هذه التهديدات مما كان عـليه فى الماضى، إذا أصـبحت مهـددة تهديدا شـديدا فإن احـتجـاجات الدبلوماسية قوية يحتمل أن تكفى لمنع اية محاولة على قياس لا يستطيع ابن سعود نفسه التغلب عليه.

ثانيا: ان ندعى الـى العمل كمـحكمين الى درجة مـا اكثر مـن السابق بين شيوخ العرب على الساحل وابن سعود، وهو واجب يكون على الأخص لمصلحتنا ومن الجهة الآخرى تكون المنافع عظيمة فى:

1 - السيطرة الكاملة على الساحل الغربى من الخليج العربى.

2 - سيطرة كاملة مماثلة على تجارة السلاح.

3 - المنع عمليا للدول الأجنبية وتأثيرها فى وسط الجزيرة العربية.

4 - الأمن الناشئ عن السيادة الـبريطانية، وسيطرة ابن سعـود على القبائل البدوية سوف يكون حافـزا عظيما للتجارة فى موانئ الخليـج العربى ومن المحتمل تحويل جزء مما يمر الآن بموانئ البحر الأحمر.

5 - التأثير الكبير الذى لابن سـعود على الرأى الإسلامى فى العالم العربى

وهو تأثير من المحتمل أن يزيد حين تتمزق الدولة العثمانية الإسلامية وتكون خلافة السلطان موضع التساؤل وفى ذلك منفعة لبريطانيا.

6 - نفوذ ابن سعود على جميع العشائر العربية وخاصة عنزة الشمالية التى سوف تكون على اتصال وثيق بنا بسبب احتلالنا لجنوب العراق.

اختتم الكابتن «شكسبير» الضابط فى الاستخبارات البريطانية مهمته الخاصة بقوله: إن موازنة المسؤوليات التى سوف نتحملها بالمنافع التى يحتمل أن تنشأ عن عقد معاهدة الحماية البريطانية حسب خطوط المسودة الأولية المرفقة تقع على عاتق السلطات العليا، لكننى أتجاسر فأكرر الأهمية الكبرى للقضية، وابن سعود مستعد للاجتماع بالسير «برسى كوكس» على مقربة من «الزبير»، لكنه لن يمضى نحو الشمال إلا بعد أن يسوى الأمور مع ابن رشيد زعيم قبائل الشمر القوية التى تحارب بريطانيا، وحتى فى ذلك الحين أيضا فإنه لن يفعل ذلك ما لم تأخذ المعاهدة التى يرغب فيها شكلا واقعيا بالفعل يكون على استعداد لقبوله، والسبب الذى يبديه هو أنه لا يستطيع تحمل مجازفة أخرى لإغضاب الحكومة العثمانية إلا إذا استوثق من الحماية البريطانية التى التمسها من قبل لأنه لا يستطيع مغادرة بلاده، وأجرؤ فأقول إن وقتا طويلا قد يوفر بالنظر إلى صعوبة الاتصال فى الظروف الحاضرة فيما إذا منحت صلاحية المفاوضة مع ابن سعود وبلغت عن مسودة المواد المقبولة لدى الحكومة البريطانية وتلك التى لا يمكن قبولها، ويرغب ابن سعود خصوصا فى أن لا يثار أمر هذه المفاوضات مع الشيخ مبارك الصباح الذى لا يحظى الآن بثقته التامة [1].

المسودة الأولى لاتفاقية «دارين»:

سوف نورد المسودة الأولى لاتفاقية دارين والتى قام بإعدادها الضابط فى الاستخبارات البريطانية شكسبير وأرسلها إلى حكومته البريطانية للموافقة عليها

1 - نفس المصدر I.O.R - R/15/5/25

وإجراء التعديلات الممكنة حسب المصلحة البريطانية [1] وهى كما يلى بلسان ابن سعود:

1 - أن تعرف الحكومة البريطانية وتقبل أن نجدا والإحساء والقطيف وما حولها والموانئ التابعة لها على سواحل الخليج العربى تعود إلىَّ، وهى إقليم آبائى وأجدادى وأننى الحاكم المستقل لها، وتكون بعدى لأبنائى وسلالتهم بالوراثة، وأن الإقليم المذكور هو إقليم مستقل لا حق للتدخل فيه لأية دولة أجنبية.

2 - أن تعلن الحكومة البريطانية حدود هذا الإقليم شمالا وجنوبا وشرقا وغربا، وبرا وبحرا، وفيما يتعلق بالبدو الرحل الذين يتنقلون بين البلدان المجاورة وهم إما تحت الحماية البريطانية أو مباشرة تحت الحكم البريطانى، وإذا نشأ خلاف بينى وبين رؤساء تلك البلدان تقدم الشكاوى فى هذه الأمور، فإنها تحل وفقا للملكيات وعوائد الآباء والأجداد.

3 - إن القضاء الحاضر فى جميع أقاليمى يستمر لقوانين الشريعة الإسلامية، وكل الذين يقيمون فيها يكونون خاضعين لهذه الشريعة فى كل الأمور أو يكونون خاضعين للقانون الاعتيادى للبلدان التى يكونون فيها، وذلك سواء كانوا من رعاياى أو رعايا الدول المجاورة لأقاليمى فبسبب العهد الدينى نحن لا حول لنا ولا نستطيع تجاوزها.

4 - لن يؤذن لأى أجنبى بالحصول على شبر من أقاليمى فى الحدود المعنية حتى ولا عن طريق التبادل إلا بعد الرجوع إلى وبإذنى.

5 - بعد الإقرار بما تقدم من المواد تعد بريطانيا بمنع ومدافعة كل اضطهاد واعتداء يقع أو يحدث على أقاليمى برا وبحرا من جانب أية دولة كانت.

1 - سجلات الخارجية البريطانية F.O.371/2479(30472)

من ابن سعود إلى المقيم السياسى البريطانى فى الخليج العربى - حول المسودة الأولى لعقد اتفاقية «دارين» بين ابن سعود والحكومة من قبل ابن سعود.

6 - تعد بريطانيا بألا تسمح ولا تشجع ولا تمنح ملجأ للأشخاص المتهمين أو الفارين من أقاليمنا سواء كانوا من المدنيين أو البدو الرحل.

7 - تحترم بريطانيا وتحمى حقوق رعاياى وتعاملهم كما تعامل رعاياها أنفسهم حين يكونون مقيمين فى أقاليمها وتوابعها.

8 - إذا قبلت بريطانيا وأقرت بالمواد السابقة فعندئذ أقبل وأقر قطع المراجعات مع أى دولة أخرى فى جميع شؤون الامتيازات والمداخلة والاتصال إلا بعد مراجعة الحكومة البريطانية.

9 - أتعهد بحماية التجارة فى داخل أقاليمى من كل اعتداء وأن أتعامل مع راعاياها حسب المعاملة التى يتعامل بها رعاياى فى جميع شؤون الحكم والتجارة فى بلاد بريطانيا وتوابعها.

10 - أتعهد بالحماية فى السواحل والموانئ الخاضعة لحكومتى من كل اعتداء على رعايا الحكومة البريطانية وأولئك الذين تحت حمايتها.

11 - سوف أمنع المتاجرة بالأسلحة والعتاد سواء كان من قبل حكومة أو من قبل التجارة فى كل الموانئ الخاضعة لحكومتى بشرط أننى إذا دعت حاجتى إلى أى شىء من السلاح والعتاد فإنى أتوجه إلى الحكومة البريطانية للحصول على ما أحتاج إليه [1].

علق أحد المسؤولين البريطانيين على تلك المسودة والتقارير التى أعدها ضابط الاستخبارات البريطانى شكسبير عن مهمته الخاصة إلى ابن سعود بقوله: «إن هذا التقرير الطريف لابد أن يكون واحدا من آخر التقارير التى كتبها الكابتن

---

1 - نفس المصدر F.O.371/2479(30472)

«شكسبير» قبل مقتله، ولعله آخرها جميعا. إنه يؤكد مرة أخرى على الفوائد العظيمة لدعم ابن سعود من كل قلوبنا» [1].

إقناع حكومة الهند للخارجية البريطانية بعقد اتفاقية الحماية مع ابن سعود:

بعثت وزارة الخارجية البريطانية رسالة إلى القائم بالأعمال البريطانية فى القاهرة 6/1/1915 بأن ابن سعود أرسل رسالة إلى الحكومة البريطانية يبدى فيها وقوفه إلى جانب بريطانيا ضد الدولة العثمانية، [2] وأن لهجة رسالته تبدو مرضية للغاية [3].

ردت حكومة الهند بوجهة نظرها تجاه مسودة الاتفاقية التى قدمها ابن سعود لبريطانيا إلى مقيمها السياسى فى الخليج العربى فى 21 يناير 1915 وفيها الملاحظات التى يجب أن تراعى فى عقد اتفاق مع ابن سعود وذلك بقولها بأنه لأجل تثبيت ولاء ابن سعود فإن معاهدة تفصيلية على الأسس التى اقترحها ابن سعود نفسه، وأوصيتم بها أنتم، محفوفة بكثير من الصعوبات منها مثلا ما يتعلق بالسلطة القضائية على الرعايا البريطانيين المسلمين، الحدود، ضمانات وراثة الحكم، ليس من الممكن لمعاهدة مبدئية أن تعقد على غرار المعاهدة مع أفغانستان لتحقيق الأغراض التالية:

---

1 - نفس المصدر F.O.371/2479(30473)

ملاحظات وتعليقات عن تقرير الكابتن شكسبير قبل وفاته بتاريخ 17 مارس 1915 كتبه لانسيلوت أوليفانت

2 - سجلات الخارجية البريطانية F.O.371/2479(1488)

الرقم - (10) - برقية من وزارة الخارجية البريطانية إلى المستر تشيتام - القائم بأعمال المعتمد البريطانى فى القاهرة بتاريخ 6 يناير 1915، تعلمه فيها بأن ابن سعود كتب رسالة أبدى له فيها أنه سينحاز إلى جانب بريطانيا.

3 - نفس المصدر F.O.371/2479(1488)

1 - تعترف الحكومــة البريطانية بابن سعود حاكـما مستقلا لنـجد والإحساء والقطيف.

2 - فى حالة وقوع اعتداء بدون استفـزاز على أراضيه من قبل دولة أجنبية تكون الحكومة البريطانية مستعـدة لمساعدة ابن سعود على درئه بالطريقة، وإلى أى مدى، اللذين يبدوان للحكومة البريطانية ضروريين.

3 - وفى مقـابل ذلك يوافق ابن سعود على أن لا يـكون له أى تعامل مع دولة أخرى وألا يمنح أى امتيازات لرعايا أيـة دولة أخرى إلا بنصيحة من الحكومة البريطانية، وهى النصيحة التى سيتبعها بدون تحفظ.

4 - إضافة إلى ذلك توافق الحكومـة البريطانية وابن سعـود، على أن يعقد فى أسرع وقت يمكن فيه ترتيب هذا، بمعاهدة قنصلية فيما يتعلق بالأمور الأخرى التى تهم الطرفين بصورة مشتركة [1].

تقترح حكومة الهند، إذا وافقتم على أن من المرغـوب فيه عقد معاهدة على هذه الأسس وعلى احتمـال أن تحظى بقبول ابن سعود، أن تتقدم بـتوصيات بذلك إلى وزير الهند، وهل ترون من المرغوب فيه أن تقدم هدية مـالية معلقة على عقد المعاهدة كدليل على نياتنا الودية المخلصة؟ وفى تلك الحالة ما هو المبلغ الذى ترون أنه سيكون كافيا لهذا الغرض؟ [2].

---

1 - سجلات الخارجية البريطانية F.O.371/2479(21633)
الرقم D.S.-81 - برقـية من سكرتيـر حكومة الهـند إلى «السيـر برسى كوكس» المقـيم السياسى البريطانى فى الخليج العربى بتاريخ 21 يناير 1915، تؤيد فيها عقد اتفاقية مع ابن سعود لأجل تثـبيت ولاته وتستفسـر فيما إذا كان من المـرغوب فيه تقديم هدية مـالية إليه لحمله على عقد الاتفاقية.

2 - نفس المصدر F.O.371/2479(21633)

جاء موقف «برسى كوكس» المقيم السياسى البريطانى فى الخليج العربى موافقا على اقتراحات حكومته فى الهند، وبعث ببرقية إلى سكرتير حكومة الهند بتاريخ 23 يناير 1915 بقوله بأنه يتفق فى أن المعاهدة المبدئية على الأسس المقترحة مرضية أكثر فيما إذا وافق عليها، وأننى أميل إلى الظن بأنه سيفعل وفى حالة عدم موافقته أعتقد أن الضمانات الخاصة بوراثة الحكم يمكن جعلها غير ضارة يجعلها مشروطة بقبول العشائر للوريث وموافقة الحكومة البريطانية أسوة بما تم مع شيخ عربستان [1] أما فيما يتعلق بالرعايا البريطانيين المسلمين فأظن أنه سيكون مستعدا لاستثناء الهنود البريطانيين وأن الذى فى ذهنه بصورة رئيسية هم رعايا المشيخات العربية، وبخصوص تقديم هدية مالية، فإننى لا أعتقد أنه سيوقعها معنا كوسيلة لإقناعه كما أننى لا أحبذ إعطاءها بهذه الصيغة ولكن الحالة تكون مختلفة إذا طلبنا إليه ووافق على تجنيد رجال قبائله للتعاون معنا فى سيرنا تجاه احتلال العراق ، ونستطيع عندئذ أن نمنحه شيئا لقاء مصاريفه بحوالى خمسة آلاف جنيه استرلينى مثلا [2].

نظراً لتلك القناعات لدى حكومة الهند بضرورة عقد اتفاقية الحماية مع ابن سعود فقد أرسلت وزارة الهند كتابا إلى وزارة الخارجية تطلب موافقتها على ذلك مبديا المبررات وطريقة التعامل مع ابن سعود بقولها: بأن الرغبة فى عقد معاهدة مع ابن سعود لا تنسجم فقط عن الضروريات الحالية التى تحتم دفع ثمن فورى

---

1 - سجلات الخارجية البريطانية F.O.371/2479(21633)

الرقم 105-B - من السير «برسى كوكس» - المقيم السياسى البريطانى فى الخليج العربى - البصرة - إلى سكرتير حكومة الهند - دائرة الشؤون الخارجية والسياسية - «دلهى» بتاريخ 23 يناير 1915، حول الاتفاقية المقترح عقدها مع ابن سعود لا يحبذ إعطاء الهدية المالية كوسيلة لإقناعه بتوقيع الاتفاقية بل لقاء مصاريف تجنيد رجاله لمساعدة بريطانيا.

2 - نفس المصدر F.O.371/2479(21633)

لصداقته بل أيضا عن الوضع العام الذى سيطرأ على الخليج العربى كنتيجة للحرب الحالية، وسيكون من الضرورى لمصلحة السلم والنظام فى الخليج العربى التوصل إلى ترتيبات عملية معه ولذلك فإن مدى الاستجابة لادعائه يجب أن لا تقاس بمقدار الخدمات التى ينتظر منه أن يقدمها حاليا، بل بما يتوقع أن يكون له من قدرة على إلحاق الضرر فى حالة نجاحه، تلك القدرة التى لاشك فى أنه سيمارسها فى حالة التخلى عنه ونبذه بصورة دائمة [1].

أما فيما يتعلق بشروط الاتفاقية التى اقترحتها حكومة الهند فإن التعهد ببقاء الحكم فى سلالته هو أساس المشكلة ولكن يبدو أن الاحتياطات المقترحة تزيل أى اعتراض معقول. أما بالنسبة للضمان ضد الاعتداء بدون استفزاز فى رأى اللورد «كرو» وزير الهند يجب أن تصاغ عبارته بحيث تجعل الحكومة البريطانية المرجع الوحيد فى الحكم على طبيعة المساعدات التى ستقدم ومداها. ومع مراعاة هذه الملاحظات يعرض اللورد «كرو» مقترحات حكومة الهند على السير «إدوارد غرى» وزير الخارجية للنظر فيها بعين العطف إنها قضية تتعلق باحتواء المعاهدة الحالية بالنظر لأهمية العلاقات مع ابن سعود على فقرة تلزمه بشرط اتفاق يتعلق بالحدود فى المعاهدة التفصيلية التى ستعقد فيما بعد بالامتناع عن التدخل فى الكويت والبحرين وقطر وساحل عمان ويقترح اللورد «كرو» عرض هذا على حكومة الهند مع ترك الأمر لتقديرها[2].

أرسل نائب الملك فى الهند برقية إلى وزارة الهند فى 25/1/1915 بأن آمال ابن سعود فى الحصول على معونة مادية بريطانية قد انتعشت نوعا ما حينما علم

---

1 - سجلات الخارجية البريطانية. F.O.371/2479(11837)

(كتاب مستعجل) من وزارة الهند إلى وزارة الخارجية البريطانية بتاريخ 30 يناير 1915، حول موقف ابن سعود من بريطانيا وعقد اتفاقية معه وشروطها.

2 - نفس المصدر F.O.371/2479(11837)

أن الكابتن «شكسبير» سيوفد إليه رسالة من الحكومة البريطانية ولكن بدون أن تكون بيده معاهدة فعلية معنا، [1] فإنه لم يكن بوسع ابن سعود أن يستجيب بصورة مباشرة لطلبنا الذى جاء بعد ذلك بأن يتقدم نحو البصرة، كما أنه لا يستطيع أيضا أن يلتزم نفسه أكثر من ذلك حتى يحصل على معاهدة موقعة توفر له ضمانا فعليا لوضعه تحت الحماية البريطانية [2].

بعث نائب الملك فى الهند ببرقية أخرى فى 1915/1/29 إلى وزارة الهند يطلب فيها ضرورة تعجيل التوصل إلى اتفاقية مع ابن سعود، [3] ويقول: إننا نعتبر اتفاقية مع ابن سعود فى وقت مبكر أمرا بالغ الأهمية [4] فى حين طلب ابن سعود من برسى كوكس المقيم السياسى البريطانى فى الخليج العربى إيفاد موظف آخر لعقد الاتفاقية [5] بعد مقتل شكسبير خلال معارك ابن سعود ضد ابن الرشيد زعيم قبائل الشمر [6]، أو استئناف المفاوضات بالمراسلة مباشرة من البصرة وليس

1 - سجلات الخارجية البريطانية F.O.371/2479(11837)
برقية من نائب الملك فى الهند إلى وزارة الهند بتاريخ 25 يناير 1915.
2 - نفس المصدر F.O.371/2479(11837)
3 - سجلات الخارجية البريطانية F.O.371/2479(11837)
برقية من نائب الملك فى الهند إلى وزارة الهند بتاريخ 29 يناير 1915
4 - نفس المصدر F.O.371/2479(11837)
5 - سجلات الخارجية البريطانية F.O.371/2479(43530)
الرقم B - 336 - برقية من السير «برسى كوكس» المقيم السياسى البريطانى فى الخليج العربى - «البصرة» إلى سكرتير حكومة الهند - بتاريخ 24 فبراير 1915، حول طلبه إيفاد بدل «شكسبير» أو استئناف المفاوضات بالمراسلة من «البصرة» وليس بواسطة الكويت.
6 - سجلات الخارجية البريطانية F.O.371/2479(43526)
رسالة من ابن سعود إلى السير «برسى كوكس» المقيم السياسى البريطانى فى الخليج العربى مؤرخه فى 19 ربيع الأول 1333 الموافق 4 فبراير 1915، حول الحرب التى دارت بينه وبين ابن رشيد، معركة جراب ومقتل الضابط «شكسبير» فيها، يطلب إبلاغ الحكومة البريطانية تعزيته.

بواسطة الكويت [1]. كما أرسلت حكومة الهند رسالة إلى وزارة الهند فى لندن وفيها الأوراق الكاملة المتعلقة بالمفاوضات مع ابن سعود بعدما درست التعديلات المقترحة من قبل ابن سعود بكل دقة فى الاتفاقية التى أرسلها إليه كوكس للموافقة وأن هذه التعديلات ليست مهمة فى معظمها [2]. وطلبت وزارة الهند من حكومة الهند من «كوكس» أن يلح فى إعادة العبارات الأصلية التى تعلق عليها الحكومة البريطانية أهمية كبيرة وإيجاد إيضاح مناسب لذلك[3].

وافقت الخارجية البريطانية على مقترحات حكومة الهند حول الاتفاقية مع ابن سعود مع إعادة إدخال العبارات الآتية: [4]

«بشرط موافقة الحكومة البريطانية بعد استشارات سرية معها» وذلك فى نهاية المادة الأولى، إن سياسة الحكومة البريطانية هى الاعتراف فقط بالحاكم الفعلى وتحاشى إعطاء ضمانات تتعلق بوراثة الحكم، [5] وفيما يتعلق بالمادة (2) يجب

---

1 - الرقم 336 B - المصدر السابق F.O.371/2479(43530)

2 - سجلات الخارجية البريطانية F.O.371/2479(111069)

برقية من نائب الملك فى الهند إلى وزارة الهند - لندن بتاريخ 7 يوليو 1915، حول التعديلات المقترحة من قبل ابن سعود على الاتفاقية، ويقترح «برسى كوكس» عقد اجتماع قريب مع ابن سعود لتنسيق الاختلافات.

3 - سجلات الخارجية البريطانية F.O.371/2479(116544)

برقية من وزير الهند إلى نائب الملك فى الهند بتاريخ 16 أغسطس 1915، جوابا عن برقية وزير الهند حول التعديلات المقترحة.

4 - سجلات الخارجية البريطانية F.O.371/2479(11069)

(كتاب مستعجل) من وزارة الهند فى وايت هول - إلى وزارة الخارجية البريطانية فى 11 أغسطس 1915، حول المفاوضات لعقد معاهدة مع ابن سعود.

5 - سجلات الخارجية البريطانية F.O.371/2479(141285)

الرقم S-849 برقية من سكرتير حكومة الهند - «سملا» إلى السير «برسى كوكس» - المقيم السياسى البريطانى فى الخليج العربى - «البصرة» بتاريخ 18 أغسطس 1915 حول تخوله بترتيب اجتماع ابن سعود.

إبقاء عبارة «بدون استفزاز» وإبقاء المادة (4) كما هى. وبعد ذلك أعطت حكومة الهند موافقتها للمقيم السياسى البريطانى برسى كوكس فيما يراه مناسبا بقولها: «إنك الآن مخول بتدبير اجتماع مع ابن سعود على ما تراه مرغوبا فيه والتفاوض على هذه الأسس إذا تم عقد المعاهدة فإنها ستكون معلقة على تصديق حكومة الهند»[1].

أرسلت حكومة الهند رسالة لابن سعود عن طريق برسى كوكس المقيم السياسى البريطانى فى الخليج العربى بتاريخ 27/ 8/ 1915، وطلبت منه أن يرسل بصيغة المخاطبة الودية التى استعملها من قبل نائب الملك لدى مخاطبة ابن سعود بكلتا اللغتين الإنكليزية والعربية [2] وذلك لغرض إدخالها فى قائمة العناوين المسجلة للرؤساء الهنود [3] وقد جاء فيها: - لاحظت بارتياح ما عبرتم عنه من صداقتكم وحسن نيتكم نحو ملك بريطانيا والحكومة البريطانية وحكومة الهند، وتأكيدكم بشأن رفضكم الدخول بعلاقات مع ابن رشيد إلا إذا حذا حذوكم وتعهد بعدم معارضته الحكومة البريطانية فيما يتعلق بالعراق كما هو منسجم مع مصالح كلا الطرفين [4].

1 - نفس المصدر F.O.371/2479(141285)

2 - سجلات الخارجية البريطانية F.O.371/2479(14285)

(سرى) الرقم 1512-W - كتاب من نقيب سكرتير حكومة الهند دائرة الشؤون الخارجية والسياسية إلى سعادة السير «برسى كوكس» المقيم السياسى البريطانى فى الخليج العربى - «البصرة»، «سملا» فى 27 اغسطس 1915

3 - نفس المصدر F.O.371/2479(141285)

4 - سجلات الخارجية البريطانية F.O.371/2479(141285)

كتاب من نائب الملك فى الهند إلى ابن سعود، «سملا» فى 26 اغسطس 1915 حول الاتفاقية المبدئية بينه وبين بريطانيا.

أما بخصوص المعاهدة المبدئية فإن الحكومة البريطانية وحكومة الهند قد درستا بكل دقة التعديلات المقترحة من جانبكم وأبلغنا برأيها السير «برسى كوكس» الذى خول أن يتصل بكم مرة أخرى حول الموضوع فى مقابلة شخصية أو غيرها ولاشك أن المعاهدة ستعقد فى وقت قريب بصورة مرضية لكم وللحكومة البريطانية وسترسخ بصورة رسمية الصداقة الوثيقة القائمة بين سعادتكم والحكومة البريطانية[1]. ولكن ابن سعود لم يستطع مقابلة المسؤول البريطانى بسبب سيطرة قبيلة «العجمان» اليمنية القوية على منطقة الإحساء والتى أصبحت غير آمنة، فقد كتب برسى كوكس المقيم السياسى البريطانى فى الخليج العربى إلى حكومته فى الهند يقول بأنه تسلم رسالة من ابن سعود قال فيها إنه اضطر إلى اتخاذ عمليات تأديبية ضد قبيلة عجمان اليمنية التى كانت تشن هجمات على مناطق الإحساء وأنه مع كونه شديد الرغبة فى مقابلتى فإنه فى الوقت الحاضر مشغول بمحاربة قبيلة «عجمان» بدرجة لا تسمح له بالمجىء إلى ساحل الإحساء[2] كما أن الطريق ليس آمنا بحيث أستطيع الشخوص إليه ولذلك فقد اقترح تأجيل الاجتماع إلى أن يستتب الهدوء وفى الوقت نفسه تقدم بطلب مساعدات عسكرية [3] ومادية عاجلة من بريطانيا لقتال قبائل العجمان القوية.

طلب «برسى كوكس» من حكومته فى الهند مساعدات مادية وعسكرية

---

1 - نفس المصدر F.O.371/2479(141285)

2 - سجلات الخارجية البريطانية F.O.371/2479(150910)

الرقم 1046-B - برقية من السير «برسى كوكس» المقيم السياسى البريطانى فى الخليج العربى - البصرة - إلى سكرتير حكومة الهند لدائرة الشؤون الخارجية والسياسية «سملا» فى 15 سبتمبر 1915. حول اقتراح ابن سعود تأجيل المقابلة معه لانشغاله بحملة تأديبية على قبيلة عجمان.

3 - سجلات الخارجية البريطانية F.O.371/2479(150910)

لتقديمها إلى ابن سعود ولسرعة التقديم اقترح أن يدفع من البحرين بأقساط شهرية مناسبة [1] ويقول: «إننا عند إعرابنا عن استعدادنا لدفع القسط الأول يجب أن نرسل إلى ابن سعود نسخة معدلة من المعاهدة مع إيضاحات تفصيلية وأن يطلب إليه توقيعها، آمل أن أتمكن بهذه الطريقة من تفادى مزيد من المناقشات والتأخيرات[2].

يتضح من ذلك كيف أن بريطانيا استغلت ظروف ابن سعود الصعبة، وخاصة قتاله الشديد ضد قبيلة «العجمان» [3] القوية والتى كانت تسيطر على منطقة الأحساء وأعاقت توجه ابن سعود للقاء مع المقيم السياسى البريطانى، فقدمت بريطانيا مساعداتها لابن سعود مع تقديمها الأتفاقية بتعديلها لتوقيعها من ابن سعود.

وافقت حكومة الهند على اقتراح برسى كوكس بتقديم الأسلحة والمال لابن سعود، [4] وقدمت ألف بندقية «ماوزر» ومئتا ألف طلقة وتقديم قرض قدره 20,000 ليرة عثمانية بدون فائدة تدفع بأقساط مناسبة، [5] وقال نائب الملك فى

1 - سجلات الخارجية البريطانية F.O.371/2479(150910)

الرقم B-1947 برقية من السير «برسى كوكس» المقيم السياسى البريطانى فى الخليج العربى - «البصرة» -إلى سكرتير حكومة الهند - دائرة الشؤون الخارجية والسياسية - «سملا» بتاريخ 15 سبتمبر 1915، حول قرض لابن سعود وطريقة دفعه.

2 - نفس المصدر F.O.371/2479(150910)

3 - حسين خلف الشيخ خزعل - تاريخ الكويت السياسى - دار مكتبة الهلال - بيروت 1962 ج2 ص220.

4 - سجلات الخارجية البريطانية F.O.371/2479(150910)

برقية من نائب الملك فى الهند إلى وزير الهند - لندن، بتاريخ 7 أكتوبر 1915، حول تزويد ابن سعود بأسلحة وقرض مالى.

5 - نفس المصدر F.O.371/2479(150910)

الهند لوزير الهند فى لندن «أننا عندما نبلغ ابن سعود باستعدادنا لدفع القسط الأول يجب أن نرسل إلى ابن سعـود نسخة معدلة من الاتفـاقية-مع إيضاحات تفـصيلية وأن نطلب إليه توقيعها [1] ومن ثم بعثت وزارة الهند تطلب من الخارجية البريطانية الموافقة على اقتراحها بمنح بنادق وعتاد وتسليف ابن سعود، [2] وقد جاءت موافقة الخارجية البريـطانية على اقتراح وزارة الهند بعقد اتفاقيـة مع ابن سعود مع تقديم المساعدات العسكرية والمالية بتاريخ 18 أكتوبر 1915[3].

توقيع اتفاقية «دارين» فى 26 ديسمبر 1915:

نظرا لموافقة الخـارجية البريطانية فإن حكومـة الهند طلبت من برسى كوكس مقيمها السياسى فى الخليج العربى التوجه إلى «دارين» بالقرب من القطيف لتوقيع الاتفاقية مع ابن سـعود إلا أنه تعذر ذلك بعد إصابة ابن سعـود بجروح بليغة فى غارة ليلية على ابن الرشيد زعيم قبـائل الشمر، وقتل فيه أخوه، [4] ثم جرح مرة

1 - نفس المصدر F.O.371/2479(150910)

2 - سجلات الخارجية البريطانية F.O.371/2479(150910)

(كتاب مستعجل) - الرقم P.367 من وزارة الهند فى «وايت هول» - إلى وزارة الخارجية البريطانيـة بتاريخ 14 أكتوبر 1915، تطلب فيهـا رأيها بتزويد ابن سعـود بأسلحة وقرض مالى.

3 - سجلات الخارجية البريطانية F.O.371/2479(150910)

(كتاب مستعجل) - من وزارة الخارجية البريطانية إلى وزارة الهند بتاريخ 18 أكتوبر 1915، حول تزويد ابن سعود بأسلحة وقرض مالى - ووزير الخارجية يوافق على الإجراء.

4 - سجلات وزارة الخارجية البريطانية F.O.371/2479(197037)

(عسكرية سرية) - الرقم I.C-1802 - برقية من قائد القوة الاسـتطلاعية (ذ) فى البصرة إلى القائد العـام للقوات البريطانيـة فى مصر - مكرر رئيس أركـان الجيش ووزير الهند - بتاريخ 20 ديسمبر 1915.

أخرى فى المعركـة التالية[1] وكان طبيب ابن سـعود ويدعى عبد الله بن سـعيد من الموصل قد أدلى بتلك المعلومات إلى المعتمد السياسى البريطانى فى البحرين [2] مما أدى إلى تأجيل الاتفاقية حتى يشفى ابن سعود من جروحه، وفى تاريخ 4 ديسمبر تسلم المعتمد السياسى البريطانى فى البحـرين رسالة من ابن سعود يعرب فيها عن رغبته فى الإسراع فى عـقد الاتفاقية، [3] ونظرا لصعوبة الاتصـال بين ابن سعود والبريطانيين فى البحرين فإنه حدث بعض الالتباس فى عقد الاجتماع وبالتالى إلى تأخيره، ولكن عندمـا تمكن المسؤول البريطانى ويدعى «كيز» من مقـابلة ابن سعود فى القطيف بتاريخ 21 ديسمبر مما اضطر «برسى كوكس» المقيم السياسى البريطانى بالتوجـه إلى «القطيف» بسـرعة[4]. وعقـد مع ابن سعـود اتفاقـية دارين فى 26 ديسمبر 1915[5] ومن ثم بعث ببرقية إلى حكومـته فى الهند والتى أرسلت نسخة منها إلى وزارة الهند فى لندن لتقديمها إلى الخارجية البريطانية وجاء فى البرقية أنه

---

1 - نفس المصدر F.O.371/2479(197037)

2 - سجلات الخارجية البريطانية F.O.371/2479(198451)

برقيـة من نائب الملك فى الهند - إلى وزير الهند - لنـدن - بتاريخ 22 ديسمـبر 1915، حول المعلومات التى أدلى بهـا طبيب ابن سعود عن مقـتل الضابط «شكسبير» فى مـعركة ضد ابن الرشيد.

3 - سجلات الخارجية البريطانية F.O.371/2479(199595)

برقية من نائب الملك فى الهند إلى وزير الهند - لندن - بتاريخ 26 ديسمبر 1915. حول رسالة أعرب فيها عن رغبته فى الإسراع بالمفاوضات.

4 - نفس المصدر F.O.371/2479-(199595)

5 - سجلات الخارجية البريطانية F.O.371/2479(201630)

برقية من نائب الملك فى الهند إلى وزارة الهند بتاريخ 29 ديسنبر 1915، يعلمها فيها بأن الاتفاقية مع ابن سـعود عقدت فى 26 ديسمبر 1915، وأن انضمامـه إلى جانب بريطانيا يمكن الاعتماد عليه.

«عقدت المعاهدة مع ابن سعود فى 26 ديسمبر 1915 والنص الذى تم الاتفاق عليه أخيرا يبدو لى مرضيا ومتفقا مع متطلبات برقية وزيز الهند وكان ابن سعود الشخصى صريحا ومستقيما وإننى أعتقد أن انضمامه إلينا خلال الحرب يمكن الاعتماد عليه[1].

انتهت المفاوضات التى استمرت لمدة عام بين ابن سعود وبريطانيا إلى توقيع اتفاقية الحماية البريطانية فى «دارين» بتاريخ 26 ديسمبر 1915 [2]، ووقعها السير برسى كوكس المقيم السياسى البريطانى فى الخليج العربى وابن سعود، وبموجب هذه الاتفاقية اعترف البريطانيون بنجد والإحساء ملكا لابن سعود، [3] كما كانت لآبائه من قبله ولأحفاده من بعده والتزمت بريطانيا بحماية ابن سعود وعدم دخول الأخير فى علاقة مع أية قوة خارجية وبعدم التنازل أو التخلى عن أى أرض بدون الموافقة البريطانية، وباتباع نصح بريطانيا وعدم الإضرار بمصالحها وعدم الاعتداء على إمارات الجزيرة العربية المرتبطة أيضا باتفاقيات الحماية مع بريطانيا[4].

تلقى ابن سعود فى مقابل هذه الاتفاقية قرضا بعشرين ألف جنيه إسترلينى وألف قطعة سلاح ومئتى ألف وحدة ذخيرة، كما اتفق على مساعدة شهرية تبلغ خمسة آلاف جنيه إسترلينى، وكان للمساعدة البريطانية بالمال والسلاح أهميتها الخاصة لابن سعود ليس فيما يتعلق بمجريات الحرب العالمية الأولى حيث كان دور ابن سعود فيها محدوداً وسهلا وإنما فى تحديد مصيره ومستقبله السياسى فى مواجهة أعدائه الداخليين وخاصة قبائل الشمر اليمنية القوية.

---

1 - نفس المصدر F.O.371/2479(201630)

2 - د. فتحية النبراوى ود. محمد نصر مهنا - المرجع السابق ص335.

3 - د. فتحية النبراوى ود. محمد مهنا - نفس المرجع - ص335.

4 - لزلى كلوغل - ابن سعود مؤسس مملكة - شركة المطبوعات للتوزيع والنشر - بيروت 1995 - ص71.

نتائج الدراسة:

نلاحظ من دراستنا السابقـة، كيف أنه عندما أرادت بريطانيا إعادة عـلاقاتها التقليدية القديمة والرسمية مع ابن سعود، قامت بإعادة رموزها الذكية والتى تتمتع بخبرة وحنكة فى العقلية القبلية العـربية وهما الضابط السير «برسى كوكس» الذى عين مقيما سياسيا فى الخليج العربى ثـم قائدا لحملة احتلال العراق وحاكما عليها فيمـا بعد، أما الضابط الثـانى فهو ضابط الاسـتخبارات الكابتن «شكسـبير» الذى أوكل إليه بمهمة خاصة وإعداد هذه الاتفاقية، والدور البارز الذى لعبه هذا الضابط ليس فقط بتقديم اسـتشاراته السياسية والعسكرية، بل باشـتراكه وإدارته لمعارك ابن سعود ضد ابن رشد حتى مقتله من قبل قـبائل الشمر اليمنية، وكان دوره السياسى لا يقل عن دوره العسكرى وذلك منذ بداية الاتصال مع ابن سـعود وإرساله تقارير إلى حكومته وتهيئة الوضع المناسب لهذه الاتفـاقية حتى إعداد المسودة الأولى لهذه الاتفاقية باللغة العربية والانجليزية.

نجح «شكسبير» بأن يحصر اهتمـام ابن سعود طيلة الحرب العالمية الأولى فى إضعاف قـوة منافسه فى الشمال ابن رشيـد زعيم قبائل الشمـر الذى كان من أشد أنصار وحلفاء العثـمانيين نشاطا فى الجزيرة العربية وبالتالى شل حـركته العسكرية ومنعه من التوجه إلـى جنوب العراق لمقاومة قوات الاحتلال البـريطانية التى كانت تجد مقاومة عنيفة من الجيش العثـمانى الذى كان يعتمد على قوات ابن رشيد وابن سعود الذى كان قد أصبح قائمقام عثمانى بموجب اتفاقية «الصبيحية» لعام 1914، بتقـديم الدعم والمساندة والزحف من الجنوب وبالتالى مـحاصرة قوات الاحـتلال البريطانى بقوات عثمانية من الشمال وقوات ابن رشيد وابن سعود من الجنوب.

استهدفت اتفـاقية «دارين» من قبل بريطانيا سلامة مـواصلاتها إلى العراق، وأن يقف ابن سعود ضد الاتجـاه الموالى للعثمانيين من أبناء الشيخ مـبارك وخاصة

الشيخ جابر وسالم اللذين كـانا يتعاطفان مع الدولة العثمانية ومعـاديان للاستعمار البريطانى الذى كان يتخوف منهما برغم اتفاقـية الحماية وكانت بريطانيا قد فرضت حصارا عـلى الكويت أثناء الحرب العالمية الأولى واسـتمر إلى ما بعـدها، وكانت حكومة الهند ترغب فى الاستفادة من علاقة ابن سعود بقبائل جنوب العراق خوفا على قواتها التى كـانت تحتل تلك المنطقة حيث كان لابن سعـود علاقة مع الشيخ فهد زعيم قـبائل العنيزة فى العراق مما يؤدى إلى حماية خطوط مواصـلاتها إضافة إلى مساعـدة ابن سعود لها، وكذلك المخاوف التى أبداها حكام سـاحل عمان من التـوسع السـعودى تجـاههم، فـعملت بريـطانيا على إزالة هـذه المخاوف وتأمـين حمـايتهم، كما أن اتفـاقية «دارين» لم تشـجب الاتفاقيـة الأنجلو - عثمانيـة لعام 1913، إذ أصرت بريطانيا على إلزام ابن سعود بهذه الاتفاقية، ونتيجة لتحالف ابن سعود القـوى مع بريطانيا فإنه [1] تلقى كل عون ومساعـدة مالية وعسكرية ودعم سياسى من الحكومـة البريطانية، وكان ابن سعود يتوقع مـن الحرب العالمية الأولى أكثـر من هزيمة ابن رشد ، ويقـول «فيلبى» الضابط فى الاسـتخبارات البـريطانية الذى كـان مسـتـشارا لـدى ابن سعـود ،والذى جـاء لتكملة الدور الذى قـام به «شكسبـير»، إنه كان يـتطلع قبل كل شىء إلى ضرورة الـتحالف والحـصول على الحماية البريطانية كالضمانة الوحيدة لأسرته وأحفاده حاضرا ومستقبلا[2].

يمكن القول بأن ابن سعود كان يريد الاعتراف به، ولقد حقق ما هدف إليه فى الاتفاقـية المانعة البـريطانية والتى عقـدها الضابط «برسى كـوكس» فى جزيرة «تاروت» المواجهـة للقطيف فى 26 ديسمـبر 1915، وبمقتـضاها تعتـرف بريطانيا بسلطة ابن سعود فى نجد والإحساء والجبيل والـقطيف وما يتبعها من موانئ ومدن

1 - د. جمال زكريا قاسم - الخليج العـربى دراسة لتاريخ الإمارات العربية 1914 - 1945 - دار الفكر العربى - القاهرة 1973 - ص10.

2 - لزلى ماكلوغن - نفس المرجع - ص71

وسواحل على أن تعين حدودها فيما بعد، وتقر بتوارث أسرة آل سعود لهذه الأملاك، وتشمل الاتفاقية جميع البنود التى وردت فى اتفاقيات الحماية المانعة التى عقدتها بريطانيا مع شيوخ القبائل فى الكويت وقطر والبحرين وساحل عمان مثل عدم التنازل وعدم التأجير أو الرهن لجزء من أراضى آل سعود إلا بإذن الحكومة البريطانية وكذلك عدم الاتصال بالحكومات الأجنبية وإذا اتصل به مندوبون عن الحكومات الأجنبية فعلى ابن سعود أن يخبر السلطات البريطانية بذلك[1] وقد نصت المادة الأولى من هذه الاتفاقية على ما يلى:

«تعترف الحكومة البريطانية وتقر بأن نجد والإحساء والقطيف وجبيل وملحقاتها وأراضيها وهى موضوع البحث والتقرير فى هذه الاتفاقية وموانئها على سواحل الخليج العربى هى ممتلكات ابن سعود وأسلافه من قبله ولذا فهى تعترف هنا بابن سعود حاكما مستقلا لهذه المناطق».

تعهد ابن سعود مقابل ذلك كما تعهد حكام ساحل عمان والبحرين والكويت وعمان فى اتفاقية الحماية البريطانية، بعدم دخول ابن سعود فى أية علاقات مع الدول الأجنبية وبعدم التخلى عن أى من أراضيه بدون موافقة الحكومة البريطانية واستخراج العرض الذى كان قد قدمه الى «كوكس» فى عام 1913 بتحديد الالتزامات التى كان قد قطعها عبدالله بن فيصل آل سعود القائمقام العثمانى فى نجد عام 1866 [2]، وأدرج فى المادة السادسة من الاتفاقية التى أصبحت تقول:

«يتعهد ابن سعود كما تعهد آباؤه من قبله بالامتناع عن كل اعتداء أو تدخل فى أراضى الكويت والبحرين وقطر وساحل عمان لأنها تحت حماية الحكومة

1 - د. صلاح العقاد - المرجع السابق - ص217.

2 - جون. بى. كيلى. - الحدود الشرقية للجزيرة العربية - دار الحياة - بيروت 1971 - ص174.

البريطانية ولأنها ترتبط مع هذه الحكومة بعلاقـات تعاهدية وهى التى ستقرر حدود ممتلكاتها فيما بعد» وبذلك نجحت بريطانيا بتوقيع اتفاقية الحماية مع ابن سعود كما ألزمتـه بالاعتـراف بالاتفاق الأنجلو ـ عـثمـانى لعام 1913 باعتـباره وزيـا للدولة العثمانية وكـان قائمقام عثمانى لنجد والإحسـاء، وأهم ما اشتملت عليه بنود هذه الاتفاقية ما يلى:

أولا: اعتراف الحكومة البريطانية بابن سعود وخلفائه من بعده كحكام.

ثانيا: تقرير الحماية لابن سعود.

ثالثا: إشراف بريطانيا على علاقات ابن سعود الخارجية.

رابعا: يتـعهـد ابن سعود بأن لا يتـخطى ولا يبيع ولا يرهن أيـة قطعة من الأراضى التابعة له ولا يمنح امتيازات لدولة أجنبيـة دون موافقة الحكومة البريطانية وأن يتبع نصائحنا حتى لا تضر بمصلحتنا.

خامـسا: يتعهـد ابن سعود أن يبقـى طرق الحج مفتوحـة وأن يحافظ على الحجاج أثناء ذهابهم لتأدية الحج.

سادسـا: يتعهد ابن سـعود بأن يمتنع عن كـل مداخلة فى أراضى الكويت والبحرين وقـطر وعمان وسواحلها وكل الشـيوخ الموجودين تحت حمـاية بريطانيا والذين لهم معاهدات معها.

أصبح ابن سعود بعـد تلك الاتفاقية مثله مثل بقية القـبائل فى شرق الجزيرة العربية المرتـبطين بمعاهدات الحماية مع بريطانيـا التى قدمت له مقابل توقـيعه تلك الاتفاقية المساعدات المالية والفنية والعسكرية والضباط البريطانيين، وكان ابن سعود فى حاجة ملحـة إلى المال والسلاح الذى قدمتـه بريطانيا لمقاتلة أعدائه التـقليديين وهم من القبائل اليمنية القوية المسيطرة على «نجد» والإحساء مثل «العجمان و«المرة»

و«الهواجر» و «الشمر»، وأرسلت المساعدات المالية والنقدية والأسلحة والذخيرة من البحرين حتى يستطيع ابن سعود أن يفى باحتياجات الحملة التى وجهها ضد قبائل العجمان. وكان من نتائج توقيع معاهدة دارين لعام 1915 أن توسط المقيم السياسى البريطانى برسى كوكس مع سالم الصباح حاكم الكويت كى يقوم بطرد قبائل العجمان من إمارته بناء على طلب من ابن سعود، وقد عرف الشيخ سالم بعدائه الشديد لابن سعود الذى كان يلح فى طلب مقابلة برسى كوكس حتى يطلعه بنفسه على حقيقة الوضع الذى صار إليه واستجاب المقيم السياسى البريطانى لطلب ابن سعود وتم اختيار «العقير» مكانا لعقد الاجتماع فى 11 نوفمبر 1916، وكان الاجتماع من أجل البحث فى الوسائل التى يستطيع ابن سعود السير قدما فى حملته الهجومية التى كان ينويها ضد ابن الرشيد زعيم قبائل الشمر الذين كانوا يقاومون الاحتلال المسيحى البريطانى فى العراق. وقد أوضح ابن سعود لبرسى كوكس المقيم السياسى البريطانى فشله فى إيقاع الضربة القاضية بغريمه بسبب حروبه المستمرة ضد «العجمان» و«آل مرة» وأنه لا يستطيع أن يواصل الحرب فى جبهتين فى آن واحد[1] ضد القبائل اليمنية القوية.

تناول اجتماع «العقير» الطرق والوسائل التى تمكن ابن سعود من تجهيز حملة قوية ضد قبائل «آل مرة» و «العجمان» والهواجر و «ابن رشيد» ومزيد من المساعدات المالية والعسكرية البريطانية لابن سعود. ثم دعا «برسى كوكس» ابن سعود للاجتماع الذى قررت الحكومة البريطانية أن تعقده فى الكويت بين شيوخ قبائل العرب فى الخليج والجزيرة العربية الذين اتخذوا جانب بريطانيا فى الحرب العالمية الأولى والتى قررت خلع الأوسمة والنياشين عليهم بعدما قدم هؤلاء الحكام العرب الولاء والطاعة لقوات الاحتلال المسيحى البريطانى للعراق، وقد عرف هذا المؤتمر باسم مؤتمر الكويت الثانى الذى كانت تنظر إليه بريطانيا نظرة أكثر عمقا،

---

1 - د. جمال زكريا قاسم - نفس المرجع - ص34.

والذى عقد فى 23 نوفمبر 1916 وحضره إلى جانب ابن سعود وخزعل وشيخ الكويت أكثر من مائة من شيوخ القبائل والعشائر العربية فى الإحساء والعراق وعربستان، وكان الهدف من هذا المؤتمر هو تحقق بريطانيا من حسن نواياها من ناحية، وحثهم على مساعدة بريطانيا فى احتلالها للعراق وعدم مقاومة جيشها الاستعمارى المحتل.

افتتح «برسى كوكس» المؤتمر الذى انعقد تحت رئاسته بكلمة أظهر فيها حسن نوايا الاستعمار المسيحى البريطانى الذى ينوى احتلال العرب، برغبتها فى استعادة العرب لمجدهم وحرصها على جمع كلمتهم ليكونوا كتلة متماسكة تستطيع صد أى اعتداء خارجى يقع على بلادهم ثم تطرق إلى موضوع الخلافة ووجوب انتقالها إلى العرب، وأجاب ابن سعود على خطاب «كوكس» ببغضه الصريح للعثمانيين وأشار إلى الخلافة بأهمية إسنادها إلى الشريف الحسين، وقال ابن سعود بأنه عدو للعثمانيين وهم له أعداء وأنه سيطاردهم ولو وحده لأنه لا يذكر لهم سوى الشر له ولآبائه من قبل، فقد قتلوا منهم ومثلوا ببعضهم أشنع تمثيل كما اتهمهم بما أصاب الإسلام من ضعف وختم حديثه بقوله بأنه لو كان فى جسمه قطرة من دم تميل إلى العثمانيين لبذل كل ما فى وسعه لإخراجها[1].

لم يرد فى هذه الخطة الاستعمارية المسيحية البريطانية إعطاء العرب استقلالا ذاتيا أو حكما دستوريا أو توحيدها فى أى شكل من الأشكال بوصفها أنظمة سياسية تعامل على قدم المساواه مما يقلل من أهمية الادعاء أن سياسة بريطانيا فى المنطقة كانت نتيجة سوء التفاهم بين المكتب العربى فى القاهرة التابع لوزارة الخارجية البريطانية الذى نادى بإعطاء العرب مملكة متحدة أو كونفدرالية بقيادة الشريف الحسين كما ورد فى وعد ماكماهون إلى الشريف، وبين حكومة الهند التى لم تعط آمال العرب القومية أى اهتمام فى خطة برسى كوكس فى اجتماع الكويت والتى ركزت اهتمامها على احتلال العراق وربطه بمشيخات الخليج

1 - د. جمال زكريا قاسم - نفس المرجع - ص34.

والجزيرة العربـيـة وحكمها بأسلوب حكم الهند نفـسه، ولم يرد فى خطاب «برسى كوكس» المقيم السياسى البريطانى فى الخليج العـربى أية إشارة إلى استقلال العرب بل إلى المزيد من اتفاقيـات الحماية التى تضمن وجود بريطانيا وإشـرافها على أمن واستقرار هذه المنطقة[1] جاءت الخطة البريطانـية لمنع اتحاد العرب وضمـان تجزئتهم وتقسـيم سوريا والعـراق ولم يكن وعد مـاكمـاهون بإنشاء مملكة عـربية مـوحدة للشريف الحسين سوى مساومات ووعـود لا قيمة لها وكانت بدائل أخرى تعد فى ذلك الحين عن طريق المقيم السيـاسى البريطانى فى الخليج العربى «برسى كوكس» ممثل حكومة الهند، بإقامة حكم ابن سعود ودعمه فى الجزيرة العربية حسب اتفاقية دارين فى 26 ديسمبر 1915، هذا فى الوقت نفسه الذى كانت دول الوفاق الثلاثى تتفاوض على بنود اتفاقية سايكس - بيكو، وكانت معاهدة دارين فى حقيقة الأمر جعلت من «نجد» محمية بريطانية أخرى مماثلة تمامـا لمحمياتها فى مشيخات الخليج العربى وقد منعت بنود هذه الاتفـاقية ابن سعود من الاعتداء عـلى هذه المشيخات ولكنها لم تطلب أى تعهد بعدم الاعتداء على شريف مكة فى الحجاز[2].

---

1 - د. خلدون حسن النقيب - المجتمع والدولة فى الخليج والجـزيرة العربية - مركز دراسات الوحدة العربية - بيروت 1989 - ص109.

2 - د. خلدون حسن نفس المرجع - ص110.

الفصل الخامس



ظفار والتدخل العسكري البريطاني والإيراني



جغرافية ظفار:

بدأت كتلة الأراضى التى يتألف منها شمال المغرب العربى وشبه الجزيرة العربية وإيران كما نعرفها اليوم فى اتخاذ شكلها هذا منذ العصور الموسينية غير أنه فى تلك الفترة من التاريخ كان الجزء المنفصل من البحر الأحمر لا يزال مرتبطا بمنطقة البحر المتوسط على امتداد تشكيلاته الراهنة. أما ظفار فهى تشكل استثناء، إنها جزء غريب على التركيب الجيولوجى لشبه الجزيرة العربية فقد تشكلت بصورة قوية فى منتصف العصر الطباشيرى، هذا على الرغم من أن بروزها الهائل قد تم فى فترة لاحقة. وسكان جزيرة سقطرة من «المهرة» فى حضرموت لا يزالون حتى الآن يستخدمون نوعًا من قوارب الصيد البدائية ويسمونه الرمس. وهو يصنع من ثلاثة جذوع طولها 6 أقدام ويحاط بالحبال ويكون الجذع الأوسط أطول من بقية الجذوع.

تقع ظفار على شواطئ بحر العرب ويحدها من الغرب حضرموت والربع الخالى ومن الشمال صحراء «جدة» الحراسيس ومن الشرق رأس الحد وصور كما تبعد عن مسقط 640 ميلا، وتبلغ مساحة ظفار حوالى 38 ألف ميل مربع تقريبًا وأهم مدنها صلالة وهى العاصمة، ثم مرباط وطاقة وسدح وريسوت ورخيوت وخكيوت. وتضاريس ظفار امتداد طبيعى لتضاريس حضرموت حيث ظفار جزء منها ومن طبيعتها، ومدينة ظفار سهل ساحلى منخفض ضمن إقليم ظفار الذى أخذ اسمه منه، ويحده من الجنوب البحر ومن الشمال جبال سمحان وهو يمتد من ريسوت فى الغرب إلى «خور رورى» فى الشرق. ولذا فإن طوله حوالى 30 ميلا ومعدل عمقه أقل من خمسة أميال. وهو محصور بين تلال سمحان والبحر. ويطلق هذا الاسم على نطاق ضيق للدلالة على قريتى «حافة» و«صلالة» اللتين

تحتويان على ثلثى السكان المقيـمين فى هذا السهل. ولكنه يطلق فى معناه الأوسع على اسم المنطقـة كلها التى تشـمل الساحل من قـرية «خريبوت» فـى الغرب إلى رأس «نوس» فى الشرق الذى يتبع عمــان. وهى تشكل منطقة منفصلة من سلطنة عمــان. وعلى أساس هذا التحـديد الأخير نعـالج موضوع منطقـة ظفار، وينطبق مدلول الأطراف الشرقية والغربية لمنطقة ظفار كما سبق تحديدها تقريبًا على الحدود التى تعيش ضمنها قبيلة «قارة».

تختلف ظفار، وهى المقاطعة الجنوبية من سلطنة عمان، عن بقية أنحاء شبه الجزيرة العربية من حـيث مناخها ومن حيث طباع سكانها. فهى منطقـة استوائية تقع على الساحل الجنوبى لشبه الجزيرة العربية فى منتصّف الطريق ما بين عدن فى الجنوب ـ الغربى ومسقط فى الشـمال ـ الشرقى ويحدها من أحد جانبيهـا مقاطعة المهـرة فى حضـرموت. ويفـصلها من الجـانب الآخر عن عـمان صـحراء جـدة الحراسيس والتى يبلغ عرضها 500ميل. وتبلغ مساحة ظفار 38,000 ميل مربع وطول ساحـلها الذى يمتـد من خليج كوريـا موريا إلى رأس ضربة عـلى الحدود اليمنية مائتـا ميل، وفيها سلسلة جبال ساحليـة يبلغ ارتفاعها 4500 قدم تتساقط فوقـها الأمطار الموسمـية ما بين مـايو وسبتـمبر. ويبلغ مـعدل المطر السنوى 30 بوصة، ولكن هذا المعدل ينخفض إلى 3 بوصة عند طرفى المنطقة. وقد أدى المطر الغزير نسبيًا فوق جبال ظفار إلى نمو غـابة استوائية وإلى وجود منطقة خضراء تمتد حوالى 40 ميلاً إلى أن يبدأ الجبل بالانحدار نحـو الصحراء القاحلة التى تمتد إلى المملكة العـربية. ويقيـم سكان ظفار المقـدر عددهم بـ 150,000 نسمة فى هذه الرقعة الخضـراء وفى الجبال والسهول الساحلية. وأهم هذه السـهول سهل جربيب الذى يقع فى وسط ظفار والذى يبلغ طوله 40 ميـلا وعرضه عـشرة أميـال. أما العاصمـة صلالة فتقع مـا بين قريتى الحصن، موقع السجـن وقصر السلطان، وأم القوارف موقع القاعدة العسكرية التى تضم مطارا حربيًا بريطانيا، وتقع إلى أقصى

الشرق مدن مرباط وطاقة سدح، بينما يقع إلى الغرب ميناء ريسوت، وهو الميناء الطبيعي الوحيد فى ظفار ومدينة رخيوت[1].

تتألف ظفار من جبال جرداء على مسافة ليست بعيدة عن البحر تتخللها هنا وهناك أودية قصيرة لا شأن لها. المتعرجة والوادى الوحيد المهم هو وادى «ريخوت» الذى يصل الساحل عند «حاسك» والذى يقال إن بدايته فى عمق الداخل. وتشكل الجبال المتعرجة سلسلة واحدة تعرف باسم جبل سمحان. وتنحسر هذه السلسلة عن الساحل فى مكانين أحدهما بين «رأس نوس» و«مرباط» حيث يوجد حزام أرضى منخفض عرضه بين 6و12 ميلا وهى صخرية مقفرة ولكنها تحتوى على بعض الأرانب البرية والغزلان وقليل من أشجار النخيل فى الوهاد المنحدرة باتجاه رأس نوس. والمكان الثانى هو بقعة ظفار نفسها التى أتى البحث عن حدودها على الساحل من قبل. يتألف السهل من أحجار هشه مغطاة بطبقة غنية من الطمى، وارتفاعه فوق مستوى سطح البحر بقليل. وهو مشهور عند العرب من حيث إنه أخصب أجزاء المنطقة الممتدة على الساحل الجنوبى للجزيرة العربية وأفضلها. ويخترق هذا السهل كثير من المجارى المائية التى تصب فى البحر منها حوالى اثنى عشر مجرى تصل إلى الشاطئ مكونة جداول صغيرة ماؤها عذب نسبيًا. وبعضها تحيط به الأشجار والأعشاب والبعض به أعشاب كثيفة بالقرب من الشاطئ الشرقى. وتغطى بعض أجزاء المنطقة أعشاب خشنة تجف فى فصل الشتاء. وفى بعض الأماكن توجد غابات من نباتات السنط. والمياه متوفرة فى كل مكان ويمكن استخراجها على بعد عدة أقدام قليلة من السطح، وعمق الآبار يتراوح بين 5 و20 قدمًا. وينتهى السهل فى طرفه الغربى بجيب ارتفاعه 100 قدم فوق مستوى سطح البحر خلف السلسلة الساحلية التى يشكل رأس «ريسوت» امتدادا لها. وهو متصل «بريسوت» من الجهة الشرقية عن طريق هضبة

1 ـ فرد هاليداى ـ المجتمع والسياسة فى الجزيرة العربية ص250.

ساحليـة ضيـقة ترتفع 100 قدم فـوق سطح البحر من «خور رورى» حـتى قبل «مرباط» بمسافة أربعة أميال باسـتثناء الأودية المكونة بفعل السيول. ويتألف الساحل من طاقة وإلى مسافة خمسة أمـيال غربا من صخور ارتفاعها 100قدم، ولكنه من هناك يأخذ فى الانخـفاض حتى موقع دهاريز، ويحف به مـستنقع عشبـى عرضه نصف ميل. والأمواج عاتية قوية على الشاطئ فى العادة والرسو صعب وشاق.

تتطابق التقسيمات الاقتصادية والعرقـية فى ظفار إلى حد كبير مع التمايز ما بين الساحل والجبل. وأهم النشـاطات الاقتصادية فى الساحل هى صـيد الأسماك والزراعة والتجـارة. أما فى الجبال فتـشكل الزراعة الرعوية الأساس الاقـتصادى، خاصة للأبقار، وكذلك للماعز والجمـال، بالإضافة إلى مقدار بسيط من الزراعة. وتنبت فى الجبـال الاستـوائية الفواكـه البرية مثل التـين والرمان والتـمر الهندى. وكانت جبـال ظفار فى القرون الماضيـة هى المصدر الرئيسى لانتاج البـخور للهند ومنطقة البـحر الأبيض المتـوسط. وهناك تفاعل محـدود ما بين السـهول والمناطق الجبليـة، حيث يبـادل سكان الجبل البـخور والجـبة «نوع من الزبدة» بمواد غـذائية كالأرز والشاى والسكـر والخضار والبضائع البـسيطة المصنعة كالأقـمشة والأدوات المنزلية. ويمتاز أهل ظفار بأنهم يقدمون للماشية السردين المجفف الذى يصطادونه من الساحل كـغذاء للماشـية خلال الشهـور الموسميـة، وذلك لابقائها على قـيد الحيـاة. وتنتشر رائحـة السمك المتعـفن فى كافة الكهـوف والأكواخ فى الداخل. وبينما كانت ظفار فـى الماضى البعيد تتاجر مع منطقة البـحر الأبيض المتوسط من خلال تصـدير البخور، كـانت تجارتها الرئيـسية فـى العصور الحـديثة مع الهند، وخاصة مع بومباى. وكانت ظفار فى السابق تستورد الأرز والأقمشة من بومباى، وكان التـجار الحضـارم يتولون ادارة تجارة ظفـار. وفى المقابل كانت ظفـار تصدر للهند الجبة (الزبدة) والبخور. وكانت لظفار علاقات تجارية مع مسقط وعدن. وقد أثرت هذه العلاقات على التركيب العرقى لظفار التى كان سكانها يتألفون من عدة

جمـاعات قبلية حـضرمية. امـا أحفاد السكان الأصليـين فيتمـيزون بقصر القـامة والبشرة الداكنة. وكانت تجارة البخـور فى أيدى الحضارمة الذين كانت تمر القوافل عبر بلادهم والذين كانوا يحضرون إلى ظفار لشراء البخور من مصدره[1].

بما أن ظفار واقـعة على ساحل بحـر العرب، فـإن الرياح الموسميـة تتحكم بفصولها كما أن المطر تجيء به الرياح الموسمية الجنوبية الغربية التى تبدأ عادة فى 11 يونيو وتسبقها أحيانا قـبل عشرة أيام عاصفة هوجاء، تهب من الجنوب أو الجنوب الشرقى. وهواء ظفـار فى شهرى ديسـمبر ويناير منعش وصـحى. إن عدد سكان إقليم ظفار 3000 نسمة مـعظمهم تقريبا من قـبيلة آل كثيـر و«القرة» والسادة آل العلوى مثل العيـدروس والكاف والغزالى وآل عمر وغيرهم. ويرسل الـبدو وغير البدو شـعورهم ويربطونهـا بعصابة إلـى الخلف. ولكن السادة العلويون والطبـقات الأخرى حـليقـو الرؤوس، وللشخص الواحـد منهم عادة ثوب واحـد لونه أزرق غامق من قـماش رخيص طوله ست أذرع وعـرضه ثلاث. وهم يقومـون وينامون به. تقيم فى منطقة ظفار قبيلتان كبـيرتان هما قبيلة قارة أو «القرة» التى تعيش فى تلال جبل سمحان و«آل كثير» الذين يقيمون فى سهل ظفار وفى التلال أيضا وهما من القبائـل الحضرمية حـيث ينتمى سكان ظفار من التركـيبة السكانية القـبلية إلى حضرموت من حـيث الشكل الأسمر والوجهة والبنيـة وبذلك يختلفون عن سكان عمـان الذين ينتمـون إلى قبيلة «الأزد» اليـمنية ويخـتلف لونهم وبنيتـهم وكذلك الاختلاف الثقافى، ولقبيلة قارة لغة خاصة بها. ويعتقد بأن آل كثير يتكلمون لهجة تختلف كثيراً جـداً عن لهجة أهل عمان وهى لهجة حضرميـة، والقروبون عموماً مزارعون كسالى شأنهم شأن معظم عرب المدن من مدمنى التبغ، والقبائل الأخرى المعروفـة فى ظفار هى قـبيلة جـعفر وبيت القـلم. ويوجد من القبـيلة الأولى فى مرباط (20) أسرة، ومن الثانية عدد قليل من الأسر. وهنالك قبائل السادة من آل

1 ـ فرد هاليداى ـ نفس المرجع ص250.

العلوى والمشايخ ولـهم مركز دينى مـحترم ويعـيشون فى مـرباط وطاقة. وهنالك قبيلة «الحساريت» أو «الحسريت» البدوية التى يزور أفرادها مرباط، ولكنهم يعيشون عادة بمنطقـة تبعد مسيـرة ثلاثة أو أربعة أيام إلى الشرق من ظفار، كـما تقطن هنا قبيلة الحراسيس التى يرى بعض أفرادها التائهين فى ظفار ويقال إنهم يقدمون إليها من مسافة بعيدة. كما يوجـد بعض «المهرة» و«الحكمان» فى مرباط. غالبية السكان هم أحفاد الظفاريين الأصليين ويقيمون فى الريف وفى الجبال. وهم يختلفون عن بقية سكان عمان من حـيث إنهم مسلمون من الطائفة السنية الشافعيـة الحضرمية. وبالاضافة إلى المحافظة على الحضارة الدينية للإسلام، يتكلم الظفاريون لغة سادت فى اليمن قبل انتـشار اللغة العربية وهى لغـة حضرموت القديمة وهى لغـة عربية تشبه اللغـة البربرية فى المغرب العربى. وهى مشـتقة من اللغة الحمـيرية الموجودة على العديد من النقـوشات فى شمال وجنوب اليمن. وأهم خـصائص هذه اللغة الحرف الساكن (ل ل) المشابه للحرف الإنجليزى كما فى كلمة «للوللين» Lieivel-lyn وهذه أكثر تـشنجا من اللغة العربيـة ولكنها تشاطرها العديد من المـشابهات، ويستطيع متكلمو لغة الجبل تعلم اللغة العربية بسهولة نسبية. ولم تكتب لغة الجبل إطلاقًا، وأهم أشكالها الأدبية الشعر الملحمى الذى ينشد ليلا حول نار المخيم، أما كل التعابير التى تصف الظواهر الحديثة «كالرجعية» «والاستعمار» فهى مأخوذة من العربية مباشرة.

يعيش أهالى الجبـال فى الكهوف الكلسية أو فى أكواخ بسيطة مـن القضبان والقصب أو من الطين، وينامون أحـيانًا ما بين الفترتين الموسميـتين فى العراء بعد أن يوقـدوا نارًا خفيـفة لإبعـاد برودة الليل عن أنفـسهم. ويملك مـعظم الأهالى مساكن ثابتة، ولكنهم ينبذون حياة الاسـتقرار أثناء الموسم الجاف. أما القبائل التى تعيش على طرف الصحراء فحياتها حـياة بدوية تماما. ويسيطر تحالفان قبليان على

ظفار وهما: «الكثير» و«القارة». وتنحدر قبائل الكثير من حضرموت، ومن المعتقد ان بعضها قد هاجر إلى ظفار فى القرن الخامس عشر. وهذه القبائل تقطن الساحل ومنحدرات الجبال الشمالية وأطراف الصحراء، وهى تعيش أساسًا على الزراعة الرعوية وعلى قطف البخور. وتعتبر الكثير من أقوى قبائل جنوب شرق الجزيرة العربية حيث تسيطر مع فروعها جميع أجزاء الربع الخالى وخاصة قبيلة العوامر القوية التى ترجع إلى «الكثير» وكذلك «الشنافرة». أما قبائل القارة فتقطن المنطقة الجبلية الوسطى فى ظفار - المعروفة بجبل القارة - وهى أغنى قبائل ظفار وأكثرها ارستقراطية. ولهذه القبائل تسعة أقسام رئيسية وخمسة عشرة قسمًا فرعيًا، وليس لها قيادة دائمة. هذه القبائل انحدرت من قبائل حضرموت أيضا والذين حكموا منذ ذلك الحين قبائل الشحر وأجبروهم على تبنى لهجتهم وعاداتهم، وأبقوهم مبعثرين فى خدمة أسيادهم قبائل القارة مما يعنى وحدة تاريخ حضرموت القبلى والجغرافى والسياسى حيث أعادت قبائل «الكثير» وحدة حضرموت الكبرى من ظفار إلى «أبيين». وتمتلك القارة معظم المواشى ومصادر المياه وأشجار البخور فى ظفار. وبما أن تربية المواشى تعتبر عملا ذا شأن فى ظفار، فإن قبائل القارة تمتنع عن العمل فى الزراعة رغم انهم قد يؤجرون قطع أرض صالحة للزراعة للقبائل الأدنى مستوى. حيث قامت قبائل المشايخ وبيت عيسى المتفرعة من القارة بتأجير أراض فى غرب ظفار لقبائل الشحر والمهرة. كما قامت قبائل القارة أيضًا بتأجير أشجار البخور بنفس النمط للقبائل الأدنى. وقبائل المهرة الظفارية هى امتداد لقبائل المهرة فى المناطق الحدودية من حضرموت. وقد استولت هذه القبائل على أراضى قبيلة (بوطهارة) ودفعتهم شرقًا بحيث أصبحوا اليوم قبيلة فقيرة من صيادى الأسماك الذين يعيشون على طرف خليج كوريا موريا. أما قبيلة المهرة فى الشرق فهم من البدو الذين يقطفون البخور أثناء موسم الحصاد، وهم فى الغرب رعاة أساسا، بينما يعيش بعضهم على الساحل ويشتغلون كبحارة وصيادين. وتعيش إلى أقصى الشرق من ظفار قبيلة صغيرة أخرى، وهى قبيلة الحراصى والتى تبنت

الكثير من عادات البدو العرب الذين اختلطت بهم[1]. وتتصل ظفار مع المهرة من الغرب. وقد كان يقيم فى ظفار عـدد قليل من التجار الهنود: ولكن لا يوجد بها أحد منهم الآن. وتستـشرى الثارات الدموية بين الظفـاريين. ولقد وصل الحد إلى عدم تمكن المرء من السـير دون حماية آخـر. كذلك كانت الحالة السـائدة فى عام 1845 عندما سـادت الفوضى وتولدت الرغـبة لاستدعـاء حماية بـريطانية. ولكن الأحوال استقرت نوعا ما بعد أن تمكن سلطان عمان من فرض سلطته على ظفار. ويقال إن عدد السكان يتـناقص باستمرار. ويطلق على حكام ظفـار السابقين اسم منقـوى. وتغـطى قـراهم المهدمة سـهل ظفار. يبـدو من الجدول الوارد أن سكان ظفـار لا يتـعدى عـددهم 11,000 نسـمـة حسب تقـرير لوريمر وهـم موزعـون كالآتى: [2]

3000	سكان مقيمون فى مقاطعة ظفار من السادة العلويين وغيرهم
1500	المقيمون فى باقى المنطقة من السادة وغيرهم
4250	بدو قارة
2000	بدو آل كثير
250	البد الآخرون (الحساريت... إلخ..)

11.000	المجموع

تتقاطع هذه الإنقسامات القبليـة مع انقسامات من النوع الاجتماعى فى نظام اجتـماعى بدائى. وما يزال الفـائض فى ظفار يستمـد أساسًا من العـمل اليدوى،

1 ـ فرد هاليدى ـ نفس المرجع ـ ص25.

2 ـ ج. ج. لوريمر ـ القسم الجغرافى ـ جـ2 ص568.

فليس هناك تراكم لرأس المال، واستعمال الآلات محدود جدا. ورغم ان الانقسامات الاجتماعية محدودة فالناس يشعرون بها. وينقسم سكان ظفار إلى الذين يعملون والذين يعيشون من وراء عمل الآخرين. وتشمل الفئة الثانية التجار والاداريين وبعض الشيوخ الأثرياء نسبيا، ويتألف عمال البلد من الرعاة والعبيد والصيادين والفلاحين والعمال غير المهرة. والطبقية هى على شاكلة التقسيم المهنى. فهناك طبقة صغيرة من السادة العلويين من أحفاد الإمام محمد صاحب مرباط والذين ينحدرون من نسل النبى محمد ﷺ - تقع على قمة الهرم الطبقى، ويليها قبائل القارة والمهرة والكثير. ويلى القبائل الارستقراطية القبائل المستقرة أو التى جرى اخضاعها - «الحر» و«بوطهارة» - بينما يقبع عبيد السلطان فى أسفل الهرم. والعلاقات ما بين القبائل منظمة بشكل يحفظ الموقع الطبقى لكل قبيلة، فرغم أن العائلات وليس الأفراد هى التى تمتلك المواشى إلا أن هناك فروقات كبيرة فيما بين القبائل الفرعية ودخل كل قبيلة. ويجرى الحفاظ على التمييز الاجتماعى من خلال قصر احقر الأشغال على الطبقات الدنيا فى المجتمع، ومن خلال الإصرار على ان يدفع مهر كبير لوالد العروس مما يمنع زواج الرجال الذين ينتمون إلى تلك الطبقات من نساء من عائلات أعلى من مستوى عائلاتهم.

ينتمى سكان ظفار إلى مجموعة من القبائل التى ذكرنا سابقا وهى آل قرة، آل كثير، المهرة، الشحرة، الحراسيس، والبطاصرة. وجميع قبائل ظفار ينحدرون من القبائل الحضرمية، كما أن لظفار ارتباط تاريخيا واجتماعيا وثقافيا واقتصاديا وثيقا بحضرموت إن لم تكن متممة له وأن قبائلها قامت بتوحيد حضرموت عدة مرات، وتعتبر قبائل الكثير والقرة من أقوى وأكبر القبائل الظفارية، ويميز هذه القبائل عن بقية سكان عمان أنها تتكلم العربية فى غالبيتها الساحقة إلى بعض اللهجات القديمة قدم العرب وهى من لهجات حضرموت القديمة التى عاصرت سبأ وحمير ولهذا هناك تشابه كبير بين هذه اللهجات الظفارية القديمة ولغة البربر فى المغرب العربى مما يعنى أن أصول البربر قد تكون من حضرموت القدماء الذين

هاجروا إلى الحبشة من مضيق باب المندب ثم إلى ليبيا وتونس، كما يدين سكان ظفار بالمذهب الشافعى الحضرمى فى حين يدين معظم سكان عمان بالمذهب الاباضى اضافة إلى المذهب المالكى السنى، كما تسكن قبائل السادة من الأشراف، وهؤلاء من العلويين أحفاد الإمام جعفر الصادق عليه السلام، ويرجعون إلى حضرموت وخاصة مدينة تريم وسيؤون ولهم فروع كثيرة مثل بن حفيظ والغزالى والحداد والعيدروس والكاف والباعمر والسقاف وغيرهم، وللأشراف السادة العلويين مكانة اجتماعية مرموقة، كما يفضون المنازعات القبلية ويحلون مشاكل السكان ويقومون بعملية التدريس وتعليم أصول الدين والفقه واللغة العربية وغيرها.

تعترض المواصلات بين ظفار والعالم الخارجى عقبات عديدة. إذ لا يوجد على الساحل ميناء كبير، والرسو شاق وعسير بسبب قوة الأمواج، مع أن خليجى مرباط وريسوط صالحان لرسو المراكب الصغيرة أثناء هبوب الرياح الموسمية الشمالية الشرقية والجنوبية الغربية على التوالى. وليس للظفاريين سفن بحرية كبيرة بل قوارب صغيرة منها حوالى 40 قاربًا حوريًا و 10 شاشات. ويمكن عبور سهل ظفار مع مدافع الميدان. ولكن الطريق المحاذى للساحل والذى يربط السهل بميناء مرباط وعر. ومن الصعب نقل المدفعية الثقيلة فيه. ولا يمكن اجتياز الممرات فى تلال جبل سمحان أثناء الموسم الماطر. ولدى قبيلتى آل كثير وقارة كثير من الجمال، ولكن حيوانات النقل الأخرى نادرة. وهنالك طريق برية تصل بين صلالة فى ظفار وآدم فى عمان. ولكنها وعرة شاقة وتستغرق الرحلة مسيرة شهر كامل، ولا يمكن العثور على المياه إلا فى أماكن قد يبعد الواحد منها عن الآخر مسافة يومين. وهذه الطريق تتجه من ظفار نحو وادى جازير وتمر عبر مقاطعة تدعى قطين خلف جبل سمحان ثم تقترب من البحر فى جازير ثم تتجه نحو آدم مباشرة مارة عبر منطقة تدعى ضهر، وليس هناك طريق مباشر بين ظفار وقلب الجزيرة

العربيـة. ليس هنالك أى نوع من الصناعة. وأهم صادرات ظفـار هو اللبان الذى يجنى من جـبال سـمـحان ويصـدر إلى بومبـاى فى القـوارب المحلية. وتشـمل الصادرات الأخرى الجلود المـدبوغة وجلود الماعز والصمغ وشمع الـنحل والصبر. ومعظم هذه المنتـجات تأتى من التلال. أمـا الواردات الرئيسيـة فهى الأرز والسكر والجوارى والتمور والملابس المصبوغة من بومباى. كـما تشترى كميات من البضائع من عدن والمكلا وخصوصا التبغ من المكلا. ويأتى التجار من شحر لبيع بضائعهم فى ظفار ويعـودون إلى بلادهم عندما يشتـد البرد. وكان فى ظفـار زورق بحرى كبـير يقوم برحـلات بين مرباط والمكلا، وكثـيرا ما تأتى السـفن من المكلا وصور والبحـرين والكويت إلى ظفار بقـصد التـجارة أو للتزود بالمؤن الـضرورية، وتتم الأعمـال التجارية بين ظفـار وبومباى عن طريـق مراكب يمتلكهـا أهل صور فى عمـان. وكان من عادة تجـار ظفار استـجار مراكب هنديـة من السند، ويقال بأن التجارة تـتضاءل شيئًـا فشيئًـا. وتزور القوارب من الخليج ظفار عـادة فى شهرى نوفمبر وديسمبر ويعود بعضها قبل هبوب الرياح الموسمية. ولكن القوارب الأفضل عدة وتجهيـزاً تمكث مدة أطول وقد تبقى حتى بعد الهبـوب الأول للرياح الموسمية فى شهر يونيو. وهى تحـمل التمور لظفار وتعود محملة بالقـهوة. وتقوم القوارب الصغيرة على السـاحل بالقرب من مصيره بصيد الأسمـاك بمحاذاة شاطئ ظفار فى الشتاء وتعود إلى مراكزها فى شهـر مارس أو إبريل. ويعتقد أهالى ظفار بأنهم فى غنى عن التجارة مع الخارج وبأنه فى مقدورهم العيش على زراعتهم ومواشيهم إذا ما انقطع الاتصال مع العالم الخارجى. ومن الممكن أن يكون هذا الاعتقاد صحيحًا بالنسبة للطعام ولكنهم إذا مـا تعرضوا للحصار فإنهم لا يستطيـعون الحصول على الكساء. ولا يعرف على وجه التحديد شىء عن توفر المعادن. ولكن يوجد بالقرب من صلالة حجارة صالحة للبناء وإن كانت غير قوية.

يحكم هذه المنطقة النائية من سلطنة عمـان والٍ من عمان يعينه السلطان وقد

تغيب الوالى الراحل سليمان بن سويلم عن ظفـار مدة تسع سنوات قبل وفاته عام 1907 وكـان يصرف شـؤون الولاية نائب الحـاكم الذى يقـيم فى ظفـار. وتبلغ الرسوم المستوفاة من الجمارك البحرية 5000 دولار سنويًا. وهنالك ضرائب تجبى عن الحيوانات وضـريبة عن الزراعة. وتعرف الضريبـة الأخرى بالزكاة. وهى تبلغ 20/1 من مجـموع الإنتـاج الكلى. ويقدر المبلغ الذى يحـصل عليه الوالـى منها 15000 دولار سنويا.

تسلم الضـرائب كمواد عـينية. وكـان من عادة الوالى الراحل أن يـرسل ما يجمعه من هـذه المواد إلى تاجر فى الهند ليبيعه هناك. ويبـعث ثمنه نقدًا، وكانت هذه العائدات تكفى لتغطية نفقات الحكومة فى ظفار فقط، ولم يسبق أن أرسل أى رصيد متبق منها إلى مسقط، وتتألف القوة العسكرية من 50 رجلا يصل عددهم أحيانا إلى 200. وهم يحصلون على مـرتباتهم من العوائد المحليـة. ويبلغ عدد الجنود عام 1908 حوالى 60 وهم موزعون بين مرباط وصـلالة وحافة وريسوط. وهم من السكان المحليين وليسوا عمانيين. وهذا العدد لا يشمل الحراس الشخصيين الذين يحتفظ بهم نائب الحاكم فى الحصن.

يعتـبر إقليم ظفار جـزءا من منطقة ظفار التى يحكمـها الوالى. وكان مـقر الوالى الراحل فى الحصن الواقع على الشاطئ، بين صلاله وحافة كما كان له مقر صيف وحـصن فى رزات وبيت وحـدائق فى حمـران. المحاصيـل الرئيسـية هى البجرى والذرة بنوعيها الصفراء والشامية والقطن وقليل من القمح وقصب السكر. وليس لديهم أشجار نخيل. وينمو هنا جوز الهند ولا يتوفر منه أية كمية للتصدير. أما الفـواكه فهى البطيخ والشـمام والباباى والموز الهندى والتـوت. ويزرع التبغ، ولكن كمـياته لا تكفى حتى للاستـهلاك المحلى، كذلك يزرع البـقدونس والفلفل الأحمر كـما يزرع الوالى فى بستانه البـاذنجان ولا تستعمل المحـاريث هنا. وتحفر الأرض بالمعول أو الفأس. ويربى الناس هنا نوعًا غريبًا من الماعز الجيد المشهور فى

سائر أنحاء عمان باسم ماعز ظفار. ويتوفر السمك هنا بكميات كبيرة، وكثيراً ما يرى المرء مساحات واسعة مغطاة بأسماك تشبه السردين معدة للتجفيف بالقرب من القرى وتعيش فى المنطقة الغزلان والضباع والثعالب حيثما تتوفر لها فرصة للتوارى عن الأنظار. ونورد هنا أسماء المواقع البارزة والأماكن الأخرى فى بقية منطقة ظفار[1]:

خريفوت:ـ على الساحل بعد 17 ميلا غربى رأس ساجر. واد عميق وقرية بها 30 منزلا. يفصلها عن رخيوت إلى الشرق منطقة سليكوت وأهلها من شماسة وبنى عيسى من قبيلة قارة. فيها ترعة من الماء الجارى، كما يوجد فى مدخل الوادى مزرعة نخيل. وتقع القرية فى أقصى غرب منطقة ظفار وبها 100 رأس غنم وليس بها قوارب.

بندر ورأس نوس:ـ على الساحل على بعد 43 ميلا شرقى الشمال الشرقى من مرباط على رأس مرفأ صغير على طرفه الشرقى. وهو فى مأمن من الرياح الجنوبية والغربية. على بعد ميلين شمال هذه النقطة التى تشكل الطرف الشمالى للخليج، يوجد قبر صالح بن هود، كما توجد أشجار النخيل وينبوع ماء جيد يكفى لتموين مركبين أو ثلاثة فى اليوم. وتقيم هنا 29 أسرة من قبيلة الجنابة الحضرمية وهم فقراء وشبه عراة ويقيمون فى أكواخ منخفضة دائرية، مبنية من الحجر وسعف النخيل والنباتات البحرية وعندهم 60رأسًا من الماعز وليس لهم قوارب.

قنقرى:ـ على الساحل على بعد 22 ميلا شرقى مرباط. خليج رملى صغير عرضه عند المدخل ميلان ونصف وعمقه ميل ونصف وهو محمى من الشمال والشرق ومكشوف من الجنوب والعمق غير منتظم ويتراوح بين 8 و26 قامة جبل من الحجر الجيرى يدعى جبل قنقرى وبه عروق من الطباشير والجبس وارتفاعه

1ـ ج.ج. لوريمر ـ نفس المرجع ص571.

1300 قدم.

رخيوت:ـ على الساحل على بعد 13 ميلا غربي رأس ساجـر. قرية مؤلفة من 60 أو 70 منزلا يقـيم بهـا بيت عكعـان وبيت حردان وبيت عـيـسى وبيت شـماشـة من قبـيلة قارة. وهى تقع عنـد مدخل واد عـميق يحـمل نفس الاسم ويفصلها عن سفـقوط إلى الشرق منها سلسلة جبلية منحدرة بشـدة باتجاه البحر. تقع القرية على الجانب الغـربى لأحد الشعاب مقـابل الجانب الذى بنى عليه والى ظفار العمانى برجًا لدرء هجمات قبـيلة المهرة. وقد ازدادت رخيوت اتساعًا بشكل كبير فى العـشرين سنة الأخيرة نتيجة لازدهار تجارة البـخور. ويطلق على رخيوت اسم قمر، كما يطلق عليها أحيانا سعدونى نسبة إلى أحد زعمائها السابقين.

ريسوت:ـ فى أقصى غرب ظفار. خليج يـواجه الشرق ورأس يحمل نفس الاسم فى الجانب الجنوبى من الخليج. ويبلغ عرض الخليج ميلا وعمقه نصف ميل وشاطئـه رملى ويفصـله عن سهل ظفـار بضع مئـات من الياردات من الصـخور البحرية المنخـفضة. أما ارتفـاع الرأس فهو 200 قدم وعرضه عند الـقاعدة ميل واحد. وتغطيـه آثار بشرية حتى الآن وبه مـقبرة اتسـاعها ثلاثة أفـدنة. يوجد فى الخليج سوق تجـارية مبنيـة من الطين بها 15 ـ 20حانوتا. وقـد بناها والى ظفار. ويقيم فيه تجار ظفار بصفة دائمة. ويصبح عدد الحوانيت بين 40 و 50 فى الموسم التجارى بين شـهرى مارس وسبتمبـر. ويحرس هذه السوق 10 إلى 15 عسكريًا. ويصل إلى الخليج سيل عبر بحيرة صغـيرة. ويوجد على بعد ميل ونصف فوق هذا الوادى ينبوع مـاء عذب. وتتردد على هذا المكان قـوارب من سور ومدينة مـسقط وعند الأهالى 300 رأس من الماشية و200 رأس من الماعز.

خور روري:ـ فى أقصى شرق ظفـار. بحيرة أو مدخل بحـرى امتداده فى الداخل ميل أو أكثـر. ويصب فى هذه البحيرة وادى مربـاط الذى ينحدر من جبل سمـحان. يفـصل هذه البحـيرة حـاجز رملى يفيـض فوقه الماء عند ارتـفاع المد.

وهنالك شبه جزيرة كانت محصنة تتصل بالجانب الشرقى من المدخل. وهناك بقايا مبان قديمة حول البحيرة.

سدح:ـ على الساحل شرقـى مرباط على بعد 20 ميلا أو أكثـر منها باتجاه البر. قرية صغيرة على البحر على فم واد يحمل نفس الاسم وبها منزل أو منزلان وحوالى 20 كهفًا على جانبى الوادى يقطنها أهل العـمر من قبيلة قارة. كان والى ظفار يحتفظ بحامية مؤلفة من 15 جنديًا فى السابق. ولكنها ألغيت. وبها مخازن قليلة ويعـتمد السكان على تجـارة اللبان. ولا يملكون قـوارب خاصـة بهم. وبها 600 رأس من الماشية و1000 رأس من الماعز.

سفقوت:ـ على الساحل على بعد 9 أميال غربى رأس ساجر. قرية صغيرة مكونة من 10 منازل لقبيلة جنابة. وتقع عند فم واد عـميق يصب هنا فى البحر. يقيم الناس فى الكهـوف على طرفى الوادى. وهم لا يعترفـون بسلطة والى ظفار لكنهم لا يثيرون أية مشاكل.

رأس ساجر:ـ على الساحل على بعد 23 ميلا غـرب الجنوب الغربى من ريسوت. أكبـر رأس على الساحل الجنوبى لشبه الجزيرة العـربية ولكنه ليس الأهم والماء عميق جدا. ويبلغ ارتفاع قمته 3380 قدمًا فوق البحر. والجانب الشرقى منه ليس مرتفعا كالجانب الغربى. رأس ساجر جزء من جبل سمحان. وهو يتكون من حجـر جيرى لونه أبيض ورمـادى. وسفوحـه مغطاة بالأشـجار ما عـدا الأماكن العمودية. كمـا أن السهول الصغيرة على رأسه مـغطاة بالأعشاب الطويلة وهنالك مغاور على الجانبين يعيش بها بعض أفـراد قبيلة جنابة وخصوصا الجانب الشرقى. وهم فقراء يعيشون على صيد السمك بقوارب صغيرة قليلة رديئة الصنع لا يتجاوز عددها 20. وقد جـعلت حكومة الهـند عام 1879 هذا الرأس حدًا فـاصلا بين سلطات ضباطها فى مـسقط وعدن. ولكن هذا الإجراء أصبح مثارًا للتـساؤل، فقد بسط والى ظفار سلطته إلى رخيوت على بعد 13 ميلا غربى الرأس.

سيلكوت:ـ بين رخيوت وخريفوت. امتداد ساحلى. ترتد الأراضى المرتفعة هنا عن البحر وتهبط الأرض.

حافة:ـ على بعد ميلين شرق صلالة تمتد حوالى ربع ميل بمحاذاة الساحل. بها 150 منزلا من الطين والحجر وبعضها غير مأهول. وبها 25 عائلة تعمل بصيد السمك. والباقى من السادة العلويين والشنافرة من قبيلة آل كثير. بها قليل من حدائق جوز الهند. وليس هنالك صناعات.

حمران:ـ على بعد 12 ميلا شرقى صلالة وميلين عن البحر. منزل وحدائق مع ينبع ومجرى ماء كان يملكها والى ظفار السابق. يزرع هنا التبغ والخضروات والمزارعون من البياصرة المهاجرين من عمان.

الحصن:ـ على بعد 100 ياردة من الساحل فى نقطة على بعد نصف ميل غرب حافة، وميل ونصف جنوبى شرقى صلالة. هو الحصن الرئيسى فى إقليم ظفار بسلطنة عمان بناه الوالى سليمان منذ عدة سنين. مساحته فدان واحد. وبه مبنى من ثلاث طبقات. ومدخله من الجهة الشرقية. يوجد خارج الحصن سوق بها ستة حوانيت بقربها أكواخ قليلة.

رزات:ـ على بعد حوالى ثمانية أميال إلى الشرق من صلالة وعلى بعد ميل ونصف من البحر. قلعة بناها والى عمان السابق ويقوم على حراستها (10) جنود وبالقرب منها (10) منازل من الطين يسكنها الزارعون فى حديقة الوالى وهم من قبيلة آل كثير. يسقى الأراضى جدول ماء من واد يحمل نفس الاسم.

رباط:ـ على بعد ميلين شمال شرقى صلالة وعلى بعد ميل ونصف من البحر. موقع مهجور. تغطى بقاياه مساحة واسعة، ويبدو أن هذه البقايا غير قديمة جداً. هنالك قرية صغيرة منذ عام 1844 ولكنها هجرت بسبب غارات رجال قبيلة قارة. ويسكنها السادة العلويون وبعض القبائل الأخرى وهناك ضريح للإمام محمد صاحب مرباط وهو من أحفاد الإمام جعفر الصادق وجميع السادة العلويون فى حضرموت وعمان يرجعون إلى الإمام محمد صاحب مرباط وكذلك السادة العلويون فى جنوب شرق آسيا.

طاقة:ـ قرية فى أقصى شرق إقليم ظفـار على بعد ميلين غرب خور رورى و20 ميلا غرب مـرباط. قرية بها حوالى 200 كوخ من الطين ومبنى واحد من الحجـر. ويسكنها بطن المعشانى مـن قبيلة قارة. وبهـا ثلاث أو أربع عائلات من الاشراف السـادة من العيدروس وآل باعمـر وبعض المشايخ ممن يفضون الخـلافات بين البدو الذين يحترمونهم كثيـراً. ويوكل إليهم رعاية مواشى البدو عندما يكونون بالسهول. تتجـه الجبال نحو البحر ويشكل التقاؤها منظراً بديعًـا. وهنالك كثير من الأطلال القديمة.

عوقد:ـ قرية فى أقصى غرب سـهل ظفار على بعد 4 أميال غربى مدينة صلالة شـمال شرقى ريسوت وعلى بعـد ميل واحد من البحـر. بها 75 بيتًا من الطين. وهى مقسمـة إلى حيين يبعد الواحد منهـما عن الآخر نصف ميل. والحى الغربى يدعى عوقـد بيت فضل ويحوى 60 منزلا. والحى الآخر هو عوقد بيت مرهون وبه 15 منزلا مأهولا. وقد أخذ الحى اسمه من اسم ساكنيه وهم من قبيلة آل كثير. يزرع الأهالى الذرة الصفراء والبرجى ويجنون اللبان. ويستخرج الماء من آبار عمقها بين قامتين وثلاث وليس لهم قوارب. وعدد رؤوس الماشية 600 ونفس العدد من الماعز. ويوجـد فى منتصف الطريق بين صلاله وعوقد ينبـوع ماء عذب يسيـر بشكل متعرج ويصب فى البـحر. ضفـتاه عبارة عن سـبخة مليئـة بالطيور البحرية. وإلى الشمال من عوقد على بعد نصف ميل بقايا حصن مهدم.

بلاد:ـ على الساحل على بعـد نصف ميل إلى الشرق من حافة وتفـصلهما حقول القطن وحدائق أشـجار جوز الهند. موقع مهدم يغطى مـساحة ميلين طولا و600 ياردة عـرضًا. يمـتد الجـزء المحصن من هذه المـدينة القديمـة من طرفهـا الشرقى مـسافة 1240 ياردة بمحاذاة السـاحل بعرض 500 ياردة، وكانت أجزاء المدينة الثلاثة المواجهة للـبر محاطة ببركة عظيمـة من الماء العذب. وما تزال القلعة

فى شمال غـربى هذا الحى قائمة وترتفع 30 قدمًا. وخرائب الجـزء غير المحصن من المدينة منتشرة فوق مساحة كبيرة ولكنها ليست ذات شأن. تحتوى خرائب على بقايا تماثيل وبعضها يعود لعصور الإسلام وبعضـها لعصر الجاهلية. وينتمى للحقبة الأولى بلاط ضريح رخـامى يحمل تاريخ 710 هجرى وعليـه اسم مالك إبراهيم ابن مظفـر الذى كان أول من حكم ظفار مـن العرب. وفى مكان ليس بعـيدًا عن بلاد مقام عبدالله السامرى أحد الصالحين من السادة آل العلوى. ويهرع إليه الناس فى أوقات الجفاف طلبا للشـفاعة ونزول المطر، وهنالك غابة من نباتات السنط إلى الشمال والشرق من بلاد بها الغزلان والثعالب.

دهاريز:ـ على الساحل على بعد 4 أميال شرقى حافة. قرية بها 100 منزل بعضـها من الطين والبعض من الحـجر لبنى فاضل والآخـرين من قبيلة آل كثـير. والمكان مهدم. وإلى الغـرب منه حقول قطن ومزروعة أشجـار جزر الهند. يعمل الناس بصيد السمك والزراعة. ولهم 10 قوارب للصيد و1000 رأس من الماشية، و300 رأس من الماعز. وكانت دهاريز عاصمة لظفار فى السابق.

صلح:ـ فى الجبـال فى الاتجاه الشرقى من مـرباط التى يبعـد عنها مسـيرة يومين. يمكن بلوغ هذا الوادى سيـرًا على الأقدام فقط وبه 12 منزلا لقبيلة قارة الذين لهم 150 رأسًا من الماشية و200 رأس من الماعز وهم يستوردون الذرة من مرباط.

جعلت تجارة البـخور ظفار معروفـة للحضارات القديمـة فى البحر الأبيض المتـوسط، وقد جـاء ذكرها فى الإنجـيل على أنهـا «أوفيـر». وقد قـامت المملكة الحمـيرية فى اليـمن التى سبقت ظهـور الإسلام بغـزو ظفار للسيـطرة على تجارة البخور الهـامة. وقد وجدت آثار ما قبل الـفترة الإسلامية فى ظفـار، ولكن أكثر الآثار التاريخـية موجودة فى أطلال بلدة البـليد قرب صلالة ويرجع تاريخـها إلى القرنين الحادى والثـانى عشر، حين كانت ظـفار خاضعة لحكم سـلالة محلية هى

سلالة «الحبوظي». وقد زار ماركو بولو عام 1285 «مدينة الظفار» (أى الباليد)، والتى كانت خاضعة حينئذ لسلطان الحبوظي، كما زارها عام 1325 الرحالة العربى ابن بطوطة. وقد تحدث كل من ماركو بولو وابن بطوطة عن تجارة رائجة ومتنوعة تشمل تصدير البخور إلى الهند، وهى تجارة مالبثت ان انتهت فى وقت لاحق[1].

يرجع تاريخ ظفار إلى القدم كما انه كان مستقلا ولا علاقة له بتاريخ عمان، وكان امتدادا لتاريخ اليمن وخاصة حضرموت والمهرة من حيث الحكم والقبائل والعادات والتقاليد، حيث إن ظفار جزء من حضرموت وهو الحد الشرقى بينها وبين القبائل الازد اليمنية فى عمان بعد مدينة صور. وفى عام 1279 حكمها سالم بن ادريس الحبوظى وهو حضرمى، كما حكمها سيف الإسلام غسان حيث يرجع أسرة الغسانى فى ظفار حاليا أبناء هذا الحاكم فى القرن السادس عشر وهو صنعانى جاء من صنعاء ليوحد شمال اليمن مع جنوبها وإقليم ظفار، كما قام ببناء قلعتها المشهورة فى البليد والقريبة من العاصمة صلالة ولا زالت آثارها باقية إلى اليوم، رغم أن سرقها ويندل فليس الأميركى صاحب امتيار النفط، وبعد سيف الإسلام غسان حكم ظفار قبائل الكثير والذين جاءوا من حضرموت وحكموها حتى عام 1806 إلى ان تمكن الإمام محمد بن عقيل السقاف العلوى من حكم ظفار[2].

ومن المعروف أن الإمام محمد بن عقيل السقاف العلوى كان يملك ثلاثة سفن مسلحة ويسيطر على البحر العربى الممتد من سواحل ظفار إلى البحر الأحمر حيث كان مجاهداً فى سبيل الله ضد الاستعمار المسيحى الأوروبى يشر الرعب والذعر فى صفوف البريطانيين والفرنسيين الذين كانوا يمارسون الإرهاب المنظم الرسمى تحت مسمى الاستعمار والقضاء على المقاومة الوطنية، وحكم ظفار حكما قويا لمدة خمسة وعشرين عامًا إلى أن تم اغتياله على يد سالم بن نورى زعيم آل

1 ـ فرد هاليدى ـ المرجع السابق ص253.
2 ـ رياض نجيب الريس ـ التاريخ السياسى لظفار ـ ص31.

كراس عـام 1829 والذين كـان لهم ثأر عند الإمـام محـمد بن عـقـيل السقـاف العلوى، وعقب مقـتله استولت قوات سـعيد بن سلطان حاكم عـمان على ظفار وعرضت الحكـم على شقيـقه الإمـام عبدالرحـمن السقـاف العلوى ولكنه رفض وبعدها انسحبت القوات العمانية[1].

أبدى العثمـانيون خلال السبعينيـات من القرن التاسع عشر اهتـماما وإن لم يكن مباشرا بظفار الواقعة على الساحل الجـنوبى لشبه الجزيرة العربية. كانت ظفار من النواحى الشكلية خاضـعة منذ عام 1829 لسعيد بن سلطـان حاكم مسقط فى أعقـاب وفاة الإمام مـحمد عـقيل السقـاف العلوى الذى كان يحكمـها منذ بداية القرن. ولفترة مـا خضعت ظفار لأمريكى يدعى عبـدالله لورلى الذى كان قد وقع أسيـرا فى يد الإمام محمـد عقيل السقـاف العلوى فى إحدى غارات الجهـاد ضد المستعمرين الإرهابيين المسيحيين التى كان يقوم بها فى منطقة البحر الأحمر، وكان عمر الطفل الأمريكى يومئذ لايزيد على 10 سنوات فقد تربى فى أحضان الإمام محـمد عقـيل السقاف العلوى وأخـذ عنه الذكاء والجرأة فـقد قاد احـدى المعارك الناجحة لقبـيلة المهرة ضد قبائل القرا، اسفـرت عن فرض سيطرته على ظفار ولم يتضح أو يتأكد نوع العلاقة التى كانت تربـط ظفار بمسقط خلال فترة منذ منتصف القرن. وقد ذكـر تركى بن سعيد بأن وفـدا من ظفار قد وصل إلى مـسقط خلال حكمـه وحكم السلطان ثوينى عـام 1856 وحكم السلطان سـالم بن ثوينى عـام 1866 للتعبير عن ولائهم لحكام أسرة آل بوسعـيد وللحصول على نسخة من علم مسقط. ويؤيد مايلز رواية السلطان تركى فقد أكد بأن زعماء قبيلتين ظفاريتين على الأقل قد زاروا مسقط فـيما بين 1871 و 1876 ليعربوا عن ولائهم للسلطان تركى ابن سعيد. فى شـهر يونيو 1876 طرح موضوع السيـادة على ظفار للمرة الأولى على بساط البحث، وذلك عند وصول مبـعوث من صلالة إلى مسقط بخطاب من

1 ـ ج. ج. لوريمر - دليل الخليج ـ القسم التاريخى جـ2 ص897.

الإمام الفضل بن علوى بن مولى الدويلة العلوى إلى السلطان تركى بن سعيد وقد استهل مرسل الخطاب رسالته بعبارة تقـول: «من حكومة ظفار التابعة للامبراطورية العثمـانية». ويذكر مايلز بأن الإمام الفضل بن عـلوى بن مولى الدويلة العلوى قد وصل إلى صلالة هو وأفراد أسرته قادما من مكة وجـدة قبل عشرة أشهر من ذلك التاريخ وتمكن من فرض سلطانه على المهرة، كما خاض معارك عديدة ضد سكان القـرا فى المناطق الداخلية مـن ظفار. وصلت أولى المعلومـات عن وجود الإمـام الفضل العلوى فى ظفار فى شـهر فبراير 1876. وقد أكد هذه المعلومـات مترجم المقيمـية البريطانية فى عدن نقـلا عن أحد التجار الهنود الذين زاروا صـلالة، فقد ذكر التاجر بأن الإمام الفضل العلوى قـد ذكر له بأنه قد اجرى اتصالات بالحكومة العثمانية وعرض عليهم فيها رغبة سكان ظفار فى الانضواء تحت حكم العثمانيين، وأنه طلب منهم ان يزودوه بسـفينتـين و50 جنديا لحفظ الأمن فى البـلاد. وكان العثمانيون مـشغولين فى حرب ضد المسيحيين فى بلغـاريا مع روسيا فلم يتمكنوا من مساعدتـه. وكان الإمام الفضل بن علوى معروفـا لدى السلطات الهندية، فهو عربى من أصل حضـرمى من سلالة السادة الإمام أحـمد بن المهاجر حفـيد الإمام جعفر الصادق عليه السلام حفيـد السبط الإمام الحسين عليه السلام، وقد أقام فى ساحل ملبار فى الهند وتزوج من سـيدة هندية، وكان المسلمون فى ملبار يعـتبرونه من أولياء الله الصـالحين، وعندما كان فى ملبـار كان يقوم بنشاط سـياسى وإثارة المسلمين ضـد السلطات الاستعـمارية المسيـحية البـريطانية. وبعد وقـوع عدد من الاضطرابات التى حرض عليـها الإمام الفضل بن علوى العلوى، قـررت حكومة الهند نفيه عام 1852. ولقد حاول اغتيال القـاضى الذى حكم عليه بالنفى انتقاما من ذلك الحكم. وقد انتقل فيما بعد للإقامة فى مكة[1].

---

1 ـ جى. بى. كيلى. بريطانيا والخليج جـ2 ص82.

تولى حكم ظفار الإمام فضل بن علوى العلوى فى عام 1875 واستمر حكمه إلى عام 1879 عندما طرد منها نتيجة للثورة التى قامت ضده وأرغمته على الفرار وبعدها قام الشيخ عواد بن عبدالله بزيارة مسقط وأغرى حاكمها السلطان تركى بن سعيد بأن يمد سلطانه ليشمل ظفار، ولكنه لقى معارضة سلطان شحر والذى عارض ضم ظفار لعمان إضافة إلى معارضة الوزراء العرب العاملين فى حكومة حيدر أباد فى الهند. وهنا تدخلت الحكومة البريطانية إلى جانب سلطان عمان واعتبرت ظفار ضمن مسئولية الوكالة السياسية البريطانية فى مسقط بدلا من مقيمية عدن. ومن هنا أصبحت ظفار تتبع عمان بناء على الرغبة البريطانية وسياستها التى قامت بفصل ظفار عن حضرموت وضمها إلى عمان برغم المعارضة، وقد يكون اعطاء ظفار لعمان مقابل فصل زنجبار وشرق أفريقيا عن عمان. ولكن الحكم العثمانى لم يستمر عليها طويلا نظرا لعدة ثورات قامت وطردت الحاميات العثمانية وكذلك الحاكم العثمانى إلى أن تمكن سلطان عمان بمساعدة بريطانيا من السيطرة على ظفار خاصة بعد نجاح الحملة البريطانية العسكرية عام 1895 فى اعادة السلطة إلى حاكم عمان [1].

بعد إعلانه بأن ظفار تابعة للباب العالى، قدم السلطان تركى احتجاجا على نشاط الإمام الفضل بن علوى العلوى، وطلب من مايلز مساعدته على استرجاع الإقليم منه مما يعنى منافسة العثمانيين لقلب المناطق التابعة تحت الحماية المسيحية البريطانية وخوفا من الثورة أو المعارضة الإسلامية ضد الوجود البريطانى فإن الحكومة البريطانية أسرعت لاحتلال ظفار وضمه إلى عمان، فاحال مايلز طلب السلطان تركى إلى بيرودو الذى وافق عليه ثم بعث به إلى الحاكم العام للهند. وقد علق بيرودو على طلب السلطان تركى بأن الإمام الفضل بن علوى مولى الدويلة شخص خطير حاقد على بريطانيا وان دعوته للجهاد ضد الاستعمار

1 ـ ج.ج. لوريمر ـ المرجع السابق جـ2 ص902 ـ 912.

المسيحى البريطانى أكثر تطرفا من الدعـوة الوهابية ويشكل خطورة على الاستعمار البريطانى لانه يدعو إلى الجـهاد ضد بريطانيا، غير ان ليـتون لم يجد من المناسب اتخـاذ اجـراءات ضد الإمـام الفـضل بن علوى مـولى الدويـلة العلوى فى ذلك الوقت، إلا انه اقـترح على سـالسبـورى إجراء تحـقيقـات عن نشاط المذكـور فى اسطنبول، وأن يحاول اقناع الباب العالى باصدار بيـان يستنكر فيه تصرفات الإمام الفضل بن علوى مولى الدويلة العلوى. وفى شهر أكتوبر 1876 أرسلت تعليمات إلى اليـوت باثارة مـوضوع الإمـام الفـضل بن علوى العلوى مع سلطات البـاب العالى، لكن دون ان يشير إلى أن الحكومة العثمانية وراء نشاطات المذكور أو يلمح إلى تبعـية ظفـار لمسقط بأى حـال من الأحوال. بعـد هذا انقطعت أخبـار الإمام الفضل بن علوى العلوى حتى شهـر نوفمبر 1877 عندما تلقى البريجدبير جنرال فرانسيس لوك، المقـيم السياسى البريطانى فى عدن خطابا منه ذكـر فيه، أن بعض السفن التى ترفـع الأعلام الحمراء قـد أخذت ترتاد مـياه البحـر العربى ولكن لم يستدل على هويتهـا، ولعله كان يقصد بتلك الأعلام الحمراء العثـمانية، وقال بأن الحكومة العثمـانية قد اعتادت إصدار مثل تلك الأعـلام للسفن التى تمارس أعمال الجهاد فى تلك المناطق، وكان الإمام فضل بن علوى العلوى يحاول ان يلفت نظر المقيم الـسياسى البـريطانى إلى موضـوع تلك السفن اعـتقادا منه فـى ان الحكومة البريطانية قد اهتمت سابقا بتنظيم الملاحة فى ممتلكات الدولة السامية (أى العثمانية) نظرا لعـدم وجود مـثل ذلك النظام فى شـبه الجـزيرة العربيـة، وتأكد ليتتـون من المعلومات التى تجمعت لديه، بأن الإمـام الفضل بن علوى العلوى قد نجح بالفعل فى توطيد حكمـه فى ظفار معتمـدا فى الاساس على تأييد قبائـل القرا التى يقدر عددها فى ذلك الوقت بثلاثة آلاف وخمسمـائة فرد كما كان هناك نحو ألفى رجل من قبـائل الكثير تناصـره أيضا. وقد اسـتنتج لوك، على ما يبـدو، أن امكانيات الإمام فـضل بن علوى العلوى لنشـر الاضطرابات حسب المفـهوم الاستعـمارى

البريطانى ويعنى الجـهاد ضد المسيحـيين قد تزايدت، ولذلك اقتـرح على حكومة الهند ارسال سفينة حربية إلى ظفـار ومطالبة الباب العالى بالكف عن التدخل فى شئونها. ونظرا لاشتباك العثمانيين فى حرب مع الروس فى تلك الفترة فقد فضلت حكومـة الهند ألا تقـوم بأية خطوة للضـغط على حكومة الـباب العـالى فى هذا الموضوع، كـما رأت أن إرسال طراد حـربى بريطانى إلى ظفار قـد يرفع من شأن الإمام الفـضل بن علوى العلوى ويزيد فى أهميـته. كان هـذا القرار قرارا سليـما بالنسبة لاقتراحات لوك. فـفى الأشهر الأخيرة من عام 1878 ضاقت بعض قبائل ظفار والـتى كانت تدعمـها بريطانـيا بالأسلحـة والأموال للاطاحة بحـكم الإمام الفضل بن علوى العلوى ويبدو أن بريطانيا لجأت إلى الحل الداخلى بدلا من الحل الخارجى لأن الهـجوم العسكرى البـريطانى قد يثير الدولة الـعثمانيـة وتدخلها فى المنطقة وهذا ما لا ترغب فيه بريطانـيا وبدلا من ذلك قدمت المال والسلاح لبعض القبائل التى قامت بمهمـة بريطانيا دون أن تثير قلاقل سياسيـة مع العثمانيين، ومما زاد الطين بلة وقوع موجة من الجفاف وتفشى الأمـراض مما سبب خسائر كبيرة فى الماشيـة والانتاج الزراعى، ولـم تصدق هذه القـبائل ما طلب منهم الإمـام الفضل العلوى من أن السبب فى ذلك هو رفضها دفع الزكاة إليه. وقد تدهور مركزه أكثر بعد ان حاول تحصـيل الزكاة منهم بالقوة، فضريبة الزكاة إلى جـانب رسم الخمسة فى المائة الذى كان يتـقاضاه الإمـام الفضل العلوى على الصـادرات والواردات قد اضاف شـيئا جديدا علـى السكان مما اضطر نحو 300 شخص إلى طلب الخـدمة عند سلطان تركى فى مـسقط بايحاء مـن بريطانيا التى قدمـت لهذه المجمـوعات بعض الأموال والأسلحة. وكانت القـشة التى قصمت ظهر البعيـر هى قيام الإمام الفضـل العلوى ببناء قلعة فى صـلالة لإحكام قبـضتـه على البلاد. ففـى خريف 1878 شنت قبـائل القرا هجومـا على تلك القلعة ولكنهم ردوا على اعـقابهم مما شجع الإمام فضل على المطالبة بتسليم المسـئولين عن تلك العملية إليه، وبمساعدة

بيت كثير تم اعتقال خمسين شخصا والذين أخذهم الامام فضل بن علوى العلوى رهينة لديه، غير ان تلك العـملية حركت القلق فى نفسه فقـام بايفاد رسولين إلى اليمن يطلب المساعدة من الوالى العثمانى فى صنعاء ومن شريف مكة. وقد اعطى تعليمـات للرسولين بأنه فى حالة فـشلهما فعليـهما ان يجمـعا بعض العثمـانيين والعرب وان يحضراهم إلى صلالة وذلك محاولـة منه لاضفاء الأهمية على مركزه فى الأوساط القبليـة فى ظفار. غير ان الحظ لم يحـالفه فقد عاد المبـعوثان بخفى حنين. وفى بداية 1879 ثارت عليه قبائل كثيرة وتمكنت فى أواخر يناير 1879 من إقصائه عن البلاد، فتوجه إلى المكلا، ومنها إلى جدة. وعلى الرغم من أن مبادرة بيت كـثير كـانت بدعم بريطانى حـيث قدمت لهم الأسلحـة والأموال خـوفا من إعلان الجـهاد من قـبل الإمام الفـضل بن علوى العلوى ضد الاحـتلال المسـيحى البريطانى لعمان، إلا أنها لقيت التأييد من السلطان تركى. ففى أوائل 1878 بعث زعيم بيت كثيـر عوض بن عبدالله برسالة إلى تركى يشكو فيـها من تعسف الإمام فضل العلوى. وقـد رد تركى مؤكدا بأن ظفار تابعـة لمسقط ولا دخل للعثمـانيين فيها، وبالتـالى فلابد من العمل لطرد الإمام الفضل العلوى من ظفـار. بعد شهر من إرسال الخطاب توجه عوض شخصيا إلى مسقط وأعلن ولاءه للسلطان تركى، وقد أبلغ تركى المعتمـد السياسى البريطانى فى مسقط مايلز بأنه قـرر تعيين عوض واليا على صـلالة، وبعد ذلك بقليل عـاد عوض لاستلام منصـبه ومعـه قوة من الحرس المسلح وذلك كـمكافأة لإدخال ظفـار تحت الحكم المسيـحى البريطانى عن طريق حاكم عمان ومنذ ذلك التاريخ ظلت ظفار تخضع لسلاطين مسقط[1].

من الصعب تحديد مدى الاهتمام الذى كانت تبديه الحكومة العثمانية بحركة الجهاد الذى قام به الإمام فضل العلوى فى ظفار، ومن المؤكد انها كانت تعلم به، ولابد ان تكون قد اطلعت عـلى خطة الجهاد ضـد الوجود المسيـحى البريطانى فى المنطقة من الإمام فضل العلوى عندما كان يقـيم فى مكة وانها كانت تشجعه ولكن

1 ـ جى. بى. كيلى ـ نفس المرجع ص675.

انشغالها فى الحروب ضد الروس فى أوروبا الشرقية منعها من تقديم مساعدات للإمام فضل العلوى. كما ان من المؤكد ان السلطات العثمانية قد رحبت بالإمام فضل العلوى عند قدومه من الإسكندرية فى شهر مايو 1879، كما ان احد مرافقى عبدالحميد العسكريين قد اجتمع به فى الباخرة وأعدت له مقابلة مع السلطان فى قصر يلدز. واعتبروه ضيفا على السلطان وخصص لاقامته منزل عثمان بك ياور السلطان، وهكذا انضم إلى حاشية السلطان كواحد من المشايخ الدينيين الذين كان السلطان عبدالحميد يحيط نفسه بهم حتى وفاته بعد أكثر من اثنى عشر عاما.

لقى احتلال السلطان لظفار دعم بريطانيا المستمر، كما دعموه بنفس الطريقة ضد قبائل الداخل المتمردة والقريبة من مسقط. وكان غالبية زعماء العشائر فى ظفار يفضلون الاستقلال، بينما كانت قبائل موالية لحكم الإمام فضل العلوى. ولكن القوة كانت هى العامل الحاسم فى الموضوع، إذ تمكن الجيش العمانى بمساعدات بريطانيا العسكرية والمالية عام 1880 وعام 1883 من الصمود فى السهل الساحلى فى وجه انتفاضات قبائل القارة بما فيها القبائل التى كانت موالية لمسقط فى السابق. وقد زار الرحالان البريطانيان ثيودور بنت وزوجته مناطق ظفار الدخلية، وكانا بذلك أول من زار الداخل العمانى من الرحالة الأوروبيين. وقابلا الوالى سليمان بن سويلم الذى يسكن فى الحافة، قرب صلالة، وشاهدا ظفار فى زمن السلم. ولكن بعد رحيلهما بوقت قصير حدثت انتفاضة غير متوقعة قتل خلالها اثنان من أولاد سليمان ورفع العلم العثمانى التابع للإمام فضل العلوى على صلالة الفترة الأولى للاستيلاء السلطانى على عمان - كان فى السلطة - السلطان تركى بن سعيد (1871 - 1888). وقد كان مواليا للبريطانيين منفذاً لتعليماتهم، وقد وقع فى عام 1873 معاهدة حظر تجارة الرقيق رغم معارضة الداخل - وقد تعرض لمعارضة عمانية داخلية بجانب المعارضة الظفارية فى السنوات 1874 - 1877 - 1833 - وقد ساعده البريطانيون لصد هذه الهجمات كما قدموا

إليه المساعدة العسكرية. وكان التأييد البريطانى له هو عامل الحسم للحفاظ على حكمه. أدت هذه الانتفاضة إلى حدوث أول تدخل عسكرى بريطانى فى ظفار، إذ قام البريطانيون بإرسال السفينتين الحربيتين «لورنس» و «قوزاك» لاعادة الحكم العمانى والقضاء على أى نفوذ عثمانى تابع للإمام فضل العلوى يهدد السيطرة البريطانية على المنطقة. وأعيد تنصيب سليمان بمساعدة بريطانيا كما جرى ترسيخ نظام الحكم العمانى الذى يقوم على سلب ظفار ونهبها. فقد فرض السلطان ضريبة زكاة سنوية على أهالى ظفار مقدارها دولار ماريا تريزا عن كل خمسة جمال، ودولار عن كل عشرة من الماشية، و«عنزة» واحدة عن كل عشرين عنزة. وكانت معظم هذه الضرائب تدفع بشكل عينى ويجرى شحنها إلى بومباى حيث تحول إلى نقد. وكانت ظفار عام 1895 تدفع لخزينة مسقط 15,000 دولار ماريا تريزا. ويقول المؤرخ البريطانى فرد هاليداى: وبينما كانت عمان مستعمرة بريطانية كانت ظفار مستعمرة عمانية إذ كانت مهمة حاكم صلالة تنفيذ أبسط شكل من أشكال الاستغلال وهو النهب. ولم تدمج ظفار طوال فترة الحكم العمانى كلية بالسلطنة، وقد عبر عن موقعها ازاء عمان بتسميتها «معتمدية ظفار»[1].

ذكر المقيم السياسى البريطانى فى خطاب لمايلز بأن إخضاع ظفار الحضرمية لحكم عمان التابع لبريطانيا لم يكن خطوة حكيمة وانها لن تؤدى إلى أية مكاسب، وإنما على العكس من ذلك فهى قد تفرض أعباء مالية على السلطان وتكون مصدر إحراج لمسقط. والواقع أن حكم تركى بن سعيد لمسقط كان كله سلسلة من المواقف السياسية المحرجة. فمنذ توليه الحكم تدهور مركز مسقط، وبنهاية السبعينيات من القرن التاسع عشر لم تعد مسقط تلعب أى دور فى سياسة دول الخليج العربى، غير أن مسئولية ذلك لا تقع كلها على عاتق تركى لأن تدهور البلاد قد بدأ قبل ذلك، أى منذ انفصال زنجبار عن السلطنة، وإنهاء عقد إيجار بندر عباس، وظهور

1 ـ فرد هاليداى ـ المرجع السابق ص254.

حـركة رجـال الدين فى عمـان. فنتيـجـة لقيـام حكم الإمامـة فى داخل عمـان والانغلاق الذى فرضتـه بريطانيا على عمان الداخل، انكفأت عمـان على نفسها، وانقطعت صلاتها بالعالم الخارجى. ومن ناحية أخـرى فإن انهيار النفوذ السعودى فى نجد والاحساء وتزعزع مركز المسئولين فى عمان قد ساهما بدورهما فى تدهور عمـان وفى عزلتها. وإذا كـان السبب الأول قد ازال خطرا ماثلا وفـعلا ـ وإن لم يكن مستمرا ـ وان كـان له الفضل الأكبر فى توحيد القبائل العـمانية، فإن السبب الثانى قد يشـجع المتمردين من القبائل والطامـعين فى السلطة ورجال الدين الذين يريدون احيـاء الإمامة على محـاولة زعزعة الحكم فى عمـان. ومن سوء الحظ ان تركى بن سعيـد لم يكن من ذلك الطراز من الرجال الذين تحتـاج إليهم الأمة فى المراحل الحاسـمة من تاريخهـا. لقد اضاع تركى الفـرصة التى سنحت له لتـوطيد حكمه عام 1873 بتبـديده الأموال التى حصل عليـها من معونة زنجـبار فى ذلك العام. وفى هذا الصدد كتب صموائيل مايلز عن السلطان تركى يقول[1]:ـ

«كانت تلك الفرصة بالنسبة لتركى هى الفرصة التى لن تتكرر لو انه انتهزها لتدعيم مـركزه وتوطيد حكمه. ولكنه على أية حـال كان حاكما قـصير النظر ولم يدرك أهمية حـشد موارده والاحتـفاظ بأرصدة احتيـاطية لديه. كما كـان ضعيف الإرادة منساقا لعواطفه. وقد ظل رصيده يتدفق على القبائل فى داخلية عمان دون حسـاب. وأخذت القبـائل تزور مسقط لصـرف المنح والمعونات. وقـد بقيت هذه القبائل هادئة طالما كانت تحصل علـى ما تريده من أموال من السلطان. وقد رفعت المخصصات التى كـانت تدفع لزعماء القبائل إلى الضعف. كـانت تلك الفترة هى الفتـرة الذهبية لحكم تركى إلا أنهـا لم تطل، وكان من نقاط الضـعف البارزة فى تركى اعتمـاده على بعض الخدم والمقربين فلم يعـين له وزراء أو مستشـارين اكفاء لإسداء المشورة إليه. وبتلك التصرفات فقد أساء تركى لا إلى نفسه فحسب، وإنما إلى أصدقائه ومؤيديه».

1 ـ جى . بى. كيلى . نفس المرجع ص677.

نظرا لضعف سلطة الدوله فى عهد السلطان تركى فقد وجدت حكومة الهند نفسـها مضطرة إلى التـدخل فى شئون البـلاد الداخلية، رغم انهـا كانت تؤثر ان تقصر تدخلها على المحافظة على الرعـايا البريطانيين الهنود. ولكن الحكم العمانى لم يستـمر طويلا على ظفار، فـقد تمكنت قبـائل الكثير من طرد الوالى العـمانى والحامـية العسكرية من مدينة صـلالة عام 1896م، وهكذا انحسرت سلطة حكام عمان عن ظفار، ولكن بريطانيا بدأت تحرض سلاطين عمان بضم ظفار واحتلالها عسكريا ولأجل ذلك قـامت بإرسال المعدات والمساعدات العـسكرية، ويرغم إعادة احتـلال صلالة وخضـوعها للحكم العـمانى وانسحـاب قبائل الكثـير إلى المناطق الشماليـة والجبلية إلا أن الوالى العمـانى سليمان بن سويلم لم يتـمكن من دخول صلالة بل تركها بيد أحد مماليكه ويدعى بخـيت النوبى والذى أصبح حاكما لظفار من عام 1907 إلى 1916.

يمارس الحاكم سلطته بوسيلتين: الخـلافات العشائرية، ومحاصرة الداخل. فكلما تمنعت قبيلة عن دفع الضريبة كان الحـاكم يثير القبائل الأخرى ضدها ويقطع عنها الأرز والسردين المجفف فـيدفعها للخضوع بواسطة التجـويع. وكانت القبائل المثقلة بالضرائب ترفض السيطرة العمانية التى كـانت تعتبرها سيطرة أجنبية، ولكن الحصار الذى يستخدمه الحاكم العمانى كعـقاب جماعى للقبائل أبقى المستعمرة فى ظل الحكم العمانى. اغتيل الحاكم سليمان عام 1907 وحل محله بخيت النوبى، وهو عبد عينه سليـمان نائبا له بعد استعادته صـلالة من القبائل عام 1907. وقد تميزت ولاية بخـيت بعدة انتفاضـات، مما دفع السلطان تيمور بن فـيصل (1913 ـ 1932) لزيارة صلالة عام 1916 وبحث الأوضاع فيـها. وعين حاكـما جديداً من ظفار يدعى عبدالله بن سليمان الذى توفى عام 1921 وخلفه عبد أيضا. وقد حاول سلاطين مسقط احـتواء الانتفاضات العشائرية المتكررة من خـلال توقيع معاهدات

مع زعماء العشـائر، ولكنهم كانوا غالبا ما يلجأون إلى أسلوب الاخـضاع المباشر بالطرق التقليدية. كـانت الطريقة ان يكتب زعيم العشيرة أو الأسـرة الممتدة رسالة إلى السلطان يعلن فـيهـا عن الولاء، وبالتالى يعـفى هو واسرته من الـضرائب أو يكلف بتحصـيل الضرائب من مجموع أفـراد العشيرة التى ينتمى إليـها. وبعد ان خلع سعـيد بن تيمـور والده عام 1932 زار ظفار وعـين الشيخ حمود بن حـامد الغافرى حاكما علـيها، وقد استمر حمود فى منصبه هـذا ثلاثة عقود. وكما كان معـهودا فى البـلاد الإسلامـية، كان يـتبع تولى حـاكم جديد سدة الحكـم مسح للأراضى والملكية لتحديد الضـرائب، وقد ظل مسح عام 1932 هو الأساس لكل أشكال الضـرائب فى ظفار حـتى عام 1970. استـمر إقليم ظفـار فى ظل حكم سعيد كسـابق عهدها، باستثناء تدخلين من العالم الخارجى. فـقد بنى البريطانيون أثناء الحرب العالمية الثانية مطارا حربيًا فى صلالة، مما جعل الشعب الظفارى يدرك بشكل أوضح مدى الدعم البريطانى الاستعمارى لمضطهديهم العمانيين. كما وصل عام 1948 أول فريق للتنقيب عن النفط تابع لشركة التنمية النفطية (عمان)، ورغم انهم لم يجدوا نفطًا، فـإن الشركة الأميـركية التى حلت محلهم وهـى «الخدمات النفطية لمدن ظفـار» وجدت النفط عام 1957 فى مرمول. وقـد أعلن هذا التجمع النفطى المؤلف من «شركـة خدمات المدن» و «مؤســسة ريتشفـيلد النفطية» ان نفط مرمول غير متوفر بكميات تجارية، وتنازل عام 1962 عن امتيازه لتجمع نفطى آخر مؤلف من جون و. مكوم و «شـركة النفط النقى» (بيور اويل كومـبانى) وانضمت إليهـما عام 1965 شركـة كونتيننتـال للنفط (كونتيننتـال اويل كومبـانى). وكانت الشركات الكبرى قد استبعـدت شركات النفط المستقلة هذه من كافة مناطق الشرق الأوسط. وكانت الشـركات المستقـلة تأمل فى ايجاد النفط فى ظفار ولكن آمـالها باءت بالفـشل. وعندما بـدأ الكفاح المسلح عـام 1965، انهارت نشـاطات هذه الشركـات: فقد نـسف الفدائيون شـاحنة مخصـصة للتنقـيب عن النفط مع بداية

النضال وأعـيد امتيـاز ظفار إلى شركة التنمـية النفطية (عـمان) عام 1969. وعاد السلطان عام 1971 وأعطى امتياز ظفار إلى تجمع نفطى اميركى عام 1971، كبادرة تدل على تقربه من الولايات المتحدة[1].

وبعد ذلك اضطر السلطان تيمور بن فيصل إلى القيام بزيارة ظفار والاجتماع مع القبائل ووقع معاهدة الصلح معهم، وبعـدها جاء السلطان سعيد بن تيمور عام 1932، واستطاع سعيـد بن تيمور أن يشدد قبضته على السـاحل الظفارى وخاصة منطقة الصلالة بيـنما بقيت الأجزاء الشمـالية والجبلية خارجـة عن سلطته، ثم قام سعيـد بن تيمور ببناء قصر فى ظفـار وجعله مقراً صيفـيا. وفى عام 1958 هرب السلطان سعيد من عمان نتيجة لثورة الجبل الأخضر وجعل صلالة عاصمة دائمة له ولم يطأ عاصمته السابقة مسقط طوال الأعوام الباقية من حكمه[2].

اعتـبرت هذه التطفلات الأجنبـية أقل أهمية من طبـيعة النظام الذى فـرضه سعيـد بن تيمور على ظفار. فقـد تزوج سعيد من امرأة ظـفارية وأنجب منها ولدا واحدا هو قابوس، وابنتين، وعاش منذ عام 1958 فى قصر الحصن قرب صلالة. وكان النظام القاسى الذى فرضه على عمان كلهـا اشرس ما يكون فى ظفار نفسها لأن سعيد يقـيم فيها ولأن وضعها كمـستعمرة قد جعلها دائمـا عرضة للاضطهاد بشكل يفوق بقية أنحاء عمـان. ورغم أن الأجانب الذين كانوا يزورون ظفار كانوا يرددون الخرافات حول نظام آل بوسـعيد. فقد كان لأهالى ظفار تجـربة مختلفة مع ذلك النظام. فالطريق الوحيـد فى البلاد كان الطريق العسكرى عبـر الجبال والذى يصل صـلالة بثمـريت (منتـصف الطريق) ثم بمسـقط، وكان فى البـلاد مدرسـة واحـدة، ولم تكن فيـها خـدمـات طبيـة ولا ميـاه ولا كـهرباء حـتى فى المدن. وبالاضافة إلى انتشار العبودية وإلى فقر الأهالى المدقع، أخضعت ظفار لسلسلة من

1 ـ فرد هاليداى ـ المرجع السابق ص255.

2 ـ رياض نجيب الريس ـ المرجع السابق ص38.

الممنوعات: «لقد لفت انتباهنا ارتداء بعض رعايا السلطنة ملابس مغايرة للباس التقليدى، ولذا فنحن نحذر الجميع وكل بمفرده من الخروج على اللباس التقليدى وارتداء ملابس أجنبية من تاريخ صدور هذا البيان. وسوف يلاحق كل من يخالف هذا الأمر».

روع سعيد الأهالى لاستراقه النظر بمنظاره المكبر فلم يكن مسموحًا لهم بالتدخين أو ركوب الدراجات الهوائية أو لعب كرة القدم أو فتح المطاعم أو قص شعورهم أو لبس الأخذية أو اقتناء الراديو. وكانت الهجرة ممنوعة منعًا باتا. وكان الشخص الوحيد المصرح له باستيراد الدواء أو ركوب الدراجة الهوائية هو مشعوذ إيرانى مقرب من السلطان يدعى أحمد شفيق.

ولم تجر أية محاولة للتشجيع على أو السماح بتطوير الاقتصاد الظفارى، بالرغم من الثروة الكامنة فى أراضى سهل جربيب الزراعية، وفى مواشى الجبال، وفى الثروة البحرية. وكانت الضرائب العالية تحول دون أى تطوير للاقتصاد. فكان على المرء أن يدفع سنويًا عنزة مقابل كل خمسة يملكها، وجمل مقابل كل خمسة جمال، وبقرة مقابل كل عشر بقرات. وقد جرى خنق عمليات صيد الأسماك بنفس الطريقة: ففى غربى ظفار، كان على الصيادين قبل التحرير عام 1968 أن يدفعوا 120 ريالا لحاكم رخيوت لأخذ تصريح بالصيد أثناء الموسم الذى يدوم ثلاثة شهور. وكان عليهم أن يدفعوا 75 ريالا عن كل شهر خارج الموسم. وكانت هذه الضريبة خاصة بصيد السردين فقط. أما صيد الأسماك الأخرى فكان يخضع لضريبة يومية. فقد كان الحاكم أو عميله ينتظران عودة القوارب لكى يأخذا كمية من الصيد بشكل اعتباطى. وكانت هناك ضرائب قاسية أخرى، فقد كانت الضرائب المفروضة على الواردات فى ظفار عام 1960 أعلى منها فى بقية أنحاء عمان بـ200 بالمائة، كما كانت تفرض ضريبة مقدارها 20 بالمائة على صادرات ظفار الضئيلة من الجبة (الزبدة). وكان هذا النظام يعتمد على شكل تقليدى جدا من أشكال القمع، فقد كان يريد الحفاظ على خضوع معتمدية ظفار بابقاء الناس

فى حالة عزلة عن العالم، وبعدم تشجيع اية نشاطات اقتصادية، وبتغذية الخلافات ما بين القبائل وداخل كل قبيلة. ولكن النظام ولد تناقضاته. فقد أخذت الدورة التقليدية تتكرر منذ عام 1880 على شكل ضرائب، فمقاومة فحصار فإخضاع فضرائب. وقد أضعفت المكائد القبلية التى كان يدبرها سعيد سلطة الشيوخ وأخلت بالتوازن ما بين القبائل، وأضعفت بالتالى النظام القبلى. ولكن الأمر الأكثر أهمية كان يتمثل فى اضطرار الظفاريين للهجرة بحثا عن العمل فى الخليج العربى، وقيام الطبقات المسحوقة فى المقاطعة بالقتال من أجل إحلال نظام جديد[1].

ثوار ظفار:

إن موقع عمان الاستراتجى يتحكم مع إيران تحكما تامًا فى مدخل مضيق هرمز وتمر ناقلات النفط عبر هذا المضيق بمعدل واحدة كل اثنتى عشرة دقيقة. وميناء قابوس فى مسقط هو الميناء مطرح الوحيد الواقع بين كراتشى وعدن كما أن لعمان من السواحل ما يزيد على ألف ميل ممتدة على طول المحيط الهندى؛ ولذلك فإن الاستقرار فى عمان أمر مهم بالنسبة للبلاد المجاورة وجميع الدول الأخرى فى تلك المنطقة.

ولكن نلاحظ محاولة بعض الثوار تحطيم البلاد، وقد سنحت هذه الفرصة عندما اندلعت هذه الحركة فى مطلعها ضد سياسة التعسف التى كان ينتهجها السلطان سعيد ولذلك فقد كانت حركة داخلية بحتة تقودها جبهة التحرير فى ظفار، ولكن ما لبثت هذه الحركة أن تحول مجراها عندما تولى زمامها عام 1968 رجال لهم أهداف ثورية واتصالات مع الشيوعية والدول الاشتراكية المتطرفة. وكانت أهدافهم واضحة جلية يستدل عليها المرء من اسم الحركة نفسه، فقد أطلقوا على حركتهم اسمًا جديدًا وهو «الجبهة الشعبية لتحرير عمان والخليج العربى»

1 ـ فرد هاليداى ـ المرجع السابق ص256.

ولكنهم أسقطوا كلمتى «الخليج العربى» من اسم حركتهم فى عام 1984 وقد أيدتهم الجمهورية اليمنية الديمقراطية الشعبية وأعانتهم ومكنتهم من القيام بأعمال عسكرية من مراكزهم خارج البلاد، وكان السلطان قابوس يرجو ان يضع اعتلاؤه الحكم حداً نهائيًا لهذه الثورة، فمنح للثوار الظفاريين عفواً عامًا وركزت «قوات السلطان المسلحة» على اقناع الثوار بفوائد السلام تحت حكم السلطان وهو سلام كان مهيئًا للبلاد كلها. ولكن الثوار لم يقبلوا المسالمة والمصالحة وكان ردهم على عفو السلطان تصعيدًا لأعمالهم الحربية إلى حد أنهم أصبحوا فى عام 1971 يهددون مدينة «صلالة» نفسها بالسقوط. وهكذا أصبح من الضرورى تقوية السلاح والقوة الجوية لسلطان عمان فحصلوا على الطائرات والناقلات من بريطانيا. وأسس السلطان جيشًا قويًا واستطاع بهذه القوة أن يبسط نفوذه فى منطقة الجنوب الجبلية ويطرد الثوار شيئًا فشيئًا من صلاله والمدن الساحلية. وبعد ذلك ازدادت قوات السلطان عددا وعدة ولكنها رغم ذلك لم تكن كافيه لاحتلال المناطق الجبلية الوعرة وفرض النظام والأمن فيها، ثم إن مجال العمليات الحربية قد اتسع فى عام 1972 فوصل إلى «حرميت» الواقعة على حدود جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية بالقرب حضرموت، ولذلك رحبت السلطة العثمانية ترحيبًا خاصًا بوصول وحدات الجيش الإيرانى والجيش الأردنى عام 1973 إلى عام 1974 لتدعيم المساعدات التى قدمتها الحكومة البريطانية وهى توفير عدد كبير من الضباط للعمل والخدمة فى الجيش العمانى، واستطاعت فى نهاية المطاف سياسة القوة العسكرية المدعومة بأعمال الاصلاح والتعمير ان تحقق النجاح[1]. وقد ساعدت بريطانيا والأردن فى تحقيق هذا الانتصار وقد تحقق ذلك فى ديسمبر عام 1975 وبدأت تأتى أفواج الثوار والمؤيدين لهم تأخذ العفو من السلطان وتنال منه الحماية والأمان وهكذا فى النهاية تم تسجيل انتصار باهر على الحركة الظفارية فى عمان.

1 ـ خالد محمد، عمان ونهضتها الحديثة، ص 21.

جبهة تحرير ظفار:

عندما حصل الازدهار النفطى فى الخليج العربى أثناء الخمسينيات هاجر الآلاف من الظفاريين برا وبحرا إليه سعيًا وراء فرص العمل المتاحة. وقد اشتغلوا فى مهن يتقنونها نتيجة لقوة أجسادهم بسبب طبيعة بلادهم الجبلية، فقد تركزوا، مثلهم مثل اليمنيين الشماليين الذين هاجروا إلى السعودية، فى قطاع البناء وفى القوات المسلحة. وأصبح الظفاريون يشكلون فى احدى الفترات أكثر من ربع قوات الشرطة فى قطر والكويت. وكان المهاجرون الظفاريون يرسلون بعض أموالهم إلى ذويهم كلما سنحت لهم الفرصة، كما كانوا يرجعون إلى ظفار اثناء الفصل الموسمى للمساعدة فى الحصاد. وكان هؤلاء العمال يحتكون فى الخليج العربى بالحركات السياسية الوطنية مثل جماعة الإمام غالب والحركة الناصرية التحررية التقدمية والتى كانت تمثلها فى الخليج العربى كما فى جنوب اليمن. وأجرى الزعماء القبليون، الذين كانوا مطلعين علي تحدى الإمام فى الداخل العمانى للسلطان سعيد، فى الوقت نفسه استمرت الاتصالات مع السعودية، مع مقر قيادة الإمام فى الدمام. وقد انضمت عام 1962 مجموعة من الظفاريين من حركة القوميين العرب إلى المنفيين الآخرين، وشكلوا «جبهة تحرير ظفار». وقرر فرع حركة القوميين العرب فى الخليج العربى ان يبدأ الكفاح المسلح فى ظفار كرد على الاوضاع المتردية لحكم سعيد بن تيمور والاستعمار المسيحى البريطانى، واوعزت إلى عناصرها العمانية والتى هى اصلا من ظفار بالتحالف مع القوى الوطنية الأخرى فى ظفار والتحضير للكفاح المسلح. قامت عناصر حركة القوميين العرب بالتحضيرة للثورة المسلحة بالاشتراك مع «الجمعية الخيرية الظفارية» و «تنظيم الجنود الظفاريين». وتم تشكيل جبهة تحرير ظفار من خلال مؤتمر تأسيسى فى وادى «تحيز»، بالمنطقة الوسطى وتم بيان اعلان الكفاح المسلح فى 9 يونيو 1965، أما تسمية «جبهة تحرير ظفار»، فقد كانت نتيجة طبيعية لإرضاء النزعة

الإقليمية لدى الشريكيين الآخرين، كتكتيك ستتبعه فيما بعد بطرح مسألة الخليج العربى وعمان. وقد أنشأوا منظمة للتمويه، وقاموا تحت غطاء جمع الأموال لبناء الجوامع ومساعدة الفقراء بتجنيد (الأعضاء) وإثراء ماليتهم ووضع الأساس لتنظيم ثورى داخل سلطنة عمان. وكان هدف بعض الوطنيين الظفاريين فى قيادة جبهة تحرير ظفار (ج.ت.ظ) هو تحرير منطقتهم من السيطرة العمانية. كما أن الإمام الذى كانوا يرتبطون به كان يبغى كذلك إقامة دولة منفصلة فى الداخل العمانى. وكان لحركة القوميين العرب فى الخليج العربى وجهة نظر مختلفة، فقد كانوا ناصريين يسيطر عليهم الجناح اليمينى القوى فى الكويت، وكانت لديهم مناعة مؤقتة ضد الاتجاهات اليسارية التى بدأت تظهر فى فروع الحركة اللبنانية والفلسطينية. ومع ذلك كانت (ح.ق.ع.) فى الخليج العربى تنادى بوحدة النضال ضد الاستعمار المسيحى البريطانى وعملائه المحليين فى كافة أنحاء الخليج العربى، وكانت لا تثق بالإمام إن لم تناصبه العداء علنا[1].

رغم أن الفروقات ما بين الجماعات المختلفة كانت غير قابلة للتسوية ، فقد مكنتهم عوامل مختلفة من إقامة تحالف. وكان أهم عامل هو حدوث الثورة فى اليمنين ـ فى الشمال فى سبتمبر 1962 وفى الجنوب فى أكتوبر 1963. فقد اظهر ذلك للقادة الظفاريين ـ غير الناصريين ـ أن الناصريين مستعدون لشن النضال المسلح، واندمج عام 1964 فرع (ح.ق.ع.) فى ظفار مع جبهة تحرير ظفار. وقد أضافت (ح.ق.ع.) للجبهة الخبرة السياسية والعلاقات مع المصريين. كما ان (ج.ت.ظ.) قد أدخلت الحركة إلى قلب ظفار. وقد انضم إلى هذه الجماعات التى تشكل (ج.ت.ظ.) «منظمة الجنود الظفاريين»، وهى عبارة عن مجموعة من الخلايا غير الشديدة التنظيم فى أوساط الجنود الظفارين فى الجيش العمانى والجيش السعودى وكشافة عمان وفى أوساط قوات الشرطة فى الخليج العربى. وقد

1 ـ فرد هاليداى ـ المرجع السابق ص258.

احتفظت كوادر (ح.ق.ع.) الظفاريون الذين انضموا إلى (ج.ت.ظ.) بوجهة نظرها الخاصة حول الاستراتيجية المستقبلية للثورة، ولكنهم أنهوا علاقتهم التنظيمية بالحركة الأم. كان فرع حركة القوميين العرب فى الخليج العربى من أوائل الفروع التى أعلنت عن إنهاء علاقاتها مع القيادة المركزية للحركة وأعلنت توجهاتها الجذرية الجديدة. وشاركوا فى اللجنة التنفيذية المؤلفة من خمسة رجال والتى كانت مستعدة للكفاح المسلح. كما انضم إلى (ج.ت.ظ.)، أحد زعماء قبيلة بيت كثير المدعو مسلم بن نفل. وكان السلطان سعيد يمول ابن نفل فى السابق، ولكن ابن نفل انقلب عليه عام 1962 وأقام علاقات مع الإمام ومع السعوديين. وكانت حقول النفط التى اكتشفها فريق التنقيب الأميركى تقع ضمن أراضى بيت كثير، ولذا أراد مسلم بن نفل، بتشجيع من السعودية، أن يصل إلى الثروة التى تحرمه منها قيود الحكم العمانى. وقد تميزت انطلاقة الكفاح المسلح بالانتكاسات. وسمحت الجمهورية العربية المتحدة لـ (ج.ت.ظ.) بافتتاح مكتب لها فى القاهرة، وظلت حتى عام 1967 تمدها بعون عسكرى ضئيل. وقد درب العراق 160 كادرا للجبهة عام 1964 وواصل مساعدته لها حتى عام 1968. ولكن الجبهة كانت مضطرة للاعتماد على جباياتها الخاصة ومشترياتها للحصول على معظم المعدات التى تحتاجها. وتم فى إبريل ومايو 1965 اعتقال أكثر من ستين من مناضلى الجبهة فى مسقط وصلالة. واستولت دورية بحرية إيرانية فى مايو على سفينة سلاح لـ (ج.ت.ظ.) أثنا مغادرتها الخليج العربى. وأمام هذه الصعوبات انسحب من تبقى من مناضلى الجبهة من المدن وعقدوا أول مؤتمر لـ (ج.ت.ظ.) فى جبال ظفار. وقد انعقد المؤتمر فى الوادى الكبير «تحيز» فى وسط ظفار يوم 1 يونيو 1965 وانتخب لجنة تنفيذية مؤلفة من 18 عضوا من بينهم يوسف بن علوى (وزير الخارجية فى عمان حاليًا) (ج.ت.ظ.) فى القاهرة، ومحمد أحمد

الغسانى، وهو من مواليد صلالة وكان يعمل حتى وقت قريب فى إحدى شركات النفط فى الخليج العربى. ورغم أن هذين أصبحا فيما بعد يمثلان التيارين المتنازعين فى الجبهة فإن جذورهما ترجع إلى (ج.ت.ظ.) ما قبل عام 1964. وقد أخضعا خلافاتها فى هذه المرحلة لمصلحة شن النضال المسلح الفورى، ويقول المؤرخ البريطانى فرد هاليداى: «ورغم ان انتشار الناصرية فى العالم العربى قد اثر على (ج.ت.ظ.) فلم يسيطر الناصريون على الجبهة بل سيطر عليها رجال القبائل. وكان هؤلاء ينظرون إلى نضال ظفار على أنه نضال آخر فى سلسلة الانتفاضات الطويلة ضد الاستعمار العمانى»[1].

حرب الثورة الظفارية، المرحلة الأولى، 1965.1967:

بدأت حملة (ج.ت.ظ.) بعد المؤتمر الأول فى 9 يونيو 1965 بكمين نصب لدورية حكومية إلى الشمال ـ الغربى من طريق ثمريت سقط فيه سعيد الرويعى كأول شهيد للجبهة. وقد مرت الحرب النضالية فى ثلاثة مراحل على الأقل. فقد تركز القتال فى المرحلة الأولى، 1965 ـ 1967، فى منطقة ظفار الوسطى حول طريق صلالة ـ ثمريت، وكان على شكل عمليات (اضرب واهرب). وفى المرحلة الثانية حرر الثوار ما بين 1967 و 1970 المناطق الغربية والشرقية من ظفار وحصروا جيش السلطان فى منطقة ساحلية صغيرة حول صلالة. وفى المرحلة الثالثة التى بدأت عام 1970 صعد الثوار نضالهم فى وجه الهجوم المضاد للثورة. كان الثوار مجموعة صغيرة فى المرحلة الأولى. وكانوا يعتمدون ولو جزئيا على مناعة منطقتهم للهروب من وجه قوات السلطان المسلحة. وهاجمت (ج.ت.ظ.) المخافر الحكومية فى طاقة ومرباط فى خريف 1965، ووقعت عام 1966 عدة معارك فى ثلاثة وديان مجاورة لصلالة وهى وادى نحيز ووادى جرذوم ووادى جرزيز. وكانت قوات (ج.ت.ظ.) متمركزة فى رحسوق

---

1 ـ فرد هاليداى ـ نفس المرجع السابق ص259.

وفى وادى عـموت ووادى حـمـرين فى وسط ظفـار، بالقـرب من الطريق الذى اقتنصوا عليه عدة قوافل حكومية. وقد حصلت مواجهة على نطاق كبير فى يوليو 1966 فى ريضـة القلى حـيث فقـدت (ج.ت.ظ) رجلين بعـد ان دمرت سـبع سـيارات عـسكرية وقتلت وجـرحت 59 من أفـراد العدو واسـتولت على مـؤن وذخـائر. وقـد لخص راديو القـاهرة فى مـارس 1967 تكتـيكات (ج.ت.ظ.) العسكرية بقـوله. «يجب الاستيـلاء على أسلحة العدو لتـسليح وتجهيـز وحدات جديدة من جـيش التحريـر. ويجب ان يكون هدفنا الدائم فى حرب التـحرير هو مؤخرة العدو. يجب ألا ندخل أيه معارك معه يقوم هو بتحديدها بعد ان يكون قد درس نتائجهـا سلفا، فحربنا مع الاسـتعمار طويلة يا أخى. وهى حـرب حياة أو مـوت. وعلينا تـبنى التكتـيك العـسكرى المثـالى لحـرب الشـعب وهو اضـرب واهرب»[1].

كان من العمليات المثيرة لـ (ج.ت.ظ.) فـى المرحلة الأولى محاولة اغتيال سعيد بن تيمور فى 26ابريل 1966. فحتى عام 1964 لم تدخل قوات السلطان المسلحة إلى ظفار، وكان السلطان يعـتمد على مجموعات مسلحة أخـرى كالعبيد والجنود غير النظاميين (درك جندرمة) وعلى قـوات ظفار (جيش ظفار) المتركزة فى قلعة ارزات فى سهل جـربيب إلى الشمال الشرقى من صلالة. وكـان جيش ظفار يتألـف من العمـانيين والظفـاريين وكانت فـيه خليـة لـ (ج.ت.ظ.) وقد شـهد السلطان سعيد فى إبريل 1966 عرضا عسكريا فى حصن ارزات وداعا لقائد قوات السلطات المسلحة المقـدم محمـد ساخى راجًا. وهو باكـستانى. واثناء استـعراض السلطان للقوات فتح عليـه الجنود الظفاريون النار فجرحوه وقـتلوا المقدم «راجا». وفى الحال غادرت عدة سـيارات جيب المعسكر بسرعة وهى تنقل الـسلطان سعيد الجريح. ومنذ ذلك اليـوم لم يشاهد سعـيد فى مكان وظن العـديد من الظفاريين

1 ـ فرد هاليداى ـ نفس المرجع ص260.

وخاصة الذين يعملون فى قصره انه قد مات، لان افضل طريقة يحكم البريطانيون البلاد من خلالها أن يصدروا أوامرهم لسلطان شبح.

نجد أن موقف الشعب الظفارى من النضال كان حذرا فى البداية. وكان رجال القبائل الذين قاتلوا فى البداية هم من الظفاريين الذين كانوا يشتغلون فى الخليج العربى أو من القبائل الأدنى مرتبة. وقد قال احد قادة الثوار: «يشعر كل الظفاريين انهم مضطهدون باستثناء بعض الشيوخ والجواسيس الذين كانوا يقبضون من السلطان، ولكن أول من لبى نداء الكفاح المسلح كانت العناصر الأكثر فقرا فى قبائل القارة والكثير، وفى الشحر بشكل خاص». وقد عمل الجواسيس وعملاء الحكومة على تقسيم الثروة، وكان الثوار يقفون احيانًا موقفًا دفاعيا، وخاصة عام 1967. ومن ناحية أخرى ميزت انتفاضة (ج.ت.ظ.) نفسها عن الانتفاضات السابقة بأنها كانت فوق القبلية. وكانت احدى الخطوات الأولى للجبهة هى تقسيم ظفار إلى ثلاث وحدات جغرافية: (الغرب، الوسط، الشرق) وبذلك تجاوزت المناطق القبلية السابقة. وقد رد السلطان والبريطانيون بزيادة عدد «قوات السلطان المسلحة» فى ظفار إلى ألف رجل، رغم انهم كانوا يقدرون قوات (ج.ت.ظ.) بأقل من مئة رجل، وقد استبعد السلطان الظفاريين من جيشه بعد محاولة اغتياله فى أبريل 1966، وأحضر مجنديه من قبائل عمانية موالية له لمراقبة قطاع ظفار الساحلى. وقد حاولت مجموعة قوات السلطان المسلحة البحث عن موقع (ج.ت.ظ.) وتدميرها ونجحت فى ذلك إلى حد ما، ولكن اتباعها لسياسة العقاب الجماعى فى المناطق الثائرة لم يؤد سوى إلى تصعيد المعارضة الظفارية. وأحاط البريطانيون فى أوائل 1966 صلالة بحاجز من الأسلاك الشائكة فى محاولة للتضييق على الظفاريين الداخلين إلى صلالة والخارجين منها وتم إعادة الحصار الاقتصادى الذى كان يمارسه السلاطين السابقون فى محاولة لتجويع سكان الجبل. فقد قطعت عام 1968 العلاقات التجارية مع عدن. وقد اثارت هذه

الاجراءات الغضب الشعبى والشعور بالوحدة ما بين القبائل. حيث قاسى سكان الجبل الأمرين من حظر التجارة مع الساحل، واضطر العديد من سكان صلالة إلى الهرب بحراً بالتعلق بعجلات من المطاط أو بركوب الطوافات الخشبية لكى يصلوا إلى المناطق المحررة. أما السياسة البريطانية الأخرى فكانت تتمثل فى قطع خطوط تموين (ج.ت.ظ.) وقد رصدوا الطريق البرى من السعودية منذ عام 1966، وجعلوا من نقل السلاح بحرا عملية صعبة. وأصبح مصدر السلاح الأساسى للثوار هو الأسلحة التى يستولون عليها وما يصلهم من الجبهة القومية فى اليمن الجنوبية. وقام البريطانيون المتمركزون فى اليمن الجنوبية فى أكتوبر 1966 بمهاجمة قرية حوف وعزلها وألقوا القبض على 22 ظفاريًا من بينهم مقدم سابق فى «جيش ظفار» حسب ادعاء البريطانيين. ولكن تدفق السلاح والرجال من اليمن الجنوبية ازداد عام 1967، ومع انتصار ثورة اليمن الجنوبية دخل النضال الظفارى مرحلة أكثر صلابة[1].

الشئون الخارجية «العلاقات مع الدول الأخرى»:

ظلت عمان حتى عام 1970 تقف خارج مجرى الأحداث فى العالم العربى وخارج مجرى الأحداث فى العالم الخارجى أيضًا، ولم تعد البلاد تتمتع بمركزها الممتاز الذى كان لها قديما، وبقيت تتمتع به حتى أواسط القرن التاسع عشر. فقد أصبح ذلك النفوذ القديم والمقام السابق أمراً نسيًا فى ذمة التاريخ ولم تكن للسلطنة قبل عام 1970 إلا علاقات قنصلية فقط مع بريطانيا والهند وكان تبادل الزيارات بين عمان والبلاد المجاورة أمراً نادر الحدوث. ولم تكن ممثلة فى الأمم المتحدة. وقد بقى موضوع عمان من الموضوعات المدرجه على جدول أعمال الأمم المتحدة منذ عام 1960 تناقشه الجمعية العمومية فى كل عام. ذلك لأن الإمام المنشق وأنصاره أصروا على إبقاء موضوع الإمامة فى عمان قائمًا بصورة دائمة. وقد أراد

1 ـ فرد هاليداى ـ نفس المرجع ص261.

السلطان قابوس بعـد ان خلف والده على الحكم فى عام 1970 ان يفتح صـفحة جديدة بيضـاء وينسى الماضى ويحسن العلاقات بجـميع الناس فأصدر عفـواً عامًا يشمل كل من خـرج من البلاد لأسباب سـياسية وقال إن كل عـمانى له الحق فى العودة إلى دياره والعـيش فيها بسـلام وأمان. وعرض على «غالب» شـقيق الإمام المنفى منصب فى الوزارة ولكنه لم يقـبله وأرسل السلطان عام 1971 بعثـة خاصة للمصالحـة كان من أعضائها شـخصيات عملت سـابقًا فى الثورة العمـانية ولكنها عادت فانضـمت إلى الحكومة الجديدة وزارت هذه البعثة جـميع العواصم وتركت فيهـا أحسن الأثر ولكن بقى موضوع الإمامـة هو حجر العثرة فى سبـيل المصالحة والوئام؛ ذلك لأن بعض الدول العربـية وفى مقدمـتهم السعـودية والكويت كانت تعترف بالإمام السـابق من قبل وكان للإمام مكاتب رسميـة فى عدد من العواصم العـربية. وأعلن السلطان أن الإمـام غالب حـر طليق يستطيـع متى شاء ان يـعود مكرمًا إلى عمان ويعـيش فيها ويسند إليه مكانه دينية مـرموقة ولكن الإمام رفض هذا العرض وبقى يعيش فى السعودية. وطلب عم السلطان السيد طارق بن تيمور عام 1971 عندما كان رئيسـا للوزارة انضمام عمان إلى الجامعـة العربية وأيضًا إلى هيئة الأمم المتحـدة فقد تمت الموافقة على الطلبين فى أكـتوبر فى نفس العام. وقام السلطان بزيارة إلى السعـودية وكانت ناجحة فى ديسمـبر من عام 1971 وعاد إلى بلاده وهو يحمل معه تأييد[1] المملكة العربية السعودية واعـترافها التام بالحكومة، وهكذا أسدل الستار بصورة نهائية على ذلك الموضوع القديم، موضوع الإمامة فى عمان.

أخذت عمـان بعد اعتلاء السلطان قابوس الحكم تزيد من عـلاقاتها وتوسع اتصالاتها بالعالم الخارجى. فأقـامت علاقات دبلوماسية فى عام 1971 مع بريطانيا والهند وباكستان كما أقامت علاقات دبلوماسية فى عام 1972 مع الولايات المتحدة

1 ـ خالد محمد – المرجع السابق ص 24.

وإيران ومصر والمملكة العربية السعودية والأردن وقطر وأسست فى هذه البلاد بعثات دبلوماسية معتمدة هناك. وقامت بعد ذلك كل من فرنسا والإمارات العربية المتحدة بتأسيس بعثات دبلوماسية مقيمة. وأصبح عدد البعثات الدبلوماسية فى عام 1976: 14 بعثة، كما أصبح عدد السفراء 18 سفيرا، وقامت عمان بدورها أيضا فأسست لنفسها بعثات دبلوماسية فى نيويورك ولندن وواشنطن والقاهرة وطهران ودلهى وإسلام أباد وبغداد، وبقيت هذه البعثات تزداد تدريجيا حتى بلغت فى عام 1976: 22 بعثة عمانية مقيمة فى الخارج. بدأت علاقات عمان تتحسن مع الدول العربية بعد عام 1970 عندما انتهت بصورة رسمية فترة الانعزال التى كانت مفروضة على البلاد، وأصبحت علاقات عمان بالدول العربية فى عام 1975 ودية تامة أو على الأقل طيبة وحسنة وذلك باستثناء جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية، فقد ظلت العراق وليبيا تساعدان الثوار فى الجنوب وتؤيدان عمان باثارة الموضوع فى الجامعة العربية فأرسلت الجامعة بعثة إلى ظفار عام 1973 ولكن جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية لم تسمح لها بالدخول ولذلك لم تتحقق آمال عمان فى انهاء الأزمة والنزاع عن طريق الجامعة العربية فجهزت لها ما استطاعت من قوة ولم تستطع هزيمتها عسكريًا، وقد تم ذلك بعد ان زيدت قوات السلطان زيادة كبيرة. وجاءتها المساعدات من إيران والأردن والهند ومن بريطانيا - أكبر حليف لعمان - وبعد ان قدمت لها الدول الصديقة مساعدات مالية ومساعدات أخرى على شكل معدات عسكرية.

أخذت عمان بعد عام 1971 تلعب دوراً متزايد الأهمية فى الجامعة العربية وحضر السلطان مؤتمر القمة العربية للدول غير المنحازة فى الرباط وكذلك مؤتمر القمة الإسلامى الذى عقد فى لاهور عام 1974. وهكذا عادت علاقات عمان بالخارج تأخذ شكلها الطبيعى وأصبحت علاقاتها مع الدول المجاورة علاقة صداقة ومودة واستطاعت عمان ان ترجع من جديد إلى احتلال مكان الصدارة فى الشئون

العالمية وهو المكان الذى كانت تتمتع به من قبل ويناسب مركزها الاستراتيجى المهم ويليق بتاريخـها الحافل المجيد. ويقـول المؤرخ العمانى عن ما حـدث من التدخل العسكرى الإيرانى فى عمان فى القرن الثامن عشر:

«ما خيم العجم ببركة ثلاثة أيام خرجت موائد كثيرة فى خوان (أى ما يؤكل عليه الطعام) رحبة إلى خيام العـجم، ودخل أكابرهـم الحصن مع رسول أحمد بن سعيد، وعدد من دخل الحصن من أكابرهم خمسون رجلا، فما كان بعد دخولهم الحصن إلا بقدر ساعة من النهار إلا وضرب طبل من الحصن، ومعه منادى ينادى، ألا من له فى العجم وتر وثأر فليأخذه من العجم.

قالوا، فما أتم كلامه إلا والصائح على العـجم من كل مكان فخرج الصغير عليـهم خلف الكبيـر من أهل بركة، ومن انضـاف إليهم من أهل سـائر البلدان، فوضعوا فيهم السيف، ونشأ فيـهم القتل، وما بقى منهم إلا مائتا رجل يصيحون، الأمان، الأمان يا أحمد».

أما المؤرخ العمـانى سالم بن حمود السـيابى فيقـول فى هذا الصدد: «وأما أكابرهم الذين دخلوا الحصن فقد ضـحى بهم الحصن فى ضحوتهم تلك، وتركهم جزر السبـاع، فذاقوا وبال أمرهم، وغـسل بهم أحمد بن سـعيد عار العمـانيين، وأخذ بهم الثـأر، فإن ذلك الإكرام الذى تظاهر لهم به أحـمد بن سعـيد، أراد به تسكين نفـوسهم وفك حـزمهم، وتفكيك جـمعـهم، فلما رأى العـجم ذلك منه تناسوا ما فعلوه فيه وفى قومه، واطمأنوا إلى الهدوء الذى رأوه، وما دروا أن الدم العمـانى غال عند أهله، وأن أحمـد بن سعيد هو الذى يغـار عليه عندما أضـاعه سيف بن سلطان، وكان من سياستـه التى امتاز بها فى هذه البادرة أنه لم يكن منه لهم عهد ولا ميثاق فى اطمئنانهم».

أما بالنسبة لمئتى جندى إيرانى والذين طلبوا الامـان من أحمد بن سعيد فإن

الأخير استجاب لندائهم وأمر قواته بوقف القتل فيهم وطلبوا من الشعب العمانى برفع السيف عن الإيرانيين، وبعدها أمر أحمد بن سعيد وجاله بنقل البقية الباقية من الجنود الإيرانيين على ظهر السفن العمانية إلى ميناء بندر عباس. ولكن العمانيون لم ينسوا ما ارتكبه الجيش الإيرانى من مذابح ومجازر جماعية وحرب إبادة فى حقهم وفى قراهم ومدنهم وجرائم حرب، لذا فإنهم قرروا حرق السفن التى كانت تحمل الجيش الإيرانى وهربوا عن طريق مراكب صغيرة كانوا قد أعدوها لهذا العمل وبذلك نجح العمانيون ووصلوا البر العمانى بسلام. أما أفراد الجيش الإيرانى فكان مصيرهم رهيبا حيث قتل بعضهم حرقًا والآخر غرقا فى البحر ولم ينج منهم أحد وهذا هو مصير الغزاة. وانتخب أحمد بن سعيد إمامًا على عمان عام 1749 كبطل وطنى حرر بلاده من الإيرانيين، ومع مجىء أحمد بن سعيد بدأ حكم البوسعيدى.

هكذا كانت نهاية السياسية الإيرانية تجاه عمان وهذه الحماقة قد ارتكبها نادر شاه تجاه الشعب العربى فى عمان ولم تحرز هذه السياسة الإيرانية أية نتائج برغم أهدافها التى كانت تصبو إليها من جراء إرسال القوات العسكرية إلى عمان بناء على طلب الإمام سيف بن سلطان لمد السيطرة الإيرانية وتوسعها نحو البر العربى فى عمان. وكل ما حققه الإيرانيون هو قتل وتشريد وتدمير القرى والمدن العمانية، والنتيجة هلاك البقية الباقية من الجيش الإيرانى. ولكن السياسية الإيرانية لم تتعظ بما حدث فى ذلك ولكنها كررت نفس الخطأ الفادح بعد مرور أكثر من مئتى عام عندما دخلت عسكريا فى ظفار فى ديسمبر عام 1973 بحجة القضاء على ثورة ظفار بدعوة من عمان. وقد يكون شاه محمد رضا خان المازندرانى قد نسى ما لقيه نادر شاه وجنوده فى عمان عندما أبيدت جنوده عن بكرة أبيهم ولكنه أعاد الكرة بعدما أصبح الشاه يدعى بأنه شرطى الخليج العربى وأصبح ممثلا للمصالح المسيحية الأمريكية والغربية فى الخليج العربى. ومن هذا المنطلق ندرس تاريخ منطقة ظفار الجبلية والوعرة والتى تسكنها قبائل معروفة بشدة بأسها وقوتها رغم معيشتها

البدائية نتيجة للظروف السياسية والاجتماعية التى فرضتها أثناء حكم تيمور سلطان عمان. وأن ســوء الأحوال الاجتماعـية والتأخر والفقـر والجهل كل تلك العوامل أدت إلى تغلغل الأفكار الثورية المتطرفـة فى هذا الإقليم. ولكن لا يعنى هذا بأننا نعطى الفرصــة للتدخل الإيرانى فى شؤوننا الداخلية، ويمكننا حـلها بعدة طرق، وليس باســتخــدام الإيرانيــن،ونحن نعرف السـياســة الإيرانيـة جيـداً فى الخليج العربى،وخاصة سياسة الهيمنة التى يتبـعها شاه محمد رضا خان المازندرانى، كما ليس ببعـــيد عنا الادعاءات الإيـرانـية على البحـرين، وأيضا الاحـتلال الإيرانى للجــزر العــربية فى الإمـارات فى أواخر عام 1971، وأيضا أطماعـه فى العراق وشط العــرب، كل تلك العـوامل تجـعلنا نفكـر فى أخطار التـدخل الإيرانى فى ظفار[1].

حرب الثورة الظفارية، المرحلة الثانية: 1968، 1970:

شهد عام 1968 تحولا سيـاسيا وعسكريًا فى النضال. وقد حـصل التحول العسكرى نتيجة لانتقـال الحرب إلى القطاع الغربى بعد أن حاولت «قوات السلطان المسلحة» قطع خطوط التموين من اليمن الجنوبية. ولم يكن هذا التحول العسكرى ليكتسب تلك الأهميـة لولا التطورات السياسية التى حصلت فـى ذلك العام. فقد تم فى المؤتمر الثانى لـ (ج.ت.ظ.)، الذى عـقد فى حمـرين فى وسط ظفار فى سبتمبر 1968، استبدال قـيادة النضال العشائرية والانفصالية. يعـتبر مؤتمر 1968 نقطة تحول فى تاريخ استراتيجية الثورة إذ طرح ما يلى:

1 ـ أعلنت الجبهـة استراتيجيـة شمولية فى «الجبـهة الشعبيـة لتحرير الخليج العربى المحتل».

2 ـ أكدت الجبهة على ضرورة لقاء القوى الوطنية فى عموم الساحة.

---

1 ـ رياض نجيب الريس ـ المرجع السابق ص178.

3 ـ أعلنت عن التزامـها بخط العنف الثورى المنظم ليمـيزها عن الاتجاهات الإصلاحية الأخرى.

4 ـ تبنت الاشتـراكية العلميـة باعتبارها الإطار التـاريخى الذى تخوض من خلاله الجمـوع الفقيرة النضـال للقضاء على الاستعـمار والامبرياليـة والبرجوازية والإقطاع، واعتباره الأسلوب العلمى لتحليل الواقع ولفـهم التناقضات بين صفوف الشعب.

أصبح هدف الجبهة، تحرير الخليج العربى كله من الاسـتعمار المسيحى. وقد غيرت الجبهة اسمها من جبهة تحرير ظفار إلى الجبهة الشعبية لتحرير الخليج العربى المحتل (ج.ش.ت.خ.ع.م.) وقد أعلنت الجـبهة التزامـها «بالاشتراكيـة العلمية» كعقيدة وألزمت نفـسها ببرنامج للنضال ضد الاستعـمار الجديد (وأنظمة القلة) فى المنطقة. وقد أسهمت عدة عوامل فى هذا التحول منها: قيام حكومة الجبهة القومية فى اليمن الجنوبية، والاتجاه نحو اليمين فى شبه الجزيرة العربية بعد اتفاق السعودية ومصـر وبعد أن أصبح للسـعودية اليد العليـا فى المنطقة. وزيادة القـوة العسكرية البريطانية فى الخليج العربى بعد هروبهم من عدن، وتجـذير حركة القوميين العرب فى كافـة أنحاء العالم الـعربى بعد حـرب يونيو 1967، والأهم من هذا كله هو الضغط داخل الحركـة الثورية نفسها من أجل اسـتبدال القادة غير الأكـفاء وتبديل السيـاسات الناقصة التى اتبـعت فى السنتين الأوليـين. تأثر الثوريون تأثراً عميـقًا بالتغيرات الدولية التى حصلت فى المشرق العربى عام 1967. فقد ضمن انسحاب البريطانيين من عدن حليـفا آمنا لجبهة تحرير ظفار على حـدودها الجنوبية ـ الغربية وحظيت لأول مرة بمورد مـضمون للمـؤن والامدادات المختلفـة. وكان القومـيون العرب فى جبهة تحـرير ظفار حلفاء أوفياء للجناح اليسارى فى الجبـهة القومية فى اليمن الجنوبى. كما كانت هيمنة الجناح اليسارى فى الجـبهة القومية فى حضرموت والمهرة مصدر مـساعدة مباشرة لجبـهة تحرير ظفار. وقد اشتبكت جـمهورية اليمن

الديمقراطية الشعبية مع سلطنة عـمان عند استقلال اليمن الجنوبى؛ لأن البريطانيين قاموا بتسليم جزر كوريا موريا إلى سلطان عمان رغم ان هذه الجزر كانت جزءا من حضـرموت فى اليمن الجنوبى. وشـهدت الشهور التـى تلت الاستقلال هجـمات عمانيـة وسعودية على حدود جمـهورية اليمن الديمقـراطية الشعبيـة. وبينما كان السعوديون فى السابق يدعمـون جبهة تحرير ظفار كجزء من سياسـاتهم التوسعية، تحولوا بعد حرب يونيو 1967 وبعد انتصـار الجبهة القومـية فى جنوب اليمن إلى مساندة السلطان والبريطانيين بشكل كامل وحاسم.

تأثرت ظفار باتجاه حركـة القوميين العرب ككل نحو اليـسار من خلال فرع الحركة فى اليـمن الجنوبى ومن خلال فرعها فى الخليج العـربى بدرجة أقل. وقد جاءت عملية الـتثوير هذه، والتى تجسدت بظهور المقـاومة الفلسطينية، فى الوقت الذى كانت جبهة تحرير ظفار تواجه مصاعب داخلية. فقد كانت هذه الجبهة تعتمد على الدعم الديبلومـاسى العربى، ولكن بعـد حرب يونيـو سارت مـصر فى خط السعودية وأوقفت العون عن الجبهة. ولقد رأت حركة القوميين العرب عجز الجيش المصرى عن مواجهة الاستعمار اليهودى المحتل لفلسطين، وواجهت ظفار مصاعب ومشاكل ظلت تحت السطح نظرا لرفض سـعيد بن تيمور التعـامل مع الثوار. فقد أثارت مسـألة تموين وإدارة منطقة مـحررة لأول مرة أسـئلة سياسـية حول عـلاقة (ج.ت.ظ.) بالجماهير. وجاءت التغييرات العقائدية فى المؤتمر الثانى. والقرارات العديدة التى نتجت عن هذه التغـييرات، نتيجة لهذا التثـوير الداخلى الذى دعمته تغيـيرات خارجـية. وقد تطابق هذا التـغير السـياسى مع هجـوم لقوات السلطان المسلحـة على محافـظات ظفار الغـربية. فلم يسـتطع هجوم أكـتوبر 1966 على «حـوف» قطع الامدادات عن ظـفار، وأدت سـيطرة (ج.ق.) على حـضرمـوت والمهـرة عام 1967 إلى تحـسن وضع ثوار ظفار. وقـد رد البريطانيـون على تلك التغيرات باقامة خط من المواقع على طول الطرف الشمالى للمنطقة الشعبية، واقامة

مواقع أصغـر بالقرب من الساحل. وكانت (ميـذهوب) تشكل مركز هذا الخط فى الغرب حيث تمركزت قوة من «كتيبة مسـقط» مخصصة للحملات العسكرية. وكان مـرتزقة قـوات السلطان المسلحـة الذين يقـودهم ضـباط بريطانيـون ينطلقـون من «ميـذهوب» ومن مراكز أصغـر فى «شيغـيليت» و «خرت» «وجانوت» مـحاولين الوصول إلى الساحل وتـدمير خطوط تموين الثوار. وكانت مـحاولاتهم هذه تلقى دعـما بواسطة الإنـزال البحـرى وبواسطة القـصف المدفـعى. وقد وصف ضـابط بريطانى ملحق بقوات السلطان المسلحة الحملة فى القطاع الغربى كالتالى[1]:

«بما أن الفصل كان خريفا (فصل الرياح الموسمية) وكان الضباب يلف الجبل والمطر ينهمر بغـزارة، فقد تراجعت القوات إلى المنحدرات الشمـالية للجبل والتى تقع فى طرف المنطقة الصـحراوية. وقد انضـمت إلى فرقتين فى المناطق الغـربية، على بعد يومين مـن الفرقة الأخرى، الواقعـة فى مقاطعة قبـيلة المهرة على حدود اليمن الجنوبى. وكانت الأمور هادئة لأن الثوار استغلوا الغطاء الذى يقدمه الخريف فى نقل قوافل الجـمال المحملة بالأسلحـة والذخائر والألغام من قـراهم فى اليمن الجنوبى. وقد أمضيت الأسابيع الأولى فى تسيير الدوريات ونصب الكمائن بهدف عرقلة خطوط تمـوين العدو. وكانت المنطقـة فى أول شهر لى هـناك هادئة لدرجة جعلتنى اعتقد بعدم وجـود ثوار إلى أن واجهت أول عملية لهم فى منطقة جدريت على بعد بضعـة أميال من حدود اليمن الجنوبى. كنت عائدا مع دورية اسـتطلاعية بسيارات «لاندروفـر» عندما فتحت علينا نيـران كثيفة من كـمين يضم ثلاثين ثائرا تقريبًـا. وقد أصيب سـائقى واصطدمت سيـارتنا ببعض الشـجيرات وقـذفتنا إلى الخارج. ولسوء الحظ أصـيب الجنود الثلاثة الذين كانوا يجلسون فـى المعقد الخلفى بعد سقوطهم من السيارة. وكان الكمين معدا فى موقع جيد ويبعد أقل من مئة متر عن مكان سـقوطنا، ولكن الضـباب الكثيف وسـوء الرؤية أثر على دقـة تصويب

1 ـ فرد هاليداى ـ المرجع السابق ص262.

الثوار. واستمر الثوار بإطلاق النار لمدة عشر دقائق تمكنا خلالها من التحصن بموقع قوى فانسحبوا. وقد أظهرت الفترة التى تلت الرياح الموسمية أن كل رجال قبائل القرى وعرب الساحل كانوا منخرطين فعلا فى النضال ضد السلطان أو متعاطفين مع الثوار. وأصبحت الاشتباكات يومية تقريبًا، وتعرضت حصون السلطان المبنية من الطين فى القرى الساحلية لهجمات متكررة، كما كان يجرى قصف معسكرات الجيش بمدافع الهاون كل مساء تقريبًا، وأصبحت السيطرة على هذه المنطقة الصعبة، التى توازى مقاطعة «ويلز» بحجمها مهمة شبه مستحيلة. فالمياه كانت قليلة جدا، وأصبح التزود بالمؤن عملية صعبة جدا، وكان يتم إجلاء المصابين بواسطة الحمير، وأصبح واضحًا أننا قد فشلنا فى احتواء العدو وأننا حتماً لم نكن الجانب الرابح فى الحرب». وبعد ان بدأ الثوار هجومهم فى خريف 1968 نقل هذا الضابط من موقعه فى الصحراء واشترك فى عملية انزال على ساحل ظلكوت داخل اقليم ظفار قريبا من حدود اليمن الجنوبى. وقد وصف هذا الضابط الإنزال كما يلى:

كان الإنزال فى ظلكوت سهلا، وبعد ان فتشنا القرية وجدنا ان كل الرجال الأصحاء قد فروا إلى التلال. وبدأنا بعد ذلك بإنزال معداتنا على الشاطئ، ولكن ما كدنا نتم نقل نصف المعدات والمؤن حتى تعرضنا لنيران كثيفة ودقيقة التصويب من أسلحة أوتوماتيكية ومدافع هاون جاءتنا من المرتفعات الكثيفة الغابات والشديدة الانحدار، وقد شارك فى قصفنا خمسون ثائرا تقريبا. وقد ظللنا فى معسكرنا الساحلى مدة ثلاثة أيام ولكن هجمات العدو المستمرة أثبتت عدم إمكانية الدفاع عنه، فقمنا بنسف الآبار القرية وأخلينا المعسكر ليلا وعدنا إلى ريسوت. وقد أجبرنا مرة ثانية على تغيير تكتيكاتنا وأمضينا الشهور الأربعة التالية فى شن غارات بحرية ليلية على ظفار من رأس ضربة على الغرب إلى قرية سدح فى الشرق».
وتحدث ناطق باسم الجبهة القومية فى حضرموت فى إحدى المناسبات عن ظفار

على أساس أنهـا جزء من «اليمن الطبيـعى»، مما عنى أن جمهـورية اليمن الجنوبى الشعبية قد تضم ظفار إليها إذا استطاعت. وقد استنكرت عدن هذا القول ولم تجر المسألة مـرة أخرى. ورغم أن لظفـار روابط لغوية وعـرقيـة وجغرافـية مع مـهرة وحضرموت فـهى سياسيا جـزء من عمان، والاضطهاد الذى تعانيه إنما هو نتـيجة للشكل الذى تفرضه المصالح الاستعمارية المسيحية فى الخليج العربى.

كما تدلنا هذه الرواية، فـقد فشلت محاولة حصار السـاحل الغربى، وأجبر البريطـانيون بحلول صـيف عام 1969 على الانسـحاب من الغرب كلـية وعلى الانكفاء إلى منطقة صلالة. وقد أدى القصف الدائم للمراكز البريطانية الواقعة إلى شمال الجبـال والهجمات المضادة للانزال الساحلى إلى إفـشال خطة قوات السلطان المسلحـة. وتم فى عام 1968 وأوائل عام 1969 التخلى عـن كافة مـواقع قوات السلطان المسلحـة باستـثناء موقـع ميـذهوب وأحكمت سيطرتهـا فى وقت لاحق واضطرت قوات السلطان المسلحـة فى يونيو 1969 إلى الانسحاب مـن ميذهوب. وهكذا لم يبق للحكومة قوات سوى فى مدينة رخيوت الساحلية والتى تعتبر المركز الإدارى فى القطاع الغربى. وفى يوم 23 أغسطس 1969 هبت عاصفة مـوسمية شـديدة حـالت دون إرسـال أى من قـوات السلطان المسلحـة جـوا أو بحـرا إلى رخيوت. وقـد انتهزت جبـهة التحرير هذه الفـرصة فشنت هجومـا على رخيوت واستولت عليهـا وألقت القبض على الحاكم العمانى المدعو حامـد بن سعيد وعلى 22 من رجاله. وقد جـرت محاكمـة حامد وأدين بعمـالته لبريطانيا وأعـدم رميا بالرصاص . وقد أطلق سـراح رجاله وسمح لهم بالعودة إلى قـراهم أو الانضمام للثورة، وهكذا تم تحـرير القطاع الغربى. وقـضى سقوط رخـيوت على مـحاولة البريطانيـين عزل ظفار عن الثورة المنتـصرة فى اليمن الجنوبى، ومهـد الطريق أمام هجوم سياسى وعسكرى مكثف فى كافة أنحاء صلالة ـ تمريت والتى أطلقت عليها الجبهة الشعـبية لتحرير الخليج العربى المحتل اسم «الخط الأحـمر»، وقاعدة صلالة

الجوية، والمقاطعة الشرقيـة. وقد أورد البيان العسكرى الصادر عن (ج. ش. ت. خ. ع. م.) حول الفترة ما بين 12 نوفمبر و20 ديسمبر 1969 تفصيلات حول ستين هجوما للجبهة عـلى الخط الأحمر وصلالة سقط فيها 210 جنود للعدو بين قتيـل وجريح ودمر له عدد كـبير من شاحنات «بدفـورد» وقطع المدفعية وأجـهزة الارسال كما دمرت تحصينات قوات السلطان المسلحـة. وكان قصف الجبهة لقاعدة صلالة فى فبراير 1970 «دقيقا لدرجة أن ضباط قوات سلاح الطيران البريطانى لم ينجحوا إلا بأعجوبة». واضطر البريطانيون نتيجة لهذا الهجوم إلى إرسال تعزيزات من كتيبة سلاح الجو للإشراف على جهـاز للمراقبة والرادار يحيط بالقاعدة ويعمل 24 ساعة يوميا. وبلغ ضغط جبهة التحرير فى مارس فى القطاع الشرقى من ظفار درجة دفعت قوات السلطان المسلحة إلى إخلاء المنطقـة كلية بعد سقوط قرية سدح الساحليـة فى أقصى الشـرق بيد قوات جـبهة التـحرير. وقد اعـترفت الصحـافة البريطانية لأول مرة بحقيـقة الوضع وأقرت بأن قوات الثوار «تسيطر الآن على كل ظفار باستثناء الصحراء والسهل الساحلى الضيق حيث تقع صلالة وقاعدتها الجوية» وقد وصف مراسل صحفى صلالة بعد زيارته لها فى أغسطس 1970 بأنها «ليست سوى مضيق ساحلى يحميه حائط من الأسلاك المكهربة وحزام طبيعى عازل عبارة عن سـهل مفـتـوح». ويقول المؤرخ البـريطانى المعـروف بالقضـايا العـربية فـرد هاليداى: [1]

كان هذا هو الوضع عندما زرت ظفار مع مجـموعة من الثوريين العرب فى فبراير 1970. فقد كان من المستحيل معرفة أى شيء عن الحرب فى لندن، خاصة وأنه لم يصل تقرير صـحفى من صلالة طوال فتـرة الحرب التى استغـرقت خمس سنوات. فلم تصل سوى بضعة تقارير من قبل مـراقبين من جانب الثوار، وسرت شائعـات حول وقـوع قصف عنيف وهجـمات لقوات السلطان المـسلحة أدت إلى

1 ـ فرد هاليداى ـ نفس المرجع ص264.

تدمير المناطق المحررة، وقد أكد لنا ممثلو «ج. ش.ت. خ. ع. م» فى لندن وجود منطقة محررة وأنهم أعدوا لنا خطة لزيارتها.

وقد صعدنا الساعة 4.30 فجر ذات يوم إلى الطائرة المتجـهة إلى الغيضة، عاصمة محافظة «المهرة» فى جمهورية اليـمن الديمقراطية الشعبية، والتى تبعد 30 ميلا عن حدود ظفـار. ومن هناك اتجهنا شرقا بسيارة «جـيب». وكان أول لقاء لنا مع الثوار فى قـرية الفتك الصغيـرة حيث نقلنا صيادون سـود من المهرة بقـواربهم التى تعـرف باسم سمـبوك إلى القطـعة البـنحرية «صـوت الشعب» وهى القطعـة الوحيـدة التى يملكها الثـوار. وقد ركب فى مـقدمتـها مدفـع رشاش ورفع على صاريتها علم «ج. ش. ت. خ. ع. م.» وقد رحب بنا بحارة السفينة الاثنا عشر الذين كانوا يـرتدون ثيابا كاكـاية ويضعـون شارات للينين وماو ويحـملون البنادق ويرتدون أحـزمة الرصـاص. وكان مـعنا خروف اشـتريـنـاه من راعى غنم لنتناوله كوجـبهة. ورغم أن «صـوت الشعب» كـانت تنقل أسلحة ومـؤن إلى ظفار - إلى رخيوت وأبعـد - فلم تنقلنا سوى إلى المعسكر الثورى وإلى قـرية حوف الحدودية، نظرا للمـخاطر الكامنة فى تحـرك السفـينة بعد هذه النقطة بالـنسبة لنـا. (أغرقت «صوت الشـعب» بعد خـمسـة شهور، فى يـوليو 1970، بالقرب من رخـيوت بواسطة طائرات سلاح الجو البـريطانى وقتل ستة من ملاحيهـا الاثنى عشر). وقد سرنا من حـوف على الاقدام فـوق أرض جبليـة وعرة من الخطر عبـورها بواسطة الجمال والحمير. وكان الممر الجبلى ضيقا لدرجة كنا نضطر معها للخروج عنه لكى تتمكـن قوافل الجمـال والقطيع من عبـوره، وكنا كلما نلتـقى بقافلة عـائدة نقف للتحـية وتبادل المعلومات. وقـد أخبرنا بأننا نحتـاج إلى أسبوعين من السـير على الأقـدام لكى نصل إلـى «الخط الأحـمـر» - على بعـد 100 مـيل تقـريبـا - وأن المواصلات سيـئة لدرجة أن أخبار المعركـة تستغرق شهـرا للوصول من أحد طرفى ظفار إلى الطرف الآخـر. وحيثمـا اتجهنا كنا نقابل بحرارة وبسـيل من الأسئلة من

قبل العسكريين والأهالى. وقد نمنا فى الكهوف وفى أكواخ أهالى الجبل، وفى بيوت رخيوت الساحلية، وغالبا ما كنا ننام فى نفس الحجرة مع الخراف والماعز التى كان صدى أصواتها يرتد طوال الليل على الصخور الداكنة. ورغم أن الأهالى لا يأكلون سوى وجبة واحدة فى اليوم، فانهم قدموا إلينا أكوابا لا تحصى من الحليب (حليب الجمال والأبقار والماعز) وذبحوا لنا العديد من الماعز والأبقار. وكان التعب هو العدو الرئيسى لنا، ولكن أدلاء جبهة التحرير الذين كانوا يرافقوننا ويحملون حملا مضاعفا (متاعهم ومتاعنا) كانوا يشجعوننا بشعار: «التعب نمر من ورق».

وكانت أول قرية وصلنا إليها هى ظلكوت والتى كانت مسرحا للإنزال من قبل قوات السلطان المسلحة عام 1968، فوجدناها مهجورة نتيجة للغارات الجوية والقصف البحرى. وقد تمركزت فى التلال المطلة على القرية، والتى انطلق منها هجوم 1968 المضاد، كتيبة من جيش التحرير الشعبى. وبعد وصولنا بقليل أعلن الاستنفار نتيجة لقدوم نفاثتين من طراز «سترايك ماستر» من قاعدة صلالة وإلقائهما القنابل على رخيوت التى تبعد عدة أميال عن موقعنا. وظهرت فى نفس الوقت طائرة استطلاع «بيفر» بمحاذاة الساحل، كما ظهرت سفينة حربية تابعة لقوات السلطان. وقد استمرت كتيبة جيش التحرير الشعبى فى حالة استنفار ولكن قوات العدو انسحبت، وتابعنا مسيرتنا فى اليوم التالى. وقد زرنا رخيوت التى سقطت بيد الثوار فى أغسطس الماضى والتى أصبحت شبه مهجورة نتيجة لتعرضها لغارتين أو ثلاث غارات جوية أسبوعيا. وقد تعرضت معظم منازل الصيادين للقصف وانتشرت شُظايا القنابل فى أنحاء البلدة. وقد شاهدنا منزل الحاكم السابق فى الطرف الشرقى من المدينة والذى تحول إلى كومة من الأنقاض بعد أن دمرته مدافع جيش التحرير الشعبى. وكان علم جبهة التحرير يرفرف فوق المدينة. وقد قابلنا فى رخيوت وحدة من جيش التحرير الشعبى وهى متجهة من القطاعين

الشرقى والأوسط إلى المعسكر الثورى للتدريب: وكانت الوحدة تضم 16 مجندا جديدا فى (ج. ت. ش.) كانوا قد قاتلوا لستين كأعضاء فى الميليشيا وجرى ترفيعهم إلى درجة مقاتلين فى الجيش الشعبى. وكان قائد هذه الوحدة سالم على وهو قائد وحدة فى «الخط الأحمر». وقد حدثنا عن آخر العمليات وعن كمينين شارك فيهما شخصيا: الكمين الأول فاجأ وحدة قوات السلطان المسلحة وهى تحاول التسلل من الصحراء إلى المناطق المحررة، والكمين الثانى تعرض لدورية للعدو وانطلقت من قاعدة أم الغوارف فى.صلالة إلى بئر فى سهلموت. وقد وقعت عشرون إصابة فى صفوف قوات السلطان المسلحة فى الكمين الثانى. يتابع فرد هاليداى قوله[1].

وقد وصف لنا مقاتلون آخرون الوضع فى الجبهة الأمامية. فقد لاحظوا كيف كان الضابط البريطانيون يختبئون وسط جنودهم لتجنب الاصابة، وحدثونا عن آخر هجوم على طاقة. كما حدثنا كل مقاتلى (ج. ت. ش.) وكل المدنيين عن الغارات الجوية على المناطق المحررة وعلى القطعان والآبار وبيوت المواطنين. وكان أول من قابلناهم داخل ظفار مجموعة من ثلاثين فتاة وامرأة تتراوح اعمارها بين 8 ـ 40 سنة كن يحضرن صفا لمحو الأمية يشرف عليه كوادر «ج. ش. ن. خ. ع. م.». وكن جميعا لاجئات من المناطق الشرقية والوسطى حيث قامت قوات السلطان المسلحة بتدمير مصادر الرزق. وقد روت لنا من «كفكفوت» كيف قام جيش المرتزقة عام 1966 بإحراق كل المواشى وكل شىء فى القرية. وروت لنا منى مسالم من وادى نحيز كيف أدى قصف قوات السلطان البعيد المدى فى نهاية عام 1969 إلى قتل كل القطعان والجمال فى قريتها. وروت لنا طفول سالم من قرية بيت زربيك كيف شن جيش المرتزقة هجومه الإرهابى ليلا فى نوفمبر 1969 وأطلق الرصاص على رجل أعزل، وهو أب لسبعة أولاد، فأرداه قتيلا، ثم قام

---

1 ـ فرد هاليداى ـ المرجع السابق ص272 .

بحرق أكواخ القرية المائة. ووصف سعيد محاد كيف قصف سلاح الجو المراعى وقرية عريش. وتساءلت امرأة أخرى عن سبب قيام حكومة العمال، التى تدعى الاشتراكية، بقتل فلاحى ظفار. وقالت لنا طفول سالم: «انكم تأتون من البلد الذى يضطهدنا، فاخبروا الشعب البريطانى عما يحدث هنا». وتابعنا سيرنا من رخيوت فى الجبال ووصلنا إلى ميذهوب، مقر القيادة البريطانية السابق فى الغرب. وكانت هناك عشرات الدشم المهجورة والبراميل الفارغة فوق تلة، ومئات من صناديق المدفعية الفارغة وعليها كلمات «وزارة الدفاع، مسقط»، جدرانها أسمك، وأرضها ممهدة وأمامها ممر معبد يؤدى إليها، وفى داخلها كانت توجد تخلفات الضباط الإمبرياليين: معجون حلاقة «ياردلى»، وعلب البيرة، ونسخة قديمة من صحيفة ملونة عدد يوم الأحد، وبقايا الشيفرة التى كان يستعملها البريطانيون والتى اضطروا إلى تركها قبل أن يتلفوها تماما نتيجة لانسحابهم المتسرع من المكان.

وتم فى فبراير 1970 تخليص القطاع الغربى من هجمات قوات السلطان المسلحة البرية، ولكن القطاع ظل معرضا للهجمات البحرية والجوية. وهكذا أصبحت مهمة وحدة جيش التحرير الشعبى الرئيسية هى حماية خطوط التموين الحيوية التى كانت تمر بالقطاع ناقلة الطعام والثياب والذخيرة إلى الجبهة وإلى القطاع الشرقى. وكانت عملية الحماية هذه تتطلب استطلاعا مستمرا، وتسيير دوريات ساحلية، ووجود دفاعات مضادة للطائرات، بالإضافة إلى تدريب وتسليح كل السكان لمقاومة الهجمات المرتقبة. ولم نشاهد أى رجل قادر على حمل السلاح لم يكن عضوا فى جيش التحرير الشعبى أو فى الميليشيا. وقد تسلحت أعداد كبيرة من المواطنين على أثر قرارات مؤتمر سبتمبر 1968. وكان القطاع الغربى يستخدم أيضا كمنطقة للتدريب والراحة لمقاتلى (ج. ت. ش.) من القطاعين الأوسط والشرقى. وكان المجندون الجدد يرسلون إلى القطاع الغربى للتثقيف السياسى والعسكرى، بينما كانت الكوادر القديمة تأتى إليه للراحة ولتدريب الآخرين. وكان يتمركز فى وسط المنطقة الغربية حوالى مائة مقاتل من

(ج. ت. ش.) وكـان هؤلاء ينطلقون فى مـهام مـختلفة، أحـيانا باتجـاه طرف الصـحراء على بعـد ثلاث ساعـات سيـرا على الأقدام حـيث توجد بقـايا طائرة «بروفست» التى أسـقطت فى صيف 1969، وأحيـانا أخرى إلى الساحل لتـدعيم الوحدات التى تراقب المتسللين. وقد شرح لنا على محسن، وهو عضو فى القيادة العامة لـ «ج. ش. ت. خ. ع. م.» وأحد ثوار حركة القوميين العرب وصاحب خبرة سياسية طويلة، مهـام حاميته. وقد أطلعنا كيف يصنع ثوار «ج. ت. ش.» الأدوية من «صمغ» الأشـجار، ودعانا فـى المساء للانضمـام إلى أفراد» «ج. ت. ش.» والأهالى وهم يغنون أغانى حـميرية حول النار. وكان مطلع أكـثر الأغانى شـعبـية فى ذلك الوقت: «من الجـبال إلـى المدن ومن ظفار إلى الخليج». وكـان الاسـتعداد العسكرى فى المنطقة قـويا لدرجة أن الحامـية كلها أصبـحت فى حالة استنفار. وذات مرة حالما شوهدت دورية شكوا أنها تابعة لقوات السلطان المسلحة، ثم اتضح أن الدورية تابعة للثـوار وكانت عائدة من جولة تفـتيشيـة فى ميذهوب. وكان يرافق المؤلف، وهو الأوروبى الوحـيد فى المجمـوعة، حارس مسلح بصـفة دائمة خوفا من أن يظن أحد رجـال (ج. ت. ش.) أو الميلشيا أنه ضابط بريطانى متسلل.

وقد أوضحت الأحـاديث المطولة مع أعضاء (ج. ت. ش.)، ومع الأهالى ومع القيادة العامة لجبهة التحرير الشعبية تاريخ واستراتيجية الثورة. إذ حدثت نقطة التحول عام 1968 عندما تم ظهور قيادة جديدة وتبنى أيديولوجية جديدة، وعندما تقرر تفجير ثورة سياسية واجتمـاعية فى المناطق المحررة. وحيثما اتجهنا كنا نشاهد الناس يحملون شارات ماو ولينين ويـقرأون الكتابات الاشتراكية ويتناقشـون فيها. وكان الناس على اتـصال بأحداث العـالم بواسطة الراديو ترانزيستـور، وقد توفى برتراند راسل أثناء وجودنا هناك فأدى الخبر إلى عدة مناقشات حول حياته ومسالمته ثم موقفه الأخـير المعادى للامبريالية. وكان ويلسـون فى الوقت نفسه يقوم بزيارة لواشنطن فتمت مناقـشة الزيارة أيضا. وكانت المنطقة المحررة تضم كـافة قطاعات

المجتمع الظفارى: كان هناك العبيد الذين هربوا من صلالة، وابناء العائلات الثرية فيها، والرعاة والصيادون وكذلك الذين كانوا يعملون فى الخليج العربى، وكان عدد من أعضاء (ج. ت. ش.) مجندين مع الجيوش البريطانية فى الخليج العربى، وقد أخبرنا أحدهم أنه كان رجل شرطة فى قطر، وحدثنا عن اجراءات قمع التظاهرات التى تعلمها وعن دوره فى قمع انتفاضة 1963 هناك. وقد حدثنا ظفاريون من منطقة صلالة فروا إلى الجبال هربا من الضرائب المرتفعة والرواتب الضئيلة هناك: سالم حسن عمره 17 سنة وكان يعمل صيادا فى صلالة لمدة ثلاثة أشهر فى الصيد ويعمل بقية السنة كعامل بناء فى المشاريع الحكومية. وقد قال: «كنت مستغلا تماما، والآن استعدت حريتى». أما عوض الجندى فى القطاع الغربى فكان حمالا فى قاعدة أم القوارف وفر عن طريق البحر. وعمل عوض أيضا طباخا فى مطعم الضباط البريطانيين، ولكن أى من هذه الوظائف لم تؤمن له عيشا مقبولا. وقد قال: «لم يكن لدى طعام أو ملابس، وكانت عائلتى على حافة الجوع تقريبا». أما أمير على، وهو عبد سابق، فقد كان يعمل فى قصر السلطان ككاتب لدى رئيس مخابرات السلطان، وفر بطريق البحر فى أواخر عام 1969. وقد انضم رجل متوسط فى السن من بيت حندوب فى الغرب إلى الجبهة. إنه انضم للثورة لكى يتخلص من دفع الضرائب. وقال رجل آخر من (ج. ت. ش.) إنه انضم للثورة عام 1968 لأنه «سمع أن الناس يقاتلون سعيد بن تيمور الذى جاء من عمان لكى يحكمنا». وقد أصر هذا الرجل على أنه يعتقد الآن أن الامبريالية البريطانية هى العدو الحقيقى. وقد ساهم فى هذا التغيير فى المواقف تأثير كل من الاتحاد السوفياتى والصين. فقد درب عشرات الثوار فى الصين. وقد تحدثنا مع أحد هؤلاء فامتدح الضباط الصينيين وممارساتهم، وقال إنه تلقى تدريبا قاسيا وكان لمكوثه فى الصين تأثير سياسى أيضا إذ قال: «لقد ذهبت إلى هناك كوطنى وأنا الآن ماركسى ـ لينينى»[1].

---

1 ـ فرد هاليدى ـ نفس المرجع ص276.

شغل السلطان قـابوس عند توليه السلطنة بموضوعين :ـ إقـرار سيطرة الدولة فى مواجـهة الحركات الثـورية وإنشاء دولة حديثـة انطلاقا من العدم. وقـد اقتنع السلطان الجديد بأن التهـدئة تحتل الأولوية لأن الثورة تعرقل مشـروعات العمران، ولو أن الشعب ظل يعـتقد بأن أمـر الثورة يهم السلطان وحده. لقـد ورث قابوس عن أبيه وجود حالات الثورة فى إقليم ظفـار وفسر البعض هذه الثورة بأن الإقليم المعزول عن العالم الخارجى يكتسب صفات خـاصة تجعله يشعر بذاتية منفصلة عن عمان، وهذا التـشبيه بالقومـيات الضيقة لا أسـاس له بالنسبة لظفار، فـالاختلاط والتـزاوج منتشـر بين الظفـاريين وساحل عـمان، وقـابوس نفـسه ينحـدر من أم ظفارية. وتعود عزلة الإقليم إلى وعورته واختلاف أهله عن سكان الساحل بافتقاد مصادر الثروة من التجارة. ويقول بعض العمانيين عن الثورة الظفارية بأنها تختلف حركة عن حركة الإمـامة على عهد السلطان سعيد، فـالأولى ترتبط بحركة يسارية «الجبـهة الشعبـية لتحريـر الخليج». وجدت فى إقليم ظفار مـجالا خصبـا للعمل المسلح لأن قبـائل الإقليم اعتـادت منذ يوليو 1965م القيـام بغارات على مـراكز الشرطة والمـراكز العسكرية للـدولة. وفى عام 1969م كون شـباب شـرق الجزيرة العربية المتعلمون فى الخـارج الجبهة الشعبية ذات المبادئ الماركـسية برعاية الحكومة العراقية حـينذاك، وليس من الضرورى أن تكون هذه الجبهة قد اسـتطاعت تجميع الأنصار فى ظفار باسم المبادئ المـعقدة التى تدعو إليها والتى يصعب فـهمها على الأهالى. وقد نشرت الهيئـة برنامجها فى عام 1971 وذكرت أن من أهدافه تغـيير العـلاقات الاجـتمـاعيـة وتحـقيق المسـاواة وتحريـر المرأة. وقد أثار هذا البـرنامج اعتراضات لدى قبائل ظفار المحـافظة وخاصة تيار العلماء من السادة العلويين؛ لذا فإن الصدفة هى التى جمعت بين أيديولوجية الجبـهة الشعبية لتحرير الخليج العربى

ونزعه قبـائل ظفار إلى التمرد على السلـطة المركزية أيا كانت وشجعـها على ذلك الأحداث التى اقتـرنت بتولى السلطان، فقد شـجع ضباط بريطانيون على اقـتحام قصر سعيد بن تيمور وتحريض بريك الغافرى على الدخول على السلطان فى قصر صلالة وإطلاق الرصاص عليه واصابته بجـرح مما أجبره على التنازل وتسليم نفسه للضباط البريطانيين ومن ثم جاز لدعاة العصيان الادعاء بأنهم يمثلون حركة وطنية فى مواجهة حكومة موالية لبريطانيا.

حرب العصابات، المرحلة الثالثة: 1970، 1972:

يقول فرد هاليداى: «أصبح البريطانـيون فى وضع دفاعى بعد أن انتقل زمام المبـادرة عام 1970 إلى يد (ج.ش.ت.خ.ع.م.) ولم يتـمكن البريطانيـون من اخفـاء هذه الحقيقـة فقالوا فى مـايو: «ان هناك خطراً صينيا جـديداً على المصالح النفطية للشـركات المسيحيـة البريطانية فى الخليج العربى وان هذا الخطر يثـير قلقا عميقًـا فى أوساط وزارة الخارجية» وكان الثوار يعلمون ان انتـصاراتهم ستؤدى إلى وقوع تغييـرات فى الجانب الآخر وحددوا شكل هذه التغيـيرات منذ مايو 1968: سيعزل سعيد بن تيمور نتيجة لانقلاب، سيجرى إقامة نظام «تحديثى» جديد يدخل الجامعـة العربية والأمم المتحدة، وسـتطبق بعض الإصلاحات الاقتـصادية وتصبح البلاد مثل بقيـة بلدان الخليج العربى الخاضعة للاحتلال المسـيحى البريطانى. وقد توقعت جبهة التحريـر حدوث التغيير أثناء عام 1968، ولكن تنفيذ مؤامرة وزارة الدفاع البريـطانية احتاج إلى سنتـين إضافيتين. والخـطأ الثانى فى توقعات جـبهة التحـرير كان توقعـها بأن يتـوصل البريطانيون إلى اتفـاق مع طارق الرجل الذكى والقدير والذى يطالب بزعـامة آل بوسعيد والذى قـضى سنوات عديدة فى المنفى. ولكن البريـطانيين لـم يثقـوا بطارق (الذى يشاع انه كـان يسعى لاقـامة روابط مع جبهة التـحرير) واختاروا قابوس ابن أخيه وابن السلطـان سعيد الموالى لهم والذى ينقصه الذكاء والخيال.

نتيجة لهجوم جبهة التحرير عام 1969 ـ 1970 أجبر البريطانيون السلطان سعيد علـى قبول عدد من التغييـرات: فقد أقصوا وزير دفـاعه القديم اللواء «بات واترفيلد» فى أوائل 1970، ووضع وزيره الجديد اللواء «هـج اولدمان» فى ابريل خطة لإنشاء فرقة جديدة تابعة لقوات السلـطان المسلحة، وهى كتيبة الجبل. ولكن سعيد استمـر فى تخزين سلاحه البالغ 33 طنا فى قصره، ولم يعط الثوار سوى خـيار من اثنين: الاستـسلام أو الموت. وكـانت مواقـفـه هذه تزيد من متـاعب البريطانيين. وقـد قال قائد أركان فى ظفار: «لقد تصرفنا عـلى هواهم وكما يشاء السلطان سعيـد بن تيمور، وهكذا تحولت الحرب من انتفـاضة على أسلوب حكمه إلى نضال ثورى هدفه إحداث تغيير اجتـماعى شامل». وعندما انتشرت الثورة من ظفار إلى الداخل العمانى فى 10يونيو 1970 نفذ البريطانيون انقـلابهم ضد سعيد يوم 23 يوليو 1970. وكان أحد التأثيرات الفورية لهذا التغيير أن وزارة الخارجية البريطانية غيـرت موقفها حول ظفار من الصـمت إلى الدعاية والكذب. وقد جاء فى تحليل الثوار فى مايو 1968 حول الانقلاب الـقادم: «وستكون مهـمة وسائل الإعلام والدعاية الإمـبريالية هى إصدار التقـارير حول الانقلاب وإبرازه، ومنع أية تقاريـر حول أى نشاط مـضاد للانقـلاب ووصف الانقلاب بأنه وطنـى» وهذا ما حدث تماما بعد سنتـين. وكما رأينا سابقا، كانت إحدى المهام الرئيـسية هى إخفاء مسؤولية بريطانيا عن جرائم حكم سعيد، وإخفاء حقيقة ان وزارة الدفاع البريطانية قد أعـدت الانقلاب. ولكن المهمـة الرئيسيـة الثانية كانـت هى إطلاع العالم على الرواية البريطانيـة لحرب ظفار التى كانت حـتى الآن محاطة بالصمت. فـبينما لم تذكر حـرب ظفار فى الصحافـة البريطانية قـبل يوليو 1970 سوى 12 مرة ولم يكتب عنهـا سوى خـمس مقالات، قـفزت أخـبار هذه الحـرب إلى الصفـحات الأولى. تعتقد الدوائر المسؤولية البريطانية ان كل الثورات هى من عمل «الأجانب» (الصينيون فى هذه الحالة) وعملائهم المحليين «الأقليـة» الصغيرة أو «القلة المتعصبة

والمتطرفة»، أو «الشيوعيين». وطبقا لهذا التصور فهم يعتبرون ان حرب ظفار قد بدأها «المسلمون الملتزمون» الذين أقصوا عن الحكم عام 1968 بواسطة شلة صغيرة من «عملاء الصين المدربين» الذين «استولوا على الجبل بالقوة والإرهاب». وبما ان نظرة معظم الصحافة البريطانية إلى العالم هى نظرة «مانوية» فلم تجد وزارة الخارجية اية صعوبة فى اقناع الصحفيين البريطانيين باتباع خطها والتعاون معها فى حملتها الرسمية المضللة[1].

اما الاتهام الأكثر شيوعًا فكان هو ان «ج.ش.ت.خ.ع.م.» تدار من قبل مستشارين من الضباط الروس. وكان البريطانيون يقولون إنهم شاهدوا عشرة، وأحيانا ثلاثين، من هؤلاء المستشارين ولكنهم لم يقدموا دليلا واحدا على ادعائهم هذا. اما الادعاء الآخر المتكرر فهو ان الثوار «يسيطرون على ثلاثة أرباع ظفار بالإرهاب» ـ وإلا فكيف يمكنهم التأثير على الناس؟ وكان رجل المخابرات البريطانية الذى يلتقى بالصحفيين الزائرين ليشرح لهم الوضع منزعجا جداً من حقيقة ان النساء يلعبن دوراً متزايدا فى النضال الثورى، وقد نقل مراسل التايمز صورة لهذا الرجل هى صورة الذكر المتحيز ضد المرأة إذ قال: «هناك دليل على ان الثوار بدأوا يشركون النساء فى عملياتهم، وقد حصلت عدة جرائم قتل خلال الشهور الثلاثة الماضية»، وقد سمع من زاروا صلالة فى وقت لاحق أكاذيب مماثلة كما استمعوا إلى عشرات التبريرات المترابطة التى تحاول تفسير حرب ظفار بشكل خاطئ. وكان الخط السياسى البريطانى حول ظفار غير نزيه مثله مثل أية اعذار تقدم لتبرير عملية مخابرات مضادة، ولكنه استطاع تحقيق الهدف المتمثل بجعل الصحافة المسيحية الإمبريالية تخفى حقيقة الوضع. ولم يتساءل أحد كيف أن القلة الشيوعية المتطرفة قد استطاعت السيطرة على الجبل «بقوة الارهاب» فى حين ان «قوات السلطان المسلحة» الأكثر عدداً والأفضل تسليحًا لم تستطع ذلك. كما أن

1 ـ فرد هاليداى ـ المرجع السابق ص269.

أيا من الصحفيين البريطانيين الذين وقفوا ضد النفوذ الأجنبى - أى الصينى - فى جبال ظفار بدون أن يكون لديهم دليل على ذلك، أى من هؤلاء، لم يثر أى سؤال حول التدخل الأجنبى - أى البريطانى - الواضح إلى جانب السلطان. كما لم يقم أى صحفى بالتحقيق والاعتقالات التعسفية فى سجون السلطان. ولم يظهر رجال الصحافة الذين كانت وزارة الدفاع ترسلهم إلى ظفار أية مقدرة نقدية. كانت الخطوات الفورية للنظام الجديد تهدف إلى شق وخداع شعب ظفار وإلى إضعاف الثورة من الداخل. فقد ألقيت منشورات فوق المناطق المحررة تحث الناس على الاستسلام. وأنشئت محطة إذاعة فى صلالة، وتم تحرير العبيد، وبدأ العمل فى مشروع تنمية ظفار الذى يبلغ تكاليفه ستة ملايين جنيه استرلينى. كما أقام السلطان مزرعة نموذجية فى السهل المحيط بصلالة والذى تسيطر عليه قوات الحكومة، كما استقدمت المضخات المائية. وكما حدث فى بقية الأنحاء، افتتحت المدارس وعيادة صحية وخدمات بيطرية، كما ازيلت كل القيود غير الضرورية التى كان يفرضها النظام القديم. وقامت شركة مقاولات بريطانية، وهى شركة تايلور وودرو، بتعهد توسيع الميناء فى ريسوت، كما افتتح البنك البريطانى للشرق الأوسط فرعًا له فى مدينة صلالة. كما تم الالتزام بمشروع بناء جديد بقيمة 8 مليون جنية استرلينى يهدف إلى تنمية مدينة صلالة. وكان النظام العمانى يأمل بتشجيع أهل الجبل فى ظفار بالانتقال للعيش فى السهل، إذ كان يقدم لكل ظفارى من الجبل يقبل العيش فى السهل بيتا وقطعة أرض وراتبا شهريًا[1].

وكانت بريطانيا تهدف من وراء هذه الاصلاحات إلى استغلال القاعدة الشعبية الضيقة كقاعدة مضادة للثورة داخل المجتمع الظفارى مما يربك القوات الثورية، وأخذوا يعدون لمؤامرة فى القطاع الشرقى. فقد كان الشرق أكثر مناطق البلاد كثافة سكانية، لكنه أقل المناطق تعرضا للقتال. وبالتالى كان الشرق منطقة

1 - فرد هاليداى - نفس المرجع ص270.

متـميـزة بالنظام العشـائرى التقليـدى القوى، وكانت الـقوى الاجتـماعـية المؤيدة للامبرياليـة فيه أقوى منها فى بقـية المناطق. وبالاضافة إلى ذلك فـقد كانت والدة السلطان الجديدة تنتمى إلى قـبيلة فى شرقى ظفار، الأمر الذى أوجـد للبريطانيين صلة بعدد من الشيوخ، وكان بعض الشيوخ قد انتقلوا، إثر المؤتمر الثانى الذى عقد عام 1968، إلى الجانب البريطانى، وتلقوا مكافآت مالية سخية، وكان البريطانيون يأملون فى أن تنجح المناورة نفسـها عام 1970. وبعد مرور شـهرين على انقلاب قابوس، أى فى سبـتمبر 1970، قامت مجـموعة من شيوخ القـبائل فى الشرق بمهاجمة جبهة التحرير وألقى الشيوخ القبض فى 12 سبتمبر على أربعين كادرا من (ج.ت.ش.) ومن جبـهة التحـرير وكانوا ينوون تسليـمهم مع المنطقـة كلها إلى البريطانيين ولكن تحرك (ج.ت.خ.ع.م.) منعـهم من ذلك، إذ قامت الجبهة بنقل أعداد كبـيرة من جيش التـحرير الشعبى من القطاع الأوسط إلى الشـرق، وضمن ذلك العمل إطلاق سراح كوادرها بحلول آخر سبتمبر. ونتيجة لهذه المواجهة انتقل المزيد من الشـيوخ إلى الجـانب البـريطانى وشكلوا فـرقا مـضادة للثـورة، وهكذا أحبطت المؤامرة ولم يتمكن البريطانيون من استغلال ضعف الثورة لاختراق المناطق المحـررة. وقـد رفـضت «ج.ت.خ.ع.م.» كل العـروض التى قـدمـت لهـا للاستسـلام. الحقيقة، لقد انطلقت الجـبهة الشعبـية فى مواقفها الداخليـة والعربية والعالمـية من موقـف مستـقل نابع من ظروف المنطقـة، ورفضت كـافة الضـغوط وإغراءات التبعية والتزمت فى كافة مواقفـها بمصلحة الجماهير، ولقد دفعت الجبهة ثمنا باهظًا نتيجة مواقفها الاستقـلالية الثورية، ولكنها اكتسبت الاحترام والمهابة من الأعداء والأصدقاء على حـد سواء وأوضحت حقيقـة الانقلاب وإصلاحات النظام العمانى[1]:

يتابع فـرد هاليداى قوله: «ما حـدث فى يوليو 1970 كان متوقـعا، وجاء

---

1 ـ فرد هاليداى ـ نفس المرجع ص271.

نتيجـة لخطة طويلة الأمد رسمها الاستـعمار المسيحى البريطانى بهـدف احتواء ثم تصفـية التيـار الثورى السائد. وكان إسـقاط سعـيد بن تيمـور هو جزء من خطة مزدوجة. فالجزء الأول من الخطة كان يقضى بإقـامة «الملكية الدستورية فى عمان» بالشكل الذى دعا إليه طويلا طارق بن تيمور، شقـيق سعيد. والخطة الثانية كانت إقامـة اتحاد الامارات الـعربية. فكلاهمـا يشكلان جبـهات سيـاسية لـلاستعـمار البريطانى الجديد فى المنطقة تنبع من محاولة مستميتـة لإقامة نظم وطنية ظاهريا. وهناك سببـان رئيسيان دعـيا البريطانيين لاسـتبدال سعيـد بابنه، السبب الأول هو النجاح الذى حققـته الثورة فى ظفار، إذ أصبح هذا النجاح يشكل تهديدًا حـقيقيًا للمصالح الإمبرياليـة المسيحية فى المنطقة كلها. وأصبح نظام سعـيد غير قادر على احتواء المد الثورى المتصاعد فى ظفار. والسبب الثانى المماثل فى أهميته كان يتمثل فى بداية الكفاح المسلح فى عمان نفـسها بقيادة الجبهة الوطنية الديمـقراطية لتحرير عمـان والخليج العربى. وبعد اسـتبدال سـعيد حاول البـريطانيون إضعـاف الثورة بسلسلة ما يدعى بالاصلاحات. وكان رد (ج.ت.خ.ع.م.) هو تصعيد النضال، فبعد ان أصبحت ظفار كلها تحت سيطرتهم، حاول رجال جبهة التحرير قطع الخط الأحمر بشكل حـاسم وتدمير المراكز البـريطانية الأربعة المتبقـية على هذا الطريق. وقامت الجبهة طـوال خريف وشتاء عام 1970 بقصف مستـمر وبنصب الكمائن، إلى ان نجحـوا فى احراز نصـر عام 1968 ـ 1969 فى القطاع الغـربى إذ سقطت هجليت، وهى آخر مـركز لقوات السلطان المسلحة على الخط الأحـمر، فى يدهم فى مايو 1971. وجاء فى تقرير صـحفى بريطانى فى ربيع 1971 «ان القتال أشد منه فى أى وقت مـضى منذ نشـوب الثورة، وانه بسـرعة تحـرك جـبهـة التحـرير ومعداتها ومهاراتها التكتيكيـة قد تحسنت». وقد تمكن الثوار فى صيف عام 1971، أى بعد مـضى سنة على سقوط سـعيد، من هزيمـة كل جانب سيـاسى لانقلاب يوليو، وتقوية مركزهم إلى حد كبير بعد دحرهم للمؤامرة.

بعد أن فشل البريطانيون فى شق الثورة بالخـداع، بدا واضحًا انهم سيعدون

العدة لهجوم عسكرى، ورغم انهم بدأوا عام 1975 باستخدام الظفاريين المرتدين فى تحديد قواعد (ج. ت. ش.) إلا أنهم ظلوا لأكثر من عام غير قادرين على تنظيم أنفسهم وعلى منع (ج. ت. خ. ع. م.) من نقل السلاح والطعام استعدادا للهجوم المضاد. وقد اعتبر البريطانيون «الفرق» التى شكلوها من الظفاريين غير موثوقة. وأخيراً شن البريطانيون هجومهم على القطاع الشرقى فى أكتوبر، واطلقوا عليه اسم «عملية الفهد». وقامت قوات عمانية معززة تدعمها قوات من «الخدمات الجوية الخاصة» بهجوم فى الشرق على امل استخدام قوتهم البرية والجوية المتفوقة لتطهير الجبل. واقاموا فى الوقت نفسه سلسلة من المواقع على طول الطرف الصحراوى للجبال «خط الفهد» بهدف وقف تدفق السلاح والمؤن على القطاع الشرقى. واستمر القتال لمدة شهرين إلى ان توقف هجوم قوات السلطان المسلحة فى ديسمبر. وقد استطاعت هذه القوات اختراق الجبل فى المناطق التى استخدمت فيها نيران كثيفة، وأصبحت تحت مواقع جديدة قامت بتحصينها تحصينا قويًا. وأصبح مركز الوجود البريطانى الجديد فى الشرق هو «خيصال» والتى تعرف باسم «مدينة الحق»، حيث بدأ البريطانيون برنامج «تدجين» للمنطقة. ولكن زمام المبادرة ظل فى يد جيش التحرير الشعبى الذى رد، كما فى الغرب، بتجنب المعارك الكبيرة وبإخلاء بعض المناطق عند الضرورة ثم مهاجمتها بعد ان تقيم قوات السلطان المسلحة عليها قواعد ثابتة. وطبقا لمصادر جبهة التحرير فقد وقع 290 اشتباكا فى الشهور الثلاثة التى تلت الأول من أكتوبر 1971 منها 170 اشتباكا فى الشرق و41 فى الوسط و20 فى منطقة «هوشى منه» و59 فى الغرب. وفقدت قوات السلطان المسلحة 126 جنديا مقابل 31 للثوار، كما فقد المسيحيون البريطانيون الإمبرياليون طائرتين حربيتين وطائرة هليكوبتر وعدة آليات عسكرية. وقد أرسل ثائر ظفارى التقرير التالى فى نهاية ديسمبر 1971[1]:

1 ـ فرد هاليداى ـ نفس المرجع ص272.

«إن الحالة فى المنطقة المحررة من ظفار ممتازة. وقد أخر غزو للقطاع الشرقى من ظفار قوات من الجنود البريطانيون والمرتزقة وكانت خسائر البريطانيين من رجال الكوماندوز والمعدات كبيرة وقتل العديد من المرتزقة ومن الضباط البريطانيين. إذ قتل سبعة بريطانيين مع نهاية سبتمبر وازداد عدد قتلاهم منذ ذلك التاريخ. واضطر البريطانيون وقابوس إلى سحب ما تبقى من قواتهم، واضطرتهم هجمات الرفاق الشديدة إلى التخلى عن العديد من مواقعهم مثل جيجوت وعدوت وغيرهما. وقد تلقى البريطانيون وقابوس درسا قاسيًا لن ينسوه ابدًا. واعتمدت بريطانيا على طائراتها التى تقصف المنطقة عشر مرات على الأقل يوميًا. وأهدافهم الرئيسية هى المواطنون ومواشيهم ومزارعهم. ونتيجة لهذا الفشل أجبرت بريطانيا قابوس على زيارة السعودية وتسوية كل الخلافات القائمة معها. واعترفت السعودية بنظام قابوس. إن رفاقنا يسيطرون على كل شىء. وآخر الأنباء أن المرتزقة الإرهابيين الكوماندوس يأخذون فترة راحة الآن. ويمكننا أن نؤكد لكم ان العديد من قوات قابوس والقوات البريطانية هم الآن فى المستشفيات. وقد منعت الحكومة الآن المواطنين المحليين من تلقى العلاج فى المستشفيات». وكان للنتائج السيئة التى نتجت عن «عملية الفهد» آثار تخطت حدود ظفار. فقد انتهز طارق بن تيمور، الذى كان رئيسا للوزراء منذ يوليو 1970، المناسبة للاستقالة. وبالاضافة إلى تذمره من السيطرة البريطانية على الاقتصاد، فقد ندد بالبريطانيين لضعفهم العسكرى وحذر من انه إذا استمرت حرب ظفار فى ابتلاع عائدات عمان فإن الخطط التحديثية الضرورية لعمان نفسها ستنهار. وقد تطابق هذا الصدام فى مسقط مع دعاية غير مواتية فى لندن. فقد أصبح معروفا فى الشرق الأوسط، رغم التشديدات الصارمة، ان بعض كوماندوس الخدمات الجوية الخاصة قتلوا على يد ثوار (ج.ت.خ.ع.م.) وخرجت وزارة الخارجية عن صمتها واضطرت إلى تسريب الخبر إلى الصحافة من اجل منع نزاع اكبر. فقد ركزت الصحف البريطانية

خلال الأسبوع الأول من يناير على دور بريطانيا فى عمان وحاولت بشكل مخفف ان تشكك فى بعض المراوغـات الظاهرة للمـسؤولين. وقـد زد البريطانيـون على فشلهم فى الشرق باختراق فى الغرب، وشنوا فى ربيع 1972 هجومًا مضادا ثانيًا باسم «عمليـة سييمـا» هدفه قطع خطوط تموين جبـهة التحرير بعـد ان فشلوا فى قطعها عام 1968. وكتبت جريدة التايمز: «ان أهمـية الهجوم الأخير بالقرب من حدود اليـمن الجنوبى تكمن فى أنها ـ فى حـال نجاح الهـجوم ـ ستـعطى لقوات السلطان المسلحـة سـيطرة كـاملة على الخط الحـيوى لـلثورة والقـادم من اليـمن الجنوبى». وكما حـدث فى الهجوم السابق، أقامت قوات السلطان المسـلحة مراكز عند الطرف الشمـالى للجبل وحـاولت الاختراق إلى البـحر، وقد صـحبت هذه المحاولـة هجمات شـديدة العنف على اليـمن الجنوبى. وكان من بـين الهجـمات غارات جوية على حـوف وعلى حبروت وهجومًا بريًا على حـوف فى آخر مايو. وقد وصفت (ج.ش.ت.خ.ع.م.) عملية سيمبا كالتالى:

«تجدد القـتال منذ 18 مايو بين البـريطانيين وقوات السلطان من جـهة وبين القوات اليمنية الديمقراطية من وجهة ثانية، وتم إنزال 300 جندى من الجو فوق قاعدة حبروت فى الجانب العمانى». «وما زال القتال مستمرا وقد فشل العدو حتى الآن فى الانتـقام لفـشله»، كمـا صرح بذلك فـهد بن مـحمـود وزير الخارجـية العمـانى. وقام سلاح الجـو الملكى يوم 25 مايـو بمهاجمـة حوف طوال النـهار وقصف كل الأهداف المدنيـة كالمدرسة والمركـز الطبى ومركز مـحو الأميـة وبيوت المواطنين. وقد قتل نتيـجة للقصف خمسة مقاتلين مـن (ج.ت.ش.) وعدد كبير من النساء والأطفال، كما جرح ستـة أشخاص. وفى المقابل جرى إسقاط طائرتى «سترايك مـاستر». وقام العـدو قبل ذلك فى 24 مايو بإنزال مـائتى جندى فوق ضروت، على بعد عشرة أميال من حوف. وهاجم قسم من هؤلاء الريف الظفارى بينما هاجم قسم آخر حدود جمهورية اليمن الشعبية الديمقراطية. ويقر العدو الان

بعد ان فشل فى تحقيق هدفه فى قطع مواصلات الجبهة وفى الحصول على موطئ قدم له فى المنطقة الغربية من ظفار وفى المنطقة الشرقية من جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية. ونحن نعتقد ان هذا ما هو إلا مقدمة لحملة كبيرة سيشنها العدو فى نهاية الفصل الموسمى. وهدف القتال الحالى هو استنزاف مواردنا (وخاصة فى الذخائر والطعام) لان المؤن تخف اثناء الفصل الموسمى» وعندما بدأ الفصل الموسمى، فى أوائل يونيو، بادر (ج.ت.ش.) بالهجوم. واضطرت قوات السلطان المسلحة تحت ضغط (ج.ت.ش.) إلى إخلاء موقع ثقبيت الذى اقامته عام 1971 على إثر عملية سيما فى أوائل مايو وتحولت إلى موقف دفاعى خلال شهر من سقوط ذلك الموقع.

«تحمى مركز سيما العسكرى القائم على أربعة تلال صخرية بالقرب من الحدود اليمنية كتيبة واحدة هى كتيبة مسقط، وعليها ان تبقى فى هذا الموقع لخمسة شهور قادمة. وسيما، كما يقول ضباطها البريطانيون العشرة، عبارة عن عنق زجاجة صغير يصد مدا ثوريا من اليمن الجنوبى. ولكن مع هبوب الرياح الموسمية ولأول مرة تجاهد قوات السلطان قابوس بن سعيد للاحتفاظ بهذا الموقع ازاء نيران الثوار الكثيفة والصائبة والتى اوقعت 18 إصابة فى صفوفهم أثناء الاثنى عشر يوما الماضية. أما تسيير الدوريات المستمرة فمسألة خطرة ومزعجة. ومعظم جنود السلطان من سكان السهول والقتال فى الجبال هو أمر صعب عليهم. وليس هناك أدنى شك فى أنه لولا وجود الطيارين والضباط البريطانيين لانتهت الحرب خلال أيام».

وكانت هناك بعض المفاجآت بانتظار البريطانيين الذين سبق وتفاخروا فى وقت سابق من السنة بانهم يسيطرون على القطاعين الشرقى والأوسط. فقد جرح اثنا عشر ضابطا بريطانيا فى أوائل يونيو عندما أصاب جنود (ج.ت.ش.) بيوت الضباط فى صلالة إصابة مباشرة، وجرى نقل هؤلاء المستعمرين المسيحيين الجرحى

بالطائرات إلى قبرص. وفى 19 يوليو شن ثوار (ج.ت.ش.) هجومًا على بلدة مرباط الساحلية الشرقية واستولوا عليها لمدة 14 ساعة فى أكبر معركة فى الحرب، مما أكد أن زمام المبادرة هو فى يد جبهة التحرير. كما استولى الثوار فى هجوم لاحق على بلدة طاقة لمدة أربع ساعات وصادروا كميات كبيرة من المؤن الغذائية، وقامت الجبهة بدفع قيمة المؤن للتجار الذين يملكون هذه المواد. وبدا فى خريف 1972 أن هجوما آخر لقوات السلطان المسلحة وشيك الوقوع وحذرت جبهة التحرير من «أكتوبر آخر»: .

«إننا مصممون وقادرون، بقوتنا المتواضعة ومعنوياتنا العالية، على الوقوف بشجاعة فى وجه كل هذه المخططات، ونحن واثقون ان بامكاننا الرد على هذه الحملة مهما كانت كبيرة، ولن يكون الرد بالكتابة أو بالكلام وإنما بدم شهدائنا».

وقع هجوم فى أواخر سبتمبر فى الوقت الذى كانت اليمن الشمالية تشن فيه هجومًا مضادا للثورة على اليمن الجنوبية. ففى 23 سبتمبر 1972 شنت قوات السلطان المسلحة المدعمة بطائرات الهليكوبتر والطائرات النفاثة هجومًا على المقاطعة الشرقية من ظفار، وجاء هذا الهجوم ليكذب أى ادعاء بأن المنطقة الشرقية قد سحقت. وفى 26 سبتمبر 1972 تم شن الهجوم المضاد للشيوعية والذى تدعمه السعودية فى محاولة لغزو جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية. وقد انهار هذا الهجوم خلال أسبوعين وتحول إلى نصر كبير للقوى الثورية فى شبه الجزيرة العربية كلها. وكذلك فشل هجوم قوات السلطان المسلحة على ظفار فى تحقيق أهدافه، وأصبح البريطانيون فى أوائل ديسمبر فى موقف دفاعى مرة أخرى، إذ احتفظوا بمراكز جبلية لا يمكن تموينها إلا بواسطة الطائرات، وقاموا بمهاجمة المنطقة المحررة بشكل عشوائى فى محاولة لسحق إرادة الجماهير. وقد أخفق البريطانيون إخفاقا ذريعا فى وضع حد سريع للحرب كما كانوا يشتهون، بينما

احتفظت (ج.ش.ت.خ.ع.م.) التى تخوض حربا طويلة الأمد بسيطرتها على المناطق المحررة. يقول المؤرخ البريطاني فرد هاليداى:[1]

قمت فى ابريل عام 1973، اى فى نهاية فصل 1972 ـ 1973 الجاف، بزيارة ثانية للمناطق المحررة فى ظفار وشاهدت وحدات من (ج.ت.ش.) تحاصر الموقع البريطانى القائم شمال صرفيت، وهو الموقع الوحيد للعدو الذى تبقى من الهجمات السابقة. وحتى قبل ان أعبر الحدود لاحظت عدة تغييرات بالنسبة لما كان قبل ثلاث سنوات: فقد ازدهرت القرى اليمنية الجنوبية فى المحافظة السادسة بشكل واضح إذ ازداد فيها عدد البيوت المنشأة، ونسبة المياه الجارية، وأصبحت المخازن أغنى بالبضائع وازدادت المساحات المزروعة. كما امتدت الطريق المنطلقة شرقًا من الغيضة، والتى وصلت عام 1970 إلى الفاتك، ووصلت إلى دمغوت، ومن المتوقع ان تصل إلى حوف خلال 3 ـ 5سنوات. اما السمبوك الذى ينقل الزوار من دمغوت إلى حوف فقد جهز بمحرك خارجى بعد ان كان يعتمد على المجاديف البدائية عام 1970. وقد تركت أحداث العام الماضى العسكرية آثارها على منطقة الحدود. فقد أقيمت مواقع يمنية جنوبية مضادة للطائرات حول حوف. وقد أطلعنا أعضاء جبهة التحرير على بيوت حوف المدمرة بفعل القصف الجوى فى مايو 1972. وكانت حوف تشعر دائما بالحرب الدائرة على بعد بضعة أميال منها، وكان بالإمكان سماع القصف المدفعى بين الحين والآخر وكأنه دوى رعد بعيد. وفى إحدى الليالى المظلمة شاهدنا ومضات من الضوء صادرة عن سفن السلطان الحربية وهى تضىء أنوارها على الساحل بحثا عن قوارب تنقل السلاح للثوار، بالإضافة إلى إطلاق البريطانيين للقنابل المضيئة واتباعها بقذائف المدفعية. وكان موقع العدو فى صرفيت يهدف إلى محاصرة جبهة التحرير بواسطة عرقلة خطوط تموينها وباستنزاف طاقاتها ومعداتها التى سترسل إلى الشرق. وقد ادعى

1 ـ فرد هاليداى ـ نفس المرجع ص275.

البريطانيـون منذ حملتـهم عام 1972 بأن الحدود مـغلقة تقـريبا. وقد ادعـوا بعد عبورى الحدود بأسبـوع بأن قوافل التموين «قد تضاءلت إلى ستة جـمال تقريبا فى الأسبوع طبقا لمصادر المخابرات العمانية». ولكننى استطعت عبور الحدود والوصول إلى موقـع (ج.ت.ش.) القريب من الموقع البـريطانى فى صرفـيت خلال عـشر ساعات من السير على الأقدام وبدون أية مصاعب. وكانت قوافل التموين ما تزال تتألف من 20 ـ 30جمـلا كما كـانت عام 1970. وكان البـريطانيون يقصـفون المنطقة بشـكل عشوائى وكـان بالإمكان مشاهدة آثار هذا القـصف. ولكن «عنق» المناطق المحـررة الذى يبلغ عرضـه خمـسة أمـيال كـان مفـتوحًـا مما يثبت كـذب الادعاءات البـريطانية والعـمانيـة وذلك بالرغم من أن إيصال المؤن أصـبح يواجه مصاعب اضافية.

وقام قائد مـحلى من صلالة فى أوائل العشـرينيات من عمره يدعى مـحمد حفيظ بشـرح خلفية الحصـار لنا فى موقع لـ (ج.ت.ش.) قرب صرفـيت. فقد اضطر البريطانيون إلى إخلاء ثقبيت وضاحيتـها كدبيت بعد هجمات مضادة عنيفة من قبل الثـوار فى ربيع 1972. وعندئذ انطلق البـريطانيون من الصـحراء وأنزلوا جنودا من الجو واقاموا عـشرة مواقع حجرية إلى الشمال من صـرفيت فوق مرتفع يعلو 4500 قدم عـن التلال السـاحلية، ويبـعد أربعـة أميال تـقريبا عـن حدود جمهـورية اليمن الديمقراطـية الشعبيـة. وحاولوا فى البداية أن يعبـروا التلال إلى البحر، وخاضـوا معركة دامت 14 ساعة فى وادى كهـوت الواقع تحت صرفيت، قتل خلالهـا عم ظفارى للسلطان قابوس وهو الشيخ مـحمد أحمـد حاشيت أثناء قيامـه بقيادة مجموعـة من المرتزقة الظفاريين بمساعدة قـوات السلطان المسلحة التى يقودها ضباط بريطانيون. وقـد توقفت كل هذه المحاولات فى نهاية صيف 1972 وأصبحت قوات العدو أسيرة مواقعها. وقد توقف ايضا استعمال مكبرات الصوت لمخاطبـة الأهالى. وأدى قصف جبـهة التحـرير المستمـر إلى تدمير مـدرج هبوط

الطائرات البريطـانية مما اجبـر البريطانيين على الاعـتماد على طائرات الـهليكوبتر وحدها لـنقل المؤن. وكانت هذه الطائرات تنقل المـؤن والمعدات يومـيًا تقريـبًا إلى المواقع المعزولة.

يتابع فرد هاليداى قوله:

شاهدت ذات يوم من عـلى قمة جـبل على بعد ميـل ونصف داخل حدود ظفار هجـومًا قـام به ثوار (ج.ت.ش.) عند الفجر على مـوقع صرفـيت. وكان بالإمكان مـشاهدة تحـصينـات قوات السلطان المسلحـة على القـمة المجـاورة اثناء انعكاس أشعة الشمس عليـها قبل الخامسة بدقائق. وفى الخـامسة إلا ثلاث دقائق فـتـحت وحدات (ج.ت.ش.) الـقريبـة من الموقع نـيران الأسلـحة الرشـاشـة والهاونات. وقد شاهدت الدخان الأسود يتـصاعد من قذائف الهاون التى سقطت فوق وحول التحصينات. وبعـد مضى دقائق قليلة قام الموقع الحكومى بالرد بمدافع الهاوتزر وكـانت وحدة (ج.ت.ش.) التى أتمركز معـها مطلة على ميدان المـعركة بكامله ولذا فقد تولت إرسـال التعليمات باللاسلكى إلى الوحدات القتـالية القريبة من موقع صرفيت. وبعد خمس وثلاثين دقيقة سمعنا أزيزا بعيدا ناتجا عن طائرتى «استـرايك ماسـتر» انطلقـتا من صلالة لمسـاندة موقع صـرفيت. وقـد دامت غارة الطائرتين عشـرين دقيقة قـامتا خلالها بقـصف المواقع التى يشتبـه بوجود وحدات (ج.ت.ش.) فيـها. لكن معظم قـصفهمـا كان خائبًـا. وقد استـمرت الطائرتان بالتحليـق بعد توقف القتـال الأرضى لفترة ثم عـادتا إلى صلالة. وقـد أكدت لى قيادة (ج.ت.ش.) عدم وقوع اصابات فى صفوفها، وعدنا الساعة 6,30 صباحًا إلى المعسكر. وقد ذكر لنا طلال سعد، وهو عضو فى قيادة (ج.ش.ت.خ.ع.م) ان العدو قـد قلص نشاطاته اثـناء موسم 1972 _ 1973 الجاف. وكـانت مواقـعه العشرة الواقعة فى المنطقة الغربية والمناطق الأخرى عرضة للهجوم ولم تتمكن قواته داخل هذه المواقع من الخروج منها. وكان الثوار يتوقعون هجومًا جديدًا فى موسم

1973 ـ 1974 الجاف على غرار هجوم 1971 ـ 1972، إلا انهم كانوا واثقين من وضعهم العام. وقد أدى تدخل قوات أجنبية جديدة فى الحرب إلى جانب قابوس (إيران، الأردن، والسعودية) إلى زيادة مصاعب النضال الثورى بالطبع، ولكن هذا التدخل أكد واثبت فى الوقت نفسه الطابع الثورى للحرب والطابع السياسى للنظام العمانى كخادم للمصالح الامبريالية.

وكانت الصعوبة الكبرى التى نتجت عن الاستراتيجية الجديدة المضادة للثورة تكمن فى المعاناة التى فرضت على الأهالى. فقد اضطر الأهالى فى منطقة الحدود التى زرتها إلى العيش فى الكهوف السحيقة البعيدة عن مرمى نيران موقع صرفيت الشمالى. وكان كل من قابلناه فى المنطقة قد فقد بعض حيواناته فى القتال الأخير، كما فقد العديد منهم بعض أفراد عائلاتهم. وقد انتقلت أعداد متزايدة من اللاجئين من الغرب ومن المنطقة الوسطى من مناطق القتال إلى الجانب اليمنى من الحدود. وبالاضافة إلى ذلك فقد أدى الحصار الاقتصادى إلى انتشار سوء التغذية بين الأهالى وبصورة شديدة، خاصة فى الشرق والوسط نتيجة لمنع الاستيراد من الساحل ونتيجة لقيام قوات السلطان المسلحة بحرق المحاصيل وقت الحصاد بشكل منتظم. وقد تزايدت حالات الإصابة بالسل وفقر الدم عند السكان عامة نتيجة لسوء التغذية. ورغم أن هذه الأمور قد زادت من كره الأهالى للبريطانيين والسلطان فإنها قد ألقت عبئا اضافيًا على كاهل الثورة. وقد نقل يمنى فر من قوات السلطان المسلحة فى أوائل ابريل وانضم إلى الثوار مؤخراً صورة أخرى للحرب. فقد هاجر الرقيب محمد منانهى عامر، وعمره 21 سنة، من سقطرة إلى السعودية عام 1968 واشتغل فى الدمام ككناس فى مطعم اميركى لموظفى الأرامكو. وقد أجبر عام 1970، تحت التهديد بالاعتقال على الانضمام إلى الجيش السعودى وأرسل مع ثمانين آخرين من سقطرة إلى قاعدة الشرورة السعودية قرب حدود جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية. وعندما كانت السعودية ما زالت

رسميًا فى حالة نزاع مع عمان، فى أوائل 1971، نقلت مجموعة سقطرة من الشرورة إلى ثمريت فى شمال ظفار، وابلغ افرادها بان عليهم انتظار صدور الأوامر للمشاركة فى هجوم على (ج.ى.د.ش.). وظل هؤلاء مندة عامين يكلفون بأعمال الدورية داخل ظفار: كانوا يتلقون الرواتب من السعودية ويرتدون ثيابا عسكرية عمانية. وقد أطلعنى عامر على جواز سفر عمانى (رقمه 7796..) كان قد أصدر له لاستعماله فى السفر أثناء الإجازات إلى دبى والبحرين. وقد استطاع عامر بصفته ضابط الارتباط ما بين فرقة سقطرة والبريطانيين ان يحضر معه مجموعة من الأوامر المطبوعة بالعربية والموقعة من قبل ضابط بريطانى يدعى «ماك نيل».

ظفار مقبرة الجيش البريطانى

سأل السيد ويليام ولسون رئيس الوزراء البريطانى وزير الدفاع البريطانى كم عدد الجنود البريطانيون الذين تم ارسالهم للخدمة فى جيش وبحرية عمان؟ وأجاب الوزير «ايان غيلمور»: 123 جنديا. وسأل السيد ولسون الوزير كم جندى بريطانى موجودين فى عمان ولم يلحقوا بقوات السلطان؟. واجاب غيلمور: ليس من عادتنا الكشف عن تفاصيل من هذا النوع. وسأل ولسون الوزير غيلمور: كم جندى بريطانى قتل فى عمان خلال السنتين الماضيتين سواء من القوات الملحقة بجيش السلطان أو غير الملحقة؟. وأجاب الوزير: ثلاثة جنود بريطانيين. أما الأشخاص المرتبطون بعقود مع قوات السلطان فليسوا أعضاء فى الجيش البريطانى وليست لدينا اية أرقام حولهم. (اجابات مكتوبة بتاريخ 28 يناير 1974). ولم يكن أى إنسان له صلة بحرب عمان ليشك اطلاقا فى أوائل 1970 بأن اعتماد السلطان فى الحرب يقع كلية على الدعم البريطانى على أعلى المستويات. وقد قال احد الضباط عام 1972 «ان هذه الحرب بريطانية من أعلى رأسها حتى اخمص

قدميها» ولم يحاول السلطان أبدا اخفاء اعتماده على أسياده الامبرياليين الذين وضعوه فى السلطة اصلا. وكانت التصريحات الرسمية البريطانية مغلفة دائما بالأكاذيب: إذ كانت تكرر أن عمان دولة «مستقلة وذات سيادة». وقد خصص الكتاب الأبيض لعام 1970 الصادر عن وزارة الدفاع فقرة صغيرة للحرب فى عمان:

«تابعت قوات سلطان مسقط المسلحة، ومعظم ضباطها بريطانيين، عملياتها ضد ثوار ظفار فى المنطقة الجبلية إلى الشمال من صلالة. وقد منح السلطان أوسمة الشجاعة لبعض الضباط البريطانيين تقديرا لدورهم فى هذه العمليات». وكان الكتاب الأبيض لعام 1971 اكثر تكتما حول الجيش، ولكنه ذكر ان سلاح الجو الملكى قد شارك فى الدفاع عن قاعدته. والحقيقة الصارخة هى ان البريطانيين كانوا يديرون الحرب وكانت كل الأوامر تصدر عنهم. وقد عبر وزير دفاع السلطان المدعو أولدمان عن حقيقة العلاقة بقوله: «هل يمكن تصور حدوث خلاف بين ملكة بريطانيا وسلطان عمان». وكان العدد الفعلى للجنود البريطانيين فى ظفار سرا، وقد بلغ عددهم فى نهاية 1972 ألف جندى وكانت هناك أعداد كثيرة من القوات البرية البريطانية لم تدخل المعركة بعد. ولكن كون الضباط من البريطانيين جعل السلطة الكاملة فى أيديهم. وبدلا من ان تكون حرب ظفار فيتنام ثانية تشترك فيها قوات امبريالية برية بأعداد كبيرة، كانت لاوس ثانية تديرها قوة امبريالية من خلال حكومة عميلة وجيش عميل يعاونه عدد من الضباط والمستشارين الامبرياليين. وكما حدث فى لاوس فقد كان العدد الفعلى للضباط والمستشارين الامبرياليين المشاركين فى المعركة يدل على الأهمية الاستراتيجية للحرب الدائرة بالنسبة للدولة الامبريالية المعنية بالتدخل. وكان يجرى اخفاء حقيقة التدخل بالتمييز الخاطئ بين أنواع الضباط والجنود الامبرياليين المتدخلين بالحرب.

وكان البريطانيون يعترفون رسميًا بفئة عسكرية واحدة تابعة لهم وهى الجنود الذين «يفرزون» للعمل مع قوات السلطان المسلحة وقوات سلطان عمان الجوية طبقا لمعاهدة عام 1958. وكان هذا يستثنى ثلاث فئات بريطانية أخرى على الأقل وهى: أولا: الجنود البريطانيون الذين يخدمون فى عمان ولكنهم لم «يفرزوا» لقوات السلطان وهم جنود سلاح الجو الملكى الذين يحمون قاعدتى صلالة ومصيرة، وثانيا: أعضاء فريق التدريب التابع للجيش البريطانى، وثالثا: الضباط البريطانيون الذين أنهوا خدمتهم الرسمية فى صفوف الجيش البريطانى، ولكن كما يعلم الجميع، هذه الفروقات ليس ذات أهمية ولا تعنى شيئًا. فالمرتزقة الذين يشار إليهم باسم «الضباط المتعاقدين» يماثلون المواطنين «المدنيين» الأميركيين فى لاوس وفيتنام الذين كانوا خاضعين للقيادة العسكرية الرسمية مباشرة، والذين كانوا فى معظم الأحيان أعضاء فى قوات المرتزقة شبه الرسمية. وكان جنود سلاح الجو الملكى فى قاعدة صلالة نشطين عسكريًا بكل ما فى الكلمة من معنى لأن صلالة كانت هى القاعدة القتالية لعمليات قوات سلطان عمان الجوية. أما فريق التدريب التابع للجيش البريطانى فكان جزءا من قوة هجومية يشارك أفراده فى عمليات هجومية. وعندما تعالى البكاء خلال عام 1972 على قتلى قوات «الخدمات الجوية الخاصة» قالت وزارة الدفاع البريطانية إن أفراد هذه القوات كانوا يقومون «بالتدريب» فقط ولكنهم «مضطرين لحماية أنفسهم إذا أطلقت النار عليهم». كما استغل البريطانيون إلى حد كبير مسألة وجود قواتهم «تحت قيادة الجيش البريطانى» ووجودها «تحت قيادة السلطان». وبما أن السلطان نفسه كان خاضعًا عسكريا للقيادة البريطانية فإن هذا التمييز، كغيره، يصبح بلا معنى. ويوفر الجدول التالى دليلا جزئيًا لمدى التورط البريطانى فى عمان من خلال تعداد فئات القوات البريطانية المختلفة العاملة فى عمان:

الفئة	1962	مارس 1970	ابريل 1971	نوفمبر 1972
الضباط المفروزين لقوات السلطان	26	40 (ب)	49 (هـ)	أكثر من 250 (و)
الضباط المتقاعدين	30	45 (ب)	71 (هـ)	؛
الطيارين المفروزين	10			
الطيارين المتعاقدين	؟	؟	60 (هـ)	
رتب أخرى مفروزة	؟	7 (ب)	؟	؟
كتيبة سلاح الجو الملكى	لايوجد	120 (د)	؟	؟
قوات أخرى من سلاح الجو الملكى	؟	؟	مئات	مئات
فريق التدريب البريطانى	لايوجد	لايوجد	25 (ج)	100 (ج)

(أ) تقرير الممثل الخاص للسكرتير العام حول زيارته لعمان، وثيقة الأمم المتحدة/ 5562، فقرة 105.

(ب) روى هاترسلى. موظف فى وزارة الدفاع، ذكر هذا الرقم فى مجلس العموم فى 25 مارس 1970 ـ رقم الضباط المفروزين يشمل الجيش والسلاح الجوى.

(جـ) تقدير صحفى غير رسمى.

(د) ديلى مايل، 17 مارس 1970 أعطت أرقام الكتيبة الجوية وغيرها فى قاعدة صلالة.

(هـ) الايكونوميست، 3 ابريل 1970.

(و) فينانشال تايمز، 15 نوفمبر 1972.

يقول فردهاليداى:-

بينما كان بعض الضباط المفروزين ينشطون فى الميدان، كان بعضهم متمركزاً فى مقر قيادة ظفار فى أم القوارف، وكان بعضهم الآخر فى بيت الفلج قرب مسقط، أما كبار الضباط فكانوا جميعًا مفروزين لقوات السلطان. كان الكولونيل أولدمان، وزير دفاع السلطان، قائدا للجيش فى أوائل الستينات والقائد العسكرى الأول فى السلطنة. وكان أقرب زملائه رئيس أركان القوات المسلحة العميد جون غراهام الذى حل محله فيما بعد العميد تيم كريزى. أما رئيس الأركان فى ظفار فكان الكولونيل تدى ترنهيل، والذى حل محله فى أكتوبر 1972 العميد جاك فلتشر. كما احتل ضباط بريطانيون آخرون مراكز حساسة لفترات طويلة فى السلطنة منهم: رئيس المخابرات المقدم دنيسون والذى حضر إلى عمان فى الخمسينات وبنى جهاز الاستخبارات المركزى برئاسته وله ضباط مخابرات المناطق فى كل موقع عسكرى رئيسى. وكان ضابط مخابرات المنطقة فى ظفار عام 1972، هو المقدم جاك سوليفان، الرجل الوحيد فى جهاز المخابرات الذى كان يتقن اللهجة الجبلية. وكان للعديد من الضباط البريطانيين الاصغر رتبا تاريخ طويل فى العمل المضاد للثورات. فقد قال قائد درك ظفار المقدم «رأى باركر سكوفيلد» عام 1972 لمراسل تلفزيونى إن ظفار آخر مكان فى العالم «يدعى فيه الانجليزى صاحب». وأضاف «أنا جندى مرتزق محترف قاتلت مدة 25عاما فى بلدان كالهند وبورما وجنوب إفريقيا ومصر وصوماليا (مقديشو) وليبيا والمانيا. فهذه مهنتى. وأنا أعرض خدماتى فى السوق دائمًا». وقد قاتل بعض المرتزقة، مثل النقيب سبايك باول، فى كاتانغا ضد قوات الأمم المتحدة، بينما قاتل بعضهم الآخر، مثل دافيد بايلى وجون كوبر، إلى جانب الملكيين فى اليمن الشمالية. وكان القتال فى ظفار بالنسبة لعدد كبير من المغامرين البريطانيين فرصة لتجميع أموال كبيرة معفاة من الضرائب، بينما كان بالنسبة لعدد آخر منهم هو المكان

الوحيـد المتبقى فـى العالم الذى يمكن فيـه خوض حرب اسـتعـمارية بالأسلوب البريطانى التقليدى.

أوردت صحيفـة صنداى تايمز عدد 25يونيو 1972 الأرقام التـالية: يتلقى الطيارون راتبًـا سنويًا قدره 5000 إسترلينى (4455 لغير المتـزوجين). ويتلقى النقباء المتعـاقدون راتبا سنويًا قدره 2665 جنيه إسترلينى، والمقدمون 4471 جنية إسترليـنى سنويًا. وهذه الرواتب غير خاضـعة للضرائب، وتتكفل حكومـة عمان بنفقـة معـيشة الضـباط اثناء الخدمـة. وجاء فى تقـرير آخر للصنداى تايمـز عدد 16يوليو 1972 إن وزارة الدفاع البـريطانية تدفع للضباط المسـتأجرين برتبـة مقدم والذين تفرزهم للجـيش العمانى راتبًـا سنويًا قدره 9000جنية إسـترلينى، بينما تدفع للضباط بنفس الـرتبة الذين ما زالوا فى سلك الخدمة راتبًـا سنويًا يتراوح ما بين 3449 و 3949 جنيه إسترلينى. وتستـخدم هذه الأموال المسروقة من الشعب العمانى لدفع مرتبات اعداء هذا الشعب.

ترافق زيادة الوجـود البريطانى فى ظفـار مع زيادة عامة فى قـوات السلطان المسلحـة وقوات سلطان عـمان الجـوية. فحتـى عام 1970 كان مـجمـوع قوات السلطان المسلحة 2500 رجل يشكلون كتـيبة مسـقط، وكتيـبة الحدود الشمـالية وكتيبة الصحـراء. وقد أضيف إليهم بعد عام 1970 كتيبة الجبل، ورفع عدد أفراد كل كـتـيـبـة بحيـث ارتفع عـدد قوات الـسلطان المسلحـة فى نهـاية 1973 إلى 12500رجل. وبينما ارتفـعت أعداد المجندين فى عمان ببطء، كـان معظم المشاة وكل الجنود المدربين تقريبًا كجنود الاشارة والاتصال مرتزقة من البلوش الباكستانيين - بلوخستان منطقة مقتسمة الآن ما بين إيران وباكستان. ويبلغ عدد سكانها مليونى نسمة ويتكلمون اللغة البلوشية وهى لغـة قريبة للفارسية والأردو. والبلوشيون هم عشائر من الرعاة الـذين يعيشون على النجد الجاف الذى يمـتد من صحراء مكران

فى إيران إلى حـدود السند والبنجاب. وهـم يشكلون أقلـية مضطهـدة فى كل من إيران وباكستان. ويعتبر القتال على شكل مرتزقة أحد الوسائل التقليدية التى يحيى البلوشيون بواسطتها مدخولهم، ذلك المدخول الذى لا يتوفر فى منطقتهم الفقيرة، وقد حدثت انتفـاضة مسلحة ضعيـفة فى أوساط البلوشيين ضد النظام البـاكستانى عام 1972 ـ 1973. وهاجر عدد صغير من البلوشيين إلى روسيا فى القرن التاسع عشر، وتم تنظيمهم منذ عام 1928 للعمل فى رعى المواشى فى تركمنستان. وقد أنشئت قوات سلطان عـمان الجوية عام 1959 على اثر انتفاضـة الجبل الأخضر، وزودت عام 1969 باثنى عشرة طائرة مقاتلة طراز «سـترايك ماستر» شكلت القوة الهجـومية الرئيسـية ضد المناطق المحـررة وقد حصلت قـوات السلطان الجوية فى السنوات اللاحقة على اثنتى عشرة طائرة طراز «هوكر هنتر» وتسع طائرات «سكاى فـان» ذات مدى انطلاقى قـصيـر، واثنتى عـشرة طائرة مـروحـية (هليـوكوبتـر) للاستخدام على الجبهة. وجرى أيـضا تدعيم القوات البحرية لكى يتمكن من منع التسلل البحرى. وزودت هذه القـوات بسفينة حربية خاصة صنعتـها شركة «بروك مارين ليمتـد اوف لوستوف» البريطانية لحساب السلطان. وبيـنما تولى البريطانيون قيـادة هذه القوات المحـددة، شاركت دول أخرى فى تدعـيمهـا. فقـد كان هناك طيـارون أوسترـاليون وروديسـيون فى قـوات سلطان عمـان الجوية. وكـان لدى باكستـان، التى كانت تؤيد سلطان مسـقط قبل عام 1970، مائة ضابط فى ظفار فى نهاية 1972. وبدأت الهند بتدريب بحـرية السلطان. أما إيران التى اقلقهـا ما حدث فى ظفـار، فقد أرسلت طيـارى هليوكبتـر ثم أتبعتـهم بالجنود. اما الأردن فأرسلت ضباط الاستخبارات وساعـدت فى تدريب الضباط العمانيين. كما قامت فى أكتوبر 1972 كتعـبير عن اهتمـامها بما يجرى فى عمـان بتعيين قـائد أركانها السابق محمد خليل عبدالدايم سفيراً لها فى عمان. أما السعودية التى امتنعت عن مساندة السلطان فى البداية فقد عادت ووافقت فى ديسمبر 1972 على تقديم عون

عسكرى له بقيمة ستة ملايين جنيه إسترليني. وكان مقدراً للسعودية وعمان، اللتين ترميان على المدى الطويل إلى إضعاف جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية، أن تلتقيا وتتعاونا.

وكانت الاستراتيجية البريطانية العليا فى ظفار تسترشد بمبادىء الحروب المضادة للثورات والتى اكتسبتها بريطانيا عبر مائة عام من القمع الاستعمارى. وقد اكتسبت الكثير من هذه المبادىء فى الحروب البريطانية فى القرن التاسع عشر ضد مجموعة من الأعداء (مثل: قبائل الزولو، والأفغان، وقبائل البوير، والايرلنديين والسودانيين). وطور البريطانيون أثناء هذه الحروب سلاحهم الجوى كوسيلة اقتصادية للعنف الإدارى. وقد طور البريطانيون فى فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية نظرية فى الحرب المضادة للثورات وطبقوها فى جولة جديدة من الحروب (اليونان، ملايا، كينيا، قبرص، عمان واليمن الجنوبى). وقد استخدم حلفاء بريطانيا الأقل خبرة فى هذا المجال، مثل الولايات المتحدة والبرتغال، هذه النظرية فى بناء جهاز تدخلهم الاستعمارى. إن للنظرية المضادة للثورة ثلاث وظائف. فهى مثل كل العقائد تهدف إلى تمكين صاحبها من السيطرة على العالم، وهدفها الموازى هو تقديم صورة خاطئة عن العالم، وهى بالضرورة صحيحة وخاطئة. ولكن هذين العاملين برغم ثباتهما يولدان عاملا ديناميكا ثالثا، فالعقيدة تصف الواقع بشكل خاطئ لكى تترجمه إلى الشكل المتخيل أو المتصور. والعقيدة تشكل دليلا وغطاء لتحويل ما ليس موجوداً إلى ما يريد صاحب العقيدة أن يراه موجوداً وإن الممارسات المضادة للثورة فى ظفار وفى الهند ـ الصينية تبرز كل هذه الجوانب. فالهدف البعيد المدى للحرب هو تدمير جبهة التحرير وجيش التحرير الشعبى وكل مقاومة للحكومة، وبالتالى إزالة أى تهديد للمصالح الاستراتيجية البريطانية فى المنطقة. ويوجب هذا الهدف اتخاذ إجراءات تتطابق تماما مع النظرية المضادة للثورة: قطع خطوط التموين، جر العدو إلى معركة، اقامة مناطق ومواصلات

آمنة. والأمر الذى لايمكن لهذه النظرية الاعتراف به هو أن العدو يتمتع بتأييد الأهالى (أو السكان) وبالتالى فإن تحقيق هذه النظرية يفرض تدمير السكان ككل. وهنا تحصل المخادعة. فالعدو ليس سوى «قلة صغيرة متشددة» تحكم الجبل «بالإرهاب». والمشكلة هى انه لا يوجد «قلة متشددة» ـ فغالبية الناس المضطهدين يؤيدون الثورة ومن يسمون «بالغالبية» هم قطاع صغير مؤيد للامبريالية يعتمد فى بقائه على حماية البريطانيين فى صلالة. والعمليات العسكرية ليست فى الواقع سوى حملة من الإرهاب تخدم برنامج التهدئة. وقد شن البريطانيون منذ البداية هجومًا شرسًا على السكان ككل. ولا تُبقى رواية ضابط بريطانى عن الهجمات الساحلية عام 1968 أى شك حول هذا الموضوع[1]:

«وأحرقنا أيضا قرى المتمردين وقتلنا أغنامهم وأبقارهم، وكنا نلقى أية جثث للثوار نعثر عليها فى ركن فى سوق صلالة كدرس لمن يفكر فى أن يصبح مقاتلا»(53). وقد وصف الضابط نفسه كيف نسفوا الآبار أثناء هجومهم على الغرب عام 1968. وعلى إثر بناء قوات السلطان الجوية عام 1969 أصبح الشكل الرئيسى للإرهاب محصورا فى الغارات الجوية والقصف المدفعى البعيد المدى. وهنا مرة أخرى لم تكن «القلة المتشددة» أول ما يشغل بال البريطانيين: فقد كان هدفهم دفع الأعالى المقاومين إلى الصحراء أو إلى سهل صلالة حيث يمكن السيطرة عليهم. وكانت ذريعة البريطانيين فى هذا، كذريعة «اعادة التوطين» فى فيتنام، انهم «يحمون» الأهالى و«يساعدونهم»، وهم بذلك كانوا يشوهون الحقيقة لكى تتطابق مع محططهم القمعى. وقداعترف بعض الضباط البريطانيون بحقيقة ما يجرى ولم تكن لديهم أية أوهام حول ما كانوا يفعلون:

«إن الوضع هنا يختلف كثيراً عنه فى أيرلندا الشمالية مثلا، حيث كنت أخدم فى مثل هذا الوقت من العام الماضى، لعدة أسباب. أولا، انك تعرف هنا

1 ـ فرد هاليداى ـ نفس المرجع ص282.

بالضبط من تقاتل لأن الناس المتواجدين فى هذه المنطقة كلهم أعداؤنا ـ ولا يوجد بينهم مدنيون. وهكذا فإن باستطاعة المرء أن يقوم بمهمته على أكمل وجه فيقصف المنطقة بالهاونات ويرد على نيران الأسلحة الرشاشة بالمثل دون أن يخشى اصابة أناس أبرياء. وهذا بالطبع يختلف تماما عن أيرلندا الشمالية حيث تكون مقيد اليدين». وكان لهذه السياسة المسيحية الإرهابية البريطانية المجرمة عنصرها الديناميكى. فقد أجبر البريطانيون ـ بقصفهم المناطق المحررة ـ الأهالى على الانتقال والهروب إلى مناطق اكثر أمنا. وقد سمم الإرهابيون المسيحيون البريطانيون الآبار وأحرقوا القرى وأشعلوا النار بالمحاصيل ومخازن الطعام، وأطلقوا النار على المواشى وقطعوا إمدادات الطعام. وكانت هذه السياسة، التى جرى تطبيقها فى ردفان فى جنوب اليمن، جزءا من هجوم شامل على الأهالى الذين يؤيدون الثورة. وكانت هذه هى الحقيقة الكامنة خلف حديث البريطانيين وقابوس عن «القلة المتشددة» وعن «التنمية الاقتصادية». وكان باستطاعة الإرهابيين المسيحيين البريطانيين إخفاء ـ وليس تغيير ـ حقيقة أن حربهم فى ظفار كانت تشكل عبئًا شديداً على استراتيجيتهم ما بعد الاستعمارية فى المنطقة. وفى نهاية 1972 بدأ بعض البريطانيين المسؤولين عن المنطقة يظهرون ندمهم على القرار الذى اتخذوه باقصاء سعيد بن تيمور. وقد تجنبت بريطانيا حتى ذلك الحين مشاكل الحرب المسيحية الإرهابية الاستعمارية: فظفار لم تكن معروفة تقريبًا للشعب البريطانى. وكان عدد الإصابات البريطانية صغيراً. ولم تقم فى بريطانيا أية حركة معارضة كالتى قامت حول الجزائر أو فيتنام. ليست هناك إحصاءات رسمية حول الإصابات البريطانية ـ بجميع أنواعها ـ فى عمان، وتدعى الجبهة الشعبية لتحرير الخليج العربى المحتل أنها قتلت ضابطًا يدعى «كارتر» فى وادى نحيز عام 1966. كما ذكرت التايمز (25مايو 1966) مصرع ضابط متعاقد. ومع ذلك فقد ذكرت الصحيفة نفسها فى 3 أغسطس 1970 أنه «لم يقتل أى من الضباط الخمسة والثلاثين الملحقين بقوات السلطان والضباط الستين المتعاقدين مع هذه القوات».

وقد ذكرت الأوبزرفر (فى يونيو 1971) أن جنديا عمانيا قتل أحد ضباط فرقة «الخدمات الجوية الخاصة»، وأن ضابطين آخرين قتلا فى كمائن. وقد نشرت الدايلى تلغراف فى 22يوليو 1971 مصرع النقيب م.ر.أ. كامبل، كما تحدثت الإيكونوميست، فى 7أغسطس 1971 عن مصرع ضابطين فى العام السابق. وتأكد فى يناير 1972 مقتل رجلين من فرقة «الخدمات الجوية الخاصة» وهما الرقيب جون مور والجندى كريستوفر لويد. وقد أبلغ وزير الخارجية المساعد، اللورد بلانيل، عضو مجلس النواب أندرو فولدز (فى 24يناير 1972) بمصرع ثلاثة ضباط ملحقين، وثلاثة ضباط متعاقدين مؤخراً. وقد ذكر مراسل صحفى أنه شاهد فى الربيع قبرا حديثا كتب عليه: «النقيب ر.هـ. جونز المولود عام 1947 والمتوفى عام 1972». وذكرت التايمز فى 12مايو 1972 مقتل المظلى م.ج. مارتن من فرقة «الخدمات الجوية الخاصة»، وأضافت أن عدد العسكريين البريطانيين الذين قتلوا حتى ذلك التاريخ بلغ سبعة أشخاص. ويمكن القول على أدنى تقدير، إن عشرين بريطانيا قد قتلوا فى ظفار حتى نهاية عام 1972.

ومن ناحية أخرى، كانت حرب ظفار تهدر القسم الاكبر من الميزانية العمانية - إذ استنفذت 12مليون ريال عام 1970، 16،3 مليون ريال عام 1971 و20مليون ريال عام 1972. ولم يستطع البريطانيون كذلك دفع قابوس للتخلى عن ظفار ببساطة والتراجع إلى عمان نفسها لأن ذلك يعتبر هزيمة سياسية ساحقة. كما لم يكن باستطاعة بريطانيا نفسها التخلى عن قابوس نظرا لأهمية نفط الخليج العربى المتزايدة والتى جعلت الاستقرار السياسى فيه أمرا مرغوبًا إلى حد كبير.

التدخل الإيرانى فى ظفار:

تهيأت الظروف العربية والدولية لشاه إيران بأن يرسل قواته إلى عمان. بالنسبة لإيران فإنها كانت قد اشترت أجهزة عسكرية ومعدات حديثة جداً كما

بدأت الحكومة الإيرانية تجهز جيشها بأحدث الأساليب فى القتال واستخدام الأسلحة الحديثة والمعقدة فى الوقت الذى أصبح الشاه يدعى بأنه حامى الخليج العربى ويصرح بأنه يملك أحدث وأقوى جيش فى العالم، إضافة إلى أنه أراد أن يجرب هذا الجيش فى معارك حقيقة ليختبر قواته العسكرية فلم يجد أفضل من منطقة «ظفار»، نظراً لما تتمتع به من المزايا العسكرية وخاصة وعورة الجبال والحشائش وعدم وجود طرق مواصلات، وأيضا لتدريب الجيش الإيرانى على خوض حرب العصابات وهى من الحروب الصعبة.

أعلن الشاه عن تدخله العسكرى بأنه إجراء ضرورى للمحافظة علي سلامة إيران الإقليمية التى يدفع بخطوط الدفاع عنها إلى المحيط الهندى. إن الحدود المائية لإيران التى تركزت أخيرا فى جنوب الخليج العربى، وبحر عمان، أصبحت تحت قيادة الشاهنشاه رضاخان المازندرانى ممتدة منذ نوفمبر 1972 إلى المحيط الهندى. إن الشاه لايخفى مخططاته التوسعية بتأكيد سيطرته على المنطقة كلها، ومن الأمور البديهية أن الشاه لايستطيع أن يقوم بالدور الذى يعطيه لنفسه. إن قيام الولايات المتحدة بتزويد إيران بالأسلحة ظاهرة غير جديدة. فقد كانت إيران من أولى الدول التى حصلت على السلاح الأميركى، على أن ما كان فى البداية عملية إنقاذ بعد الحرب العالمية الثانية، تطور فيما بعد ليصبح أداة فى خدمة الشاه.

وقال شاه إيران بعد احتلاله الجزر الثلاث بأنه فى حالة صدام عسكرى فى منقطة الخليج العربى «فإن الكويت ستقابل دبابتنا بالعصى». وإذا كان السلام مطلوبًا فى هذا العالم فإن على الدول أن تمتنع عن التدخل فى المشاكل الداخلية لبعضها البعض والقضية الأخرى بين العراق وإيران هى القرار الإيرانى بالقيام على بعد خمسين ميلا من الساحل الإيرانى بتفتيش البواخر التى يعتقد بأنها تسبب تلوثا فى خليج عمان الشرقى فى منطقة ممر هرمز. وقد كتبت الإيكونوميست: «من

السذاجة الادعاء بأن هذه الإجراءات غير مرتبطة بمخاوفها (مخاوف إيران) من شحن الأسلحة إلى القوات الثورية فى دول الخليج العربية». ولم تذكر الايكونوميست أن هذه «القوى الثورية» تستطيع الحصول على الأسلحة من «طرق أخرى» وأن العراق لن يسمح بطبيعة الحال بهذه الإجراءات الإيرانية. لقد أوجد الشاه لنفسه أعداء أقوى من الدول العربية فى شبه الجزيرة العربية وهم ثوار «ظفار» الذين تعهد بأن يحاربهم رسميا. وهؤلاء الثوار هم المعارضون لحكم السلطان قابوس فى عمان. وقد نظموا أنفسهم عام 1964 ـ 1965 واتخذوا لأنفسهم اسم جبهة تحرير ظفار. وهدفهم الأول هو محاربة البريطانيين وتحرير ظفار وعمان. وفى 1968 عندما اتضح أن الانسحاب البريطانى فى عمان سيكون اسميا فقط، وعندما بدأ الشاه يلقى بياناته العدوانية، اتسع نطاق أهداف هذه الحركة وشملت أعمالها مناطق أخرى فى الجزيرة العربية. وتلقى هذه الجبهة التأييد من جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية حيث يوجد مركز قيادتها. وهى تتلقى أيضا مساعدة كبيرة من الصين ولها خلايا فى كل أنحاء الجزيرة العربية وخاصة فى الكويت وقطر والبحرين واتحاد الإمارات العربية وعمان، وهى تسعى لقلب الحكام التقليديين. إن السلطان قابوس، سلطان عمان، وهو حاكم من بقايا القرون الوسطى، والحليف الوحيد للشاه فى المنطقة، قد طلب مساعدة الشاه للقضاء على الثورة الظفارية. ويقاتل الجنود الإيرانيون المحمولون بالهليوكوبتر، ووحدات الكوماندوز، إلى جانب قوات السلطان ضد «ثوار» ظفار. وليس هناك ما يؤكد أهمية ثورة محلية مثل التدخل الخارجى، فهو يضفى عليها طابعا عالميا، ويخدم بذلك الثورة فى الدرجة الأولى. إن تدخل الشاه ضد «الثوار» غير خطير لا لأنه عاجز عن إخماد ثورتهم فحسب، بل لأن هذا التدخل سيساعد على دفع الثورة إلى قمة الانفجار أيضا. وعلى كل حال فإن اخفاق الشاه ضد الثوار ثبت داخل إيران نفسها[1].

شهدت عمان فى الستينات ثورة فى ظفار حظيت بتأييد حكومة اليمن

---

1 ـ جون بولاه ـ الخليج ص126.

الجنوبى، انزعجت الإمارات عندما قامت الجبهة الشعبية لتحرير عمان بتغيير اسمها عام 1968 إلى الجبهة الشعبية لتحرير الخليج العربى المحتل. والأسوا من هذا، من وجهة نظر الحكام، كان قيام الجبهة الشعبية الديمقراطية المدعومة من قبل السوفيات والصينيين، وهى الجبهة التى خرجت إلى حيـز الوجود عندما انشقت جماعة أكثر تطرفا عن الجبهة الشـعبية لتحرير عمان، وجعلت من شـبة جزيرة مسندم وسكانها من الشحـوح التى لا يفصلهـا عن دولة الإمارات سوى الشـارقة ورأس الخيـمة، ساحة لعمليـاتها. وشكلت بذلك جبهة ثانية ضد قـوات السلطان. لقد كانت هذه حربا صـغيرة وسرية ومميـته فى نفس الوقت، خاضهـا جنود السلطان من البلوش الذين جلبهم من منطقة مكران فى إيران والضباط ورجال الكوماندوز البريطانيين. وتم القضاء على الثورة فى ظفار فى نهاية الأمر بعد ما أطاح البريطانيون بالسلطان سعيد بن تيمور واستبدلوه بابنه قابوس[1] - يتضح من ذلك مدى تبجح البريطانيين بقولهم إنهم هم الذين استبـدلوا الابن بالأب، وهذا يعنى بأن الأخير مضطر لدفع الثمن مدى الحياة للاستعمار البريطانى، أما بالنسبة للظفاريين فقد كانوا مضطهدين من قبل الحكومة الـعمانية، ولكن عندما بدا قـابوس، الذى عاش وتربى وهو من ظفار الاهتـمام بهم وبتطوير منطقـتهم تخلوا تدريجيًـا عن المقاومة، بعـد خروج بريطانيا وانسـحابها من الخليج العـربى أخذ نظام الشاه فى إيران على عـاتقه دور «متعهد المسـيحية الإمبريالية» وأكد دوره هذا بالتدخل الـعسكرى فى عمان وبقمع حركة التحرير الوطنى المسلحة بقيادة الجبهة الشعبية لتحرير عمان التى كانت تسيطر آنذاك على الجزء الأكبـر من محافظة ظفار العـمانية [2]. فى شهر ديسـمبر 1973 أرسلت إيران عدة آلاف من قواتها المسلحة إلى سلطنة عمان لضرب الثورة المسلحة هناك ودخلت هذه القوات فى حرب عدوانيـة ضد الشعب العمانى إلى أن هزمت هذه الحركة المسلحة.

---

1 - سلمى الحداد - المساعدات الأمريكية العسكرية لإيران ص66.

2 - أليكسى فاسليف - الخليج فوق فوهة البنتاخون - ص79.

كلنا يذكر مصرع المقدم هاوكيس، المدقق المالى للبعثة العسكرية الاميركية فى طهران عام 1973 على أيدى «المسلمين» بعد أيام قليلة من إعلان الشاه أنه «أخمد» حركة المتمردين فى بلاده، ويمكننا أن نضيف بهذه المناسبة بأن الحكم بالموت فى إيران لا يردع «المسلمين» أو يخيف المعارضة الخفية لنظام الشاه. ومع ذلك، وبأمل أن يحقق نجاحا أكبر فى مكان آخر، فقد قرر الشاه أن يصدر إجراءاته القمعية «أو الإرهابية» إلى الجزيرة العربية. وقد هدد رئيس وزرائه أمير عباس هويدا «بالقضاء على أى تخريب أينما أطل برأسه فى الخليج العربى». ومن المحتمل أن الشاه كان يفكر بطريقة ميكيافيلية، ولكن ماذا لو تفجرت المنطقة حول الشاه من كل مكان تفجرات صغيرة، حتى يظهر فى الوطن العربى من جديد «صلاح الدين» أو «جمال عبدالناصر». إن نسيان الشاه لحقائق التاريخ وتهديده بقطع دابر الثورة فى الخليج العربى يماثل الحالة الذهنية التى دفعت غولدا مائير إلى التهديد «بقطع أيدى» الفدائيين. فلقد نسيت مائير ولاشك أن اليهود ظلوا يرددون آلاف السنين: «إذا نسيتك يا قدس فلتنسنى يدى اليمنى». ومن يدرى ما إذا كان الفلسطينيون لايرددون هذا القول مع فارق واحد، هو أنهم لن يذكروا القدس وحدها، وإنما سيذكرون فلسطين كلها. وتشاء الأقدار أن بعض زعماء الفلسطينيين، ومنهم الدكتور أنيس صايغ مدير مركز الأبحاث لمنظمة التحرير الفلسطينية، وبسام أبو شريف الناطق الرسمى باسم الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، يعيشان بلا أصابع فداء لقضيتهم العادلة. فقد حدث أثناء حملة الإرهاب التى شنتها القوات اليهودية فى بلد المقدس (فلسطين المحتلة) أن قتل منهم بينما أصيب غيرهم بعاهات دائمة. على أنه من المطمئن للعرب أن يعرفوا بأنهم لايزالون يحافظون على أجسادهم إلا إذا تقدم مدع جديد، وادعى أن هذه الأجساد له، مثل هذه السيدة اليهودية التى كانت تحاول جاهدة الوصول إلى جثث الفدائيين الفلسطينيين فى معلوت، وتصيح: «احرقوهم، ولنفعل بهم مثل «أو شفيتز..». كما لو أن العرب مسئولون عن «أو شفيتز». وكل انسان يعرف أن اليهود ـ سعداء الحظ ـ الذين هربوا من

جحيـم «البوغرومات» الأوروبيـة ذهبوا إلى العالم العربى وخـاصة فلسطين، وإذا كان الشاه قد فقد اتزانه بالتقارير غير الواقعية والمقالات التى تبزه على أنه زعيم أو تمنحه أى لقب آخر، فقد كان من المنتظر أن يحتفظ المسئولون الأميركيون بفكر أكثر رزانة، وخاصـة إزاء موقف الشـاه بالنسبـة لثوار ظفـار وأن يقدروا بأن الغـواصة النووية «ف ـ 14» لاتستطيع القضـاء على الثورة. إن قوات الاحتـلال اليهودية فى بلاد المقدس (فلسطين) التى تسيطر عمليا على معظم الأجواء العربية، تشعر بأن لا حيلة لها إزاء شمشون فلسطينى واحد، وأنهـا أقل قدرة على مجابهة شمشون ثان وثالث. ولقد عبـرت صحيفة نيويورك تايمـز عن الخطر الكامن بوجود ثوار ظفار فى منطقة الخليج العربى بقولها:[1].

«إذا ما استلموا الحكم فى الكويت أو أبو ظبى، فـانهم قد يشعرون بالإغراء لشن حرب اقـتصـادية ضد الغرب المسـيحى هذا إلى جـانب الأسباب السـياسـية والعقـائدية، فلا ننسى تصريحات الشـاه المتكررة بأنه لن يسمح بوجود جـيوب أو قلاقل يسارية أو ثورية فى المنطقة، ولم يحاول إخفاء قلقه حول الأمن فى عمان، وما احتلال الجزر العـربية فى الخليج العربى عام 1971 ووضع سرب من الطائرات فى ظفار عام 1972إلا جزء من السياسة التوسعية الإيرانية فى المنطقة. وكان الشاه نفسه صريحا فى قوله[2]:ـ

«خذوا التمرد الظفارى فى عمـان فلو نجح هذا التمرد، حاولوا ان تتصوروا فقط ماذا سنواجه داخل العاصـمة مسقط نفسها المواجهة تمامـا لمضيق هرمز ستصل أولا بضعـة بنادق، ثم تتلوها المدفعيـة البحرية والصـواريخ. وهذا نمط مألوف لا يمكننى أن أتحمل النشاطات الهدامـة ـ وأعنى بهذا أى شىء يفرض من الخارج.. إنهم (العمانيون) طلبوا مساعدتنا ونحن وافقنا».

---

1 ـ سلمى الحداد ـ المرجع السابق ص68.

2 ـ فرد هاليـداى ـ ترجمـة د. محمـد الرميـحى ـ المجتمع والسـياسـة فى الجزيرة العـربية ص284.

في ظل هذه المبررات أرسل الشاه جنوده إلى عمان، وشجع هذا التدخل زيادة أسعار البترول والعوائد المالية التي جاءت إثر هذه للزيادة مما أعطى الحكومة العمانية والإيرانية حرية مالية أكبر في الاتجاه العسكري، أما الدول العربية المعنية بهذا الأمر فإنها كانت أقل ميلا للاحتجاج على التدخل الإيراني في عمان نظراً لانشغالها بالتطورات الناجمة على الجبهة اليهودية في بلاد المقدس فلسطين المحتلة وعلى التطورات البترولية التي أعقبت حرب أكتوبر عام 1973 كل تلك الظروف خدمت الحكومة الإيرانية في تدخلها العسكري في عمان. ورغم أن هذا التدخل الإيراني قد جاء على حساب السيطرة البريطانية والتي كانت قائمة في عمان، إلا أنه في النهاية خدم بريطانيا بطريقتين:

أولا: أدى إلى زج أعداد كبيرة من الجنود الإيرانيين والأردنيين والباكستانيين والبلوش ذوي التسليح الجيد، والتدريب العالي المتقدم، في حرب العصابات ضد ثوار ظفار بدون أن يثير المشاكل السياسية والتي كانت قد تثار فيما لو أرسلت بريطانيا تلك الأعداد الكبيرة من الجنود إلى عمان.

ثانيا: وأدى التدخل الإيراني إلى ظهور سياسة المشاركة لما بعد الانسحاب البريطاني، أو لما بعد السياسة الاستعمارية المسيحية، وإن هذه المشاركة تعني بتطبيق سياسة ملء الفراغ بعد الاستعمار المسيحي البريطاني والتي كانت تنمو بين بريطانيا وإيران بمباركة الولايات المتحدة ابتداء من عام 1971.

ثالثا: وقد استفاد الشاه من تدخله في عمان بتمكنه من تدريب قواته القمعية الإرهابية الرئيسية في ظروف كانت تنمو في الأرياف الإيرانية في حال اندفاع حرب العصابات ضد حكومة الشاه في المناطق النائية ولاسيما أن الثورة الإيرانية كانت قد بدأت تنتشر سراً في المدن والقرى الإيرانية، إضافة إلى ذلك فإن الشاه تمكن من زيادة نفوذه في الجانب العربي من الخليج على حساب قوى عربية أخرى[1].

---

1 ـ فرد هاليداي ـ نفس المرجع ص284.

التقييم العسكري للقوات الإيرانية في عمان ومعاركها في ظفار:

شجعت الأحداث فى المشرق العربى هذا التدخل الإيرانى، فى وقت كانت الحكومات العربية الرئيسية فيه، أقل ميلا للاحتجاج على ما يجرى فى عمان لانشغالها بالتطورات على جبهتى النفط والاحتلال اليهودى إلى جانب الهيمنة السياسية البريطانية على المنطقة (عمان) والقائمة على نهب الثروات النفطية، والتى لا تزال قائمة. يقول المؤرخ البريطانى فرد هاليداى إلى جانب ذلك دخل إلى عمان قوات إيرانية تحت مبرر ضرب الحركة الوطنية فى عمان والخليج العربى. كما سمح للقوات الإيرانية باحتلال الجزر العربية طنب الكبرى وطنب الصغرى، وأبو موسى وجزيرة أم الغنم فى الخليج العربى، وأيضا جزر كوريا موريا. وهكذا واجه الشعب العربى فى عمان إلى جانب الاحتلال المسيحى البريطانى غزوا إيرانيا مسلحا جديدا يمثل تحديا كبيرا يرتبط إلى حد بعيد بمخطط شامل لانهاء الثورة فى الجزيرة والخليج العربى. وشنت القوات الإيرانية التى أرسلت إلى عمان هجومها فى 20 ديسمبر 1973 إذ تحركت قوة منها شمالا من صلالة إلى المنطقة الوسطى، بينما اتجهت قوة ثانية جنوبا من الصحراء إلى الجبال. وتمكن الايرانيون باستخدامهم الطائرات المروحية المسلحة من التمركز فى ستة مواقع على «الخط الأحمر» محاولين إعادة فتح الطريق ومنع وصول الإمدادات إلى المنطقة الشرقية بشق ظفار إلى قسمين. وبعد حوالى شهر من القتال العنيف، فقد خلاله الإيرانيون مائتى رجل تقريبًا لم يتمكنوا من إعادة فتح الطريق. وذكرت مصادر «ج. ش. خ. ع. م.» أنه رغم تمكن العدو من تحريك بعض القوافل المحروسة حراسة جيدة على طول الطريق، فإن أيا من هذه القوافل لم تعبر بدون خسائر وظل الطريق غير صالح لنقل الامدادات. وقد حوصر الإيرانيون فى مواقع

دفاعية، كما حدث لقوات السلطان المسلحة فى صرفيت، وظلت خطوط التموين مع المنطقة الشرقية مفتوحة[1].

وكان السبب الحقيقى للهجوم الإيرانى سببا دبلوماسيا. فقد كانوا يخشون ازدياد الاحتجاج القومى العربى، ولهذا السبب أخفوا الوجود الإيرانى. وقد منع الجنود الإيرانيون من التجول فى شوارع صلالة ومسقط وتم إيواءهم فى جزيرة السلانيات فى كوريا موريا وهى جزيرة خالية تقريبا. وكانت البلاغات العسكرية العمانية تشير إلى القوات العمانية فقط، وعندما أعلنت جبهة التحرير نبأ وجود القوات الإيرانية سارعت مسقط ولندن وطهران إلى نفيها عندما اتصل فرد هاليداى هاتفيا بالملحق الصحفى الإيرانى فى لندن، السيد على محمد شابوريان، فى أوائل يناير 1974، أنكر الملحق وجود أى قوات إيرانية فى عمان وقال «إن التهمة قديمة». وأجاب الملحق بشكل مماثل على السؤال حول ما إذا كان جنود الشاه يستعملون قاعدة «القوات الجوية الملكية» فى صلالة. وقد أجاب وزير الدفاع، أيان غيلمور، بالنفى عندما سأله عضو مجلس النواب البريطانى «إنه ما تم السماح للقوات الإيرانية باستعمال المرافق المتوفرة فى القواعد البريطانية فى عمان» (هانسارد، «أجوبة مكتوبة»، 28 يناير 1974). ومع ذلك فمن المؤكد أنه لم يكن أمام الإيرانيين مفر من استعمال القاعدة البريطانية، وقد أكد قابوس نفسه أن الإيرانيين يستخدمون قاعدة صلالة، وجاء تأكيده فى مقابلة مع المجلة البيروتية الأسبوعية «الحوادث» (8 فبراير 1974). ولم يعترف الشاه بدخول قواته سوى فى أوائل فبراير حين أدعى أن قواته قد «ربحت معارك مشرفة أثناء فتحها للطريق من ظفار إلى صلالة ومسقط». وحاول الشاه وصف جبهة التحرير بأنها «قوى هدامة مخربة وفوضوية ومجرمة». وبينما احتجت ليبيا والعراق على التدخل الإيرانى

1 ـ فرد هاليداى ـ المرجع السابق ص285.

وصعد الاتحاد السوفياتى من انتقاداته للشاه، حاولت الدول العربية الكبرى ألا تعلق على هذا التدخل وشاركت سرا فى مناورة مسقط ـ ظهران. وقد ذكرت الصحيفة الرسمية الإيرانية «اطلاعات» أن هدف الغزو الإيرانى كان: «إجبار قادة المتمردين وأصدقائهم على قبول السلام الذى عرضته حكومة مسقط». وشكلت جامعة الدول العربية فى أوائل مارس فريق وساطة (مؤلفا من تونس والجزائر والكويت ومصر وسوريا» لمصالحة جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية (وبالتالى (ج. ش. ت. خ. ع. م.) وسلطنة عمان.

يقول رياض نجيب الريس: لم تجد بعض الدول العربية الرجعية في الصراع البطولى الذى يخوضه الشعب العربى فى عمان منذ 9 يونيو 1965 إلا تقديم الدعوة لحل ما أسمته بالنزاع بين اليمن الديمقراطية ونظام قابوس متجاهلة قضية الشعب والثورة المسلحة ومتجاهلة حقيقة قابوس وكونه أداة طيعة فى يد المستعمرين وعميلهم شاه إيران الذى استقطع أراضى وجزر عمانية وإماراتية وأمام كل ذلك لم تجد جامعة الدول العربية سوى تشكيل لجنة لاستقصاء الحقائق بين الأطراف المعنية فى الصراع، متجاهلة هى أيضا ما يلى:

1 ـ ثورة 9 يونيو 1965 والتى هى استمرار للثورات الوطنية المجيدة التى قام بها الشعب العربى فى عمان منذ وقع فيها حكم الخيانة فى مسقط معاهدة مع المستعمرين البريطانيين.

2 ـ إن كافة الثورات والنضالات التى خاضها شعب عمان ضد الوجود البريطانى قد حصل عام 1957 على تأييد أشقائه العرب بما فيها جامعة الدول العربية نفسها.

3ـ لم يتغير الوجود الاستعمارى الإرهابى المسيحى بعد مجئ قابوس، وكل ما يجرى هو تبديل الواجهات.

كـان الوجود العـسكرى الإيرانى فى ظفـار يتكون من 20 الف جندى من سلاح المظلات والذى يعـتبر من نخـبة القوات المسـلحة الإيرانية. وقـد تعسكرت الكتيبة الإيرانية فى منطقة «ميداوى» الاسـتراتيجية الواقعة فى منتصف الطريق بين مسقط وصلالة، كما تعسكرت كتيبة إيرانية أخرى بالقرب من خط «دامافاند» وهو الاسم الذى أطلقه الإيرانيون على هذا الخط ويقع هذا الخط فى منطقة «رخيوت». وكان الجنود الإيرانيون يتغـيرون كل ثلاثة أو أربعة أشهر تقريبا، حـتى يتاح لأكبر عدد ممكن مـن قوات المظلات الإيرانيـين المشاركة فى الخـدمة العـسكرية فى إقليم ظفـار، والتدريب الـشاق على الطبيـعة فـوق أرض عـربية وفى ظروف حـرب العصابات لكى يتعـرفوا على جغرافيا وتضاريس المنطقـة العربية والتى تختلف عن طبيـعة الأرض الإيرانية، ويـعتبـر الجندى الإيرانى من الجنود الممتـازين فى العالم ويعتـبر الثانى بعد الجندى الأمـيركى من ناحية جـملة المعدات العسكرية والتـقنية والسلاح الحديث المتطور جدا، وتدريبه على أيدى ضـباط أمريكيين ذوى خبرة فى مجال الحروب وخاصة حرب فيتنام، واسـتعماله المصطلحات العسكرية الأمريكية. وهناك كتيبة أخرى فى ظفار تملك 15طائرة هليكوبتر من طراز «أدغو ستابلت بل ـ 25» بكامل أطقمهـا من الطيارين ومهندسى الصيـانة والضباط التابعـين لها وكان عددهم حوالى 40ضابط، إضـافة إلى طائرات «هيركـيوليس ـ 130ـ ى» للنقل العسكرى بكامل فنيـيها ومـعداتها ـ وكان الجـيش الإيرانى فى عمان كـامل العدة والرجال ويكتـفى ذاتيا من جميع النواحى ويتـمون مباشرة من قـواعدها فى بندر عباس عند مضيق هرمـز فى الخليج العربى، أما مصاريفها ووارداتها وأعـبائها فقد تكفلتها الحكومة الإيرانية باعتبارها جزءاً من قواتها المسلحة وان كانت قد خضعت لقيادة قوات عمان المسلحة فى ظفار من الناحية النظرية[1].

1 ـ رياض نجيب الريس ـ المرجع السابق ص130.

بعدما تطرقنا إلى الإمكانيات الهائلة والاستعداد العالى من ناحية التجهيزات العسكرية والمؤن ومصاريف الجيش الإيرانى فى ظفار، فإننا ندرس أهم إنجازات الجيش القوى ضد بضعة مئات من ثوار ظفار فنجد إنجازات الجيش الإيرانى تتلاشى أمام إمكانياتها الكبيرة فى معاركها أمام ثوار العرب فى ظفار، ولم يستطع القضاء على هذه الثورة وإنما حقق انتصارات بسيطة جداً على رجال يحملون أسلحة خفيفة وإمكانياتهم أيضا بسيطة ومتواضعة. وعلى أية حال فإن القوات الإيرانية شنت هجومها الكبير فى ظفار فى 20ديسمبر عام 1973 عندما اتجهت قوات منه إلى الشمال من العاصمة صلالة وإلى المنطقة العسكرية الوسطى، كما اتجهت مرة ثانية من جهة الصحراء إلى الجبال.

تساندهم فى ذلك الطائرات الهليكوبتر العسكرية من نوع «أوغوستابل ـ 25» فى هجومهم على الثوار وبذلك تمكنت من التمركز فى ستة مواقع على «الخط الأحمر» والقيام بمحاولة تقسيم ظفار ـ إلى قسمين وإعادة فتح الطريق إلى صلالة والمدن الرئيسية كما كانت السياسة تهدف إلى قطع الإمدادات العسكرية الآتية إلى الثوار فى المنطقة الشرقية من ظفار، واستمر القتال العنيف بين القوات الإيرانية وقوات الثوار وبعد مرور شهر على هذا القتال لم يتمكن الإيرانيون من اعادة فتح الطريق رغم فقدهم مائتى رجل على وجه التقدير، وذكرت مصادر الجبهة الشعبية لتحرير الخليج العربى[1] «أنه رغم تمكن العدو من تحريك بعض القوافل المحروسة حراسة جيدة على طول الطريق، فإن أيا من هذه القوافل لم تعبر بدون خسائر وظل الطريق غير صالح لنقل الإمدادات وقد حوصر الإيرانيون فى مواقع دفاعية، كما حدث لقوات السلطان المسلحة فى صرفيت، وظلت خطوط التموين مع المنطقة الشرقية مفتوحة» ولم يستمر الحال على هذا وانما تغير بسبب تزايد حجم

1 ـ فرد هاليداى ـ المرجع السابق ص285.

القوات الإيرانية والمدربة خصصيا لهذا الحرب.

حاولت القوات العمانية إخراج الثوار من سهل ظفار وشنت عدة هجمات فى القطاع الشرقى والمناطق التى يسطر عليها الثوار للسيطرة على هذه الأماكن، وقد نجحت هذه القوات نجاحًا جزئيًا فقط وبهذا فإنها تسيطر فى أيام الجفاف وتنسحب فى فصل الأمطار والممتد من شهر يوليو إلى شهر سبتمبر وبذلك فقدت الثقة مع سكان المناطق الجبلية والتى كانت تتعاون معهم فخافوا من انتقام الثوار عليهم، ولكن فى بداية موسم الأمطار فى عام 1973 تغير الوضع عندما أصبحت القوات العمانية قادرة على الاحتفاظ بعدد من المواقع الجبلية طوال هذا الموسم مما أدخل الثقة مع السكان المتعاونيين معها واستطاعت أن تخزن مؤنا وإمدادات الكافية للابقاء على جميع مواقعها الجبلية طوال فترة الأمطار مع الاحتفاظ بعملياتها ضد الثوار ويرجع ذلك النجاح إلى مساهمة القوات الإيرانية عندما استولت قوات الشاه فى أواخر عام 1973 على طريق التموين الرئيسى الممتد من صلاله إلى تحريت ومنها إلى مسقط والاحتفاظ به، أما الثوار فقد ظلوا زمنًا طويلا يسيطرون على الطريق الذى سموه بالخط الأحمر، وكان لسقوط هذا الخط من أيدى الثوار أثر كبير، فقد نتج عنه فتح الطريق البرى للتموين إلى سهل صلالة وإقامة حاجز فى وجه امدادات الثوار من أواسط ظفار إلى شرقها، وإعطاء الحرية الكاملة للقوات العمانية الباقية التى كانت فى وضع دفاعى لكى تتحول إلى وضع هجومى وشن عملياتها على المناطق التى يستولى عليها الثوار. وانسحبت القوات الإيرانية بعد أداء مهمتها وحلت مكانها القوات العمانية وخاصة بعد انتهاء موسم الأمطار عام 1974 فى الوقت الذى كانت تتكاثر خطوط الحواجز فى وجه الثوار إلى الغرب من صلالة، والمعروف «بخط هور نيم» وهى عبارة عن استحكامات عسكرية تمتد من البحر إلى الداخل لكى تقطع الامدادات والمؤن التى كانت تنقل الأسلحة

والذخيرة من اليمن الجنوبية إلى وسط وشـرق ظفار، وفى شهر يونيو عام 74 تم تعـزيز هذه الاستـحكامات بالأسـلاك الشـائكة وحقـول الألغام لمنع وصـول هذه الإمدادات. مما أدى ذلك إلى استسلام عدد كبير من الثوار نتيجة لعدم وصول المؤن والإمدادات اللازمـة إلى الشرق من ظفـار ووسطها. وفى نهاية ديـسمبـر من عام 1974 وصلت دفعات جـديدة من القوات الإيرانية واشتبكت مع القوات العـمانية فى معارك عنيـفة لإقامة استـحكامات جديدة فى منتصف الطريق تـقريبا بين خط هورنيم وحدود اليمن الجنوبية كما أدت هذه الحملة إلـى سقوط «رخيوت» عاصمة الثوار وأصبحت «رخيوت» محور شبكة دفاعـية جديدة اسمها «خط داماناند» نسبة إلى الجبل القريب من طهران[1].

على مدار السنة وهو طريق التـموين الأساسى لكل المقاطعة الجنوبيـة بعدما كـان الثوار يغلقـونه بين حين وآخـر، وذلك للمـرة الأولى من سنوات، ويمكن القول بأن أهم الإنجازات العسكرية للقوات الإيرانية فى ظفار هو فتح طريق تحريت والتى تسمى عسكريًا «ميداوى» فى ديسمبر 1973 كما شنت فى الوقت نفسه عدة هجمات على الثـوار من خلال قواعدها فى صلالة وتحـريت ومن ذلك الحين بقى هذا الطريق الاستـراتيجى مفتـوحًا، ونتيجة لهـذا أمكن الاحتفاظ بجـميع المواقع والاستحكامات العسكرية العمانية فى الجبل أثناء فصل الأمطار عام 1974 بما فيها خط (هورنيم) وطريقا «تحـريت» و«طوى أعتير»، ثم ازداد حجـم القوات الإيرانية وأيضا تدخلها العسكرى فى نطاق العمليات ضد الثوار فقد بدأت تتجه غرب ظفار مستخدمة كتيبتين وكانت هذه العمليات موجهة ضد قواعد الثوار فى منطقتى «شير شيتى» و «بيت حندوب» الرئيسيتين حيث تكبدت القوات الإيرانية الخسائر الفادحة فى الأورواح والمعدات مما اضطر القائد الإيرانى إلى تغيير الخطة العسكرية فعهد إلى

---

1 ـ رياض نجيب الريس ـ المرجع السابق ص114.

القوات الإيرانية باستعـادة «رخيوت» وهى تعتبر كعاصمـة للثوار على ساحل ظفار بينما عهد إلى القوات الإيرانية المهمة الأسـاسية والتى فشلت فيها القوات الإيرانية وهى مهاجمة كهوف «شير شيتى» أما مدينة رخيوت فقد سقطت فى ايدى القوات الإيرانية بعـد معـارك عنيفة فـى يناير عام 1975 وذلك لسهـولة الوصول إليـها ولوقوعـها على الساحل، إضـافة إلى اسـتخدام الأسطول العـمانى فى مسـاعدة القـوات الإيرانية وقطعـه طريق الامدادات إليـهم وبعـدها سلمت هذه المدينة إلى القوات العمانية والتى احتـفظت بها، ثم أقامت القوات الإيرانية سلسلة من المراكز والمواقع العسـكرية تمتد إلى الشمـال من رخيـوت، والتى سميت «بـخط داما ناند الإيرانى» أما القوات العمـانية الموجهة إلى قواعد الثوار فى «شـير شينى» لم تحقق نجاحا كبيـرا وإنما نجحت جزئيا فى بعض الأماكن فقط برغم الاستـيلاء على كمية كبيـرة من الذخيرة والأسلحـة التابعة للثوار فى المنطقـة المجاورة «الشير شـيتى»[1] وخلال شهرى ديسمـبر ويناير وقعت إصابات كبيرة، وخسـائر فادحة فى صفوف القوات الإيرانية والعمانية من جراء هجمات الثوار المضادة.

وقد تكون هذه الإنجـازات التى حقـقتهـا القوات الإيرانية لا تـليق بالقوات الإيرانية والسمعة الكـبيرة التى كانت تتمتع بها، فلم تفعل شـيئا سوى فتح طريق صلال، وتحريت إلى جانب اقامتهم خط «داما نـاند» واحتلالهـم رخيوت وإقامتهم مركـز صغير للدفـاع الجوى فى صلالة. ويرد الضـابط الكبير على التسـاؤل حول الأهمية العـسكرية للإيرانيين خصوصا فى الحـفاظ على طريق «ميداوى» مفـتوحًا طوال السنة بقوله لو كان للجـيش العمانى 1200 جندى إضافى يملكون معدات وسلاحًـا مشابهة لأمكن اسـتخدامهم فى فـتح الطريق فى مزيد من السرعـة. فلا

1 ـ رياض نجيب الريس ـ نفس المرجع ص114.

حاجة إلى القوات الإيرانية بالذات لو كان هناك بديل لها. إلا أن أهمية الوجود العسكرى الإيرانى فى ظفار تكمن فى أن هذا الوجود يشكل رادعا سياسيًا يمنع بعض الدول من المجازفة فى التدخل عسكريا وفى صورة مباشرة مع الثوار ضد السلطنة، كما يجعل الدول الكبرى تفكر مرتين قبل أن تتدخل لمصلحة أحد الطرفين إذ دعت الحاجة إلى ذلك خوفًا من الاصطدام عسكريا مع إيران، وهذا أمر يحسب له ألف حساب[1].

ما إن جاء العام 1975 كانت القوات العمانية والإيرانية والبريطانية اضافة إلى الأردنيين قد حققت انتصارات كبيرة ضد الثوار الظفاريين على مختلف الجبهات وبدأت تضغط عليهم لكى يرجعوا إلى ما وراء الحدود اليمن الجنوبية وهذا ما كان واضحا فى التقرير العسكرى السنوى للجبهة الشعبية لتحرير عمان والذى جاء فيه عن عام 1975 بقوله «لقد شكل هذا العام، بكل ما حمل من تكالب إمبريالى رجعى، وشراسة وتعدد القوى التى أخذت على عاتقها تنفيذ هذا المخطط عام مواجهة وحسم دقيق استطاعت أن تخرج منه الثورة وهى أكثر إصرارا على مواصلة الطريق، وقدرة على الاستمرار فيه بخطى واسعة وثابتة وعلى الرغم من كون هذا العام عام المواجهة على أكثر من صعيد، إلا أن المواجهة العسكرية طغت على كل الجوانب الأخرى، حيث تدفقت على عمان القوات الاردنية، و تضاعف حجم وعدد القوات الأنجلو ـ إيرانية، وتصاعدت وازدادت شراسة وضراوة»[2].

مما جاء فى التقرير العسكرى للجبهة الشعبية لتحرير عمان عن تصريحات الجهات الرسمية فى كل من إيران وعلى رأسهم شاه محمد رضا خان المازندرانى

---

1 ـ رياض نجيب الريس ـ نفس المرجع ص130.

2 ـ وثائق الخليج والجزيرة العربية 1975 ـ التقرير العسكرى السنوى للجبهة الشعبية لتحرير عمان (9 يونيو) عدن 6/ 5/ 1975) ص7.

والمسئولين البريطانيين عن محاولتهم للقضاء على الثورة وتحقيق الأمن والاستقرار فى عمان إضافة إلى استعدادات عسكرية كبيرة لشن هجوم واسع النطاق بهدف القضاء على الثوار فى ظفار ثم حشد هذه القوات قبل القيام بالحملة العسكرية وعن هذه الاستعدادات جاء التقرير بقوله[1] «قام العدو الأنجلو - إيرانى بتحركات واسعة للإعداد للحملات الضاربة التى شنها فيما بعد من المناطق المحررة، مستغلا موسم الأمطار (أشهر الصيف) الذى تخف فيه العمليات العسكرية ليركز على الاستعدادات العسكرية التى كانت مكثفة على الجوانب التالية:-

الاستعدادات اللوجستيكية - بناء عدد من المطارات العسكرية والقواعد الخلفية التى أقامها على امتداد الشريط الشمالى المحاذى لأطراف المناطق المحررة لكى يستخدمها كقواعد، وأبرز هذه المنشآت قاعدة تمريت الجوية التى ازدادت أهميتها إبّان الحملة العسكرية الأخيرة، حيث استخدمت كمطار وكنقطة تجمع للقوات التى ساهمت فى الحملة. وفى الوقت ذاته أقيم مركز فى «حيرون» الذى جهز ليصبح صالحًا لاستقبال بعض الطائرات الصغيرة - شق وإصلاح مزيد من الطرق، كتلك التى تربط بين صلالة وتمريت، صلالة ومرباط - طاقة - أنا - ريسوت.. إلخ وذلك لكى تساعد على سرعة الإمدادات عند الضرورة».

بعد أن تمت الاستعدادات اللازمة للقوات المشتركة بدأ الهجوم الكاسح ضد الثوار فقد قامت هذه القوات بالمحاولة الثالثة والأخيرة لاستعادة كهوف «شيرشيتى» وفى هذه المحاولة نجحت هذه القوات واستولت على كميات كبيرة من الأسلحة والذخيرة والمؤن فى حين لم يصادفهم مقاومة كبيرة من الثوار. وقد يكون الثوار بدأوا انسحابهم نحو اليمن الجنوبية عن طريق الوديان التحتية الواقعة إلى الشمال

1 - وثائق الخليج والجزيرة العربية لعام 1975 - نفس المرجع ص7.

من مراكز «صرفيت» بعد ما اشتد الطوق حولهم وازدادت القوات المشتركة وخاصة من القوات الإيرانية والأردنيـة والبريطانية حيث كانوا صمموا لوضع نهاية لحرب الثوار بعدما بدأت آثارها تنعكس على هذه الدول بطريقة متزايدة وحتى لا تستنزفهم أكثر ولهذا زحفت القوات المشتركة فى شهر نوفمبر عن طريق «صرفيت» شرقًا فى محاولة للالتقاء مع القوات الزاحفة فى صورة مستمرة من الغرب وقد نتج عن هذا الهجوم استعادة بلدة «ضلكوت» الساحلية بلا مقاومة تذكر فى أول ديسمبر عام 1975 وبعدها بعدة أيام التقت القوات المشتركة الزاحفة من اتجاهين متقابلين على شكل كماشة فى قضية الجيوب الباقية لمقاومة الثوار وذلك لأول مرة منذ عشر سنوات من الحروب المستمرة ضد الثوار وبعدها أصبحت منطقة ظفار كلها تحت السيطرة العمانية بعدما أنهت مقاومة الثوار ـ ويبدأ معظم الثوار يتدفقون عبر الحدود إلى اليمن الجنوبية ولكنهم سرعان ما عادوا واستسلموا للحكومة العمانية وذلك نتيجة لقرار العفو الذى أصدرته الحكومة العمانية، وفى نهاية شهر أكتوبر 1975 استسلم أكثر من 222 ثائرًا وهو رقم يفوق ذاك الذى سجل إبان العفو من عام 1970 ـ 1971، ولكن القصف المدفعى عبر الحدود وفى اليمن الجنوبية استمر فى قصف المواقع العمانية فى منطقة «صرفيت» يوميا ـ على التقريب ـ برغم بعض الهدوء الذى شهده شهر أكتوبر عام 1975، وكانت القوات الإيرانية تحاول بقدر الإمكان عدم الاقتراب من حدود اليمن الجنوبية حتى لا تتورط أكثر فأكثر فى هذه الحرب، وكانت الأوساط العسكرية فى عمان تعتقد بأن الإيرانيين يحرصون على عدم التوسع فى عملياتهم العسكرية تحاشيا للاصطدام مع قوات اليمن الجنوبية وحلفائها السوفيت مما قد يخلق سابقة خطرة فى العلاقات بين إيران والعرب وهذا ما جعلهم يبقون على بعد 25كليو مترا من حدود اليمن الجنوبية بصفة مستمرة ومن ثم تحاشيا للمزيد من التورط فى توسيع دائرة

الاشتباكات مع الثوار مما قد ينتج عنه زيادة فى حجم القوات الإيرانية فى ظفار وإلى المزيد من الخسائر فى صفوفه[1].

أما الخسائر التى لحقت بالقوات الإيرانية فإنها كانت كثيرة إذا ما قورنت بحجم القوات التى أرسلت لمحاربة عدد قليل من الثوار، إضافة إلى الكفاءة العالية التى كان يتمتع بها الجندى الإيرانى من التدريب على احدث الأنظمة العالمية وعلى يد الخبراء اضافة إلى امتلاكه احدث الأسلحة المتطورة فى حين أن الجانب الآخر وهو الثوار كانوا يملكون أسلحة تقليدية قديمة إضافة إلى التدريب البسيط. وحول السؤال الذى طرحه صحفى من جريدة السياسة الكويتية لشاه إيران ـ عن إمكانية معرفة الخسائر الإيرانية فى الحرب ضد الثوار فى ظفار، فقد أجاب شاه إيران بقوله «ربما تعجب إذا قلت لك أنه فقط حوالى خمسين قتيلا وطائرة واحدة. طبعا هناك معدات عسكرية عمانية وبعض طائرات الهليوكبتر التى تحطمت كما أن هناك خسائر بالأرواح من الجانب العمانى لكن من جانبنا فقط خمسين»[2].

أما تقرير الجبهة الشعبية لتحرير عمان فقد قالت عن الخسائر التى لحقت بالقوات الإيرانية فى ظفار حيث جاء فيها عن «اعتراف ناطق باسم الجيش الإيرانى فى أوائل يناير بأن جهودهم لهزيمة الثوار تعرضت إلى نكسة لأن سرية تقدر بـ150 وقعت فى كمين من 40 ثائراً حيث قتل الثوار 10 وأسروا جنديا إيرانيا. وهكذا ما أن اقتربت طائرات الهيلوكبتر المحملة بالقوات الإيرانية فى حملتها العسكرية ضد المنطقة الغربية حتى بوغتت بمقاومة لم تكن تتوقعها خاصة وأن مناطق الإنزال فد تم قصفها وتطهيرها بواسطة الطيران. جرت عمليات قتال متلاحم أثبت فيه المقاتل العمانى تفوقه وشجاعته ضد عدو متفوق فى العدد والعدة ولكن روح الفداء والتضحية جعلت قوات الثورة مستمسكة بالمبادئ وفرضت على

---

1 ـ رياض نجيب الريس ـ المرجع السابق ص119 و130.

2 ـ جريدة السياسة الكويتية الصادرة بتاريخ 20/1/1976 .

العدو المكان والتوقيت وأسلوب المعركة وتكبد الإيرانيون هزائم متلاحقة جعلتهم يفرون من ميدان المعركة مخلفين عشرات من جثث الضباط والجنود والأسلحة والوثائق ونسوا كل ما تعلموه من تكتيكات القتال. لقد لقيت حملة الممر الشرقية نفس المصير وتحطمت هذه الحملات المتلاحقة على صخرة وصمود وبسالة قوات جيش التحرير الشعبي»[1].

كما حاول الإيرانيون التقليل من أهمية وجودهم العسكري في ظفار أمام الرأي العام العالمي بتفادي الاتصال بالعالم الخارجي في الوقت الذي يبالغون داخليا في إبراز هذا الوجود تبريراً للتوسع العسكري للقوات الإيرانية وإثارة للأحاسيس القومية السهلة في وسط الشعب الإيراني.

لتخوف إيران من ازدياد الاحتجاج القوى القومي فقد أخفت الحكومة الإيرانية وجودها في ظفار وحاولت تقليل هذا الوجود في عمان كما منع الجنود الإيرانيين من التجول في شوارع صلالة ومسقط وتم إيواؤهم في جزيرة «الهلانيات» في كوريا موريا وتعتبر هذه الجزيرة قريبة من مقر العمليات في ظفار كما انها غير مأهولة بالسكان إضافة بأن البيانات العسكرية كانت تشير إلى القوات العمانية فقط ولكن عندما كشفت جبهة تحرير عمان عن مشاركة القوات الإيرانية في ظفار سارعت مسقط ولندن وطهران إلى نفيها ويقول الصحفي البريطاني فرد هاليداي[2] بأن الشاه لم يعترف بدخول قواته إلى ظفار إلا في أوائل فبراير من عام 1974 حين قال:-

«ادعى أن قواته قد ربحت معارك مشرفة أثناء فتحها للطريق من ظفار إلى

1 - فرد هاليداي المرجع السابق ص286.

2 - وثائق الخليج والجزيرة العربية ص225 - التقرير العسكري السنوي للجبهة الشعبية لتحرير عمان (9 يونيو عدن، 6/ 1975 ص7).

صلالة ومسقط» وحاول الشاه وصف جبهة التحرير بأنها «قوى هدامة مخربة وفوضوية ومجرمة» وبينما احتجت ليبيا والعراق على التدخل الإيرانى وصعد الاتحاد السوفياتى من انتقاداته للشاه، حاولت الدول العربية الكبرى ألا تعلق على هذا التدخل وشاركت سراً فى مناورة مسقط ـ طهران. وقد ذكرت الصحيفة الرسمية الإيرانية «اطلاعات» أن هدف الغزو الإيرانى كان:ـ إجبار قادة المتمردين وأصدقائهم على قبول السلام الذى عرضته حكومة مسقط» وشكلت جامعة الدول العربية فى أوائل مارس فريق وساطة، مؤلفا من تونس والجزائر والكويت ومصر وسوريا، لمصالحة جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية وبالتالى الجبهة الشعبية لتحرير عمان وسلطنة عمان، وكان رد جبهة التحرير على هذا، كردها على محاولة كويتية سابقة فى منتصف عام 1973، وضع شروطها للدخول فى مفاوضات مع السلطنة وهى:ـ «إلغاء المعاهدات العلنية والسرية مع بريطانيا وإيران والأردن، إزالة القواعد، طرد القوات الإيرانية من الأراضى العمانية، تأمين الحريات السياسية والفردية، تبنى سياسة اقتصادية وطنية، والالتزام بسياسة عدم الانحياز فى المجال الدولى».

بعد أن عرفنا التورط الإيرانى فى ظفار، يجب أن نسأل لماذا أقدم الشاه على دخول حرب فى إقليم عربى؟ هل هو بداية الدور المرسوم له كشرطى الأمن فى المنطقة؟ أم هو العودة كما حدث عندما طرد أحمد بن سعيد مؤسس أسرة البوسعيد الإيرانيين من صحار وعمان كافة عام 1749 وحررها من جميع الأراضى العمانية، ومنذ ذلك اليوم لم يستطع الإيرانيون العودة إلا فى عام 1973 بناء على طلب السلطان قابوس لمحاربة الثوار فى ظفار، وكما لبى شاه إيران دعوة الإمام سلطان بن سيف الثانى وأرسل قواته إلى عمان فإن شاه إيران محمد رضا خان المازندرانى لبى دعوة السلطان قابوس وأرسل جنوده إلى عمان، فهل هناك ارتباط

بين الحدثين. وعن أسباب وجود القوات الإيرانيــة فى عمان اليوم وماذا فعلوا وما هى النتائج العسكرية التى حققوها، وقد كـان وضع عمان فعلا حرجًا فى خريف عام 1974 ورغم التـدخل الإيرانى فى ظفـار إلا أنه لم يحـقق أهدافه المحـدودة بوضوح كتصـفية الثورة عسكريًا تمهيداً لتصـفيتها سياسـيا وبالتالى إزالة التوتر فى الحدود مع اليـمن الجنوبية «بل إن مـا حدث هو العكس إذ وجـدت إيران نفسـها متورطة فى حرب بدأت تنعكس سلبيـا على صفوف الجيش الإيرانى حيث حدثت عدة تمـردات فى صفوفـه وكذلك انـعكس التدخل على النظام داخل إيران حـيث كشف التدخل العسكرى الإيرانى طبيعة النظام العـدوانية وعدم تردده فى التضحية بأبناء الشعوب الإيرانية لتحقيق أطماعه، وهكذا تصاعدت المعارضة للنظام من قبل القوى الوطنية وترددت أصداء الانفجارات فى العديد من المدن الإيرانية»[1]

وصفت الجبـهة هدفها الاستـراتيجى العام منذ 1968 ويتضمن هذا الهدف امتداد النضال الثورى من ظفار إلى عـمان والخليج العربى الأسفل والبحرين وقطر واعتـبرت الثورة فى جنوب عمـان قائمة لتسـاند الحركات الثـورية فى المنطقة التى تعتبـرها الجبهة الشعبـية، وحدة طبيعيـة مع ظفار والتى قسمها اصطناعـيا التدخل البريطانى وخلافات الحكام المحليين اضـف إلى ذلك أن ثورة ظفار لايمكنها البقاء على المدى الطويل إذا لـم تنقلب على هذه الأنظمـة التى تعـمل لسـحق جـمـيع الحركات الثورية سـواء كانت فى اليمن الديمقراطية أو ظفار أما الوسـيلة الرئيسية التى تملكها الجبهة الشعبية لتحـقيق هدفها فهى حرب الشعب، وقد جاء فى المؤتمر الثالث:

«إن النضـال الشعـبى العنيف والطويـل الأمد هوالطريق الوحـيـد لتحـرير

---

1 ـ وثائق الخليج والجزيرة العربية لعام 1975 ـ المرجع السابق ص227.

الخليج»، ولكنه شدد على «وسائل النضال الأخرى الممكنة» أما المفتاح السياسى الذى تصورته الجبهة الشعبية لتوسيع النضال فهو «جبهة وطنية موحدة» قائمة على «برنامج وطنى ديمقراطى» وتضم جماعات معادية للإمبريالية. كما أصدر مؤتمر الجبهة الشعبية الثالث الذى عقد فى رخيوط فى حزيران 1971م، برنامجها وهو مؤلف من 29 نقطة وهو الاساس الذى يجب أن تقوم عليه هذه الجبهة.

يمكننا القول بأن تصعيد الثورة فى إقليم ظفار واستمرارها يخدم المصالح الإيرانية، لو لم تكن هناك ثورة فى ظفار فإن الشاه كان سيخلق مثل هذه الثورة سواء فى ظفار أو منطقة أخرى شبيهة لها فى الجزيرة العربية، وذلك لعدة أسباب أولا:ـ لأن التدخل العسكرى الإيرانى فى المنطقة العربية يخدم استراتيجية شاه إيران ولاسيما بعد أن أصبح حامى الخليج العربى وحارسه الأمين. وبما أن الجيش الإيرانى لا يملك خبرة قتالية حتى الآن كما لم يشترك فى حرب قبل الثورة الإيرانية فى الوقت الذى يزداد تخزين الأسلحة والمعدات العسكرية الحديثة فى الترسانة الإيرانية فإن هذه الترسانة محتاجة لتفريغها من الأسلحة التى بدأت تتكدس من وقت لآخر فكانت فرصة مواتية للتدخل فى ظفار ولتجريب الخزان الهائل من الأسلحة والمعدات التى فى حوزتها، وأيضا فإن منطقة ظفار لها تضاريس جغرافية وعرة تجعلها أرضا مثالية لحرب العصابات مما يؤمن تدريبًا جيدًا ومثاليا للقوات الإيرانية ولقدرتها النارية،وكانت القوات المسلحة الإيرانية تستبدل جنودها كل ثلاثة أشهر بمقاتلين جدد لكى يتيح لأكبر عدد من أفراد القوات المسلحة الإيرانية المشاركة فى التدريب العملى فى ظفار(1).

كما كانت القوات الإيرانية تقوم باستعدادات واسعة قبل القيام بأية مهمات هجومية وعسكرية فى ظفار وكانت الحكومة الإيرانية تعد قوات خاصة للقيام

---

1 ـ رياض نجيب الريس ـ المرجع السابق ص132.

بحملاتها وقد تمثل ذلك فى الهجوم الأخير فى عام 1975 على سبيل المثال[1]:

1 ـ اختيار لواء «قومان» وهو أكثر ألوية الكوماندوز الإيرانية تطوراً، ويمتاز بالتدريب الخاص الذى حصل عليه فى مجال محاربة ثوار حرب العصابات وبالقدرة على القتال فى الجبال. وطيلة مواسم الأمطار «أشهر الصيف» جرى تدريب أفراد هذا اللواء.

2 ـ صاحب ذلك تعبئة سياسية مكثفة، تمت على يد المخابرات العسكرية الإيرانية فى مدينة «خورمشهر» «المحمرة» قبل الاحتلال الإيرانى لعربستان التى قامت بتعليم اللغة العربية لأفراد اللواء، هذا إلى جانب إعطائهم دورة فى أساليب استجواب الأسرى. وقد نقل بعض أفراد الاستخبارات مع اللواء للإسهام فى تلك الحملة.

3 ـ نقلت إيران معدات عسكرية ضخمة إلى عمان، من ضمنها أسراب من طائرات الهيلوكبتر أجستابيل وطائرات جلاكس ومدافع الميدان والعربات المصفحة وغيرها.

وفى يوم 20 نوفمبر على وجه التحديد أقدم النظام الإيرانى على أخطر وأكبر عمليات نقل لقواته، فقد قامت عشرات من طائرات النقل جلاكس الضخمة بنقل آلاف الأفراد من القوات الإيرانية من خوزستان(عربستان) إلى قاعدة «حيرون» مباشرة وجرى تمركز تلك الكتائب فى هذا الموقع استعداداً للبدء فى الهجوم، وقد اضطرت إيران أن تقوم فى شهر أكتوبر من نفس العام بعملية استبدال قواتها العاملة فى المنطقة الوسطى «الخط الأحمر».

كان شاه إيران قد قال بكل صراحة وكأنه الوصى والمسؤول على عمان وعن

1 ـ وثائق الخليج والجزيرة العربية لعام 1975 المرجع السابق ص226.

نظام الحكم هناك وعن استخدام القوة فى سبيل تحقيق أهدافه وسياسته، عندما تحدث عن الوضع العسكرى فى ظفار مع بداية عام 1976 بقوله: (1)

«للسنوات الاثنى عشر الماضية استطاع الثوار الظفاريون أن يسيطروا على مقاطعات كبيرة هناك حتى وصلوا إلى مشارف صلالة وعندما أرسلنا قواتنا اشتركت القوات الإيرانية مع القوة العمانية فى عمليات هجوم لأول مرة وقبل شهرين بالضبط استطعنا تنظيف دولة عمان ومسقط من الثوار لكن ربما هناك قلة مختفية، السؤال الآن هل يثق العمانيون بالحدود اليمنية الجنوبية من التسلل لداخل عمان، أو كانوا يثقون باليمن وأن التسلل لن يمارس فإننا لن نبقى دقيقة واحدة عندما يطلب منا السلطان قابوس الرحيل عن بلده لأننا أيضا لانريد هدر دماء أبنائنا الصغار وأموالنا ونحن لانريد مقابل هذا أى شيء سوى أن النظام القائم فى الدولة المحاذية لمضيق هرمز يكون نظاما مقبولا ومستقرا. نحن لا نريد أن يحكم هذه الدولة مجموعة من السياسيين لانثق بأنهم سيديرون الدولة بحكمة لأن موقع عمان بالنسبة لنا حساس ومهم».

ثانيا:ـ تعتبر الثور فى ظفار مثالا كلاسيكيا لما تصفه السياسة الإيرانية فى الخليج بـ «الحركة التخريبية» وأن هذه الحركة هى مبرر التدخل الإيرانى فى ظفار وأية حركة تشبه لها فى الخليج والجزيرة العربية تصنف نفسها تلقائيا بحسب القاموس الإيرانى فى باب التخريب»(2).

وذلك عندما أعلن شاه إيران عدة مرات بأنه لن يقف مكتوف الأيدى تجاه هذه الحركات التخريبية فى المنطقة. وهناك بعض التصريحات للقادة العسكريين

1 ـ جريدة السياسية الكويتية الصادرة فى 2/1/ 1976 ـ تصريح الشاه حول سياسة الخليج العربية.

2 ـ رياض نجيب الريس ـ المرجع السابق ص 132.

الإيرانيين عندما أقاموا خطًا مكهربًا وملغمًا لقطع المنطقة المحررة فى ظفار إلى شطرين منها ما قاله الجنرال كيثيت باركنز «سنشن منذ الآن عمليات مطاردة للثوار» اما الجنرال خورسند فقال «امسكوا بالثوار أحياء فهذا أفضل».

ثالثا:ـ اتخذ شاه إيران من الثورة وظفار واستمرارها أداة لتبرير تدخله العسكرى فى المنطقة مدعيا بأن إيران دولة كبرى فى المنطقة ومؤهلة للدفاع عنها بل الدولة الوحيدة التى تستطيع التدخل مباشرة بما لديها من الأسلحة الحديثة كما تعتبر تدخلها فى ظفار مبرراً لاقتناء وشراء مزيد من الأسلحة، وتعتبر الدول التى تمتلك جيوشًا كبيرة وأسلحة كثيرة يجب أن تشغل جيوشها فى مناورات مستمرة وان تدخل فى حروب خارجية وخاصة الدول التى ليس لديها ديمقراطية حقيقية واستقرار فى الجبهة الداخلية كإيران مثلا فإن الوضع الداخلى مهدد بالثورة والشعب متذمر وكثير من القادة السياسيين والزعماء فى السجون، فإذا ما استخدم هذا الجيش الحديث فى حروب خارجية، وإلا فإن الكسل والقعود ظاهرة غير صحية عند القادة العسكريين ولذا تم إرسال الجنود إلى ظفار للتدريب على حرب العصابات فى جو عسكرى بحت. ولماذا تستخدم إيران كلمات مثل: تخريب ـ مخربين ـ حركات تخريبية.. إلخ. وهل يملك شاه إيران حق تحديد معنى هذه الكلمات وتفسيرها ـ وهل هذا من حق شاه إيران وحده أم الدول الكبرى كذلك. وهل يحق لإيران أو الدول الكبرى التدخل فى شئون أنظمة الحكم فى الخليج العربى بمجرد أنها غير مناسبة لهم باعتبارها «حركات تخريبية» لا تبرر تدخلها ولماذا هذا التكديس من الأسلحة فى مخازن إيران وبهذا الحجم وهل هذه الكميات الهائلة من الأسلحة من أجل محاربة 800 ثائر فى ظفار لايملكون سوى بنادق كلاشينكوف وبعض البنادق الصينية العتيقة، وشكوكهم بالنسبة إلى عقدة ـ غرورة القوة ـ التى تمارسها إيران ضد الثوار فى ظفار فهل يعنى هذا بأن لشاه إيران أطماع

توسعية وإقليمية فى عمان؟[1] كل هذه التساؤلات كانت تدور فى ذهن القارىء العربى فى المنطقة.

ولماذا يصر شاه إيران أن يلعب دور الحارس الأمين للمصالح المسيحية الغربية لم يبرره أيضا دخوله إلى عمان بأنه جاء لمساعدة حاكم عمان فى التخلص من الحركات التخريبية على حد تعبيره. ولكن ما هى وجهة نظر عمان فى هذه المسألة بعدما درسنا وجهة نظر شاه إيران. وموقف الثوار فى ظفار ومطالبهم فى عمان لطرد الأجانب منها قبل البدء فى مفاوضات مع سلطان عمان وتخوفهم من التواجد الإيرانى البريطانى فى المنطقة. وهنا نعرض وجهة النظر العمانية للسلطان قابوس عندما تكلم عن تخوفه من ثورة ظفار، وعن التواجد الإيرانى بقوله[2]:

«من الواجب على الإخوان خصة الأقرب منهم أن يدعمونا أكثر ولكن هناك ظروفًا لا تساعدهم فى الوقت الحاضر، وأنا أعتقد أنهم يعرفون الخطر وهم معنا قلبا وقالبا ولكن الدعم العسكرى قد يسبب لهم حرجا أو قد يفتح لهم جبهة هم بغنى عنها. وعلى أية حال فنحن لانريد ان نكلفهم مالا يطيقون. وأكد السلطان أن القوة الأردنية العاملة فى عمان لم يكن الهدف من حضورها الحلول محل القوة الإيرانية التى سبقتها إلى العمل ضد المتمردين. وقال: «إن المعركة معركة مطادرة ومعركة بقاء والأردنيون يساعدوننا فى المجالين. هناك قوة تساعد فى المجال العسكرى وهناك كتيبة هندسة تساعد على البناء كشق طرق فى الجبال، كذلك للإيرانيين قوات مقاتلة وقوات هندسة تقيم حاجزا لإعاقة تـ لل المتمردين من الجهة الغربية، والقوة الإيرانية جاءت تساعد السلطة فى بعض العمليات فى

1 ـ وثائق الخليج والجزيرة العربية ـ ص 226 التقرير العسكرى السنوى للجبهة الشعبية لتحرير عمان ـ (9 يونيو عدن، 6/ 1975، ص7).

2 ـ رياض نجيب الريس ـ المرجع السابق ص133.

مناطق معلومة وقد أعطيت عملا خاصًا بها بالتعاون مع قوات السلطنة المسلحة لتمكن هذه القوة من التفرغ لأشياء أخرى فى أماكن أخرى من الجبهة وقد جاءوا جميعًا مساعدين، وعندما تنفرج الأزمة ويستتب الأمن والسلام ترجع القوات الإيرانية والأردنية إلى بلادها»[1].

اتخذ قابوس إجراءات مختلفة لمواجهة العصيان:ـ

أولا:ـ إصدار عفو عن الذين يسلمون أنفسهم وقد استجاب لهذا النداء نحو ألفين.

ثانيا:ـ فتح الباب أمام الظفاريين وخاصة الذين سلموا أسلحتهم لكى يتولوا بأنفسهم المحافظة على الأمن كما عين أربعة من الظفاريين فى مجلس الوزر ء الجديد.

ثالثا:ـ تصميم مشروعات التنمية لتشمل هذا الإقليم المعزول عن العمران.

لم تكف هذه الأساليب السلمية لمواجهة جبهة تحرير ظفار وكان لابد من الاستعانة فى هذه المرحلة بالأموال السعودية للقضاء على الثورة لأن دخل عمان من النفط مازال محدوداً ولا يكفى للتعمير والنفقات العسكرية فى وقت واحد. ومن المفارقات أن السعودية التى كانت منذ عشرين سنة تدفع الأموال للضغط على حكومة السلطان سعيد بن تيمور أصبحت تقدم المال لحكومة مسقط لمواجهة العصيان الذى كانت تسانده. وكان السلطان قابوس منذ 1971 قد قام بزيارة الملك فيصل حيث سويت مسألة الإمامة، وتمت مقابلة بين السلطان والإمام السابق

---

1 ـ وثائق الخليج والجزيرة العربية لعام 1975 ص230 ـ حديث صحفى خاص للسلطان قابوس بن سعيد سلطان عمان حول عدد من القضايا الخليجية والعربية (الحياة، بيروت 2/ 6/ 1975).

وتعهدت السعودية بإيوائه بعد أن كف عن نشاطه السياسى. وقد استعانت حكومة عمان بفنيين من الأردن.

إن القاعدة الأساسية لنجاح مشروعات التحديث هو ايجاد فئة من المتعلمين والفنيين سواء للجهاز الإدارى أو الفنى وهكذا كان التعليم من أولى اهتمامات السلطان قابوس وعلى خلاف بعض الحكام العرب خفض من النفقات العسكرية إذ كان مقتنعا بأن عمان قادرة على مواجهة الأخطار الخارجية فليترك ذلك لدولة حليفة مثل بريطانيا أو الولايات المتحدة ومن ثم فلا حاجة به لشراء أسلحة ثقيلة بل يكفى استيراد الأسلحة اللازمة للأمن الداخلى، أما بالنسبة للتعليم نفسه فلا حاجة إلى جامعة فى المرحلة الأولى من التحديث والأولى من ذلك هو نشر التعليم الابتدائى والثانوى ولاسيما التعليم الفنى للتجارة والزراعة والصناعة وتعميمه على أكبر عدد من الأهالى والاستفادة من خبرة اليونسكو فى هذا المجال، كما استفاد من الهيئات الفنية الأخرى التابعة للأمم المتحدة للمساعدة فى ضبط النقد والمالية والشئون الزراعية والصحية وقد بدأ فى ذلك كله من الصفر أما تمويل هذه المشروعات العمرانية والخدمات فلم يكن دخل عمان يكفى للقيام بها وبالإضافة إلى مساعدة بعض الحكومات العربية فتح الباب أمام الاستثمارات الخاصة من السعودية ودول نفطية أخرى، ولا شك أن هذا التطور التدريجى والمطرد فى آن واحد قد تطلب توسيع دائرة العلاقات الخارجية وهكذا أيضا كان على قابوس أن يحطم عهدا طويلا من حياة العزلة التى خيمت على عمان إبان الحكم السابق إذ كان سعيد بن تيمور يعيش فى ذكريات حكومة الهند حيث تربى فى مدرسة الأمراء هناك، وبعد استقلال الهند وباكستان استمر السلطان يتصل بالعالم الخارجى عبر هاتين الدولتين.

فإذا خرجنا من دائرة العلاقات البريطانية نلاحظ أن عمان ركزت فى سنوات

الاستـقلال الأولى على توثيق علاقاتهـا بدول شرق الجزيرة العـربية وغير العـربية وكانت مسقط هى مـقر أول مؤتمر يعقد بين دول المنطقة لتنسيق شـئون الدفاع عام 1976 وبصرف النظر عن إخفاق هذا المؤتمر، لوجود أطراف مـتناقضة فى أهدافها كالعـراق وإيران والسعـودية فإن السلطان أراد بعـقد هذا المؤتمر التـقريب بين دول الخليج العـربى الصديقـة للغرب. فـمن المعروف أن عـمان انفـردت من بين دول الجزيرة العـربية الأخرى بتـأييد معـاهدة كامب ديفيـد ولم يمنع ذلك فى المجلس فبحكم صـلاتها الوثيقة وعضـويتها فى مجلس التعـاون، وتمشياً مع الظروف التى جدت بعد اغتيال السادات تطلـع السلطان قابوس لكى يقوم بدور الوسيط للتقرب بين مصـر ودول الجزيرة العربية وهكذا خـرجت عمان من العـزلة إلى مرحلة من العلاقـات العربية المحدودة ثم تنتـقل إلى دور إيجابى فى العلاقات على المـستوى العربى العام.

العلاقات الدبلوماسية بين اليمن الديمقراطى وسلطنة عمان

بدأ تقارب وجهات النظر بين جـمهورية اليمن الديمقراطية الشـعبية وسلطنة عمان فى عام 1982م وذلك بعد أن تدخلت دولة الكويت ودولة الإمارات العربية المتـحدة فى الإصـلاح بين الدولتين الجـارتين العـربيتـين، علمًا بأن الخـلاف بين الدولتين قديـم نوعًا ما بعد اندلاع الثورة فى اليـمن الجنوبى فى عام 1963م ضد الاحتـلال المسيحى البـريطانى حيث حصلت اليـمن الجنوبية فى نهـاية الأمر على استقلالهـا من قبل بريطانيا. إلا أن هناك ظهرت جبهة منـاوئه لسلطنة عمان حيث تقول بعض الآراء بأن ظهورها كان فى عام 1965م، وكانت تطالب بسقوط الحكم فى السلطنة حيث إن مسارها تغيـر فيما بين عامى 69 ـ 1970م وأصبحت جبهة شيوعية بمعنى الكلمة وتدعمها اليمن الجنوبية بموافقة الاتحاد السوفياتى حيث كانت تطلق على نفسها الجبـهة الشعبية لتحرير عمـان والخليج العربى، حيث إنها أتعبت كاهل السلطنة وقـد كانت حجر عـثرة بين اليمن الجنوبيـة والسلطنة وفى منتصف

السبعينات تقريبًا تم القضاء عليها بمساعدة بعض الدول، وبدأت الأمور فى التقارب نوعًا ما إلى أن جاء عام 1982م واستطاعت الدولتان الكويت والإمارات ان تلعب دوراً هامًا فى تقارب وجهات النظر حيث تم فى نهاية الأمر تتويج العلاقات الدبلوماسية بين البلدين وذلك فى عام 1987م تقريبًا وتم تبادل السفراء بين البلدين.

أ) زيارة العطاس لسلطنة عمان:ـ

جاء فى جريدة الاتحاد[1] بأن الرئيس اليمنى حيدر أبوبكر العطاس قام بأول زيارة رسمية لسلطنة عمان، حيث دعا إلى بداية صفحة جديدة وأكد ثقته فى امكانية فتح صفحة جديدة من التعاون الأخوى المثمر من خلال الجهود المشتركة للبلدين، جاء فى الصفحة الأولى من صحيفتى عمان[2] والوطن[3] وبالخط العربى بعض التعليقات منها: جريدة عمان: السلطان يستقبل أخاه فخامة الرئيس العطاس لدى وصوله البلاد. جريدة الوطن: مسقط تفتح ذراعيها بكل الحب والود لاستقبال الرئيس العطاس. كذلك جاء فى نفس الصحيفتين عمان[4] والوطن[5] وفى الصفحة الأولى، عمان: السلطان وفخامة الرئيس العطاس يبحثان سبل تطوير

---

1 ـ جريدة الاتحاد: العدد 53J3 تاريخ 20 تاريخ 20 ربيع الأول 1409هـ الموافق 30/ 10/ 1988م ص1 ـ ص21.

2 ـ جريدة عمان: العدد 2722 تاريخ 19 ربيع الأول 1409هـ الموافق 30/ 10/ 1988م ص1.

3 ـ جريدة الوطن: العدد 2026 تاريخ 19 ربيع الأول 1409هـ الموافق 30/ 10/ 1988م ص1.

4 ـ جريدة عمان: العدد 2723 تاريخ 20 ربيع الأول 1409هـ الموافق 19/ 198810م ص1.

5 ـ الوطن: العدد 2027 تاريخ 31/ 10/ 1988م. ص1.

آفاق التعاون المشترك، ويستعرضان المستجدات العربية والدولية ـ السلطنة واليمن الديمقراطية توقعان اليوم اتفاقية للتعاون الشامل بين السلطنة واليمن الديمقراطى ـ السلطان والرئيس العطاس يعقدان جلسة مباحثات رسمية ـ المباحثات تناولت. . العلاقات الثنائية والوضع العربى الراهن حيث جاء أيضًا فى جريدة الاتحاد والخليج العناوين التالية:

(الاتحاد)[1]: اتفاقية للتعاون الشامل بين مسقط وعدن ـ (الخليج)[2]: قابوس والعطاس يوقعان اتفاقيان للتعاون فى شتى المجالات. كذلك جاء فى جريدتى (عمان)[3] و(الوطن)[4] بعض العناوين التالية:

(عمان): سلطان البلاد يصطحب ضيفه فى جولة لمدينة صحار التاريخية، الوطن: السلطان والرئيس العطاس يوقعان الاتفاقية الشاملة للتعاون: العلوى: الاتفاقية تشتمل على التعاون الاقتصادى والتجارى.

2) التوقيع على ثلاث اتفاقيات بين السلطنة واليمن الديمقراطى:

فى صباح يوم الأربعاء تاريخ 1/ 11/ 1988م وفى ضيافة منطقة الغبره تم التوقيع على ثلاث اتفاقيات بين سلطنة عمان واليمن الديمقراطى وذلك فى ثلا ث مجالات هى: التجارة والصناعة ـ العدل والأوقاف والشئون الإسلامية ـ المواصلات. وقد وقع الاتفاقية الأولى التى تتعلق بالتعاون بين البلدين فى مجالات التجارة والصناعة عن الجانب العمانى: معالى الوزير سالم بن عبدالله وزير التجارة والصناعة، وعن الجانب اليمنى د. عبدالله محمد عثمان عضو اللجنة المركزية وزير الصناعة والتجارة والتموين. اما الاتفاقية الثانى فهى تتعلق بالتعاون بين البلدين فى

1 ـ الاتحاد: العدد 5304 تاريخ 31/ 10/ 1988م.
2 ـ الخليج: العدد 3472 تاريخ 1/ 11/ 1988م ص1.
3 ـ عمان : 2724 تاريخ 1/ 11/ 1988م ص1.
4 ـ الوطن: 2028، 1/ 11/ 1988م ص1.

مجـالات العدل والأوقاف والشـؤون الإسلامية فـقد وقعـها عن الجانب العـمانى معالى الوزير هلال بن مسعود بن حارب وزير العدل والأوقاف والشئون الإسلامية وعن الجانب اليمنى معالى الوزير عبدالواسع سلام وزير العدل والأوقاف فى اليمن الديمقـراطى. أما الاتفاقيـة التى تتعلق بالتعاون فى مـجال المواصلات وقعـها عن الجانب العـمانى معـالى حمود بن عـبدالله الحارثى وزير المواصـلات وعن الجانب اليمنى معالى صالح عبدالله مثنى وزير المواصلات[1].

أرى بأن تبادل العلاقات الدبلوماسية بين البلدين إذا دل على شىء فإنما تدل على حقيـقة التقارب والتراحم بين الشـعبيين الشقـيقين الشعبى اليـمنى والشعبى العمانى وعلـى صدق النية وصفاء القلوب بـين الحكام فى البلدين. علمًا بأن هذه الزيارة جاءت مع وقف الحرب العـراقية الإيرانية حيث ان هذه الزيارة لهـا مدلولها وتدعو إلى الاسـتقرار فى المنطقة وقـد تم إبرام ثلاث اتفاقيـات خلال هذه الزيارة التى تعـتبر الأولى من نوعـها منذ فـترة ليـست بقليلة حيث إن هذه الزيـارة تفتح صفـحات جديدة بين الدولتـين الجارتين وتعطى نوع من التقـارب، رغم الأنظمة السياسية والاجتماعـية المختلفة، علمًا بأن دولتى الكويت والإمارات كان لهم دور فعال فى إبرام العلاقات الدبلوماسية بين البلدين.

دور مجلس التعاون فى الوفاق بين سلطنة عـمان واليمن الديمقراطى، وما نتج عنه من تطبيع فى العلاقات بين البلدين الجارين:

بذل مجلس التـعاون جهودا كـبيرة فى تدعـيم العلاقات بين سلطنة عـمان واليمن الجنوبى حيث قامت دول المجلس بمبادرة مشكورة لإقـامة علاقات طيبة بين البلدين العربيـين تقوم على حسن الجـوار والاحترام المتـبادل. وقام وزير خارجـية الكويت ومعالى الوزير راشد عبدالله وزير الدولة للشـئون الخارجية بدولة الإمارات

1 ـ الوطن: العدد 2029 السنة الثانية عشرة تاريخ 2/11/1988م ص1 +3 + 5.

بتكليف من مجلس التعاون بزيارة لعدن فى مايو 1982 وذلك فى إطار المساعى المبذولة لتدعيم أواصر التعاون بين عمان واليمن الجنوبى. وقد أعطت هذه الزيارة نتائج إيجابية حيث تم التوصل إلى عقد اجتماعات ثنائية بين البلدين أدت إلى تطبيع العلاقات وإعادة التمثيل الدبلوماسى بينهما[1]. وبهذه الجهود استطاع مجلس التعاون أن يضرب أروع المثل فى إعادة الاستقرار والطمأنينة فى المنطقة. توجت هذه العلاقات بالدعوة التى وجهها السلطان قابوس سلطان عمان للرئيس حيدر أبوبكر العطاس رئيس اليمن الجنوبى والتى تمت بتاريخ 30/ 10/ 1988.

وهذه الزيارة تعتبر أهم حدث تاريخى فى منطقة الخليج العربى، وذلك لما كانت عليه الدولتان من خلاف. هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فإن هذا التطبيع فى العلاقات جاء بجهود الكويت والإمارات.

تناولت الصحف اليومية العمانية هذه الزيارة على مدى ثلاثة أيام متتالية ونقلتها إلى قارئيها على صفحاتها الأولى. حيث كتبت صحيفة عمان[2] على صدر صفحتها الأولى ما يلى: السلطان يستقبل أخاه فخامة الرئيس العطاس لدى وصوله البلاد.. استقبال رسمى وشعبى كبير لفخامة الضيف. جلالته وأخوه فخامة الرئيس العطاس يجريان مباحثات اليوم. وفى اليوم الثانى من الزيارة كتبت صحيفة الوطن[3] على أولى صفحاتها: اليوم يتم التوقيع على اتفاقية للتعاون الشامل بين السلطنة واليمن الديمقراطى. جلالة السلطان والرئيس العطاس يعقدان جلسة مباحثات رسمية. المباحثات تناولت العلاقات الثنائية والوضع العربى

---

1 ـ ملحق جريدة الاتحاد الصادرة بمناسبة انعقاد القمة الخليجية السابعة. فى أبو ظبى، نوفمبر 1986، ص92.

2 ـ جريدة عمان، العدد 2722، بتاريخ 30 أكتوبر 1988.

3 ـ جريدة الوطن، العدد 2027 بتاريخ 31 أكتوبر 1988.

الراهن. كما نقلت صحيفة الوطن[1] الصادرة فى اليوم الثالث من الزيارة على صدر صفحتها الأولى ما يلى: اليوم يتم التوقيع على اتفاقية أخرى تتيح فى المستقبل عقد بروتوكولات للتعاون فى شتى المجالات. السلطان والرئيس العطاس يوقعان الاتفاقية الشاملة للتعاون. السلطان وضيف البلاد يزوران قلعة صحار التاريخية. وأيضًا أوردت صحيفة عمان الصادرة بعد انتهاء الزيارة بيوم واحد أوردت على أولى صفحاتها نتائج الزيارة بقولها[2]: «السلطنة واليمن الديمقراطية يتفقان على معظم النقاط المتعلقة بترسيم الحدود. ويؤكدان مواصلة الجهود لاستكمال النقاط المتبقية بما يضمن حقوق كلا البلدين. وأيضا السلطان يودع فخامة حيدر العطاس لدى مغادرته البلاد. البيان المشترك يؤكد على أهمية التواصل والتنسيق والتشاور العربى فى القضايا المصيرية[3]. اتفاق المبادئ وما تلاه من خطوات جسدت الرغبة الصادقة لتطوير العلاقات بما يخدم أهداف وأمانى الشعبين الشقيقين[4]. التأكيد على ضرورة جعل الجزيرة العربية والخليج العربى بمنأى عن كل ما يعيق تقدم وتطور شعوبهما[5]» كما نشرت نفس الصحيفة على صدر صفحتها الأولى حديث للرئيس العطاس جاء فيه[6]: «إن العلاقات العمانية اليمنية الديمقراطية تقف اليوم فى محطه متقدمة تتسم بالتفاهم والاحترام».

إن الدور البارز الذى قام به مجلس التعاون فى إعادة العلاقات بين سلطنة عمان وجمهورية اليمن الديمقراطية يعتبر من أهم الأدوار التى عرفتها المنطقة فى

---

1 ـ جريدة الوطن العدد 2028 بتاريخ 1 نوفمبر 1988.

2 ـ جريدة عمان، العدد 2725 بتاريخ نوفمبر 1988.

3 ـ جريدة عمان، العدد 2725 بتاريخ نوفمبر 1988.

4 ـ جريدة عمان، العدد 2725 بتاريخ نوفمبر 1988.

5 ـ جريدة عمان، العدد 2725 بتاريخ نوفمبر 1988.

6 ـ جريدة عمان، العدد 2725 بتاريخ نوفمبر 1988.

جنوب شرق الجزيرة العربية خاصة والمنطقة العربية عامة فى تاريخها الحديث. حيث إن المجلس استطاع الوصول إلى خلق مناخ ملائم، تمكن من خلاله تحقيق الوفاق بين الدولتين الجارتين وفتح بينهما صفحة جديدة فى إعادة العلاقات الدبلوماسية التى مكنت المنطقة من الاستقرار السياسى الذى كان دائما مطلب شعوبها، وأبعدها عن التدخلات الأجنبية التى هى فى غنى عنها. وبهذا انصرفت جهود الدولتين الجارتين إلى ميدان البناء والتعمير وتحقيق مزيد من الازدهار والرخاء لصالح شعبيهما بدلا من حشد الجيوش وشراء الأسلحة من أجل تدعيم هذه الجيوش. وإن دل هذا على شىء فإنما يدل على مدى الصدق والتفاهم والتفكير المستنير الذى قام عليه مجلس التعاون والذى من أهدافه توحيد المنطقة وتطوير التعاون بين دوله وكذلك التنسيق والتكامل وتعميق الصلات القائمة بين شعوب هذه المنطقة والابتعاد بها عن التدخلات الأجنبية، والعمل على خلق جو يسوده الأمن والاستقرار لكى تستطيع بلدان الجزيرة العربية - فى ظل هذا المجلس - ملاحقة الدول المتقدمة والمتحضرة فى العالم.

الفصل السادس



«الحدود السياسية العربية - العربية»
«مجلس التعاون الخليجي كنموذج»

قدم هذا البحث إلى ندوة فعاليات الأسبوع الثقافي الرابع - قسم التاريخ - كلية الآداب والعلوم الإنسانية - جامعة دمشق 16 - 20 مارس 1999.

تعريف الحدود:

يوجد هناك تعبيران مختلفان للتعـريف بالحدود، وهناك تعبير التخوم وتعبير الحـدود ويوجـد أحـيـانا خلط بينـهـمـا وذلك بسـبب أن الحـدود بين الدول والإمبراطوريات كـانت غير محددة بدقـة حتى العصر الحـديث لانعدام المعلومات الجغرافية أو الخرائط الدقيقة أو عدم الاهتمام برسمها بدقة لأنها قابلة للتغير حسب القوة وسـياسة التوسع، والضم المفـتوحة، وتدل التـخوم على منطقة أو مسـاحة واسعـة من الأرض متروكة فى كـثير من الأحـيان بسبب عـدم صلاحيتـها لسكن الإنسان، مثل: الجـبال والمستنقعات والغـابات، وتعنى الحدود على الخط الحدودى الدولى الذى يحيط بالدولة والذى يفصل حدودها عن حدود الدول المجاورة والتى تعنى بعناصـرها الثلاثة: شعب، إقـليم، سيادة. والحـدود ليست مـجرد خطوط ترسم على الخـرائط ولكن دلالتـهـا ترجع إلى النـواحى السـياسـيـة والقـانونيـة والاقتصادية والاجتماعية والحربية وتكتسب قوة وثباتا بمرور الزمن أو بالمعاهدات أو الاتفاقـيات، وتحظى بحـماية القـوانين الداخلية والدوليـة وميـثاق الأمم المتـحدة والمنظمات الاقليمة الأخرى، ومن حيث خضـوع الحدود للقانون الدولى فإنها تعد مكانا لإقامة العـلاقات بين الدول المتجاورة إذ كانـت تلك الدول تقوم على أساس شرعى وعلى سبيل المثال[1]:ـ

لما كانت قـوات الاحتـلال اليهودى لبـلاد المقدس (لفلسطين) لاتـقوم على أساس شـرعى من وجهـة النظر العربيـة فإن الدول العـربية المجاورة لهـا لم تقم علاقات دوليـة معها، كـما لم تعترف تلك الدول العـربية بحدود معينـة لها لأنها لاتقوم على أسـاس شرعى، ولـم تحـاول قوات الاحتـلال اليهودى لبـلاد المقدس

(1) د. جابر الروائى ـ الحدود الدولية ـ ص14.

«فلسطين» تعيين حدودها إلا بعد عدوان الخامس من يونيو عام 1967 واستيلائها على أرض من دول عربية مجاورة لها، حيث ورد طلب تحديد الحدود لقوات الاحتلال اليهودى لبلاد المقدس «لفلسطين» فى المذكرة الّتى بعث بها وزير خارجية الاحتلال اليهودى لبلاد المقدس «لفلسطين» إلى الممثل الشخصى للسكرتير العام للأمم المتحدة «جونار يارنج» بتاريخ 15 أكتوبر عام 1968.

نجد أن اعتراف بعض الدول العربية بالاحتلال اليهودى فى بلاد المقدس «فلسطين» يعنى إعطاءها شرعية لاتستحقها وليس لها وإنما للعرب وهى من حقوق الشعب العربى الفلسطينى المحتل أرضه وكذلك أراضى الدول العربية التى احتلتها القوات اليهودية فى فلسطين بالقوة، وإن قوات الاحتلال اليهودى فى بلاد المقدس «فلسطين» تحاول الحصول على الشرعية العربية لحدودها الدولية وبالتالى توثقها فى منظمة الأمم المتحدة وقد مارست إرهابها واحتلالها للعرب بغية الحصول على الشرعية لحدودها مع الدول العربية ولذا نجد أن سوريا صمدت أمام غطرسة قوات الاحتلال اليهودى فى فلسطين وتفهم جيدا ماتعنيه قضية الحدود والشرعية التى يحاول الاستعمار اليهودى فى بلاد المقدس «فلسطين» الاعتراف به من قبل سوريا وتبادل العلاقات الدبلوماسية أى ما تأخذه القوات اليهودية فى بلاد المقدس «فلسطين» المحتلة من الاعتراف بشرعيتها أكثر بكثير ماتعطيه للعرب من أراضى أخذتها بالقوة.

يرى البعض أن فكرة تحديد الحدود مرتبطة بفكرة الملكية على أساس أن الجماعات والمجتمعات القديمة كانت تشعر بأن حقوقها وسلطاتها لها دائرة اقليمية يجب ألا تتعدى نطاقها وأن القبائل العربية كانت تعرف حدودا ثابتة للمناطق الخاصة بكل منها وذلك للرعى والصيد وهذه المناطق تسمى «بالديرة»، فى حين يرى البعض أن فكرة الحدود هى من خلق الأنظمة السياسية ولم تختلط فى أصلها مع حدود الملكية على أساس أنه عندما لم يكن نظام الامتلاك الإقليمى الفردى الذى هو نتيجة للزراعة المستقرة معروفا فإن واقعة الحد كانت معروفة وموجودة.

وقد تكون مرتبطة بممارسة السلطة الفعلية على أرض الواقع ونجد أن القبائل العربية وخاصة القوية مثل قبائل «العجمان» فى شرق الجزيرة العربية كانت تسيطر سيطرة كاملة على منطقة أو إقليم الأحساء وكذلك قبائل «العوامر» و«المناهيل» و«الصيعر» التى تسيطر على صحراء الربع الخالى دون منازع. وكذلك قبائل «الشمر» القوية فى المنطقة الممتدة من «نجد» إلى بادية العراق وسوريا وامتدادا إلى شمال «الجزيرة» التى تقع فى «ديار بكر» و«ماردين» و«أورفة» فى جنوب الأناضول كانت تمارس سلطاتها القبلية وخاصة فى مراعى تلك المناطق الشاسعة ولم تكن تعترف بسلطة النظام الإدارى العثمانى وهذا مما كان سببًا فى حروب ومعارك بين الجانبين خلال الحكم العثمانى الطويل فى المنطقة، لأن تلك القبائل العربية أخذت بفكرة الحدود فى تطورها قبل أن تشعر بحاجتها إلى الامتلاك الفردى للأرض وذلك لبيان المدى أو المجال الذى تستطيع هذه القبائل فرض سلطاتها على تلك الأرض.

نجد كذلك أن قبائل «العجمان» رفضت أن يمتد سلطة الأمير فيصل بن تركى القائمقام العثمانى فى «نجد» على ممتلكات قبيلة «العجمان» فى الصحراء الواسعة الممتدة فى شرق الجزيرة العربية فى إقليم الاحساء وخاصة «الصمان»، وهذا مادفع القائمقام العثمانى الذى قام باعتقال زعيمهم الأمير فلاح بن حثليين عام 1846 وإعدامه بقطع رأسه وتعليقه فى الساحة العامة فى الأحساء مما آثار الانتقام لدى القبائل اليمنية كعجمان والمرة والهواجر، ومن ثم تولى ابنه راكان بن فلاح مقاومة سلطة قائمقام نجد العثمانى حتى دخل فى معارك قوية انتهت بهزيمة «العجمان» سواء فى معركة «الصبيحة» عام 1859 أو فى معركة «الطبعة»[1] بالقرب من مدينة «الجهرة» فى عام 1860[2]، ثم نجحوا فى إيقاع الهزيمة بالقائمقام العثمانى الأمير عبدالله بن فيصل فى معركة آبار «جودة» فى 20/ 12/ 1870.

---

(1) الشيخ حسين خلف الشيخ خزعل - تاريخ الكويت السياسى - دار الكتاب بيروت 1962 - جـ1 ص124.

(2) عبدالعزيز الرشيد - تاريخ الكويت - دار مكتبة الحياة - بيروت 1963 ص128.

بمساعدة أخوه سعود وبذلك كـان مجئ حملة مدحت باشا عام 1871 الذى أخضع الأحساء للحكم العـثمانى المباشـر القوى وجعل الأحساء ونجـد تحت إدارة البصرة بعدما كانت تحت إدارة بغداد ووضع حاميات فى معظم المدن المهمة ومع ذلك قاوم «العجمان» هذا الواقع وبعـد نهاية الحكم العثمانى ومجئ ابن سعـود حيث رفضوا الخضوع لحكمه وحـاصروه فى مدينة «الهفوف» لأكثر من تسعـة أشهر حتى طلب مساعدة من الشيخ مبارك الصباح حاكم الكويت الذى أرسل قوات كبيرة بقيادة ابنه الشيخ سالم الذى نجـح فى فك حصار قبائل «العـجمان»[أ] عن «ابن سعود» عام 1915 بعدما كان الأخـير قد وقع اتفاقية «دارين» مع بريطانيـا وأصبح بموجبه تحت حمايتها مثل بقية مشيـخات شرق الجزيرة العربية، يتضح من ذلك كيف أن القبائل العربيـة القوية كانت ترفض سيطرة الدولة العـثمانية الـقوية فى نطاق ممتلكاتهم أو حدود منطقتهم القبلية.

الحدود الدولية من الناحية التاريخية:

بدأت الحدود الدولية فى الظهـور من الناحية التاريخيـة فى القرنين السادس والسابع عشر، وفى عام 1648 عقدت معاهدة «وستفاليا» وكان تحديد الحدود على أساس فكرة «التـبعية»، ثم عـقد مؤتمر «فيـينا» عام 1815، وبدأت الدول الأوربية الكبرى تتدخل فى شـؤون الدول الأخرى عن طريق التدخل المسلح بحجـة حماية الملكية عندما تدخلت فى الحـرب بين الدولة العثمانية و«اليونان» وكان من نتـيجته استقـلال اليونان عام 1830 ولم يكن الغرض من ذلك حـماية الملكية كـما ادعت الدول الأوربية وإنما كـان الهدف دينيا وهو إنقاذ دولة مـسيحيـة من التبعيـة لسيادة دولة إسلامـية، وعلى الرغم من فكرة التدخل التى جـاء بها مؤتمر فـيينا والأفكار الرجعية التى جـاء بها لكبت حريات الشعوب، أصبـحت الدولة الحديثة هى ذات السيادة التى قضت على النظام السياسى التقليـدى والدينى، ونتيجة لحركة النهضة والإصلاح الدينى ظهر مبـدأ القومية فجرف أمامه مـابقى من تلك النظم والتقاليد

(أ) الشيخ حسين خلف الشيخ خزعل - المرجع السابق جـ2 ص220.

التى لاتلائم العصر وحلت فكرة القومية محل فكرة الدولة الإقطاعية، وبظهور مبدأ القومية أصبح الناس تربطهم رابطة الحب المشترك لشعبهم الذى ينتمون إليه ويشعرون بالولاء والتبعية له وأدى ظهور مبدأ القومية إلى إعادة تكوين حدود الوحدات الإقليمية على أساس الوحدة القومية(1).

أعلن الشريف الحسين فى ثورته العربية الكبرى حدود الدولة العربية على أساس القومية العربية ومنها تخوم الحدود الشرقية للوطن العربى فى الخليج العربى والعراق على أساس أن جبال «زاجروس» تفصل بين القومية العربية والقومية الإيرانية ـ التركية، وكذلك الحال فى الحدود الشمالية للدولة العربية والتى تفصل بين القومية التركية فى الأناضول والقومية العربية فى جنوب الأناضول ولكن الاستعمار المسيحى البريطانى ثم الفرنسى لعب دورا أساسيا فى فصل بعض الأقاليم العربية وتم ضمها إلى القومية التركية مثل «ديار بكر» و«أورفة» و«ماردين»(2) ومنطقة «الجزيرة» إضافة إلى الاحتلال التركى للواء «الإسكندرونة»، وذلك مثلما جاء فى «ميثاق دمشق» والذى كان أساس العمل المشترك بين العرب وبريطانيا كما أعلنه الشريف الحسين وهى كما يلى بالنسبة للحدود العربية التى طلبها الشريف الحسين من بريطانيا الاعتراف به(3).

«اعتراف بريطانيا باستقلال الأقاليم العربية الواقعة ضمن الحدود التالية: شمالا: خط «مرسين» ـ «أضنة» إلى مايوازى خط العرض 37 شمالا، ثم على

(1) د. جابر الروائى ـ المرجع السابق ص87.

(2) جورج انطونيوس ـ يقظة العرب ـ 1987 ص243.

3 - F.O. - 371 - 2486 - (125293) The first letter from sherif Husein - Makkah - dated 14/7/1915 - Tosir Henry Macmahon - Cairo - Carrying The proposel Terms about the "Arabian Issues" and that Arabs tends to Love Britain due to Common interests.

امتداد خط «بيرجيك» ـ «أورفة» ـ «ماردين» ـ «مديات» ـ «جزيرة ابن عمرو» ـ «العمادية» إلى حدود إيران.

شرقا: على امتداد حدود إيران إلى الخليج العربى جنوبا (وذلك حسب تقسيم الحدود بموجب اتفاقية «أرضروم الثانية» بين الدولة العثمانية وإيران).

أما جنوب وغرب الجزيرة العربية والبحر المتوسط، وجاء فى البند الثالث: «حفظًا لاستقلال الدولة العربية وتأمينا لأفضلية بريطانيا فى المشروعات الاقتصادية يتعاون الفريقان الساميان المتعاقدان فى تقديم العون بعضهما للبعض إلى أقصى حد تستطيعه قواتهما الحربية والبحرية لمجابهة أية قوة أجنبية يمكن أن تهاجم أحد الفريقين، ولايعقد الصلح دون موافقة الفريقين»[1].

نلاحظ أن نصوص مطالب الشريف الحسين القومية لم تخرج عن تلك المطالب القومية التى أجمع عليها زعماء العرب فى الإعلان أو الميثاق الصادر من «دمشق» وحملوها كأمانة إلى الشريف الحسبن الذى كان فعلا أمينا فى نقل تلك المطالب القومية للعرب بحذافيرها وحدودها السياسية مع جيرانها مثل تركيا وإيران.

أدت المفاهيم السياسية والاقتصادية الجديدة بعد الحرب العالمية الثانية مثل حلف «وارسو» وحلف «الأطلسى» و«السوق الأوروبية المشتركة»، إلى التغيير من وظائف الحدود إلى التقليل من أهمية الحدود بين الدول التى تعتنق نفس الأفكار والتوجه مما أدى إلى افتقاد الحدود المشتركة بين تلك الدول من وظائفها وأهميتها السياسية والعسكرية، وأن الاتجاه السائد هو محاولات الربط والتوحيد بين الدول عن طريق التقليل من قيود الحدود من النواحى السياسية والعسكرية والاقتصادية بإنشاء الاتحادات وعقد الاتفاقيات الاقتصادية والأحلاف العسكرية مما عمل على

1 - F. O. 371 - 2486 (125293) Ibid.

تخفيف القيود والحدود الاقتصادية داخل دول التكتل الاقتصادى أو السياسى أو العسكرى، كذلك سهل انتقال الاشخاص داخل ذلك النطاق بحرية.

نجد فى الدول ذات التكتلات الاقتصادية أو السياسية أو العسكرية وخاصة فى الدول التى تتشابه نظمها السياسية والاقتصادية فى مثل هذه الدول التى تنتمى لهذه التكتلات تقل قيمة الحدود كحواجز بين الدول وكقيود اقتصادية وقد أدت هذه التطورات إلى تغير أساسى فى وظيفة الحدود بل فقدت جزءاً من تلك الوظيفة وتغيرت الأفكار التى كانت تعتبر القوة أساسا لتسوية حدود «شط العرب»، ويمكن حل تلك المشاكل بالطرق السلمية أو السياسية أو التكتلات الاقتصادية، وذلك نتيجة للآثار الاقتصادية والاجتماعية التى تخلفها الحروب من أجل الحدود السلبية أو السيئة.

مشاكل الحدود السياسية فى مجلس التعاون:

تعد منطقة دول مجلس التعاون فى حدودها السياسية نموذجا لمشاكل الحدود، وهذه المشاكل خلفتها من الاستعمار المسيحى البريطانى الذى صنع هذه الحدود وللأسف الشديد لم تستطع تجاوزها، والحل الوحيد لتجاوزها هو فتح الحدود أو سياسة الحدود المفتوحة مع التوجه بشكل سريع نحو تطبيق نظام الاتحاد وتوحيد مؤسسات السيادة الخارجية مع إبقاء المؤسسات ذات السيادة الداخلية تحت سيطرة دولها الأعضاء، وعدم التطرق إلى قضية الحدود إلا فيما بعد حيث تصبح أمراً واقعا ولكن من الناحية الإدارية الصرفة وليس السياسية، وذلك مثلما حدث بالنسبة لحدود الإمارات التى يتشكل منها اتحاد دولة الإمارات العربية المتحدة.

ظهرت فكرة الحدود فيما بين دول مجلس التعاون مع مجىء الشركات البترولية للدول المسيحية الرأسمالية وخاصة البريطانية والأمريكية، وإن كانت فكرة الحدود موجودة بالنسبة للقبائل العربية الكبيرة فيما يعرف بمنطقة حدود المراعى فى

فصل الشـتاء وذلك حسب قـوة القبـيلة ونفوذها وامكانياتـها فى الاحتـفاظ بتلك المراعى التى تشكل مـصدر رزقها مـن الناحية الاقـتصادية وبالتـالى تجب المحافظة عليها من الناحية العسكرية ولكن حدوداً سيـاسية وإنما قابلة للتغير بسبب الظروف الطبيعيـة أى حدود مؤقتة وخاصة كان يتـم تحديد هذه الحدود عن طريق آبار المياه التى يرتادها رعاة الإبل.

تعتبر بريطانيـا صاحبة فكرة الحدود السياسـية والتى كانت تهدف من وراءها إلى السـيطرة والهيـمنة على مقـومات أبناء الجـزيرة العربيـة وذلك بعدمـا وقعت اتفاقيات منح الامتيازات حكام المنطقـة قبل الحرب العالمية الأولى ومع نهاية الحرب بدأت بريطانيا فى رسم مناطق الحدود، حيث بدأت مع الدولـة العثمانية أولى هذه الاتفاقـيات والتى تسمى بالاتفـاقية الأنجلو ـ عـثمانيـة لعام 1913 والمعروف بالخط الأزرق وكذلك بالخط البنفسجى لعام 1914 لتقسيم الحدود الجنوبية الشرقية للجزيرة العربية بين نجد وأبوظبى وحضرموت وعدن وعمـان. ثم جاءت اتفاقية العقير لعام 1922، لتقـسيم الحدود الشمـالية الشرقيـة للجزيرة العربيـة بين الكويت والعراق والسعـودية. ثم أفرخت هذه الاتفـاقية أطفـالها فـيما بعـد والتى شكلت ولاتزال تشكل مشاكل سياسية واجتماعية واقتصادية.

فرضت اتفـاقيات الحدود السيـاسية واقعًـا جديداً، وهو تقسيم السـيادة بين رؤساء وشـيوخ القبـائل حتى يتم مـحاسبـة صاحب الشـأن الذى يقع فى حدوده مشاكل للعـاملين والموظفين التابعين للشـركات البترولـيـة ولحماية أرواح وممتلكات الشركـات الرأسمالية المسـيحية الغـربية أولا، ثم حمـاية المصالح البتروليـة ثانيًا، وحرص كل إمـارة أوشيخ قـبيلة على الحـصول أكبـر مساحـة ممكنة من الأراضى لنفسها على أمل أن تزيد من ثروتها البترولية الكامنة ثالثًا.

ومن هنا كانت ظهور مشاكل الحدود، لأنها رسمت بطريقة عفوية واعتباطية

بجرة قلم فى داخل الخيام، دون معرفة المناطق على الطبيعة، وعدم مراعاة حقوق الطبيعة وخاصة الاجتماعية للقبائل العربية التى تم تقسيم الحدود السياسية فيما بين مناطقها، وبالتالى أجبرتها على البقاء داخل الحدود التى رسمت من حولها ومنعها من الانتقال عبرها، علما بأن القبائل اعتادت على الحرية والتحرك والانتقال من منطقة إلى أخرى وعدم حيازتها لجوزات السفر أو التأشيرات لكى ترعى إبلها أو الخضوع لسيادة أحد، وإنما تنقل سيادتها بنفسها وبحريتها المطلقة من شيخ قبيلة كبيرة إلى أخرى وبالتالى تنتقل السيادة معها على المراعى التابعة لهذه القبيلة الجديدة من الناحية الاجتماعية والاقتصادية إلى الجهة التى يخضع شيخ القبيلة نفسه وبالتالى ينتقل ولاء أفراد قبيلته أيضا إلى الوضع الجديد، أى أن حدود المراعى قابلة للانتقال من شيخ إلى آخر، علما بأن هناك مراعى كبيرة جداً للقبائل الكبيرة مثل قبيلة «العجمان» التى تمتلك معظم مساحات منطقة «الأحساء» الكبيرة والغنية بالنفط، وكذلك قبائل «الشمر» التى تمتد من «حائل» فى نجد إلى منطقة «ديار بكر» و«ماردين» فى جنوب تركيا، وكذلك قبائل «العوامر» و«الكثير» و«المناهيل» التى تمتلك منطقة الربع الخالى ذات الحجم الكبير والموحشة والمخيفة والغنية بالنفط فى وقت واحد وتمتد من أبوظبى وعمان وحضرموت.

اكتسبت مشاكل الحدود أبعاداً خطيرة فبين الحين والآخر تثار هذه المشاكل على السطح وتعكر الأجواء الأخوية وتؤدى إلى سباق التسلح مما يؤثر على التنمية الداخلية، وماسمعناه عن الخلاف الحاد بين قطر والسعودية هو أبلغ مثال على خطورة الموضوع الذى يشكل خطر كبيرا على مستقبل مجلس التعاون، خاصة فى وقت يواجه هذا المجلس تحديات كبيرة وخطيرة وخاصة من الأطماع الإيرانية فى الجزر العربية مما قد يعطى فرصة أكبر لبقاء القوات المسيحية الغربية الأمريكية. كما لاننسى المشكلة التى ظهرت أخيرا حول حقل «الشيبة» الذى يعتبر من أضخم حقول النفط فى العالم حيث يبلغ انتاج البئر الواحد حوالى نصف مليون طن يوميا

وهى تقع فى منطقة «الكدن» التابعة لقبيلة «العوامر» وهم من رعايا أبوظبى. وقد يكون ما قرأناه وماسمعناه عن هذه الخلافات سببا فى رغبتنا فى معرفتها، وسوف نورد بعض الأمثلة على مشاكل ومناطق الحدود.

أولا: الحدود الكويتية السعودية:

تحديد الحدود السياسية بين إمارة نجد والكويت والعراق كانت هى الشغل الشاغل للاستعمار المسيحى البريطانى بعد انتهاء الحرب العالية الأولى، والذى كان يسيطر على المنطقة بدون منازع بعد هزيمة الدولة العثمانية، وكانت الكويت تحت حمايتها بموجب اتفاقية 1899، وكانوا يحتلون العراق، وكانت السيطرة المسيحية البريطانية قوية على إدارة «نجد» وأميرها ابن سعود الذى طلب من بريطانيا الحماية بموجب اتفاقية دارين لعام 1915، وكانوا يمدونه بالسلاح والمال أثناء وبعد الحرب العالمية الأولى وهو معهم وحليفهم ضد الدولة العثمانية، وكانت الحكومة البريطانية قد وقعت مع الدولة العثمانية اتفاقية عام 1913 والتى حددت فيها النفوذ البريطانى والعثمانى فى شرق الجزيرة العربية، والتى رسمت فيها حدود إمارة الكويت وإمارة نجد وقطر وأبوظبى وعمان، وكانت بريطانيا تعتبر تلك الحدود هى حدود الكويت منذ عام 1913 حتى اتفاقية العقير عام 1922، وكانت حدود الكويت بموجب تلك الاتفاقية تصل جنوبًا إلى جبل «منيفة» وعلى مسافة تبعد نحو مائة وستين ميلا جنوبا عن حدود الكويت الحالية مع السعودية وكذلك إلى الغرب حتى «حفر الباطن».

رأى المندوب السامى القائد المسيحى البريطانى فى العراق المحتل، أن يوضح الحدود السياسية للكيانات القطرية الثلاث، وذلك من أجل حماية المقدرات البترولية وإعطاء الامتيازات للشركات المسيحية الاستعمارية، وكان القائد البريطانى فى العراق المحتل «بيرسى كوكس» حريصا على ذلك لكى يستطيع العراق توقيع

اتفاقيـات خاصة بنفط «الموصل» بالذات، ومن هنا كانت اتـفاقية المحمـرة المعقودة يوم 5 مايو عام 1922، والتى أوضحت الحدود السعودية ـ العراقية، ووافق عليها ابن سعود الذى يعود وينتقضها بعد قليل من نفس العام، ولما رأى السير ـ «بيرسى كوكس» القائد البريطانى فى العراق المحتل، موقف صديقه العزيز ابن سعود، قرر دعوة الأطراف المعنـية وعقـد اتفاقيـة «العقـير» فى يوم 2 ديسمـبر 1922، والتى حجـمت فيها حـدود الكويت وعادت بها إلى الوراء بنحـو مائة وستين مـيلا من الجنوب والغرب، أى أنهـا لم تبق حدودها كمـا رسمتـها اتفاقـية 1913 الأنجلو ـ عـثمـانية سـوى الثلث فقط، وقـد ضم الثلثـين ذلك الجزء المقـتطع من الكويت لممتلكات أمير نجـد ابن سعود، كما رسمت تلك المعاهدة منطقـتين محايدتين بين الكويت والسعودية من جهة الجنوب، والعراق والسـعودية فى الشمال، وتم تقسيم المنطقة المحايدة بين الكويت والسعودية عام 1964.

ثانيا: الحدود القطرية البحرينية:

كان الخلاف على جـزر «حوار» قائما بين قطر والبحرين حـتى صدور قرار محكمة العدل الدولية لإنهائهـا، وقد بدأت هذه المشكلة فى الظهور فى شهر مايو 1938. إن اكتشاف النفط وعمليات الـتنقيب عنه هى التى لفتت الأنظار إلى أهمية «حـوار» ومن هنا بدأت وتطورت وذلك عندمـا بعث حاكم البـحرين برسـالة إلى المعـتمـد البريطانى بأن جـزر «حوار» سـتدخل فى مـفاوضـات النفط فى أراضى البحرين التى لم تكن ضمن امتياز عام 1925، وقد أكدت إحدى اللجان البريطانية المشكلة لدراسـة الموضوع عـام 1936 بأن «حـوار» تبـدو وكأنهـا تخص حـاكم البحرين. وبدأت المشكلة عندما أعلن المقـيم السياسى البريطانى «أنه من الملائم أن تعطى حـوار للبحـرين»، وقـد احتج حـاكم قطر على ذلك، وأرسلت الحكومـة

البريطانية فى 11 يوليو 1939 رسالة إلى شيخ قطر ابلغته فيها بأنها ترى أن جزر «حوار» تتبع دولة البحرين وليس لدولة قطر[1]. ومن هنا بدأت التجاوزات بين قطر والبحرين بسبب القرار البريطانى الذى وضع جزيرة «فشت الديبل» أيضا بطريقة غير واضحة برغم ضمهما للبحرين.

عادت مشكلة الحدود القطرية البحرينية إلى الظهور من جديد، عندما طالبت قطر بهذه الجزر فى أواخر الثمانيات، واعتبرت هذه الجزر جزءاً من المياه الاقليمية القطرية، فاستنكرت البحرين هذا العمل وكادت الحرب أن تقع بين قطر والبحرين فعلا لولا تدخل بعض دول مجلس التعاون وكذلك بعض الدول العربية وتهدئة الأوضاع فعادت الأحوال إلى ما كانت عليه من قبل[2] ولكن لحسن الحظ أن هذه المشكلة تم حلها أمام المحكمة الدولية فى لاهاى.

ثالثا.الحدود السعودية.العمانية.الظبيانية:

عرف النزاع الحدودى الذى حدث بين السعودية من جهة وعمان وأبوظبى من جهة ثانية باسم «واحات البريمى»، وشمل منطقة واسعة تبلغ مساحتها 7,300ك.م مربع وذلك خلال الفترة الواقعة مابين 1925 ـ 1955 ثم ظهرت من جديد فى السبعينات وهدأت ولكنها لم تحل نهائيا وإنما تثار من حين لآخر.

اتسمت فترة مابين الحربين بظهور مشكلات الحدود بين الكيانات القائمة على امتداد الساحل الشرقى للجزيرة العربية وسببها راجع إلى بدء الشركات البترولية التابعة للدول المسيحية الاستعمارية وخاصة بريطانيا وأمريكا فى الحصول على امتيازات البترول وبات التنافس على أشده فيما بينهما والتى لقيت التأييد

(1) د. عبدالعزيز المنصور ـ التطور السياسى لقطر ص 166.

(2) جريدة القبس ـ الكويت ـ 7/ 3/ 1989.

والمؤازرة من الكيانات التابعة لها للحصول على امتيازات البترول فى شرق الجزيرة العربية.

تم وضع حدود إمارة نجد فى العراق فى بروتوكول ملحق بمعاهدة «المحمرة» التى أبرمت فى 2 ديسمبر 1922، كما تم وضع حدود إمارة نجد مع الكويت فى معاهدة العقير فى نفس العام، وكان ابن سعود قد اتفق مع السير «برسى كوكس» القائد البريطانى فى العراق المحتل فى «العقير» عام 1922 على أن «الخط الأزرق» الذى نصت عليه اتفاقية الأنجلو - العثمانية السابقة هو الحد الفاصل فى الحدود الشرقية لإمارة نجد، وكانت هذه الاتفاقية قد تعرضت لحدود إمارة «نجد» الشرقية والجنوبية، حيث يمتد خط الحدود طبقا لذلك من جزيرة «الزخنونية» جنوب «العقير» إلى الربع الخالى، ويفصل هذا الخط إمارة «نجد» عن قطر وأبوظبى وعمان وحضرموت وكانت جميعها خاضعة للنفوذ البريطانى، حيث أن عمان وأبوظبى قد وقعتا اتفاقية «المانعة» لعام 1892 وإمارة «نجد» تحت حكم ابن سعود وقعت اتفاقية «دارين» لعام 1915 والتى بموجبها طلب الحماية والخضوع لبريطانيا ثم قطر عام 1916.

نصت اتفاقية «دراين» لعام 1915 فى مادتها السادسة على امتناع ابن سعود عن كل تجاوز وتداخل فى أراضى مشايخ عمان وساحل عمان الخاضعتين للحماية البريطانية والمرتبطين بروابط تعاهدية مع الحكومة البريطانية والتزم ابن سعود بذلك ولكن مجيء الشركات الأمريكية وسعيها لتوسيع مناطق الامتياز على حساب أراضى أبوظبى الخاضعة لبريطانيا أدى إلى إثارة مشاكل الحدود.

منذ نهاية عام 1932 وبداية 1933 بدأت مشاكل الحدود تظهر عن طريق الشركات البترولية الأمريكية والبريطانية، نتيجة لمصالح الشركات البترولية ومن ثم

مصالح دولها التى تقف وراءها، ويبدو أن السبب المباشر فى مشاكل الحدود بدأ عندما منح ابن سعود أول امتياز لشركة كاليفورنيا الأمريكية فى الخامس من مايو 1933، ثم توسعت الشركة وغيرت اسمها إلى «أرامكو» التى لعبت دوراً خاصا وفريدا من نوعه فى تاريخ البترول ومشاكل الحدود وذلك لسببين أولا: يعود إلى اللون المسيحى الأمريكى الخالص للشركة فى منطقة كانت مغلقة فى وجه الجميع من قبل الاستعمار البريطانى، والسبب الثانى الاهتمام السياسى والاقتصادى الأمريكى القوى بهذه المنطقة منذ أن تأكد للاختصاصيين الأمريكيين أن السعودية تمتلك احتياطيا غزيرا أو كبيراً من النفط[1].

عندما منح الامتياز للشركات الأمريكية فإن حكومة الولايات المتحدة بادرت خلال الشهور التالية على الفور إلى الاستفسار عن حدود «ابن سعود» الفعلية للامتياز من الحكومة التركية أولا ثم البريطانية ثانيا مما يعنى تجاهلا لمركز ابن سعود الدولى[2]. وقد يكون استفسار الحكومة الأمريكية من تركيا راجعا لكون ابن سعود كان تابعا دوليا على سنجق نجد والأحساء حيث اعترف ابن سعود بالسيادة العثمانية على نجد والاحساء بموجب اتفاقية «الصبيحية لعام 1914»، كما لم يعلم ابن سعود عن الاستفسارات الأمريكية إلا عن طريق المفوض البريطانى فى «جدة» بعدما ردت الحكومة البريطانية عن طريق السفارة الأمريكية فى لندن فى الرابع والعشرين من أبزيل عام 1934 «بأن الحدود الشرقية للسعودية هى الخط الأزرق الموضح فى الميثاق الانجليزى ـ العثمانى لعام 1913 ـ 1914، وبأن ابن سعود خلف السيادة العثمانية على المناطق الواقعة إلى الغرب والشمال الغربى من هذا الخط

(1) جورج لونزوسكى ـ البترول والدولة ص28.

(2) د. جمال زكريا قاسم ـ الخليج العربى ـ دراسة لتاريخه المعاصر 45 ـ 1971 ـ ص327.

[1] وأن الحكومة الأمريكية ارتضت بهذا البيان البريطانى ولم تعد إلى إثارة الموضوع مرة أخرى[2].

أرسلت شركة «أرامكو» عام 1949 فريقا من رجالها للقيام بعمليات المسح والتنقيب ومعهم قوات من الجيش السعودى لحمايتهم [3]. وتوغل مهندسوه إلى سبخة مطى داخل أراضى أبوظبى[4] مما أثار استياء وغضب شيخ أبوظبى الذى أبلغ المعتمد البريطانى الذى أرسل فريقا من الضباط والشيخ هزاع بن سلطان شقيق الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان رئيس دولة الإمارات العربية المتحدة والشيخ حمدان بن محمد إلى منطقة الحادث وقدم الضابط البريطانى احتجاجا من حاكم أبوظبى الذى يعتبر وجود الفريق الأمريكى اعتداءا على بلاده ولاسيما أنه كان يضم قوات سعودية وطلب إليه الانسحاب دون إبطاء[5].

يمكن ربط موضوع التدخلات الأمريكية فى شئون ومشاكل الحدود السياسية لاكتشاف الشركات الأمريكية أكبر حقول النفط فى العالم وكذلك أكبر احتياطى مما يمكن اعتماد الأمريكان عليها مستقبلا مما يضمن رفاهية الشعب الأمريكى المسيحى على حساب الشعب العربى المسلم وتفوق أمريكا وذلك مرورا بدخول الأمريكان فى النواحى العسكرية وإقامتهم قاعدة «ظهران» الجوية الضخمة عام 1945 واستخدامها فى الحرب الكورية[6]. ومن هنا وقفت أمريكا المحرض الأول

---

(1) جى. بى. كيلى. الحدود الشرقية للوطن العربى - ص190.

2 - Clarence C. Mann - Abu Dhabi Brith of an Oil Shaikdom. Buirut. 1969 - P. 14.

3 - Clarence C.Mann - Ibid - P 81.

(4) د. محمد رشيد الفيل - أهمية الخليج العربى ص40.

(5) جى . بى - كيلى - المرجع السابق ص222.

(6) د. جمال زكريا قاسم - دراسة مسحية لتاريخ الإمارات - ص259.

للسعودية بغية الحصول على مكاسب إقليمية عن طريق الحدود مما يعنى حصول الشركات المسيحية الأمريكية على حقول النفط الغنية فى أبوظبى، وبدلا من أن تتجه تلك الحقول النفطية إلى بريطانيا فإنه يجب أن تتجه إلى أمريكا عن طريق الحدود السياسية السعودية حتى ولو كانت صاحبة الشأن أقرب أقربائها وحليفها القوى بريطانيا، لأن البترول يعنى الشيء الكثير لأمريكا وبعد الانسحاب البريطانى من الخليج العربى أعلنت أمريكا أن السعودية ومصالحها البترولية فى الخليج العربى تعتبر من الأمن القومى الأمريكى وهذه الرسالة كانت ومازالت موجهة للجميع سواء الاتحاد السوفيتى أو حليفتها فيما مضى قبل انهيارها بريطانيا وهذا ما لم يفهمه العراق عند غزوه الكويت حيث المصالح المسيحية الأمريكية. كما هو موجه أيضا إلى إيران حاليا لعلها تفهم الدرس جيداً، وكذلك الشعب العربى بكل آلامه وآماله المحطمة لكى يفكر فى كيفية النهوض وحل هذه الإشكالية الأمريكية التى لاتعنى الحدود السياسية وإنما أبعد بكثير من هذا ألا وهو «النفط» المحرم على العرب مع وقف التنفيذ.

لاحظنا كيف أن شركات البترول المسيحية الأمريكية هى التى تقف وراء إثارة مشاكل الحدود السياسية العربية - العربية فى شرق الجزيرة العربية الغنية بالنفط، كما أن الحكومة الأمريكية بدأت تتدخل فى شئون المنطقة العربية عن طريق السعودية ومساعدتها فى مطالبها مما جعلها تطالب بأراضى ومناطق كثيرة تابعة لأبوظبى وعمان، وأن الذى استمر فى اعطاء ذلك الانطباع هو دعم أمريكا للسعودية رغبة منها فى تقليص الوجود البريطانى وبالتالى ترثها أمريكا كما هو الآن والذى جاء بعد السياسة الأمريكية الخفية للسيطرة على مقدرات المنطقة البترولية واستغلالها لصالحها دون العرب أو حتى بريطانيا إلى درجة أن «جون فوستر دالاس» وزير خارجية أمريكا وصف الموقف البريطانى فى «البوريمى» بأنه موقف عدائى ومما زاد فى تأكيد الانطباع بالسيطرة الأمريكية هو أن سيارات شركة «أرامكو» هى التى حملت القوات السعودية وأسلحتهم إلى «البوريمى» وأن

الدكتور جورج ريتتيز Rentz الموظف الأمريكى الكبير فى الشركة الأمريكية والمستشرق الأمريكى المعروف هو الذى صاغ جميع مذكرات السعودية فى هذا النزاع، كما أشرف على وضع المذكرة السعودية الاستاذ عبدالرحمن عزام الأمين العام لجامعة الدول العربية.

بدأت التغيرات تظهر على السطح من جديد حيث عملت الولايات المتحدة وبريطانيا على حماية مصالحها بعد تطور نفوذ الشركات الأمريكية فى السعودية والتى أصبح لها دور فعال فى مشاكل الحدود العربية ـ العربية، وخوفا من احتلال السعودية أراضى جديدة من أبوظبى وعمان والتى وجدت فيها كميات كبيرة من البترول وخوفا من أن تأخذها الشركات الأمريكية العاملة فى السعودية والتى كانت وراء تلك المشاكل وبذلك تكون بريطانيا قد فقدت مصالحها فى أبوظبى وعمان، لذلك نرى أن البريطانيين قد تمسكوا بالحقوق الخاصة لحاكم أبوظبى وعمان من اعتداءات السعودية التى تقف وراءها الولايات المتحدة التى كانت تحافظ على موطئ القدم الذى حصلت عليه فى السعودية وإيران بعد عودة الشاه فى الانقلاب المضاد ضد مصدق ثم فى الكويت بعد إخراج العراقيين منها وأصبح الخليج العربى حاليا بحيرة نفط أمريكية وخاصة بعد إنشاء القواعد العسكرية فى «الظهران»، وجدير بالذكر أنه تم تجديد عقد تلك القواعد الأمريكية فى السعودية عام 1951 وتعهدت أمريكا بتدريب وتسليح الجيش السعودى كما حصلت على امتيازات كبيرة لجيشها فى السعودية[1].

أمدت شركة أرامكوا السعودية بخدمات القسم الخاص بالابحاث التابع لها مما يؤكد أهمية العلاقات المترابطة بين شركة «أرامكو» الأمريكية والسعودية والحكومة الأمريكية، وفى العام التالى أرسلت السعودية جيشها فى عام 1952[2]

(1) د. صلاح العقاد ـ التيارات السياسية فى الخليج العربى ـ ص377.
(2) Claronce C. Mann - Op. Cit. P. 83.

لاحتلال منطقة البريمى حيث وصلت واحتلت البريمى فى 31 أغسطس 1952[1].
وبعد فشل المحاولات للتوصل إلى حل المشكلة، أبلغ القائم بالأعمال البريطانى فى «جدة» فى 26/ 10/ 1955 موقف حكومته: «بأنه نظراً لتحطم الآمال فى الوصول إلى تحكيم عادل فلقد نصحت الحكومة باستئناف سيطرة شيخ أبوظبى على المناطق الغربية أيضا، وزحفت قوات الحاكمين فى صباح نفس اليوم وأرغمت الجيش السعودى على الاستسلام وقد أصيب بعض الجنود السعوديين أثناء القتال وبعد ذلك تم اطلاق سراح الجيش السعودى الذى غادر إلى السعودية[2].

أعلن السير أنطونى إيدن رئيس وزراء بريطانيا الأسباب التى دعت حكومته إلى اتخاذ هذا القرار لمجلس العموم فى ساعة لاحقة من يوم 26/ 10/ 1955 ثم اختتم حديثه بقوله: «إن الحدود بين السعودية وأبوظبى ستعتبر منذ الآن قائمة عند خط الرياض وبعد تعديله فى عام 1937 ولن تسمح بريطانيا بعبور هذا الخط من جانب السعوديين براً أو جوا دون إذن[3].

يعلق الدكتور العقاد على تلك المشاكل بقوله: «بأن الإجراء العسكرى الذى اتخذته بريطانيا عام 1955 وفرضت بواسطته حل نزاع الحدود لصالح المشيخات التابعة لها لم يترك أثراً على علاقاتها بالولايات المتحدة بدليل أن الأخيرة تركت لها فى نفس العام أى عام 1955 مهمة تزعم حلف بغداد» [4] وإننا نرى أن ما يقوله العقاد حول «أن الحل كان لصالح أبوظبى أى المشيخات» غير صحيح حيث إن بريطانيا نتيجة للضغط الأمريكى والدور الذى لعبته الشركات البترولية الأمريكية فإنها تنازلت للسعودية عن مساحات واسعة من أراضى أبوظبى تعادل أكثر ثلاث

(1) Claud Marris - The Desert Falcon - P. 42.
(2) جى . بى . كيلى ـ المرجع السابق ص303.
(3) جى . بى . كيلى ـ نفس المرجع ص315.
(4) د. صلاح العقاد ـ المرجع السابق ص 379.

مرات من مساحات دولة الإمارات الحالية أى أن الخط «الأزرق» والبنفسجى الذى رسم الحدود السياسية بموجب اتفاقية الأنجلو ـ العثمانية لعام 1913 والذى بموجبه كان حدود أبو ظبى يمتد إلى حدود حضرموت الكبرى هو الخط الفاصل بين السعودية وأبوظبى حيث فرضت بريطانيا على أبوظبى ما طلبه السعوديون فى خط «الرياض» مع تعديل طفيف لعام 1937، وبذلك فقدت إمارة أبوظبى مساحات كبيرة نظرًا لوقوف أمريكا بكل قوة مع السعودية.

يعلق الدكتور جمال زكريا قائلا: «إن السعودية قد استندت على تأييد الحكومة الأمريكية لها، ولذلك تمسكت فى تقريرها الرسمى الذى قدمته إلى الأمم المتحدة فى عام 1955. وفى الوقت نفسه حرصت السعودية على تصوير صراع البريمى باعتباره صراعا بين قومية عربية تمثلها السعودية ونظام تقليدى يمثله كل من حاكم أبوظبى وعمان»[1].

ولكننا نلاحظ أن اعتماد السعودية على الدور الأمريكى كان كبيرا حيث أدت نتائجه إلى تدخل الرئيس الأمريكى «أيزنهاور» الذى لم يرض بما حصلت عليه السعودية من مساحات كبيرة جدًا إلى الجنوب من الخط الأزرق لعام 1913 والذى يعادل أكثر ثلاث مرات من مساحة دولة الإمارات الحالية وإنما طالب مزيد من الأراضى لصالح السعودية وطلب من المستر «إيدن» رئيس الوزراء البريطانى فى شهر فبراير 1956 بأن يكون معتدلا فى خططه وذلك حفظا للسلام فى الشرق الأوسط ومحاولة العودة إلى المفاوضات المباشرة مع السعودية، ولكن العدوان الثلاثى على مصر غير كل شىء لأن السعودية أعلنت فى 6 نوفمبر 1956 تحت ضغط الشارع العربى وقوة الزعيم الراحل جمال عبدالناصر زعيم الأمة العربية، قررت السعودية قطع علاقاتها الدبلوماسية مع بريطانيا[2]، ولكن فى أغسطس عام 1959 بدأت المباحثات بين الجانبين البريطانى برئاسة المستر «هارولد بلى»

(1) د. جمال زكريا قاسم ـ المرجع السابق ص231.

(2) د. جمال زكريا قاسم ـ نفس المرجع ص361.

و«عبدالرحمن عزام» الممثل الشخصى للملك سعود، وذلك بعد الزيارة التى قام بها ملك السعودية إلى واشنطن ونتج عنها تجديد اتفاقية القواعد الأمريكية فى الظهران[1].

استمرت المفاوضات السعودية ـ البريطانية حول الحدود مع أبوظبى حتى عام 1960 وتقرر إرسال لجنة تقصى الحقائق برئاسة دى ربنج Derbbing السفير السويدى فى أسبانيا ولكن قيام ثورة اليمن فى 1962 أحدث تبدلا جذريا فى الموقف السعودى إذ توقفت السعودية عن مطالبها فى أبوظبى واتجهت إلى إعادة العلاقات الدبلوماسية مع بريطانيا فى يناير 1963 وأصبحت مشكلة «البريمى» بعد ذلك فى طى النسيان حيث اعتبرت منتهية واقعيا وقانونيا بالنسبة لأبوظبى وعمان[2]. ولكنها عادت إلى الظهور عام 1971 عندما استقلت وأعلنت دولة الإمارات العربية المتحدة ورفض الملك فيصل الاعتراف قبل الرضوخ إلى المطالب السعودية أى أن المشكلة عادت من جديد ولم يتم حتى الآن تخطيط الحدود والتصديق عليها بين حكومة الإمارات العربية المتحدة والمجلس الأعلى الاتحادى وكذلك المجلس التشريعى حتى يتم حل هذه المشكلة وإيداع خرائط التخطيط الحدودى لدى الأمم المتحدة والتى نتمنى أن يتم حلها بطريقة عادلة وأن لاتعكر أجواء مجلس التعاون وأن تستمر المسيرة الاتحادية بين الأقطار العربية دون غبن لأى طرف عربى، وبذلك يمكن القول بأن مشاكل الحدود السياسية العربية ـ العربية من أهم عوائق التقلب كما أن القوى الخارجية والشركات المسيحية الغربية البترولية تلعب دورا أساسيا فى إثارتها بغية الحصول على مكاسب مادية وبترولية من خلال امتيازات التنقيب عن النفط، أى أن النفط الذى تستفيد منه الدول الرأسمالية الاستعمارية أكثر من الشعب العربى يشكل اليوم قنابل موقوتة من خلال مشاكل الحدود السياسية فى الجزيرة العربية.

والله ولى التوفيق.

---

(1) د. صلاح العقاد ـ المرجع السابق ص337.

(2) د. جمال زكريا قاسم ـ المرجع السابق ص263.

الفصل السابع



وضعية الدراسات العثمانية فى الخليج العربى 1979 - 1999

قدم إلى المؤتمر الثالث عشر لتاريخ تركيا - مجمع التاريخ التركى - أنقرة 4 ـ 8 أكتوبر 1999.

وضعية الدراسات العثمانية فى الخليج العربى 1979-1999

مقدمة

الحمد لله والصلاة على سيدنا وحبيبنا محمد ﷺ وعلى آل بيته الطاهرين الأخيار وبعد.

نجد انه برغم أهمية التاريخ الطويل، الذى يجمع العرب والأتراك تحت فضاء الدولة العثمانية والذى يبلغ خمسة قرون، وبرغم الجوار الجغرافى والإرث التاريخى والرباط الحضارى الإسلامى، إلا ان وضعية الدراسات العثمانية فى الوطن العربى بصفة عامة وفى الجزيرة العربية بصفة خاصة لم تكن على تلك المستوى. إلا أنها حققت فى العشرين سنة الأخيرة تقدمًا ملحوظا وسريعا، استطاعت ان تعيد ذاكرة القرون الماضية، مما يعنى أن رباط الدين الإسلامى من أقوى الروابط التى تجمع القوميتين العربية والتركية تحت مظلة الإسلام. ومن هنا تكتسب وضعية الدراسات العثمانية فى الجزيرة العربية، أهمية خاصة فى هذه الفترة، وبالذات بمناسبة الاحتفال بمرور سبعة قرون على قيام الدولة العثمانية، هذه الدولة التى شكلت هاجسًا فى الغرب الأوربى المسيحى بعد ما سيطرت على أوربا الشرقية، كما شكلت جدارًا واستطاعت ان تمنع الاحتلال الصليبى الأوروبى حتى اصابها الضعف فى الجبهة الغربية التى كانت تسمى دار الكفار أو دار الكفر والجهاد، وتكالب عليها أعداؤها من الخارج، ولكنها صمدت، ولكن أعدائها من الداخل كانوا أقوى، فانهارت كما استطاع الاستعمار الأوربى أن يحتل أجزاء كبيرة من أقاليمها فى ضعفها.

للتاريخ أن ينصف الدولة العثمانية المفترى عليها، والتى حاربت كثيرا

لتحمى أمتها الإسلامية من الغرب المسيحى الذى لم يشن عليها حربًا عسكرية وسياسية فقط، وإنما أيضا حربًا ثقافية وفكرية، ويجب على أبناء أمة الإسلام أن يعيدوا أمجادها، وأن يقيموا وضعية الدراسات العثمانية عامة وفى الجزيرة العربية خاصة، وذلك بعد أن تعلم أبناء الجزيرة العربية بعدما كان الاستعمار المسيحى البريطانى قد فرض عليهم عزلة سياسية وثقافية، مما عانى منه الشعب العربى كثيراً فى الجزيرة العربية من الجهل والفقر المدقع. والآن وقد تحسنت الظروف المادية بسبب تدفق النفط، وتعلم أبناؤها فآن لهم أن يعيدوا الحق العثمانى إلى نصابه، ومن هنا جاءت هذه الدراسة العثمانية لتقيم حصيلة تلك الدراسات خلال العشرين سنة الماضية، وقد اقتصرنا فى دراستنا على الباحثين الذين ساهموا فى الدراسات العثمانية بصفة عامة، والجزيرة العربية بصفة خاصة من أبناء الجزيرة العربية، وذلك لكى يتسنى لنا معرفة ما مدى مساهمة أبناء المنطقة فى الدراسات العثمانية، إضافة إلى أن دراسة جميع البحوث العثمانية من الباحثين الآخرين غير أبناء الجزيرة العربية يحتاج إلى جهود كبيرة برغم قلتها، فى حين أن دراسة أبناء المنطقة قد يكون أيسر من الآخرين فى دراسة الأبحاث العثمانية عن المنطقة.

تتناول الدراسة بالتقويم والتحليل رصد جميع ما نشر فى الجزيرة العربية من دراسات وأبحاث تتعلق بالدولة العثمانية والبلاد التى امتد إليها نفوذها، والعلاقات العربية - التركية فى الفترة ما بين 1979 - 1999. ويهدف البحث إلى التعرف على طبيعة وسمات هذه الدراسات، والكم الإنتاجى لها، ومدى مشاركة الهيئات العلمية والجامعات، ونصيب الباحثين فى الجزيرة العربية وغيرهم فيها، وإبراز تطور الدراسات التاريخية فى الجزيرة العربية، ثم عرض وتحليل ونقد مختارات من البحوث والدراسات التاريخية الواردة فى البحث لمعرفة واقع هذه الدراسات. تدور محاور هذه الدراسة حول النقاط التالية، رصد الإنتاج من الأبحاث والدراسات

العثمانية فى الجامعات ومراكز البحث ودور النشر والمجلات والدوريات المتخصصة، وصف وتحليل التوزيع الموضوعى والنوعى لهذا الإنتاج. التعرف على مدى إنتاجية كل قطاع. اختيار نماذج للدراسات العثمانية فى مجال التاريخ.

استخدم المنهج المسحى والتحليلى لوضع حصر «ببليوجرافى» شامل لجميع ما نشر فى الجزيرة العربية فى الفترة 1979 - 1999 من دراسات وأبحاث لها علاقة بالدراسات العثمانية فى مجالات التاريخ والسياسة والأدب والثقافة، والتراجم والمذكرات والجغرافيا والرحلات وغيرها من المجالات الأخرى، ولتنظيم البحث روعيت الأمور التالية: وضع دراسة خاصة بالتوزيع الموضوعى، والنوعى ونسب كل منهما، وأخرى لتوضيح إسهام المؤسسات «الأكاديمية» بالإضافة إلى إحصاءات نوعية وكمية عن مشاركة الباحثين والباحثات. إجراء مقارنات وتحليلات من واقع الإحصاءات والنسب الواردة فى الدراسة. استعراض وتحليل ونقد مختارات من البحوث والدراسات التاريخية. ترتيب المواد تحت رؤوس الموضوعات حسب مدخل العنوان، واسم كاتب المادة، ومصدرها، ومكانها، وتاريخها.

جاءت هذه الدراسة التى كنت اعتقد أنها بسيطة، كبيرة وشاقة لم أكن أتوقعها عندما بدأتها. ويبدأ البحث بالدراسات العثمانية التى قام بها أبناء المنطقة ثم تقييم هذه الدراسات، واستشراف المستقبل ثم الخاتمة. وقد قمنا بدراسة الأبحاث المتوفرة، وقد يكون هناك بعض النقص فى الحصر، وذلك لضيق الوقت، حيث طلب منا أن نكتب وأن نختار موضوع فى المنطقة، فكان هذا الاختيار عن الدراسات العثمانية فى الجزيرة العربية، وذلك بعد موافقة الجمعية التاريخية التركية فى شهر مايو والمؤتمر فى شهر أكتوبر 1999، ولذا نرجو المعذرة عن النقص فى هذا البحث، حيث الكمال لله وحده عز وجل.

نبدأ دراستنا هذه بأسماء الباحثين من الخليج العربى، ثم الأبحاث التى قدموها سواء كانت هذه الأبحاث عن الدولة العثمانية بصفة عامة أو الأبحاث التى تتعلق بالجزيرة العربية فى العهد العثمانى. وكذلك عن الكتب التى كتبت فى هذا المجال أو عدة فصول أو فصل من الكتب التى كتبت عن التواجد أو الحكم العثمانى فى الجزيرة العربية، وذلك بغض النظر عما كتب فيها فذلك يعتبر حرية التعبير ويعبر عن آراء وأفكار الباحثين وسوف نقيم ذلك فى نهاية الدراسة. كما نقدم الأبحاث التى نشرت فى المجلات العلمية الأكاديمية أو الأبحاث التى قدمت إلى الندوات العلمية والمؤتمرات الأكاديمية وتاريخ هذه المؤتمرات ومكان انعقادها حتى نعرف مدى مساهمة أبناء الجزيرة العربية فى الدراسات العثمانية.

أولا د. فيصل عبدالله الكندرى:

من أبناء الكويت، ويعمل فى قسم التاريخ ـ كلية الآداب ـ جامعة الكويت، وقد تخرج من جامعة «مانشستر» فى بريطانيا وله العديد من الدراسات العثمانية ونشر بعضها فى المجلات العلمية وقدم البعض الآخر فى مؤتمرات أو ندوات علمية ومن هذه الدراسات مايلى:ـ

(أ) «تقرير سلمان ريس» المجلة العربية للعلوم الإنسانية ـ جامعة الكويت ـ العدد الثامن والأربعون ـ صيف 1994.

يحتوى هذا البحث على الملخصين: وفيه يتناول نبذة عن سيرته ويدعى سليمان الرومى وهو من أحد قادة البحر الأتراك العاملين فى خدمة المماليك، وقدم هذا القائد العثمانى تقريره للوزير إبراهيم باشا حول نشاط البرتغاليين فى القرن السادس عشر، كما جاء فى تقريره عن حالة السفن والأسلحة الموجودة فى

ميناء جدة وشرح أهمية البحـر الأحمر كطريق تجارى لتجارة التوابل من الهند وعن الوجود البرتغالى فى منطقة الشـرق وتعدادهم فى كل قلعة من قلاعهم وطلب من الصـدر الأعظم بأن يرسله على رأس حـملة لضم اليـمن ولطرد البـرتغاليـين من الهند، وتمكن من إقناع الوزير بإرسـال حملة إلى اليمن والتى كان هو من ضـمنها وبعدها يـتناول الباحث، النتـائج التى ترتبت على التقـرير وكان من أهمـها بسط السيطرة العثمـانية على اليمن عام 1526، وبعدها يتناول محتـويات تقرير سليمان ريس، والذى يوجد فى أرشـيف متـحف الطوب قابى Topkapi sarayi Muzesi Arsivi تحت رقم E6455. ونصـح سلمـــــان الـريس SALMAN REIS - العثمانيين فى تقريره بنصيحتين أساسيتين: الأولى لمواجهة البرتغاليين وطردهم من الأماكن والقلاع التى احـتلوها بالشرق وحتى يقنع الحكومـة التى حاول اغراءها بما تحويه كل منطقة من خيـرات وما جناه البرتغاليون من تلك السيطرة. أمـا النصحية الثانية فإنه يشجع العثمـانيين لضم اليمن ويدل على ذلك عندما تناول الحديث عن «تعز» فقال عنـها: «بأنها تستند على جبل عظيم مثل بورصـة» وعندما تحدث عن خيـرات اليمن فقـال: إنه من الممكن أن ترسل شحنات مـن الذهب والجواهر كل سنة إلى أسطنبول، كما ذكـر بأن دخل ميناء عدن لوحده 200,000 سلطانية فى العام، كما ركز على ازدهار جزر الساحل الأفريقى فى البحر الأحمر، كما وصف الحبشة بأنه لايوجد حد للبضائع القادمة من هناك وخـصوصا الذهب والعاج. ثم أعطى سليمان ريس الأولوية لضم اليمن بدلا من طرد البرتغاليين من الهند.

قام الباحث بـعد ذلك بترجمة تقـرير سلمان ريس Tsma, E 6455 ثم قام بوضع التقـرير كما جاء بالـلغة التركيـة واختتم البـحث بالهوامش والمراجع، يقع البحث فى احدى عشرة صفحة، والترجمة فى سبعة صفحات والتقرير بالتركية فى ست صفحات.

(2) رسالة السلطان سليمان القانونى إلى حاكم البحرين:

نشر هذا البحث فى مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية ـ العدد السابع والسبعون السنة التاسعة عشرة ـ شهر إبريل 1995 ـ جامعة الكويت.

يقع البحث فى ستة وعشرون صفحة، ويبدأ بالمقدمة ثم بعنوان: البرتغاليون والخليج العربى ـ ويتناول فيه مجىء البرتغاليين إلى الخليج العربى فى الفترة من عام 1506 ـ 1507 ثم الاحتلال البرتغالى لمملكة هرمز العربية وبعدها سيطر البرتغاليون على جزيرة البحرين فى العقد الثالث من القرن السادس عشر الميلادى، فدفع ذلك أهالى البحرين لتتطلع إلى العثمانيين على أنهم القوة الإسلامية الوحيدة البارزة فى المنطقة لمساعدتهم ولاسيما بعد سيطرة العثمانيين على «القطيف والأحساء» وفى النصف الثانى من القرن المذكور فى يناير 1552، أرسل الحاكم العام البرتغالى فى الهند رسالة إلى ملك البرتغال يخبره بأن عرب البحرين ينوون تسليم الجزيرة للعثمانيين.

يتناول الباحث بعد ذلك عنوان بالمجابهات العثمانية البرتغالية فى الخليج العربى ويتكلم فيها عن (1) حملة بيرى ريس 1552 (2) حملة مراد ريس (3) مغامرة سيدى على ريس 1554 ـ ثم يتناول الباحث رسالة السلطان سليمان لمراد ريس حاكم البحرين عام 1553.

(3) مظلمة أهالى حلب إلى الصدر الأعظم فى عهد السلطان سليمان القانونى:

نشر هذا البحث فى مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية ـ جامعة الإمارات ـ مجلد11 ـ عدد 1 ـ أكتوبر 1995.

يتناول الباحث مقدمة وهى وثيقة موجودة فى متحف الطوب قابى Topkapi Saray Muzesi Arsive E5565، ثم عن كاتب المظلمة، تاريخ كتابة المظلمة، محتوى المظلمة، نص الوثيقة، والتى جاء فيها عن شكوى أهالى حلب من

اعتداءات الجنود العثمانيين عليهم، والتى ربما كانت أول شكوى ترفع ضد الجنود العثمانيين وأفعالهم، وقد كتب هذه المظلمة من قبل العامة وهذا يدل على أن الساسة العثمانيون كانوا يفتحون أبوابهم وصدورهم لسماع شكاوى الأهالى وعامة الناس. ولرفع الظلم الواقع عليهم وهذا كان دأب السلاطين الأوائل. وهذا يفسر حرص السلطنة على ردع العسكر ووضع حد لأعمال السلب والنهب والتخريب الذى تعرض له الأهالى.

(4) جان بردى الغزالى وموقفه من العثمانيين

المؤرخ المصرى ـ العدد السابع عشر ـ يوليو 1996 ـ قسم التاريخ ـ جامعة القاهرة.

يتناول هذا البحث إحدى الشخصيات المملوكية التى لعبت دوراً بارزاً فى الحياة السياسية فى أواخر أيام سلطنة المماليك وبداية سيطرة العثمانيين على بلاد الشام ومصر عام 1516، وهو جان بردى الغزالى، أحد القادة المماليك الذين شاركوا السلطان الغورى فى موقعة «مرج دابق» عام 1516 ضد السلطان سليم الأول، وتبحث هذه الدراسة عن إشكالية هذه الشخصية التى تخلت عن سيده السلطان الغورى وانحيازه لخصم سيده السلطان سليم وكان من نتائج هذه المعركة دخول الأخير بلاد الشام مما مهد للقضاء نهائيا على الدولة المملوكية، ويتناول الباحث دور جان بردى الغزالى فى عهد المماليك والذى أصبح نائب «حماة»، ثم قدوم العثمانيين للمشرق الإسلامى، ثم دور الغزالى فى معركة مرج دابق، ثم ولاية الغزالى على بلاد الشام، ثم تمرد الغزالى ضد العثمانيين، الخاتمة.

(5) الكتابة وأدواتها عند العثمانيين.

مجلة مركز الوثائق والدراسات الإنسانية ـ جامعة قطر ـ العدد التاسع ـ السنة التاسعة 1997.

يبرز الباحث أهمية الكتابة عند العثمانيين، فبرغم أهمية المبانى الأثرية، وارتفاع بعضها والزخرفة والأشكال الهندسية التى تزين جدرانها، فإن الأهم من هذا وذاك اللوحات الخطية والكتابات الرائعة الموجودة على جدران وأسقف هذه المبانى ولايملك الإنسان إلا أن يقف إعجابا وتحية لأولئك الرواد الذين خطوا بأيديهم تلك الكتابات، والدور الحضارى الذى قام به العثمانيون فى هذا المجال ويبين الباحث مدى المستوى الحضارى الذى بلغه الخطاط العثمانى.

يتناول الباحث أدوات الكتابة (1) الورق، وتاريخ الورق (2) صناعة الورق (3) الورق عند العثمانيين:ـ (أ) ـ الورق الشرقى (ب) ـ الورق الغربى (جـ) مصانع الورق العثمانية (د) الأوراق المستخدمة فى الدوائر الحكومية ـ القلم، المبرة، المدار أو الحبر. ثم يتناول الباحث نشأة الكتابة وتطورها، التشكيل، التنقيط أو الإعجام، الترقيم، ثم تطور الخط فى الدولة العثمانية 1299 ـ 1924، تعليم الخط، أنواع الخط، الكتابة بأشكال فنية.

(6)قانون نامة لواء القطيف لعام 959هـ/ 1556م:

المجلة التاريخية العربية للدراسات العثمانية ـ العدد الخامس عشر والسادس عشر ـ أكتوبر نوفمبر 1997.

يتناول الباحث دفاتر طابو تحرير Tapu Tahrir Defterleri حيث اهتم العثمانيون كثيرا بتنظيم أمور الممالك المفتوحة فكانوا يعدون الدفاتر والسجلات لتسجيل الأراضى المضمومة حديثا لأراضى الدولة العثمانية، دفتر طابو لتحرير رقم 282 ويتكون من الأجزاء التالية (أ) قانون نامة ولاية البصرة (2) دفتر الإجمالى البصرة (3) الافتتاحية (4) دفتر المفصل لولاية البصرة (5) قانون نامة لواء القطيف يبدأ من الصفحة رقم 290 ـ 340.

يشمل البحث العثمانـيين والقطيف، المعلومات الواردة فى طابو لتحرير عن القطيف ومنهـا الحياة الاقـتصـادية، ونظام الضرائب، الرعـايا أو سكان القطيف، العدالة بين الرعـية، ثم ترجمة قـانون نامة لواء القطيف ـ دستـور العمل فى بندر القطيف، دسـتور الـعمل:ـ مـصنع القطن، دسـتور العـمل:ـ دار الصـباغـة فى القطيف.

(7) نتائج حملة مصطفى باشا على البحرين:

المجلة التاريخـية العربية للدراسـات العثمانيـة ـ العدد السابع عشـر والثامن عشر، سبتمبر 1998.

قام مصطفى باشـا أمير أمراء (بكربك) الأحساء بغـزو البحرين عام 1560، وكان لهـا نتائج كبـيرة ليس على الأحسـاء وإنما على البصـرة، ففى الوقت الذى عانت الأحساء من تلك النتائج فإن البصـرة كسبت الكثير من جراء ذلك، ويناقش الباحث نتـائج ذلك فى هذا البحث ويبـدأ (أ) بولاية البصرة، ـ أسطول البـصرة، حمـاية البـصرة، (ب) ولاية الأحـساء:ـ (أ) ـ التجـارة فى الخليج العربى، (2) علاقة العثمانيين بالأهالى (3) الدفاع عن الأحساء (4) ثورة بنو حميد.

(8) العثمانيون وسواحل البحر الأحمر فى منتصف القرن السادس عشر.

قدم هذا البـحث إلى المؤتمر العالمى للدراسات العـثمانية فى زغـوان بتونس 14/10/1998.

يتناول الباحـث خلاصة لأهم المعلومـات الواردة فى بحث الدكتـور جنكيز أورهنلو Lengiz Orhonlu بعنوان:ـ العثمـانيون على سواحل البحـر الأحمر فى النصف الأول من القرن السادس عـشر فى مجلة:ـ Istanbul Universitesi, Edebiyat Fakultesi Tarih Degisi, Sayi 16 - Eylul 1961 - Istanbul, 1962 - 21 - 24 .

يتناول أهمـية البحـر الأحمـر فى التجـارة وخاصـة التوابل، ثم الاهتـمام العثمانى بالمنطقة العربية مثل مصر والحجاز ثم سيطر العثمانيون على الصفة الغربية للبحر الأحمر، فجاوروا الممـالك التى تقع جنوب مصر مثل «النوبة»، «الحبشة» ، «زنجبـار» من الناحية البرية، أمـا من الناحية البـحرية فتطلعوا إلى «عـدن» وقرروا إحياء الطريق بـين الهند والبحر المتوسط عـبر البحر الأحمـر لتنظيم تجارة الذهب والبهارات.

(9) «منح رب البرية فى فتح رودس الابية»:

تحقـيق مخطوطة للمؤلف عـبدالرحيم بن عبـدالرحمن العبـاسى ـ نشر فى حوليـات كلية الآداب ـ جامعـة الكويت ـ الحولية الثـامنة عشرة ـ الرسالة الثـانية والعشرون بعد المئة لعام 1998 ـ يقع البحث فى مائة وخمسة وستين صفحة.

يتناول الباحث ملـخص فى صفحتـين، ثم مقدمـة فى صفحـتين ونصف، ويبدأ الفصل الأول عن لمحة تاريخية عن منظمة فرسان القديس يوحنا والتى بدأت كطائفـة فى القرن الحـادى عـشر تهـتم بالمرضى فى بيت المقـدس أثناء الاحتـلال الصليبى لفلسطين، ثم ازدادت نشاطها فقـامت باحتلال جزيرة «ردوس» واتخذت منها قاعدة لشن الحـملات الصليبية ضد المسلمين، حـيث إنها تقع على بعد اثنى عشر ميـلا من سواحل «الأناضول» وبذلك تستطيع أن تحارب السفن العـثمانية فى البحـر المتوسط. كما كـانوا يقومون بالأعـمال التجارية من أجل توفـير رأس المال المطلوب، وكانت لديهم قوة بحرية فاعلة فى العقدين الثالث والرابع عشر الميلادى وقاموا بحـملات صليبية وقـرصنة ضد الإمارات التركيـة فى غرب الاناضول. ثم يتناول الباحث علاقة العـثمانيين بجزيرة «رودس»، فعندما امتلك العـثمانيون قوة بحرية حـدث صدام مع فـرسان القديس يوحـنا الذين اعتدوا على بـعض السفن العثمـانية عام 1346، كما شـاركت «رودس» فى جميع الحملات الصليـبية التى نظمتهـا أوربا ضد العثمانيين، ثم يتناول البـاحث علاقة الفرسان بالعثـمانيين أثناء

حكم السلطان محمد الثانى الـذى هاجم الجزيرة وفرض جزية سنوية عام 1462، وحاول العثمانيون عام 1480 الاستيلاء على الجزيرة ولكنهم لم ينجحوا، وكانت «رودس» هى القلعـة النصرانية الوحـيدة المنيـعة التى تشـغلهم فى البحـر المتوسط وتمنعهـم من التوجه نحـو غرب أوربا، ثم يتناول البـاحث علاقـة السلطان بايزيد الثـانى بجزيرة «رودس» والذى انشـغل فى بداية حكمه بالـصراع مع أخيـه «جم» الذى كان قـد لجأ إلى جزيرة «رودس»، وأخـذت العلاقات العثـمانية ـ الروسـية تتفـاوت ما بين حرب وسـلام وفقا لظروف كـل منهما ودارت عـدة حوادث بين الطرفين.

ينتـقل الباحـث إلى السلطان سليم 1512 ـ 1520، الذى انشـغل فى بداية حكمه بضم الأقاليم العربية فى الشام ومصر وفى آواخـر أيامه أمر بحريته بالتجهيز لفتح «رودس» إلا إنه توفى فى 22 سبتمبر 1520 قبل أن يكمل مشروعه، وجاء بعده ابنه السلطان سليـمان الأول 1520 ـ 1566، الذى حقق ما عـجز عنه آباؤه فسقطت بلجراد العتيدة فى يده فى 31/ 8/ 1521، وفى الفصل الثانى يتناول دراسة المخطوطة ويبدأ بتـعريف المؤلف وحيـاته وكونه ينحدر من أسـرة عريقة اشتـهرت بالقضاء، ولد والده عبدالرحمن عام 1428 بمدينة «حماة» فى سوريا فحفظ القرآن ودرس العربيـة والفقه وناب عـبدالرحمن عن والده فى قـضاء «حمـاه»، أما ابنه عبدالرحيم فولد فى القاهرة 12/ 6/ 1462 وسافر إلى الآستانة ومكث فيها إلى ان توفى عام 1556 عن عمر يناهز المائة وله مؤلفات عديدة.

يتحدث بعـد ذلك عن أهمية المخطوطة لأنها كتبت من قـبل شخص شارك شخصـيا فى حملة فتح «رودس» فقد عـاصر الأحداث وشاهدها بنفسـه، كما لم يعهد المؤلف إلى ناسخ وإنما كتبها بخط يده. ثم أعطى المؤلف معلومات عن المدن والقرى التى زارها السلطان، كا ذكـر معلومات دقيقة عن حـصار «ردوس»، وانها

كتبت باللغة العربية وتنير هذه المخطوطة الطريق أمام الباحثين فى تاريخ الدولة العثمانية فى القرن السادس عشر، ثم يتكلم الباحث عن وصف المخطوطة وتعريفها، ومحتوياتها والتى تشمل 1 ـ المقدمة 2 ـ سير الحملة 3 ـ حصار الجزيرة 4 ـ دخول المدينة 5 ـ وصف حال اسطنبول 6 ـ وصف مدينة وجزيرة رودس. وفى الفصل الثالث يضع الباحث النص الأصلى للمخطوطة، ثم يورد الباحث أسماء حكام جزيرة رودس من عام 1310 ـ 1523 ويختم البحث بملاحق لعدد من الرسائل ثم صور لجزيرة رودس وقلاعها وأسوارها وبعدها الهامش والمراجع.

ثانيا:ـ د. عبدالله سراج عمر منسى

من أبناء المملكة العربية السعودية ويعمل فى جامعة الملك عبدالعزيز بجدة فى قسم التاريخ ـ كلية الآداب.

من مؤلفاته فى الدراسات العثمانية :ـ

(10) المواجهة العثمانية البريطانية فى الخليج العربى 1869 ـ 1914:

يعتبر هذا العنوان لكتاب قدمه لنيل درجة الماجستير ثم قام بطباعته واخراجه فى عام 1994 ومكان الطباعة غير مكتوب على الكتاب ويحتمل فى «جدة» بالمملكة العربية السعودية.

يتناول الكتاب ستة فصول ويبدأ بالمقدمة ثم تمهيد عن الوجود العثمانى فى الخليج العربى قبل عام 1869 وبعدها عن أسباب عدم استمرار العثمانيين فى حكم الأحساء، ووضع عنوان الفصل الأول:ـ سياسة مدحت باشا فى الخليج العربى 1869 ـ 1872 ويحتوى على:

حملة مدحت باشا على الأحساء، موقف بريطانيا من حملة مدحت باشا على الأحساء، جهود مدحت التمهيدية للحملة، سير الحملة، موقف حملة

مدحت من البحرين، النشاط العثمانى فى قطر، نتائج حملة مدحت باشا على الاحساء.

جاء فى الفصل الثانى تحت عنوان:ـ «المواجهة البريطانية العثمانية فى الكويت» ويحتوى مشكلة تحصين شط العرب بين بريطانيا والدولة العثمانية، علاقة الكويت بالدولة العثمانية، تطور العلاقات بين مبارك والدولة العثمانية، تطلع مبارك إلى بريطانيا وموقف المسؤلين البريطانيين، روسيا والخليج العربى، كيرزون والخليج العربى، النشاط البريطانى فى الدولة العثمانية، زوال التردد البريطانى حول الاتفاق مع الشيخ مبارك، إبرام الاتفاقية 23يناير 1899.

يذكر فى الفصل الثالث بعنوان:ـ «المواجهة التركية ـ البريطانية فى الكويت بعد اتفاقية عام 1899» وفيها المواضيع التالية وهى:ـ النشاط الألمانى وأثره، تحريض آل الرشيد، مشكلة جزيرة «بوبيان» بين مبارك والدولة العثمانية، موقف السلطات العثمانية من أملاك الشيخ مبارك وأخوته، محاولات أخرى من جانب العثمانيين ومحاولات مضادة من جانب البريطانيين، العثمانيون يتبعون سياسة الملاينة مع الشيخ مبارك، مسألة بندر الشويخ وإنشاء الحجر الصحى فيه، موقف السلطات العثمانية من تسجيل أراض الشيخ مبارك فى الفداغية.

يتحدث فى الفصل الرابع عن:ـ «سياسة الدولة العثمانية نحو قطر والبحرين بعد حملة مدحت باشا»، ويحتوى على، دعم الأترك لوجودهم فى قطر، العلاقات القطرية البريطانية، مشكلة العديد، المواجهة البريطانية العثمانية فى البحرين، اتفاقيتا 1880 و1892 بين بريطانيا والبحرين، الاتفاقية الثانية 1892.
وفى الفصل الخامس يضع عنوان:ـ «موقف الدولة العثمانية من استعادة عبدالعزيز للأحساء عام 1913» ويحتوى على:ـ الأحوال الداخلية فى الأحساء قبل مجىء عبدالعزيز، دوافع عبدالعزيز لاسترداد الأحساء، العوامل التى ساعدت عبدالعزيز على استرداد الأحساء، خطة استرداد عبدالعزيز للأحساء، فتح عبدالعزيز

للأحساء، فشل الحامية العثمانية فى استرداد الأحساء من عبدالعزيز، موقف الدولة العثمانية من استعادة عبدالعزيز للأحساء، الدولة العثمانية تسعى للاتفاق مع عبدالعزيز، اجتماع «الصبيحية»، الموقف البريطانى من استرداد عبدالعزيز، نتائج استرداد الأحساء.

يتناول الفصل السادس:ـ «تدعيم النفوذ البريطانى فى الخليج العربى على حساب الوجود العثمانى حتى الحرب العالمية الأولى» ويحتوى على:ـ المفاوضات البريطانية العثمانية بشأن الخليج العربى ـ فبراير 1911 ـ يوليو 1913، أثر مشروع سكة حديد بغداد على موقف بريطانيا، وجهة النظر العثمانية، رأى بريطانيا فى المقترحات العثمانية، الاتفاق البريطانى ـ العثمانى 1913 ـ 1914 حول الخليج العربى، الاتفاق البريطانى ـ الألمانى بشأن سكة حديد بغداد، وينتهى الكتاب بالخاتمة والمصادر والمراجع ويقع الكتاب فى 317صفحة من حجم المتوسط.

ثالثا:ـ د. نجاة عبدالقادر الجاسم:ـ

من أبناء الكويت وتعمل فى جامعة الكويت ـ قسم التاريخ ـ كلية الآداب ولها بحث بعنوان:ـ

(أ) «العلاقات الكويتية ـ العثمانية 1718 ـ 1902» منشور فى مجلة:ـ دراسات تاريخية ـ جامعة دمشق ـ العدوان 61 ـ 62 ـ سبتمبر ـ ديسمبر 1997 ـ، وتبدأ بالمقدمة، تمهيد، الاستقرار، بداية العلاقة الكويتية ـ العثمانية، بعض التقارير الأجنبية خلال القرن الثامن عشر، الأدلة التى تؤكد استقلال الكويت عن القوى المحيطة، العلاقات الكويتية العثمانية خلال القرن التاسع عشر، سياسة الشيخ جابر عبدالله، استعانة السلطات العثمانية بحاكم الكويت، التعاون الكويتى ـ العثمانى، محاولات محمد نامق باشا والى بغداد 1861 ـ 1869، سياسة مدحت باشا، موقف الكويت، نتائج الموقف الكويتى على العلاقة مع الدولة العثمانية، رد الفعل

البريطانى وانعكاسه على وضع الكويت، الوضع السياسى فى الكويت حتى توقيع معاهدة 23 يناير 1899، محاولة الشيخ مبارك الحصـول على اعتراف عثمانى، رد الفعل العثـمانى، الموقف البريطانى، تعيـين محسن باشا واليـا على البصرة وأثره على الكويت، أثر النشـاط الألمانى، تجدد مـحاولات الدولة العثـمانيـة ثم الخاتمة والهامش ثم المصادر والمراجع.

رابعًا:ـ د. ميمونة خليفة العذبى الصباح:

من أبناء الكويت وتعمل فى قـسم التاريخ ـ كلية الآداب ـ جامـعة الكويت ولها كتابين عن الدراسات العثمانية وهما:ـ

(12) الكويت حـضارة وتاريخ ـ الطبـعة الثانيـة ـ الكويت 1998. يقع فى 318 صـفحـة من الحـجم المتوسط، ويتنـاول الكتاب تاريخ الكـويت وفيـه بعض الموضوعات عن العثمانيين وهى كالآتى:ـ أوضاع العراق العثمانى واحتلال الفرس للبصرة ص106 ـ 107، علاقة الكويت بالدولة العثمانية ص176 ـ 183، ويتناول الفصل الرابع بعـنوان:ـ «العلاقات الكويتـية العثـمانية فى ظل الأوضـاع الدولية» ويحتوى على:ـ تمهيد، التقارب بين الكـويت والدولة العثمانية، محاولات الدولة العثمانية لادخال الكويت فى ظل التبعية العثمانية، الشيخ مبارك والدولة العثمانية، الدولة العثمانية تحاول الإبقاء على ارتباط الـكويت بها، محاولات الدولة العثمانية تأكيـد نفوذها فى الكويت، العـلاقات الكويتيـة العثمـانية فى ظل إعلان الحـماية البريطـانية، موقف ألمانيـا من الحمـاية البريطانيـة على الكويت من ص207 إلى ص146.

(13) الكويت فى الاتفاقية الإنجليزية ـ التركية لعام 1913:

صادر من معهد البحوث والدراسات العربية، سلسلة الدراسات الخاصة رقم «54» ـ عام 1992 ويقع فى 65 صفحة ـ

يبدأ القسم الأول بتمهيد عن الموقف العثمانى من إعلان الحماية البريطانية على الكويت، مقاومة النفوذ الأجنبى بالكويت والخليج العربى ـ المنظمات الوطنية ـ القسم الثانى يتناول عن:ـ اتفاقية 1913 بين بريطانيا والدولة العثمانية، النزاع البريطانى العثمانى حول الكويت ومناطق النفوذ فى الخليج العربى ودواعى الاتفاق بشأنها، اهتمام الصحافة الأوروبية بالمفاوضات الجارية، أما القسم الثالث فيتناول عن:ـ موقف الشيخ مبارك من القسم الخاص بالكويت فى اتفاقية 1913، القسم الخاص بالكويت فى الاتفاقية الانكليزية العثمانية لعام 1913، معارضة شيخ الكويت للاتفاقية، ثم الخاتمة. هذه الدراسة متعلقة بالقسم الخاص عن الكويت من الاتفاقية الإنكليزية ـ التركية لعام 1913، والصراع الذى دار بين القوتين المسيطرتين على المنطقة من أجل مناطق النفوذ، ثم دوافعها لعقد الاتفاقية.

خامسًا ـ د. مصطفى عقيل الخطيب:

من أبناء قطر ـ يعمل فى قسم التاريخ كلية الإنسانيات ـ جامعة قطر. وله موضوعات فى الدراسات العثمانية منها:ـ

(14) سياسة إيران فى الخليج العربى على عهد ناصر الدين شاه 1848 ـ 1896،

منشورات دار الثقافة ـ الدوحة قطر عام 1987 يقع فى ص515 صفحة وفيها بعض الموضوعات عن العثمانيين وهى كما يأتى:ـ الفصل السادس من ص271 ـ 324، ويتناول فيها إيران والعثمانيين فى الخليج العربى، الملاحة البخارية فى أنهار العراق، مشكلة الحدود الإيرانية ـ العثمانية، مساعى الدولة العثمانية فى تقوية وجودها البحرى فى مياه الخليج العربى، ازدياد النفوذ العثمانى فى الخليج العربى. وتتناول هذه الدراسة العلاقات بين إيران والدولة العثمانية

وصراعهما بشأن قضايا الحدود باعتبار أن ولايات الدولة العثمانية تتاخم حدود إيران، وكذلك تدعيم الدولة العثمانية لأسطولها فى مياه الخليج العربى لتحقيق طموحاتها وتقوية نفوذها وخاصة على الساحل الغربى للخليج العربى وموقف الحكومة الإيرانية من النشاط العثمانى فى المنطقة الذى اصطدم بالأطماع الإيرانية على الساحل العربى ذلك الصدام الذى توجع باحتلال إيران لبعض الجزر العربية فى مياة الخليج العربى.

(15) تاريخ العرب الحديث:

هذا الكتاب شارك فى تأليفه مجموعة من أساتذة جامعة قطر فيما يتعلق بتاريخ العرب وفى الفصل السابع جاء عن دور العثمانيين فى الخليج العربى وقام بإعداد هذا الفصل الدكتور مصطفى عقيل، ويحتوى على عدة مواضيع وهى (أ) ظهور العثمانيين كقوة بحرية، السعوديون والعثمانيون، حملة مدحت باشا على الخليج العربى، علاقة الدولة العثمانية بكل من الكويت وقطر، التطلعات الإيرانية على الساحل العربى.

سادسًا:ـ د. محمد عبدالله الزلفة:

من أبناء المملكة العربية السعودية حاصل على درجة الدكتوراة من جامعة كمبردج فى بريطانيا ـ عمل فى قسم التاريخ ـ كلية الآداب جامعة الملك سعود وله عدة دراسات فى التاريخ العثمانى منها:ـ

(16) إمارة أبى عريش وعلاقتها بالدولة العثمانية 1838 ـ 1849:

يقع الكتاب فى 304 صفحة من حجم المتوسط، مطبوع فى الرياض 1996.

يبدأ بالمقدمة، ثم الفصل الأول ويتناول فيه عن خلفية الصراع فى جنوب غرب الجزيرة العربية فى الفترة ما قبل وما بعد الانسحاب المصرى 1840، تمرد

الفرقة الالبانية، أسباب هزيمة المصريين فى السواحل اليمنية، العلاقات المصرية البريطانية، مجابهة حول العديد من المصالح المتشعبة، شريف (أبى عريش) فى مواجهة الخصوم، النضال من أجل التمسك بالسلطة، والفصل الثالث يتناول:ـ تحالف أمير عسير مع شريف (أبى عريش) وموقف كل من بريطانيا والدولة العثمانية من هذا التحالف، الصراع بين شريف (أبى عريش) وإمام اليمن، الفصل الثالث ويتناول الحملة العثمانية، سقوط إمارة (أبى عريش) والاحتلال العثمانى للسواحل اليمنية، الخاتمة.

يتناول الباحث فى الفصل الأول ـ الخلفية التاريخية للصراع بين عدة قوى مختلفة فى جنوب الجزيرة العربية، والأسباب المؤدية إلى اندلاع ذلك الصراع، كما تناول هذا الفصل الجذور التاريخية لنشوء أسرة آل خيرات فى منطقة المخلاف السليمانى، والبدايات الأولى للتدخل المصرى فى جنوب الجزيرة العربية والعلاقة بين المصريين وبين حكام (أبى عريش) واصطدام المصالح المصرية بالمصالح البريطانية، كما تناول فى هذا الفصل العلاقة بين كل من القوتين الأخيرتين وأثر ذلك على الوضع السياسى والاقتصادى للمنطقة.

يتحدث فى الفصل الثانى عن الوضع فى جنوب الجزيرة العربية بعد الانسحاب المصرى، وسيطرة الشريف الحسين بن على بن حيدر بمساعدة إمارة عسير على كل السواحل اليمنية، واحتلال بريطانيا لعدن وتحالف إمارة عسير وإمارة (أبى عريش) لمواجهة التحديات والتدخلات الأجنبية فى شئون المنطقة وخاصة بريطانيا، وموقف بريطانيا من هذا التحالف ودخول إمام اليمن فى مواجهات مع شريف (أبى عريش) ووقوف بريطانيا إلى جانب الإمام، الأمر الذى أدى بالشريف إلى الدخول فى طاعة العثمانيين، الذين استعادوا سلطتهم على الحجاز بعد انسحاب المصريين منها، إضافة إلى توتر العلاقة بين كل من الأمير عايض بن مرعى أمير «عسير» والشريف الحسين بن على بن حيدر، نتيجة لدخول

الأخيرة فى علاقـات مع العثمانيين، وتوقيع بعض الاتفاقـيات مع البريطانيين فى عدن.

استعرض الكاتب فى الفصل الثالث اندلاع الصراع بين إمام اليمن محمد بن يحيى والشريف الحـسين بن على، ذلك الصراع الذى أدى إلى مواجهة قـتالية بين الطرفين ومـا نتج عن تلك الحرب من فوضى واضطراب فى كل السواحل الـيمنية وانعكاس ذلك على مـوقف كل من إمارة عسـير والدولة العـثمـانية، والذى أدى بالتالى إلى تدخل الدولة العثمانية لإنهاء ذلك الصراع لصالحها وذلك بتجهيز حملة عسكرية توجهت إلى السواحل اليـمنية بقيادة أمير مكة الشريف مـحمد بن عون، قضت على نفـوذ الشريف الحـسين بن على بن حيـدر هناك، وأحلت مكانه إدارة عثمانية مرتبطة بشكل كامل بولاية الحجاز العثمانية بمسمى ولاية اليمن وظل الأمر كـذلك إلى أن انفـصلت عن ولاية الحـجاز إثر صـدور نظام الولايات فـى عهـد التنظيمات.

(17) الجـزر الأيونيـة فى ضـوء رسـائل السلطان سليـم الثـالث إلى سلطان المغرب مولاى سليمان.

هذا البحث نشر فى مجلـة ـ المجلة التاريخية العربية للدراسات العـثمانية ـ العدد الأول والثانى ـ يناير 1990 ـ من ص235 ـ ص 242.

يتناول البحث رسائل من دفاتر نامى همايون Nomi Humayun السلطانى ـ دونت بها مراسلات السـلاطين العثمانيين مع ملوك ورؤسـاء الدول المختلفة، وقد تم اختيار رسالتين وهمـا موجهتان من السلطان سليم الأول 1789 ـ 1807، إلى حاكم فـاس المولى سليمان بن محـمد 1792 ـ 1822، وتتعلقـان بموضوع واحد يتصل بالجـزر الأيونية أو مـا تسمى بجزر الجـمهوريات السـبع وعلاقـاتها بالدولة العـثمـانية، وقـد ارخت الرسـالة الأولى فى أوائل يناير 1795، وتوضح موقف

السلطان سليم فيما يتعلق باحتجاز سلطان فاس لبعض السفن العائدة لتجار «دوبرونيك»، حيث طلب السلطان سليم العثمانى من حاكم فاس الإفراج عن هذه السفن المحتجزة لكون «دوبرونيك» تخضع للتبعية العثمانية.

تتناول الرسالة الثانية والمؤرخة فى 8 ذوالقعدة 1214هـ الموافق 1799، والتى جاءت بعد الرسالة الأولى بأربع سنوات فقد اشتملت على تفاصيل دقيقة عن الأوضاع السياسية والاقتصادية للجزر الايونية وطبيعة العلاقة التى تربطها بالدولة العثمانية مع أهميتها الاستراتيجية الخاصة للعثمانيين فى حالتى السلم والحرب، وقد كتبت هاتان الرسالتان بلغة عربية وبأسلوب يمثل أسلوب ذلك العصر مع استخدام الكثير من المصطلحات والتعابير العثمانية، وكانت العلاقات العثمانية ـ المغربية خلال الثلث الأخير من القرن الثامن عشر وحتى السنوات الأولى من القرن التاسع عشر متميزة واتسمت بتنسيق المواقف بين الدولتين وعلى الأخص إبان الحرب العثمانية ـ الروسية 1760 ـ 1774 وفترة الثورة الروسية. فالرسائل المتبادلة بين سلاطين آل عثمان وحكام فاس خلال هذه الفترة تكشف لنا عن المواقف المغربية المشرفة فى الوقوف إلى جانب الدولة العثمانية فى حروبها مع روسيا وقيامها بتقديم المال والذخيرة الحربية وخاصة البارود، كما تم التنسيق بين أسطنبول وفاس للوقوف صفا واحدا لمواجهة الخطر الفرنسى وخاصة بعد احتلال نابليون لمصر عام 1778، حيث طلبت الدولة العثمانية من فاس إقامة علاقة طيبة مع بريطانيا العدو الأول لفرنسا الثورة بعد أن دخل العثمانيون فى حلف مع بريطانيا ضد نابليون.

سابعًا ـ د. عايض حزام الروقى:

من أبناء المملكة العربية السعودية ويعمل فى قسم التاريخ ـ جامعة أم القرى ـ بالسعودية وله عدة أبحاث فى الدراسات العثمانية منها:

(18) المساندة الخليجية للأسطول العثمانى ضد البرتغاليين ومنطلقاتها، دراسة مقارنة - نشر هذا البحث فى - المجلة التاريخية العربية للدراسات العثمانية - العدد السابع عشر والثامن عشر - سبتمبر 1998. ومن صفحة 203 إلى صفحة 219.

يتناول فى البداية - موقع الخليج العربى وأهميته وانتماءاته، الغزو البرتغالى وآثاره، التحالف البرتغالى - الصفوى، مقاومة أهل الخليج العربى للغزو البرتغالى، وصول العثمانيين للخليج العربى، موقف أهل الخليج العربى تجاه الوجود العسكرى العثمانى حيث نظر سكان الخليج العربى إلى الدولة العثمانية على انها الدولة المسلمة ذات المذهب السنى، والتى جاءت إلى المشرق العربى لحمايته من العدوان البرتغالى الصليبى، لقد وجد العثمانيون تجاوبا كبيراً من أهالى الخليج فى الوقوف إلى جانبهم والتصدى للغزو البرتغالى، وفى عام 1529 نجد أن حاكم البصرة العربى يرفض تسليم السفن العثمانية التى كانت فى ميناء البصرة إلى قادة الأسطول البرتغالى رغم أنهم جاءوا لمساعدته ضد بعض حركات التمرد التى شهدتها إمارته، كما أعلن سكان القطيف والأحساء ولاءهم للدولة العثمانية واعتبروا أنفسهم رعايا عثمانيين، مؤكدين رفض خضوعهم لمملكة «هرمز»، كما أن سكان البحرين قد سبقوهم فى إعلان الخضوع للعثمانيين حين وصل العثمانيون إلى العراق عام 1534. إن التدخل العثمانى فى الخليج العربى جاء استجابة لنجدة السكان العرب، وإن الرغبة لدى الدولة العثمانية فى مواجهة الغزو البرتغالى للخليج العربى قد توفرت قياسًا لما فعلته تلك الدولة بالنسبة للغزو الأسبانى على المسلمين فى المغرب العربى، بيد أن إمكانات الدولة العثمانية البحرية فى الخليج العربى كانت أقل من البحر المتوسط، كما أكدت المصادر العثمانية المعاصرة ولاء

العرب فى الخليج العربى للدولة العثمانية ومحبتهم للعثمانيين بشكل واضح، وكرههم للبرتغاليين ومن يساعدونهم.

(19) حروب البلقان والحركة العربية فى المشرق العربى 1912 ـ 1913:

نشر هذا الكتاب من قبل معهد البحوث العلمية واحياءالتراث الإسلامى ـ مركز بحوث الدراسات الإسلامية ـ جامعة أم القرى ـ المكة المكرمة 1996 ـ يقع هذا الكتاب فى 455 صفحة.

يتناول د. عايض المقدمة بأهمية الموضوع والخطة، تمهيد عن العرب والدولة العثمانية قبيل حروب البلقان (أ) تصاعد خطر الغزو الأوربى فى العالم العربى (ب) عصر السلطان عبدالحميد الثانى:ـ الخلل الداخلى، الضغط الخارجى (جـ) رد الفعل العربى:ـ الاصلاح، معناه، (د) فترة الاختلاط:ـ الاتحاد والترقى، الاتحاد الإسلامى، التقدم الإسلامى.

الاتحاد الطورانى، ويبدأ الفصل الأول بعنوان «الحرب الطرابلسية 1911 ـ 1912» ويشمل : (أ) حكومة الاتحاد والترقى ومعاهدة لوزان 1912 (ب) دفاع العرب عن الدولة والخلافة. (جـ) صدى حرب طرابلس فى ولايات الدولة العثمانية فى البلقان (د) ـ حزب اللامركزية الإدارية العثمانى.

يستعرض د. عايض الفصل الثانى بعنوان «حروب البلقان» ويشمل: (أ) ـ نشاط الدولة الأوروبية ضد الدولة العثمانية فى ولاياتها البلقانية. (ب) ـ حروب البلقان الأولى: مقدماتها، معاهدة لندن 1913 (جـ) ـ الحرب اللامركزية، وسلامة الدولة فى المشرق العربى (د) ـ حرب البلقان الثانية، معاهدة بوخارست 1913، فقد الدولة الجزء الأكبر من أقاليمها الأوروبية، تغير بنية الدولة الأكثرية العربية.

وفى الفصل الثالث تحت عنوان: «ردود الفعل المباشرة لحروب البلقان» يشمل: (أ) جمعية بيروت، برنامجها (ب). جمعية العربية الفتاة، باريس، بيروت، دعوتها لمؤتمر باريس (جـ) ـ مؤتمر باريس 1913 اجتماعاته، برنامجه، قراراته (د) حركة البصرة. (هـ) تزايد أخطار التمزق الداخلى فى الدولة والأنشطة المناوئة للدولة الإسلامية.

يذكر الكاتب فى الفصل الرابع بعنوان: «موقف بريطانيا»: (أ) ـ بريطانيا والساحل الشرقى والجنوبى للجزيرة العربية. (ب) ـ سياسة بريطانيا نحو الخليج العربى (جـ) ـ المعاهدة الانجليزية العثمانية 1913. (د) سياسة بريطانيا لإضعاف دولة الخلافة، أطماعها فى البصرة، والفصل الخامس بعنوان: «الحركة العربية عند قيام الحرب العالمية الأولى» (أ) ـ نشر قانون الولايات المركزية (ب) ـ اشتداد المعارضة العربية للمركزية والتتريك (جـ) ـ الدعوة لمؤتمر الجزيرة العربية (د) ـ ضم الأحساء وقيام سلطنة نجد (هـ) ـ أثر موقف سلطنة نجد بالنسبة للمشرق العربى (و) ـ قيام الحرب العالمية الأولى، تغير ميزان القوى، الخاتمة والنتائج.

ثامنا:ـ عبداللطيف محمد الحميد:

من أبناء المملكة العربية السعودية، يعمل فى قسم التاريخ والحضارة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، له عدة أعمال فى الدراسات العثمانية منها:ـ

(20) موقف الدولة العثمانية تجاه مأساة المسلمين فى الأندلس 1486 ـ 1609

طبع فى الرياض 1993 ـ يقع الكتاب فى 296 صفحة.

يقوم الكتاب بدراسة موقف الدولة العثمانية تجاه مأساة المسلمين فى الأندلس منذ وصول أول رسالة أندلسية بطلب المساعدة من العثمانيين فى عام 1486 أى قبل سقوط «غرناطة» بست سنوات، إلى حين صدور القرارات الإسبانية بتصفية

الوجود الإسلامى وطرد بقايا المسلمين نهائيا من الأندلس فى 1609، هل وقفت الدولة العثمانية إلى جانب الأندلسيين؟ أو استطاعت بلورة موقف ما؟

تبدأ الدراسة بالمقدمة ثم الفصل الأول عن الوجود الإسلامى فى الأندلس فى مراحله الأخيرة، الفصل الثانى عن ظهور قوة صليبية عالمية جديدة، الفصل الثالث:ـ ظهور قوة إسلامية عالمية جديدة، الفصل الرابع:ـ تجديد السيادة الإسلامية فى البحر المتوسط ومتابعة المسألة الأندلسية، الفصل الخامس:ـ عرض وتحليل لمضمون الوثائق العثمانية الخاصة بولايات المغرب العربى والأندلس، الفصل السادس:ـ تقييم الموقف العثمانى تجاه القضية الأندلسية ثم الخاتمة والملاحق.

تنبع أهمية هذا الموضوع استقصاء حلقة جديدة من حلقات الصراع الصليبى الإسلامى التى عادت بقوة بعد نجاح الإسبان فى قلب المعادلة لصالح العالم الصليبى فى مواجهة الحكم الإسلامى فى الأندلس بعد ثمانية قرون من السيادة الإسلامية . كما أن دراسة هذا الموضوع تبرز الحالة المأساوية التى كاد أن يقع فيها المسلمون لا فى الأندلس فحسب وإنما فى بلاد المغرب العربى بعد ان صمم الإسبان على بسط نفوذهم فى البحر المتوسط وتحويل دوله وشعوبه إلى النصرانية كما فعلوا فى أمريكا اللاتينية بدعم وتأييد من بابا روما. ويمكن أن يساهم هدا البحث فى معرفة مدى اهتمام الدولة العثمانية بهذه الجبهة التى كان ميدانها أسبانيا فى البحر المتوسط، وهل تعامل معها العثمانيون كباقى الجهات فى البلقان وشرق أوربا وبلاد الشام ومصر وإيران.

نعيد نشر ما كتبة الأستاذ الباحث عبدالرحمن عبدالله ثامر من ملحوظات حول الكتاب، نشرها فى جريدة المدينة (ملحق التراث) عدد 11350، 17/ 11/ 1414هـ.

«هذه الدراسة تزيل الغموض، الذى اكتنف موقف الدولة العثمانية تجاه

المسلمين فى الأندلس، فعادة ما يلقى اللوم عليها، وعادة ما يوصف هذا الموقف بأنه سلبى؛ وذلك لكونها الدولة الإسلامية الأقوى فى ذلك الوقت مع أن هناك دولة إسلامية هى دولة المماليك والتى لا يزال موقفها غامضًا هى الأخرى تجاه هذه المأساة، وربما تعود سلبية دولة المماليك إلى تلك المعاهدات التى بينها وبين مملكة أرغون؛ فهى معاهدات صداقة وتبادل مصالح. أما موقف الدولة العثمانية فقد اتضح؛ من خلال هذه الدراسة الوثائقية؛ والتى بذل الباحث فى إخراجها الجهد والوقت باحثًا ومنقبًا فى المكتبات التركية. والذى خرج بهذه الدراسة القيمة، وتقع فى ست وتسعين صفحة ومئتين ـ من القطع الكبير ـ تتضمن مقدمة، وستة فصول فخاتمة، وملحقا يضم صور أربع وثلاثين وثيقة والتى اعتمدت عليها الدراسة.

* الفصل الأول: كان عن الوجود الإسلامى فى الأندلس فى مراحله الأخيرة، وتطرق فيه إلى مظاهر الضعف فى دولة بنى الأحمر، وضعف الكوامن الداخلية فى هذه الدولة، وفى المجتمع الأندلسى بصورةٍ عامة.

* الفصل الثانى: كان عن ظهور قوة صليبية عالمية جديدة برزت إلى الوجود بعد اتحاد مملكة قشتالة وأرغون عام 874هـ/ 1469م، بعد ذلك الزواج السياسى بين فردناند وإيزابيلا؛ مما عجل بسقوط غرناطة تحت إغراء تلك المعاهدة الشهيرة التى لم يلتزم بها الطرف الصليبى؛ كما هو معروف.

* الفصل الثالث: فيه تحدث الباحث عن ظهور قوة إسلامية عالمية جديدة وهى الدولة العثمانية، وتحدث عن قيامها وانتشارها فى أوربا، وأثرها فى إعادة ـ التوازن الدولى ـ ثم عن تلقى هذه الدولة الإسلامية أنباء المأساة الأندلسية، فأشار الباحث إلى أن هذه الأنباء وطلب النجدة لم تصل إلا فى عهد السلطان بايزيد الثانى (886 ـ 918هـ) فكانت أول سفارة أندلسية عام 891هـ فقرر السلطان إرسال أسطول بحرى إلى غرب البحر المتوسط، فضرب بعض الجزر، ودخل المياه

الإسبانية، وقصف سواحل إسبانيا الشرقية ـ هذا فى المجال العسكرى ـ أما التحرك الثانى فكان دبلوماسيا، حيث أوفد السلطان سفراء إلى بابا روما يطلب منه الضغط على ملكى إسبانيا لوقف الحصـار المضروب على غرناطة، ولكن حصلت تطورات أعاقت استكمال هذه الجهود، ومنها الخـلاف فى البيت العثمانى، وتوتر العلاقات مع المماليك. ثم حصلت سفارة أندلسية ثانية عام 907هـ، وهى عبارة عن قصيدة سيـاسية مؤثرة، وتـتـالت السفارات والاتصـالات إلى عام 1022 هـ أى لمدة مائة عام، وفى هذه الفترة حصلت بعض تغيرات دولية أعـاقت فعلاً النجدة العثمانية، ومنها ظهور شاه إيران الصفوى فى بلاد فارس والعراق، وسعيه إلى فرض المذهب الشيعى بالقوة على السكان، وتحالفه مع المماليك ضد الدولة العثمانية، إضافة إلى تسرب الأساطيل البـرتغالية إلى مياه البحـر الأحمر، وتهديد المقدسـات الإسلامية (مكة والمدينة) وتوغلهم فى الخليج العربى، واحـتلال إسبانيا لمعظم شـمال المغرب العربى، وتحول البحر المتوسط إلى بحيرة صليبية خلت من القوى الإسلامية.

* فى الفصل الرابع: يستـعرض الباحث تجديد السيادة الإسلامـية فى البحر المتوسط، ومتابـعة المأساة الأندلسية، وذلك بوصول السلطان سليـمان القانونى إلى الحكم وبتفوق الجـهاز البحرى بقيادة آل بربـروسا وبدخول الدولة العثمانيـة ميدان الحروب البحرية، وقد فرضت عليها هذه الجبهة، كما يشير الباحث.

* الفصل الخامس: يقدم فيه الباحث عرضًا تحليليًا لمضمون الوثائق المرافقة، وكان عرضا موضوعيًا.

* أما الفـصل السادس والأخيـر: فهو تقويم للمـوقف العثمـانى تجاه هذه المأساة، وفـيه يسـتعرض آراء المـؤرخين تجاه هذا الموقـف؛ وهى بين قائل بسلبـية الموقف العثمـانى، كالدكتور محـمد عبدالله عنان، وآخر يتـوقف إلى حين ظهور دراسات تعـتمد على وثائق عثـمانية، ويمـثله الدكتورة ليلى الصبـاغ، وآخر يرى

إيجابية وفاعلية هذا الموقف، ويمثله الدكتور عبدالجليل التميمى. وبعد أن يذكر الباحث الظروف الإيجابية التى خدمت الموقف العثمانى إزاء هذه المأساة، ومنها ثقة الأندلسيين بالدعم العثمانى؛ من خلال المراسلات، ولمدة مائة عام، والتفات العثمانيين لجبهة البحر المتوسط ونجاحهم فى التصدى للإسبان، وتخليص الجزائر وتونس وطرابلس من تحويلها إلى كيانات لاتينية تابعة لإسبانيا وتركيز الدولة العثمانية على البعد الدينى للقضية من خلال مبدأ الأخوة فى الدين، وانتهاج سياسة متعاطفة تكفل الحياة الكريمة للمهاجرين الأندلسيين، ثم يستعرض الظروف السلبية التى أعاقت النجدة العثمانية وهى أكثر بكثير من الظروف الإيجابية.

* وفى الخاتمة: يستعرض الباحث هذه العوائق ومنها بعد المسافة بين الجانبين، وتضييق الحصار الاسبانى على غرناطة، وعدم اكتمال الخبرة البحرية العثمانية، وتوتر العلاقات مع المماليك، وتعدد الجبهات المعادية للعثمانيين فى القارات الثلاث أوروبا وآسيا وأفريقيا، ومع كل هذا يمكن تحديد الموقف العثمانى فيما يلى:

1 ـ إرسال حملات بحرية مبكرة مثل حملة كمال ريس.

2 ـ التهديد بالمعاملة بالمثل ضد رعاياها النصارى من أجل تخفيف الضغوط الأسبانية.

3 ـ التفات العثمانيين لجبهة البحر المتوسط وتخليص شمال المغرب العربى من الاحتلال الإسبانى.

4 ـ تسهيل تأمين هجرة الأندلسيين إلى الأراضى الإسلامية العثمانية، ومنحهم امتيازات خاصة بهم.

5 ـ بذل جهود دبلوماسية، والحيلولة دون اتفاق دول أوروبا كما تحالف مع فرنسا ضد إسبانيا، وتبين من خلال البحث اتفاق مجموعة من الباحثين على

إيجابيـة الموقف العثمـانى، مع الأخذ فى الحسـبان الظروف الدوليـة والمحلية التى أسهمت فى التأثير فى الموقف سلبًا أو إيجابيًا.

ينتهى البـاحث إلى سؤال وهو: لو افترضـنا عدم بروز الدولة العثمـانية فى تلك الظروف العـصـيبة، من توغـل برتغالـى فى الجهـات الجنوبيـة من العـالم الإسلامى، وإسـبانيا فى الشمـال الأفريقى، وتوالى زحفـها شرقا، وظهـور الشاه الإيرانى المتـعـصب لمذهبـه فى ظل الضـعف المملوكى، بل المتـواطئ مع القـوى الأجنبيـة، وأوروبا متحالفـة من أجل تخليص شرقهـا من الوجود العثـمانى. لو افترضنا عدم وجود القوى العثمانية فماذا كان سيكون مصير العالم الإسلامى؟ هل كان سيصـبح كيانات لاتينية بالفعل!!!» أ.هـ. من خـلال هذه النماذج المذكورة، والنماذج الأخرى المدونة فى القائمة «البيليوجرافية»، يمكن تتبع وجهات النظر تجاه الدولة العثمانية، إذ يمكن حصرها فى محورين:

المحور الأول: رصد حالة الضعف التى اعترت الدولة العثمانية دينيا وسياسيًا وفكريًا، وإخفاق محاولات التنظيمات ذات المناهج الغربية، بدلا من الاستفادة من معطيـاتها، واعتبـار ذلك إحدى سلبيات التـاريخ العثمانى. ثم مـحاولات الدولة العـثمانيـة فى أواخر أيـامها العـودة إلى السـياسة الإسـلاميـة فى عهـد السلطان عبـدالحميـد الثانى (انظر المواد التاليـة أيضا على سبـيل المثال): (99) ـ (117) ـ (122) ـ (123) ـ (140).

المحور الثانى: النظر إلى الدولة العـثمانية على أنها دولة إسلاميـة كبرى لها انجازاتها وفتوحـاتها وخدماتها للإسلام، وذلك أثناء فترة شبـابها وقوتها من القرن التاسع الهجـرى إلى نهاية القرن الحادى عـشر (انظر المواد التالية أيضًـا على سبيل المثـال): (15) ـ (65) ـ (75) ـ (83) ـ (169). وبذلك تـشكل البـحـوث والدراسات العثمـانية فى المملكة العربية السعودية خـصوصية موضوعية مـتميزة،

اختلفت بهـا عن غالبيـة الدراسات المقدمة فى أمـاكن أخرى فى مراحل سـابقة، والتى تأثرت بوجهات نظر غربية وأخرى غير إسـلامية جعلت الدولة العثمانية فى مصاف الدول الاستعمارية.

(21) سقوط الدولة العثمانية ـ دراسة تاريخية فى العوامل والأسباب.

الناشر ـ مكتبة العبيكان ـ الرياض 1956 ـ عدد الصفحـات تسعون. حجم متوسط.

يتناول البـاحث عن الدولة العثـمانيـة التى كانت إحـدى الدول الإسلامـية الكبـرى، التى حكمت العالم الإسـلامى طيلة أربعة قـرون تحت مظلة الخـلافة، وحكمت قبلها أجزاء واسعـة من الأناضول وشرق أوروبا مدة تزيد على قرنين من الزمان. وهذه المرحلة الطويلة من الحكم العثمانى انتهت بسقوط الدولة وزوالها فى عام 1342هـ/ 1924م. تعد ظاهرة نشوء الدول وسقوطهـا من الظواهر التاريخية المتكررة فى التاريخ البشرى، وقد نالت من المفكرين والمؤرخين فى الشرق والغرب النصيب الأوفـر من الدراسات والأبحاث تبعًا لـمفاهيم وعقائد كل فريـق. والمكتبة الإسلامية حافلة بالدراسات الخاصة بأسباب سـقوط الدول الإسلامية المتعاقبة، بيد أنها مغرقـة فى تعميم الأسباب التى تكاد تتكرر فى سـقوط كل دولة، دونما رصد تاريخى دقيق للأسباب العميقة الخاصة بظروف كل دولة على حده، سواء ما يتعلق منها بالأسبـاب الداخلية من ذات المجتمع والدولة، أو الأسباب الخـارجية المرتبطة بتعاملها مع أعدائها فى الخارج. وقد غـفل المؤرخون المختصون عن دراسة أسباب سقوط الدولة العثـمانية فى حين ظهرت محاولات للـكتابة حول هذا الموضوع من قبل أفراد غـيورين دفعهم الاجـتهاد، وتقصـير المختصين، لـدراسة هذا الجانب. ورغم محاولاتهم المشكورة لسد هذا الفراغ، إلا أنها تظل قاصرة عن الوصول إلى معـرفة حقـيقة مظاهـر الضعف، والأسبـاب الكامنة التى أدت إلى تدهور الدولة وسقوطـها، من خلال تتبع أحـداث وتفاصيل التاريخ العـثمانى بمصادره المخـتلفة

العثمـانية والعربية والأجنبيـة. ومما زاد فى أهمية هذا الموضوع، حـاجة الأمة إلى دراسات تلقى الضوء على أسبـاب الضعف ومظاهره التى تكتنف العالم الإسلامى فى عصرنا الحاضر، والتى ظهرت بوادرها قبيل سقوط الدولة العثمانية. بدأت هذه الدراسة بتـمهـيد حول ظهـور الدولة العثـمانية وبروزها وتصـدرها زعامـة العالم الإسلامى فى العصر الحديث، لمعـرفة جوانب القوة والازدهار فى هذه الدولة. ثم قسمت دراسـة عوامل ضعفـها وأسبابه ثم سقـوطها إلى قسمين: يـختص القسم الأول منهـا بدراسة العـوامل والأسبـاب الداخليـة فى المجتـمع والدولة، ويناقش القسم الثانى العوامـل والأسباب الخارجية، التى تراكمت وتضـافرت مع الأسباب الداخلية فـى تدهور الدولة وسقوطهـا، وختـمت البحث بذكر أهم وأبـرز النتائج المستـخلصة من هذه الدراسة. تتـناول الدراسة:ـ المقدمـة، بروز الدولة العثمـانية وتصدرها زعامة العالم الإسلامى فى العصر الحديث، العوامل والأسباب الداخلية لسـقوط الدولة، أولا: البـعد عن منهج الإسـلام وجوهر الإيمـان. ثانيا: فـشل محـاولات الإصلاح فى أواخر عـهد الدولة. ثالثًا: تعـدد العناصر والقومـيات، وتنوع الملل والنحل، وظهور الحركات القومية والطائفـية. رابعًا: الحركات الباطنية وعداء الدولة الصـفوية الشيـعية فى فارس. خـامسًا: التخـلف العلمى والتقنى. العوامل والأسباب الخارجيـة لسقوط الدولة: أولا الغزو الخارجى، الغزو الفكرى، الغزو الاستعـمارى. ثانيًا: عداء اليهود وظهـور الحركة الصهيونيـة. ثالثًا: السعى لهدم مركز الخلافة:

تاسعًا: د. أميرة على المداح:

من أبناء المملكة العربية السعودية وقد قامت بتقديم رسالة الماجستير عن:ـ

(22) العثمانيون والإمام القاسم بن محمد بن على فى اليمن 1598 ـ 1620

الطبـعة الثـانيـة ـ الناشر ـ تهـامة . جـدة **1984** ـ يقع الكتاب فى **247** صفحة.

تعمل الكاتبة حاليا وكيلة لعمادة شئون المكتبات بقسم الطالبات بمكة المكرمة، ومحاضرة بقسم التاريخ والحضارة الإسلامية - جامعة أم القرى - مكة المكرمة.

تبدأ الباحثة كتابها بالمقدمة، التمهيد عن (أ) نبذة عن الإمامة الزيدية، (ب) انهاء إمامة أولاد المطهر بن شرف الدين وأسر الإمام الحسن (جـ) فترة الاستقرار، الفصل الأول «الإمام القاسم»:- (أ) نسب الإمام القاسم ونشأته وظهور دعوته سنة 1006هـ (ب) حروب الإمام فى النهضة الأولى مع حسن باشا، (جـ) استقرار الإمام فى السودة سنة 1008 هـ وبقية حروب «النهضة الأولى»، (د) اشتداد الحصار على شهارة سنة 1009هـ، وخروج الإمام إلى «برط».

الفصل الثانى:- ولاية سنان سنة 1013هـ - 1015 هـ - «النهضة الثانية» (أ) عرض الصلح على الإمام القاسمى فى ولاية سنان باشا سنة 1013هـ، (ب) التطورات فى «النهضة الثانية» وفكرة رحيل الإمام «للبصرة»، (جـ) انضمام الأمير عبدالرحيم بن عبدالرحمن للإمام وبقية التطورات (د) عودة شهارة للإمام القاسم سنة 1015هـ - ثم عقد الصلح مع سنان باشا قبيل رحيله.

استعرضت الباحثة فى الفصل الثالث عن - صلح سنة 1016هـ ونتائجة

(أ) سياسة جعفر باشا (ب) صلح سنة 1016هـ، استقرار الإمام فى «شهادة». (جـ) تفرغ جعفر باشا للأمير عبدالرحيم بن عبدالرحمن (د) أسر عبدالرحيم ونفيه سنة 1018هـ. الفصل الرابع:- الحالة بعد عزل جعفر باشا 1021 - 1029 هـ «النهضة الثالثة والرابعة» (أ) عودة جعفر باشا للولاية بعد عزله وموت إبراهيم باشا وما أعقبها من تطورات 1021 - 1025هـ «أسر الحسن بن الإمام - موقعه «غارب أثلة» - «موقعة الشقاب» (ب) الوالى محمد باشا وسياسته 1025هـ (جـ) الصلح مع الإمام 1028هـ (د) وفاة الإمام القاسم 1029هـ - الفصل الخامس

ـ الخلل فى الآستانة (أ) نظرة عامة فى أهم النظم العثمانية (ب) الخلل فى الآستانة وأثره على اليمن (جـ) التوازن بين الإمامة والولاية، الخاتمة، الملاحق.

ترجع أهمية هذه الدراسة، إلى الغرض الرئيسى من وراء هذه السيطرة العثمانية على اليمن حينذاك، وهو اتخاذها قاعدة أمامية لصد الغزو البرتغالى عن الحرمين الشريفين والدفاع عن البحر الأحمر، أما عن أهمية فترة الإمام محمد القاسم يرجع إلى دوره فى تأسيس الإمامة القاسمية التى استطاعت أن تحكم اليمن وتخرج العثمانيين منها وتناولت هذه الدراسة أوضاع اليمن السياسية والاقتصادية والاجتماعية.

عاشراً:ـ د. يوسف حسن محمد العارف

من أبناء المملكة العربية السعودية، وقد قام بتقديم رسالة الماجستير بعنوان:ـ

(23) العثمانيون وحكومة الأدارسة فى عسير

يقع الكتاب فى 321 صفحة من الحجم المتوسط، ويعمل الباحث فى قسم التاريخ بجامعة الملك عبدالعزيز فى جدة ـ ونشر الكتاب فى عام 1995 بجدة.

يبدأ الكتاب بالمقدمة ثم الفصل الأول عن عسير قبل حكم الأدارسة:ـ أولا: العثمانيون فى جنوب الجزيرة العربية (1) تعريف عام بالمنطقة (2) العثمانيون فى اليمن (3) العثمانيون فى عسير والمخلاف السليمانى. ثانيا:ـ الأدارسة فى تهامة عسير والخلاف السليمانى:ـ (1) أصل الأدارسة ونسبهم (2) السيد أحمد بن إدريس وانتقاله إلى «صبيا» ثالثا:ـ السيد محمد على الإدريسى وتأسيس الحكومة:ـ (1) ولادته ونشأته وتعلمه (2) التمهيد لتأسيس الحكومة (3) التنظيم الإدارى والفتوحات الأولى. الفصل الثانى:ـ العلاقات بين العثمانيين وحكومة الأدارسة:ـ 1908 ـ 1911 أولا:ـ موقف العثمانيين من نفوذ الادارسة المتزايد: (1) الأوضاع

الداخلية فى الدولة العثمانية والعهد الدستورى (2) التقارب العثمانى الإدريسى واتفاق الحفاير. ثانيا:ـ الوضع فى عسير والمخلاف السليمانى بعد الاتفاق:ـ (أ) توتر العلاقات بين الإدريس والمتصرف العثمانى فى عسير (2) إعلان الثورة وحصار أبها، ثالثًا:ـ موقف الأدراسة من العلاقات العثمانية اليمنية:ـ (أ) طبيعة العلاقات العثمانية اليمنية حتى عام 1911 (2) موقف الأدارسة من العلاقات العثمانية اليمنية.

يتناول الفصل الثالث:ـ صلح «دعان» وأثره فى العلاقات العثمانية الإدريسية 1911 ـ 1914:ـ أولا: الصلح بين العثمانيين، والإمام يحيى:ـ (أ) العوامل والظروف المساعدة (2) اتفاقية الصلح والتعليق عليها. ثانيا:ـ أثر الصلح على علاقات الأدارسة بالإمام يحيى:ـ (أ) صلح دعان والتحول فى العلاقات (2) النتائج المترتبة على تغير العلاقات. ثالثًا:ـ أثر الصلح على علاقات الأدارسة بالعثمانيين:ـ (أ) التحالف الإيطالى الإدريسى (2) المساعى العثمانية للصلح مع الادارسة. الفصل الرابع:ـ العثمانيون والأدارسة أثناء الحرب العالمية الأولى 1914 ـ 1918 أولا:ـ الوضع فى جنوب الجزيرة عند قيام الحرب (أ) القوى المتواجدة فى المنطقة (2) خطورة الوجود العثمانى على المصالح البريطانية فى المنطقة. ثانيا:ـ موقف الأدارسة أثناء الحرب العالمية الأولى:ـ الاتفاق مع بريطانيا 1915 (2) تطور العلاقات بينهما أثناء الحرب (3) الأثر الاقتصادى لهذه العلاقات فى المنطقة. ثالثا:ـ العمليات العسكرية فى عسير والمخلاف السليمانى وموقف الأدارسة منها (أ) الإدريسى يطلب السلاح من بريطانيا (2) العمليات العسكرية فى الميدان الجنوبى (3) العمليات العسكرية فى الميدان الشمالى والأوسط. رابعًا:ـ الهدنة ونهاية الحرب وموقف الأدارسة منها:ـ (أ) موقف القوى فى المنطقة قبل الهدنة (2) الهدنة وشروطها ونهاية الحرب (3) قضية الحديدة بين بريطانيا والأدارسة والإمام يحيى (4) ما بعد الحرب. والخاتمة.

تعتبر هذه الدراسة شأنها شأن الدراسات التى تناولت العلاقة بين الدولة العثمانية وأية أقاليم من أقاليمها العربية، وتكشف هذه الدراسة «أزمة الثقة» فى العلاقات العثمانية العربية وبخاصة فى نهاية القرن التاسع عشر، قرن اليقظة، وتحاول أن يكون لها شخصيتها العربية داخل السيادة العثمانية حفاظا على الرابطة الدينية، واعتبر العرب أن العصر الذى كانت الدولة العثمانية ترسل ولاتها وموظيفها الأتراك الذين لا يفهمون لغتها ولا يعرفون مصالحها وعاداتها قد انتهى، ولابد أن تمنح هذه الأقطار أو الأقاليم العربية قدرا من الصلاحيات حتى تستطيع أن تسير فى طريق التقدم.

حادى عشر ـ د. خلف دبلان خضر الوذ ينانى:

من ابناء المملكة العربية السعودية، يعمل فى قسم التاريخ بجامعة أم القرى بمكة المكرمة وله العديد من الدراسات فى الشئون العثمانية ومنها:

(24) القدس بين أطماع الصهيونية والحكم العثمانى 1876 ـ 1904

يبدأ الدراسة بدخول السلطان سليم الأول القدس عام 1516، ثم القدس فى عهد السلطان سليمان القانونى، وكيف أن الدولة العثمانية اهتمت برعاية أهل الذمة ومنعت اليهود من الاستيطان فى سيناء ومن الإقامة فى الطور ومنعتهم من التعرض لدير سانت كاترين وإيذاء رهبانه المنقطعون فيه للعبادة.

يتناول الباحث موقف اليهود المعارض لحكم السلطان عبدالحميد الثانى والذى كان من اشد الأمور التى واجهتها الدولة العثمانية فى فلسطين، فنجحت الحركة الصهيونية فى استقطاب الدول الكبرى إضافة إلى روسيا، لذلك نشأت الصهيونية فى أحضان تلك الدول للتنافس على حمايتها وفى مقدمتها بريطانيا التى تبنت هذه الحركة. وكان موقف السلطان عبدالحميد الثانى ثابتا من الهجرة اليهودية

وأصدر فرمانا يمنع بيع الأراضى فى فلسطين لجميع اليهود بما فيها رعايا الدولة العثمانية، فأثار هذا القرار احتجاجا واسعا من اليهود وبعض الدول الكبرى، فلم يهتم لذلك الأمر لغيرته الإسلامية مهما كلفه الأمر ولو خسر حكمه فى سبيل صد الصهيونية عن الأراضى المقدسة الإسلامية. ولما أدرك اليهود صمود السلطان عبدالحميد لأطماعهم زاد ذلك من تآمرهم لإسقاطه واستعانوا عليه بالقوى الماسونية والدونمة والاتحاد والترقى والطورانية، وهذا ما أدى باليهود فى اسقاط السلطان عبدالحميد، ونجد فى عهد السلطان محمد رشاد دوراً «بارزاً» لليهود عندما قام بتعيين اليهودى رمزى بك رئيسيا لأركان حرب السلطان، وجاويد بك وهو يهودى وزيراً للمالية وطلعت بك الماسونى وزيراً للداخلية إضافة إلى سيطرة اليهود على المطبوعات ووكالات الأنباء والمحاكم العرفية والعسكرية وضابط الشرطة وأمانة العاصمة، مما أكد على أن الثورة ضد السلطان عبدالحميد هى ثورة يهودية وليست تركية عثمانية.

(21) البحر الأحمر والجزيرة العربية فى الصراع العثمانى البريطانى خلال الحرب العالمية الأولى: مكتبة العبيكان ـ الرياض **1994** ـ يقع الكتاب فى **567** صفحة.

تناول الكتاب مقدمة ثم الفصل الأول:ـ منطقة البحر الأحمرقبيل الحرب العالمية الأولى، الأبعاد الجغرافية والتاريخية لمنطقة الدراسة، القوى المحلية فى المنطقة، القوى الكبرى ذات النفوذ فى المنطقة، العلاقات بين الدولة العثمانية وبريطانيا فى المنطقة، الفصل الثانى يحتوى على:ـ نشوب الحرب بين الدولتين، الظروف والأسباب الدولية التى أدت إلى الحرب العالمية الأولى، إعلان الحرب بين الدولة العثمانية وبريطانيا، سياسة الدولة العثمانية فى المنطقة بعد إعلان الحرب بين الدولتين، سياسة بريطانيا فى المنطقة بعد إعلان الحرب بين الدولتين، الفصل الثالث:ـ مصر والسودان **1914 ـ 1916**، الإجراءات البريطانية لتثبيت نفوذها فى

مـصر والسـودان، المشروع العـثمـانى لفـتح مصـر، الوضع البـريطانى على قناة السويس، سـير المعارك فى القناة، الوضع فى مصـر والسودان بعد فشل الـهجوم العثمـانى الأول، سياسة العثـمانيين بعد فشل الحـملة الأولى، الموقف البريطانى، الهجوم العثمانى الثانى.

يستـعرض الفصل الرابع:ـ الحـجاز 1914 ـ 1916، الوضع فى الحجاز عند قيام الحرب، سياسة بريطانيا تجاه الحجاز، علاقات الشريف حسين بالعثمانيين قبيل اندلاع الثورة، الشـريف حسين بين بريطانيـا والدولة العثمـانية، الشريف حـسين والعثمانيون فى هذه المرحلة. الفصل الخامس:ـ جنوب غربى الجزيرة العربية 1914 ـ 1916، الإجراءات العثمانية فى اليمن وعسير وموانئ البحر الأحمر المتاخمة لها، خطة بريطانيا فى هذا الاتجـاه، سياسة الدولة العثـمانية فى مطلع الحرب، سـياسة بريطانيا فى مطلع الحرب، العمليات الحربية بين الدولتين.

يشمـل الفصل السـادس:ـ مصر والـسودان 1916 ـ 1918 المرحلة الثـانية، العـمليات الحـربية بين الدولتـين فى الحـدود الشرقـية لمصـر، الوضع فى مصـر والسودان، الوضع فى الحـبشة وأريتريا، الـوضع فى حدود مصر الغـربية، الخطط العسكرية للدولتين والعمليات الحربية الـنهائية على حدود مصر وفلسطين. الفصل السابع:ـ الحجاز 1916 ـ 1918 المرحلة الثانية، قيام الشريف حسين بالثورة، موقف بريطانيا من الثورة، موقف العثمانيين فى هذه المرحلة، مشاورات بريطانيا مع الملك حسـين حول الوضع فى الحجـاز، زحف قوات الشـريف نحو الشمـال، الاتصال بالقبائل وخطط تدميـر السكة الحديدية، الاستيلاء على العقبـة، الوضع العثمانى، العمليات الحربية فى السنة الأخيرة للحرب، الفصل الثامن:ـ جنوب غربى الجزيرة العربية 1916 ـ 1918 المرحلة الثانية، الإجراءات البريطانية فى جنوب غربى الجزيرة العربيـة فى بداية هذه المرحلة، سياسة بـريطانيا تجاه الشريف حـسين والإدريسى، الوضع السياسى والعسكرى فى جنوب غربى الجزيرة العـربية، سياسة بريطانيا تجاه

علاقات الإمام يحيى بالعثمانيين، نقل الإشراف السياسى والعسكرى فى عدن إلى القاهرة ولندن، الوضع فى جنوب غربى الجزيرة العربية فى المراحل الأخيرة للحرب، العمليات البريطانية الإدريسية المشتركة ضد العثمانيين فى نهاية الحرب، الخاتمة. الملاحق.

ثانى عشر:ـ سهيل محمد صابان (رسالة دكتوراة) الأوضاع الثقافية فى تركيا فى القرن الرابع عشر الهجرى: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، كلية الشريعة، قسم الثقافة الإسلامية، الرياض، 1415هـ

نعيد نشر ما كتبه الدكتور عبداللطيف الحميد فى مجلة الدارة ـ جمادى الآخرة 1416هـ

تعد هذه الرسالة إطلالة على تاريخ ثقافة إحدى الشعوب الإسلامية غير العربية وهى الثقافة التركية، وما كان يدور فيها من صراع بين الثقافة الإسلامية والثقافات الأخرى ويأتى هذا العمل العلمى المميز اضافة جادة للمكتبة الإسلامية العربية. تقع هذه الرسالة فى تسع وخمسمائة صفحة، تتضمن مقدمة وتمهيداً وأربعة أبواب وخاتمة وفهارس، وقد أوضح الباحث فى المقدمة أهمية الموضوع وأسباب اختياره، والدراسات السابقة، ومنهجه فى البحث والصعوبات التى واجهته، وخطة البحث. وأما التمهيد فقد أفرده للتعريف بمصطلحات البحث، وتقديم خلفية تاريخية عن الأوضاع الثقافية قبيل فترة الدراسة من الناحية العلمية والفكرية والاجتماعية. استعرض الباحث فى الباب الأول اتجاهات الثقافة فى تركيا فى القرن الرابع عشر الهجرى، وجعله فى فصلين مبيّنًا فى الفصل الأول اتجاهات الثقافة السائدة ومنها الاتجاهات المحافظة، والاتجاهات الصوفية، والاتجاهات التجديدية. ثم انتقل فى الفصل الثانى إلى الحديث عن تيارات الثقافة الوافدة، وأبرزها تيار التغريب، وتيار العلمانية، وتيار الاستشراق، وتيار التنصير، وتيار الماسونية، وتيار القومية التركية.

ناقش الباحث فى البـاب الثانى قضية الصـراع الثقافى موضـحًا فى الفصل الأول أبعاد الصراع الداخلى فى الاتجاهات الـثقافية السائدة حول مسـائل الاجتهاد والموقف من العلماء المجددين. وفى الفـصل الثانى تناول الباحث القضيـة الرئيسية وهى الصراع بين الثقافـة الإسلامية والثقافة الوافدة فى مـجالات العقيدة والأدب، والفكر والاجتماع.

أما الباب الثالث فقد خصصه البـاحث لمناقشة آثار الثقافة الوافدة فى تركيا، فأفرد الفصل الأول الحديث عن الآثار فى مجال العقيدة والفكر والتربية والتعليم.

وفى الباب الرابع استـعرض الباحث جهـود المسلمين فى تركيـا فى محاولة تصحيح الأوضاع الثقافية فى البلاد، مـشيراً فى الفصل الأول إلى الجهود الرسمية فى مـحاولة تصـحيح الأوضـاع الثقـافيـة فى تركيـا ابتداء من سـياسـة السلطان عبدالحـميد الثانى فى الجـامعة الإسلامـية ثم محاولات إنشـاء مؤسسات تعليـمية دينية. وفى الفـصل الثانى تتبع الباحث الجـهود غير الرسـمية لتصـحيح الأوضاع الثقافية سواء الفردية أم الجماعية مـثل جمعية الاتحاد المحمدى،وحركة النور. وقد توج البـاحث عمله الجـيد بوضـع تراجم للأشخـاص الوارد ذكرهم فى أحـداث البحث، ووضع فهارس للأعلام والأماكن، فضلا عن رجوعه إلى مصادر ومراجع متعددة وشاملة جاوزت الخمسمائة والسبعـين مصدراً ومرجعًا، أغلبها تركية، كما اتضحت شخـصية الباحث فى ثنايا الموضوعات المطروحـة. وتجدر الإشارة إلى أن الباحث اسـتعرض أحداثا تعـود إلى بداية عهد التنظيمـات العثمانيـة فى منتصف القرن الثالث عشر الهجرى. وهى البداية الفعلية لعـهد التغيرات الثقافية فى البلاد العـثمانـية. وكان مـن الأفضل لو وضع البـاحث عنوانًا لبحـثه على هذا النـحو. الأوضاع الثقافية فى تركيا من التنظيمـات العثمانية إلى العهد الجمهورى، بدلا من حصـرها فى القرن الرابع عشـر الهجرى فـقط، دونما مبرر تاريخى أو مـوضوعى لجعل بدايتها فى ذلك القرن.

ثالث عشر: ـ إيمان سليمان الفهد العيسى (رسالة ماجستير) سياسة السلطان عبدالحميد الثانى الإسلامية 1293 ـ 1327هـ/ 1876 ـ 1909م : الرئاسة العامة لتعليم البنات، كلية التربية للبنات، قسم التاريخ، الرياض، **1413**هـ.

نعيد نشر ما كتبه الدكتور عبداللطيف الحميد فى نفس المرجع نظراً لعدم تمكننا من الحصول على الدراسة.

جاءت هذه الرسالة التى تقدمت بها الباحثة السعودية إيمان سليمان العيسى فى إحدى وأربعين وخمسمائة صفحة، مقسمة إلى مقدمة وتمهيد وستة فصول وخاتمة.

شرحت الباحثة فى المقدمة الظروف المحيطة بالعالم الإسلامى فى النصف الثانى من القرن الثالث عشر الهجرى/ التاسع عشر الميلادى، حينما قضت بريطانيا خارج حدود الدولة العثمانية على بقايا دولة المغول الإسلامية فى الهند، وغزت روسيا القيصرية الأراضى الإسلامية فى أواسط آسيا. بينما تولى السلطان عبدالحميد الثانى الحكم فى الدولة العثمانية فى ظروف صعبة وحرجة، فقد تسلطت جماعة الأحرار الأتراك بزعامة مدحت باشا على شئون الحكم، واستطاعت خلع سلطانين قبله (عبدالعزيز ومراد الخامس)، كما عمت الثورة المناطق المسيحية فى البلقان بتحريض من الدول الأوربية وروسيا القيصرية، وزادت الأحوال سوءا بقيام الحرب الروسية العثمانية 1294هـ/ 1877م، التى انتهت بهزيمة الدولة العثمانية وتوقيعها معاهدة سان ستيفانو ثم معاهدة برلين. وكان من نتائج هذه الأزمات تمزيق أوصال الدولة، حيث احتلت بريطانيا قبرص ومصر، واحتلت فرنسا تونس، وتعرض المسلمون فى البلقان والقرم والشمال الأفريقى والهند للاضطهاد من قبل القوى الاستعمارية. هيأت هذه الظروف المتشابهة فى العالم الإسلامى داخل الدولة العثمانية وخارجها لبروز فكرة الجامعة الإسلامية والرابطة الدينية لمجابهة الأخطار المحدقة. فوجد السلطان عبدالحميد ضالته فى

تطبيق سياسة الجامعة الإسلامية لمعالجة الصعوبات الداخلية والخارجية التى واجهها عند توليه الحكم. وهكذا تبرز وتتضح - فى نظر الباحثة - أهمية موضوع سياسة السلطان عبدالحميد الثانى الإسلامية بصفته موضوع تاريخى يمثل مرحلة من أهم مراحل اليقظة الإسلامية الحديثة فى مواجهة الخطر الأوروبى الصليبى. وقد بلورت الباحثة منهجيتها فى البحث من خلال معالجة الأحداث معالجة موضوعية حيادية منصفة بعيدة عن الانحياز أو التحامل، مستخدمة طريقة المنهج العلمى للبحث التاريخى، التى تعتمد على النقد والتحليل والمناقشة الموضوعية والاستنتاج أثناء فحص المعلومات والمقارنة بينها، باستخدام الوثائق العثمانية والبريطانية والعربية.

من خلال هذه المنهجية خصصت الباحثة التمهيد للتعريف بالسلطان عبدالحميد الثانى، ثم توليه الحكم وأهم الإصلاحات التى قام بها. وأما الفصل الأول فقد أفردته الباحثة للحديث عن العوامل التى دفعت السلطان عبدالحميد لانتهاج سياسة الجامعة الإسلامية. وتناولت الباحثة فى الفصل الثانى جهود جمال الدين الأفغانى فى دعم حركة الجامعة وعقدت مقارنة بين دعوة كل من الأفغانى ونامق كمال إلى الخلافة الإسلامية. وبنفس الجدية، خصصت الباحثة الفصل الثالث للحديث عن الدعائم الأساسية التى قامت عليها سياسة السلطان الإسلامية، وأهمها مركز الخلافة وشعيرة الحج. أما الفصلان الرابع والخامس فقد أفردتهما للحديث عن التيارات المناهضة لسياسة السلطان الإسلامية، سواء فى المحيط العربى من خلال نشاط الجمعيات السرية ذات القيادة المسيحية. أم فى المحيط التركى من خلال نشاط جماعة تركيا الفتاة وتنظيماتها المختلفة فى داخل الدولة العثمانية وفى أوروبا. وقد ناقشت الباحثة فى الفصل الأخير حركة الجامعة الإسلامية ذاتها، ما لها وما عليها فتحدثت عن مدى نجاح الحركة ومظاهر ذلك النجاح، كما تحدثت من جهة أخرى عن تعثر تلك الحركة ثم توقفها وأسباب

ذلك. ويعد هذا الفصل من أهم فصول الرسالة إذ أن تقويم حركة الجامعة الإسلامية إيجابًا وسلبًا يتيح للباحثين معرفة خفايا حقبة تاريخية مهمة من تاريخنا الحديث مازالت ذيولها ماثلة للعيان إلى وقتنا الحاضر. وقد فات على الباحثة قضية مناقشة حركة الجامعة الإسلامية فى جوانبها الفكرية وأثر ذلك إيجابًا وسلبًا على مسار الحركة. وقد توجت الباحثة الرسالة بخاتمة تتضمن حقائق جديدة توصلت إليها بفضل الله ثم بجهودها العلمية ودأبها وصبرها فى السعى للحصول على وثائق جديدة لم تنشر من قبل بالاضافة إلى تتبعها الدقيق لكل ما نشر حول الموضوع. وتعد هذه الرسالة دليلاواضحًا على ما وصلت إليه المرأة السعودية من درجة علمية متميزة فى شتى المجالات وفى مقدمتها الدراسات التاريخية.

رابع عشر:- سليمان بن محمد الغنام (كتاب) قراءة جديدة لسياسة محمد على باشا التوسعية، دار تهامة، جدة، 1400هـ/ 1980م.

نعيد نشر ما كتبه الدكتور عبداللطيف الحميد فى نفس المرجع نظرًا لعدم تمكننا من الحصول على الدراسة.

تشكل مسألة الموقف العثمانى تجاه السعودية - أهم محاور الأبحاث التاريخية فى مجال الدراسات العثمانية، وقد ارتبط بهذا الموقف التدخل السافر لقوات محمد على باشا فى الجزيرة العربية عامة ومنطقة نجد خاصة. إذ من بين المواد التى تم رصدها فى بحثنا هذا حول واقع الدراسات والبحوث العثمانية فى المملكة العربية السعودية نجد أن هناك حوالى عشرين بحثًا ودراسة من بين مجموع المواد وعددها يتجاوز مائتى دراسة ذات علاقة مباشرة بهذه المسألة. ويبدو واضحًا أن كتاب الدكتور سليمان بن محمد الغنام يقف فى مقدمة هذه الأبحاث من حيث جدية الطرح وجدة المعالجة، والنظر إلى الموضوع من زاوية الظروف الدولية السائدة آنذاك.

أعطى الباحث تفسيراً جديداً لظاهرة بروز محمد على باشا فى مصر فى بداية القرن الثالث عشرالهجرى/ التاسع عشرالميلادى، واستيلائه على منطقة شاسعة امتدت من هضبة الحبشة ومرتفعات اليمن جنوبًا وحتى ضواحى استانبول شمالا، بما فى ذلك معظم أنحاء الجزيرة العربية، رغم أن مصر كانت آنذاك، ضعيفة البنية السياسية والاجتماعية والاقتصادية، «فلم يحدث فيها مثلا ما حدث فى بلدان أوروبا الغربى من تحول صناعى». ثم «إن المنطقة التى كانت مسرح هذا التوسع لم تكن بالمنطقة ذات الاهتمام القليل أوالثانوى بالنسبة للدول العظمى المعاصرة، بل كانت مجالا حيويًا ـ بل هو بالنسبة لبريطانيا بشكل خاص يأتى فى مقدمة اهتماماتها العالمية» كما «إن حركة التوسع هذه لم تكن مدفوعة بموجب من الحماسة الدينية لإعلاء كلمة الله والاستشهاد فى سبيله بل العكس هى التى تسلطت ـ أو سلطت ـ عليها حتى دمرتها بكل عنف وشراسة» وأخيراً إنها لم تكن نتيجة لنشوء حركة سياسية ذات مضمون قومى تهدف إلى توحيد رقعة من الأرض تسكنها شعوب متماثلة كما يزعم البعض» انظر الكتاب ص11 ـ 12. وحتى يصل الباحث إلى النتائج التى عرضها، تتبع الدوافع الكامنة خلف غزو نابليون لمصر واحتلالها (1798 ـ 1801م)، وأوضح أنها حركة ذات هدف استراتيجى مدروس باختيار مصر التى هى مفتاح الشرق، والحاجز المنيع للذود عن العالم الإسلامى، عن طريق نسف الحاجز الدينى وتقويض القيم الاجتماعية والدينية، وإحلال المؤسسات على النمط الأوروبى بدلا من المواجهة العسكرية المكشوفة.

من هذا المنطلق يرى الباحث أن تحرك بريطانيا لإبعاد فرنسا عن مصر كان مصحوبًا بنوايا أخرى تحقق لها أهدافا استراتيجية فى المنطقة العربية بكاملها. فالمنطقة كانت تبشر بتحول جديد فخشيت بريطانيا من تعاظم قوة دولة القواسم البحرية.

هذه العوامل فى نظر الباحث تأتى فى مقدمة العوامل التى بلورت الموقف البريطانى فى المنطقة، إضافة إلى العوامل الأخير التى جعلت الدولة العثمانية تسعى للقضاء على السعودية بعد إنهاء السيادة العثمانية على الحجاز على يد السعوديين. على هذا النحو سعت بريطانيا لتوليه محمد على باشا على مصر؛ لأنه الشخصية القادرة فى نظرها على إدراك أهدف السياسة البريطانية والتصرف بما لا يتعارض معها. وقد أثمرت جهودها ويدلل الباحث الدكتور سليمان بن محمد الغنام على قراءاته الجديدة لسياسة محمد على باشا التوسيعة، بأن الباشا التزم «فى سياسته التوسعية بخط واضح يقضى بالتوفيق بين طموحاته التوسعية ومتطلبات السياسة البريطانية فى الهيمنة على المنطقة والتصدى لأى خطر محلى أو خارجى يهدد أو يعرقل هذه الهيمنة» ص123.

يتضح من خلال ما عرضه هذا الباحث، توصله إلى نتائج علمية جديدة لم تطرق من قبل بالتركيز على أثر القوى الكبرى، وبخاصة فرنسا وبريطانيا فى استراتيجية المنطقة. ويلاحظ أن الباحث لم يعط تفاصيل واسعة لحقيقة الموقف العثمانى سياسيًا وفكريًا، حتى تكتمل الصورة محليًا ودوليًا.

خامس عشر: محمد بن عبدالله السلمان (مقال)، مجلة العرب، ج1/ 2، ص29، رجب 1414هـ.

على نحو مغاير لما طرحه الدكتور سليمان بن محمد الغنام فى البحث الآنف الذكر، حاول الباحث الدكتور محمد بن عبدالله السلمان النظر هنا للأحداث من الزاوية المحلية، باعتبار غزو محمد على باشا بداية للوجود الأجنبى إذ «من المتعارف عليه والمجمع عليه عند المؤرخين أن نجداً تعتبر أبرز منطقة فى الجزيرة العربية التى لم يطأ أرضها استعمار أجنبى البتة. ولكنها مع ذلك لم تسلم من ظروف أوجدت بعض الجيوش الأجنبية عن أهل نجد فى اللغة والعادات والتقاليد

وإن اتفقت معه فى الدين عموما» جـ4. ويشير الباحث إلى أن وصفه لهذا الوجود بأنه أجنبى «لا يعنى ذلك انتفاء صفة الإسلام عنها بقدر أنها أجنبية عن شعوب المنطقة فى اللغة والعادات والتقاليد بل بعض مظاهر الدين ودرجة التمسك بالعقيدة الإسلامية عقيدة وشريعة ومنهج حياة. أضف إلى ذلك أن وصف القادم من خارج المنطقة بأنه (أجنبى) كان شائعًا فى نجد ولا يزال. وإن كان ذلك بدرجة أقل مما كان فى عهود سابقة» جـ5. ويرى الباحث أن السبب الرئيس للوجود الأجنبى فى نجد هو إيعاز السلطان العثمانى إلى واليه فى مصر بتخليص الحجاز والقضاء على أسرة آل سعود ولذلك لم يشر الباحث إلى العوامل الأخرى والظروف الدولية التى جعلت بريطانيا تؤيد مهمة محمد على باشا، على نحو ما ذكره الدكتور الغنام فى البحث السابق. وقد تتبع الباحث فى مقاله ذى الحلقات الثلاثة مراحل الوجود الأجنبى فى نجد والمقاومة الشعبية له، والآثار المترتبة على هذا الوجود سياسيًا واجتماعيًا.

سادس عشر:ـ د. محمد حسن العيدروس

من أبناء الإمارات العربية المتحدة ـ حاصل على الدكتوراة من مصر عام 1983 ـ عمل فى جامعة الإمارات العربية المتحدة من عام 1984 ـ إلى عام 1994 ثم جامعة الكويت من عام 1994 حتى عام 2000، وله العديد من الكتب والأبحاث عن الدراسات العثمانية منها:ـ

(25) العلاقات العربية الإيرانية

منشورات ذات السلاسل ـ الكويت 1985 ـ يقع الكتاب فى 686 صفحة، ويتناول الفصل الرابع من ص105 ـ إلى ص124، مشكلة شط العرب بين الدولة العثمانية والدولة الفارسية، (أ) معاهدة أرضروم الأولى (ب) معاهدة ارضروم الثانية (جـ) بروتوكول طهران ـ وبروتوكول الآستانة.

(26) زايد أمير بنى ياس وعلاقته بالقوى المجاورة:

منشورات ذات السلاسل ـ الكويت 1990 ـ يقع الكتاب فى 127 صفحة من الحجم المتوسط. ويتناول الكتاب هجرة القبيسات والتنافس الأنجلو ـ العثمانى والنزاع الظبيانى ـ القطرى فى جنوب الخليج العربى 1871 ـ 1913، ويبدأ بهجرة القبيسات الأولى والثانية والثالثة ومطالبة زايد باستعادة العديد، التنافس الأنجلو ـ العثمانى حول العديد، أولا:ـ السياسة العثمانية تجاه الخليج العربى عام 1871، ثانيا:ـ الموقف البريطانى تجاه الحملة العثمانية عام 1871، بريطانيا تسمح لزايد باستعادة العديد، الاحتجاج العثمانى ضد هجوم زايد على العديد، النزاع الظبيانى ـ القطرى، توتر العلاقات الظبيانية ـ القطرية، حروب أبوظبى ضد قطر العثمانى عام 1888، هجوم الشيخ خليفة بن زايد على «الدوحة» عاصمة قائمقامية قطر العثمانى، هجوم قاسم قائمقام قطر العثمانى على منطقة «ليو» فى أبوظبى، هجوم زايد ومعركة «القارة»، واقعه «سويحان» و «الصفاة»، الموقف البريطانى من السياسة العثمانية تجاه «العديد» نهاية التنافس الأنجلو ـ العثمانى واتفاقية 1913 فيها، الخاتمة.

(27) تاريخ الخليج العربى الحديث والمعاصر:

منشورات عين للدراسات والبحوث الاجتماعية ـ القاهرة 1996 ـ يقع الكتاب فى 416صفحة. يتناول الفصل الأول الاستعمار المسيحى الأوروبى فى الخليج العربى والصراع العثمانى ـ البرتغالى ومجئ العثمانيين إلى البصرة وإلى القطيف والأحساء والبحرين، أما الفصل الرابع فيتناول التنافس الأنجلو ـ مصرى فى الخليج العربى 1818 ـ 1840، الدولة العثمانية والحملة المصرية على الأحساء عام 1818، الموقف البريطانى من الوجود من الوجود المصرى فى الأحساء، مقاومة بريطانيا الوجود المصرى ثم الانسحاب عام 1840. الفصل الخامس:ـ التنافس

الأنجلو ـ عثمانى فى الخليج العربى 1840 ـ 1914، الأحساء فى أعقاب الانسحاب المصرى 1840 ـ 1843، القائمقام العثمانى فيصل بن تركى وضم الأحساء لنجد، اهتمام العثمانيين بالأحساء 1861 ـ 1871، الحملة العثمانية على الساحل الغربى من الخليج العربى 1871، وفى الفصل السابع يتناول:ـ الأوضاع فى الخليج العربى قبيل الحرب العالمية الأولى، الدولة العثمانية والخليج العربى، الأوضاع فى شرق الجزيرة العربية، بريطانيا والحرب ضد الدولة العثمانية فى الخليج العربى 1914 ـ 1918 الوضع فى الكويت والبصرة.

(28) تاريخ الجزيرة العربية الحديث والمعاصر:

منشورات عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ـ القاهرة 1996 ـ يقع الكتاب فى 495 صفحة يبدأ بالمقدمة ثم الفصل التمهيدى بعنوان:ـ الوضع فى الجزيرة العربية قبل مجئ العثمانيين،وفيه لمحة عن الأحوال السياسية والاقتصادية والاجتماعية والفكرية فى مختلف أقاليم الجزيرة العربية عشية امتداد النفوذ العثمانى إليها. الفصل الأول بعنوان:ـ «الجزيرة العربية فى العصر العثمانى الأول 1517 ـ 1635، ثانيًا: اليمن تحت الحكم العثمانى فى العصر الأول 1507 ـ 1635» ويشمل: أولاً: الاستعمار المسيحى البرتغالى لجنوب وشرق الجزيرة العربية. ثانيًا: الحجاز تحت الحكم العثمانى فى العصر الأول 1517 ـ 1635، ثالثًا: اليمن تحت الحكم العثمانى فى العصر الأول 1538 ـ 1635 رابعًا:ـ حضرموت تحت حكم السلطنة الكثيرية. خامسًا: عمان تحت حكم الأئمة الاباضية.

الفصل الثانى بعنوان:ـ «الجزيرة العربية من نهاية العصر العثمانى الأول حتى مجئ الحكم المصرى 1635 ـ 1811» ويشمل:ـ أولا:ـ عمان من حكم الإمامة اليعربية إلى السلطنة البوسعيدية 1635 ـ 1811. ثانيًا:ـ حضرموت وعدم الاستقرار السياسى 1635 ـ 1811. ثالثا:ـ اليمن تحت حكم الأئمة الزيدية 1635 ـ 1811.

رابعًا:ـ إمارة الدرعية 1773 ـ 1811. والفصل الثالث بعنوان: «الجزيرة العربية تحت الحكم المصرى 1811 ـ 1840». أولا:ـ نظام الحكم والإدارة المصرية فى الجزيرة العربية ثانيا:ـ الحكم المصرى واليمن، ثالثا:ـ الوضع فى حضرموت فى النصف الأول من القرن التاسع عشر. رابعًا:ـ الحكم المصرى وشرق الجزيرة العربية. خامسًا:ـ الانسحاب المصرى من الجزيرة العربية.

يستعرض الكتاب الفصل الرابع بعنوان:ـ «الجزيرة العربية فى العصر العثمانى الثانى 1840 ـ 1916». أولا:ـ شرق ووسط الجزيرة العربية تحت الحكم العثمانى فى العصر الثانى 1840 ـ 1916. ثانيا:ـ الوضع فى عمان. ثالثا:ـ الوضع فى حضرموت. رابعًا:ـ اليمن تحت الحكم العثمانى فى العصر الثانى. خامسًا:ـ الحجاز تحت الحكم العثمانى فى العصر الثانى. سادسًا:ـ التنافس الأنجلو ـ عثمانى فى شرق الجزيرة العربية. والفصل الخامس بعنوان «الثورة العربية الكبرى» ويشمل الحرب العالمية الأولى والثورة العربية الكبرى وينتهى الكتاب بالخاتمة.

(29) تاريخ الكويت الحديث والمعاصر:

دار الكتاب الجامعى للنشر والتوزيع ـ الكويت ـ 1997 ـ يقع الكتاب فى 272 صفحة ويشمل المقدمة ثم الفصل الأول بعنوان:ـ تأسيس ونمو الكويت الاجتماعى والاقتصادى والسياسى وعلاقتها بالقوى الإقليمية فى القرن الثامن عشر 1718 ـ 1814، ويتناول علاقة الكويت بالأحساء، والطاعون وحصار الإيرانيين للبصرة 1773 ـ 1776 وأثره على الكويت، التجاء مصطفى أغا متسلم البصرة وثوينى شيخ السعدون إلى الكويت عام 1789.

الفصل الثانى بعنوان:ـ «تطور الكويت السياسى والاجتماعى والاقتصادى وعلاقتها بالقوى الإقليمية فى القرن التاسع عشر 1814 ـ 1896» ويشمل:ـ التجاء ضامر بن حويمد من دمشق بولاية الشام العثمانية إلى الكويت عام 1826،

محاولة بندر بن السعدون من البصرة بغزو الكويت 1844، العلاقات الكويتية - المصرية فى النصف الأول من القرن التاسع عشر، موقف الكويت من جلاء السعدون من البصرة، العلاقات الكويتية - العثمانية فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر، دور الكويت في الحملة العثمانية على الأحساء. والفصل الثالث بعنوان:- «الكويت قبيل وخلال الحرب العالمية الأولى عهد الشيخ مبارك» ويشمل:- موقف العثمانيين من وضع مبارك الكويت تحت الحماية البريطانية، العلاقات الكويتية - العثمانية فى عهد الشيخ مبارك الصباح.

(30) تاريخ العرب الحديث

دارالكتاب الجامعى للنشر والتوزيع - الكويت 1998. يقع الكتاب فى 297 صفحة. يشمل الكتاب على المقدمة ثم الفصل الأول بعنوان:- أوضاع العرب فى نهاية القرن الخامس عشر». الفصل الثانى بعنوان:- «العرب والصليبيون الإسبان والبرتغال» وفيها عن:- العثمانيون والجهاد البحرى ضد الإسبان فى الجزائر، (1) جهاد «عروج» فى الجزائر وتونس (2) جهاد خير الدين بريروسا ضد الصليبيين الإسبان، والعثمانيون ضد الإسبان فى تونس، العثمانيون وتحرير طرابلس الغرب من المسيحيين، المواجهة العثمانية - البرتغالية فى جنوب وشرق الوطن العربى.

يتناول الفصل الثالث بعنوان:- «العرب والعثمانيون» ويشمل على:- الدولة العثمانية. أولا:- التوسع العثمانى تجاه العرب:- (1) الصراع العثمانى - الصفوى (2) الاستيلاء على الشام ومصر (3) دخول أشراف الحجاز تحت السيادة العثمانية (4) اليمن والعثمانيون (5) الاستيلاء على العراق (٦) طبيعة التوسع العثمانى. ثانيا:- العرب والنظام الإدارى العثمانى:- (1) السلطة المركزية (2) الإدارة والنظام الاقتصادى (3) الإدارة العثمانية فى الجزائر (4) الإدارة العثمانية فى تونس (5) الإدارة العثمانية فى ليبيا (6) الإدارة العثمانية فى مصر (7) الإدارة العثمانية فى

الشام (8) الإدارة العثمانية فى العراق (9) طبيعة الإدارة العثمانية فى الولايات العربية. الفصل الرابع بعنوان «الدول العربية التى لم تخضع للحكم العثمانى» وهى المغرب الأقصى ـ حضرموت ـ عمان ـ السودان.

يستعرض الكاتب فى الفصل الخامس:ـ الاستعمار الأوربى للأقاليم العربية العثمانية، الاحتلال الفرنسى لمصر، ثم الاحتلال الفرنسى للجزائر وتونس، والاحتلال البريطانى لعمان وساحل عمان وعدن وحضرموت. ويتناول الفصل السادس:ـ زعماء الإصلاح والكفاح ضد الاستعمار المسيحى فى الأقاليم التى احتلها الاستعمار الفرنسى والبريطانى، مثل:ـ عبدالقادر الجزائرى، جمال الدين الأفغانى، الشيخ محمد عبده، الشيخ محمد رشيد رضا، أحمد عرابى، محمد المهدى، الشريف محمد على السنوسى، الشيخ محمد حسن مهدى الصومال، عبدالرحمن الكواكبى. والفصل السابع بعنوان:ـ «العرب والعثمانيون 1840 ـ 1908» ويشمل:ـ العرب والتنظيمات العثمانية، تعزيز الحكم العثمانى فى الجزيرة العربية فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر:ـ أولا:ـ تعزيز الحكم العثمانى فى شرق الجزيرة العربية عام 1871. ثانيا:ـ عودة الحكم العثمانى إلى اليمن عام 1872، أزمة سكة حديد بغداد ـ برلين، العرب وحكم السلطان عبدالحميد الثانى.

الفصل الثامن بعنوان:ـ «العرب والاتحاديون الأتراك 1908 ـ 1918» ويتناول:ـ الجامعة الطورانية، القومية التركية، الاتحاديون الأتراك وسياسة تتريك العرب (أ) قضية «النش» فى العراق (ب) قضية ناظم باشا فى العراق (جـ) انتفاضة الدروز فى الشام، الاتحاديون الأتراك والجزيرة العربية، الاتحاديون الأتراك وأزمة اليمن، حملة الصحافة التركية ضد اليمن، فشل الحملات العسكرية التركية فى اليمن، الاتحاديون والصلح مع إمام «الزيود» فى اليمن، مقاومة الشريف الإدريسى ضد الأتراك فى اليمن، الاتحاديون وفكرة القومية العربية، ظهور التجمعات

والأحزاب السياسية العربية، الاتحاديون الأتراك والصهيونية وفلسطين، مذابح جمال باشا، الثورة العربية الكبرى، (أ) الاتصالات البريطانية ـ العربية (ب) مراسلات الشريف الحسين مكماهون (جـ) إعلان الثورة العربية (د) تسويات ما بعد الحرب العالمية الأولى، الخاتمة.

(31) ساهم الباحث فى موسوعة التاريخ الإسلامى الصادرة عن مؤسسة/ شركة الزاد ـ برشلونة ـ أسبانيا عام 1995 ـ فى مجال ـ الأمة فى العصر العثمانى بعدة مواضيع وعناوين وهى كالآتى:

(أ) قيام الدولة العثمانية وتطورها:

يتناول هذا الموضوع رحيل عشيرة «قابى» من وسط أسيا فى «تركستان» إلى «الأناضول» تحت رئاسة «كوندوز ألب»، والذى خلفه بعد وفاته ابنه «أرطغرل» عام 1253، وبعد وفاته استطاع ابنه «عثمان» ان يؤسس إمارة آل عثمان، واستطاع ابنه «أورخان» ان يجد منفذاً للدولة العثمانية على بحر «مرمرة» ثم استطاع خلفاؤه أن يوطدوا أركان الدولة بعد اضافة قطعة من أوربا فى «أدرنة»، ومع سقوط «قسطنطينية» على يد محمد الفاتح بدأ عصر جديد، وتوطدت أقدام العثمانيين فى البوسفور وأوربا الشرقية، وانتقل مركز الإسلام غربا بعد «دمشق» و«بغداد» إلى «أسطنبول». وقامت الدولة العثمانية على الأسس الإسلامية منذ البداية ورفعوا راية الجهاد وشرعوا ينظمون أمور إداراتهم من إرث عريض يمتد جذوره إلى «السلاجقة» و «الفاطميين» والعباسيين والأمويين، وعمل العثمانيون على حماية العالم الإسلامى ورعايته ودعمه، كما واصلوا فى الخارج الجهاد لتوسيع دار الإسلام وهى بالتالى دولة مكملة لجهاد «الأمويين» و«العباسيين» و«السلاجقة» حتى قضوا على الإمبراطورية «البيزنطية» وعلى ممالك «البلغار» و«الصرب» و«المجر» واخضعوا «البلقان» وحوض البحر الأسود، ونجحوا فى وحدة العرب

تحت رايتـهم فتـرة أطول من أية دولة أخرى، ودانت الأقطار الـعربيـة جمـيعـها باستثناء:ـ «المـغرب الأقصى» و«عمان» و«حـضرموت»، وبذلك بسط العثـمانيون نفوذهم على أكثر العـالم العربى ولم تحقق أية دولة عربية إسلامـية مثل هذا الأمر فترة طويلة.

(2) أوضاع الأقاليم العربية فى المشرق العربى قبيل العهد العثمانى

تحطمت وحدة الأقاليم العربية والإدارية وتفـتتت بالانقسام السياسى، إلا إن الوحدة الديـنية والثقـافيـة تمكنت من البقـاء، وانقسم المشرق العـربى إلى دويلات وممالك قـبليـة وعشـائرية فى العـراق وعـربستـان، وسلطنة المـماليك فى الشـام ومـصروالحـجـاز، وانقسـمت اليـمن إلى الإمـامة الـزيدية فى الداخل والوسط، والمماليك فى الساحل، والطاهريون فى «عدن»، والسلطنة الكثـيرية فى حضرموت وظفار، وبنى «نبهان» فى عمان، و«الجبور» فى البحرين والاحساء.

انقـسم المغـرب العـربى إلى عـدة ممالك وسلطنـيات منهم بنى «مـرين» فى «فاس»، وحـملوا لواء الجهاد برغم ضعـفهم وقوة خصـمهم الاسبان والبـرتغال. والأسرة «الزيـانية» فى «تلمـسان»، فى حين وصـل الضعف والانحـلال بالأسرة «الحفصية» فى تونس إلى درجة الارتماء فى أحضان المسيحيون الإسبان والتنازل عن «عنابة» و «بنزرت» و «حلق الوادى» عام 1535. وكان الإسـبان المسـيحيـون قد استولوا على الـساحل الممتد من «سبـتا» فى المغرب الأقصى مـروراً بالجزائر حتى «تونس» ووصـولا إلى «طرابلس» فى ليبـيا عـام 1515 ثم تنازلوا عنهـا لفرسـان القديس «يوحنا» فى جزيرة «مالطا» عام 1535.

(3) القوى المحلية والسلطة العثمانية فى مصر والشام

أبقى العـثمانيـون على الوضع السـائد فى تنظيم الولايات العربيـة والوضع الاجتـماعى والاقتـصادى، ولم يفـرضوا القوانيـين والأنظمة العثـمانيـة، وعندما ضعفت قوة العثمـانيين انتهز المماليك الفرصة، وأصبحوا القـوة السياسية المسيطرة

على مصر فى القرن السابع عشر، وحاول على بك الكبير 1768 ـ 1773 الانفصال، ولكن الدولة العثمانية أوقعت بينه وبين قائد قواته محمد بك أبوالذهب الذى انقض على سيده وهزمه،ولكنّ أبا الذهب لم يستقر فى حكم مصر لفترة طويلة إذ مات عام 1775 وخلص الأمر فى النهاية لمراد وإبراهيم الذين عاثا فى مصر فسادا إذ انتهى أمرهما إلى كوارث وحروب ومجىء نابليون والاحتلال المسيحى الفرنسى لمصر.

استقرت التقسيمات الإدارية فى بلاد الشام على أربع ولايات وهى دمشق، وحلب، وطرابلس، وصيدا، وبيروت. وجابهت السلطة العثمانية تحديات القوى المحلية وخاصة الذين توارثوا السلطة فى مقاطعاتهم، ودامت هذه الحركات فترة طويلة وكلفت العثمانيين جهودا كبيرة للقضاء عليها أمثال:ـ «المعنيين» ـ و «الشهابيين و «الحرافشة»، و«الحارثيين»، و«الزيادنة». وشيوخ القبائل العربية.

(4) المعنيين:ـ

دام حكم الأسرة «المعنية» قرنين تقريبا 1516 ـ 1697، فقد نال فخر الدين الأول ثقة السلطان سليم، فى حين كان فخر الدين الثانى ذا طموح يفوق امكانات بلدة «لبنان»، فوقع معاهدة عام 1608 مع دوق «توسكانى» الأكبر، وفيها بنود سرية موجهة ضد الدولة العثمانية، ويرجع نجاحه فى الحكم لزعامته التقليدية فى منطقة «الشوف» وشخصيته المعترف بها على «الدروز»، وإشرافه المباشر على شئون إمارته ودفعه الأموال بانتظام واسترضاء أولى الأمر والباب العالى حتى صغار الضباط فى «دمشق»، ولكن عند عودة السلطان مراد الرابع من بغداد أراد أن يقضى على القوى المحلية، فأرسل جيشًا كبيراً استطاع أن يحاصر الأمير فى مغارة «جزين»،وبعد الاستسلام قطع رأسه فى «أسطنبول» وبعده ضعف البيت «المعنى» وترك فراغًا سياسيا ملأته الأسرة الشهابية فيما بعد.

(5) آل العظم:

يعتبر إسماعيل آل العظم، وهو دمشقى، من أوائل الحكام الوطنيين الذين أخذوا يثبتون مكانتهم، وعين واليا على دمشق عام 1724، ثم عين ابنه واليا، فكان متميزاً أكثر من والده، وهناك أفراد آخرون من أسرة آل العظم عينوا حكامًا على «صيدا» و«طرابلس»، وقد سجن إسماعيل قبل موته، وقتل أسعد غدراً عام 1757 فى الحمام بموجب أوامر الباب العالى.

(6) آل ظاهر العمر:

طالب الشيخ ظاهر العمر استقلال فلسطين عندما بدأت السلطة العثمانية تضعف فى القرن الثامن عشر، وهو من شيوخ القبائل العربية كان أحد حكام آل شهاب قد عين أباه شيخا على منطقة صفد، وبدأ الشيخ ظاهر العمر حياته السياسية وهو شاب عندما ضم طبرية إلى مشيخته ثم خضعت له مدن أخرى ولم يأتى عام 1750 حتى استطاع تثبيت مركزه فى عكا وصفد وجعلها من أهم المراكز التجارية فى المنطقة ونشر الأمن العدل وحارب الفساد وشجع زراعة القمح وصناعة الحرير والقطن، كما عقد تحالف مع على بك والى مصر وضم صيد إلى حكمه عام 1772، وبعد ثلاث سنوات تحالف أمير شهاب مع والى دمشق وظاهر العمر فى عاصمته وحاصرها بمساعدة جيش من إستانبول وقد قتل الشيخ ظاهر أثناء الحصار بخيانة أحد رجاله كان قد استؤجر لهذا الغرض وخلفه فيما بعد أحمد الجزار.

(7) آل الجزار:

نظراً للدور الذى لعبه الضابط الصغير أحمد الجزار، والذى يرجع أصله إلى مسلمى «البوسنة» و «الهرسك» فى الدفاع عن مدينة صيدا، ضد الشيخ ظاهر العمر، واعترافا لهذا العمل عين حاكما على تلك المدينة، من ثم أخذ الجزار

التحـديات الداخلية فى حـد ذاتها وفى حـجمهـا أيضًا. هناك فى الوقت نفـسه، التحديات الخارجية التى تحدثنا عنها فى فقرات سابقة، وهى تتفاعل مع التحديات الداخليـة بأشكال مـختلفـة، ومتنـاقضـة فى الغالـب. إن بعض هذه التحـديات الخارجية، وبخاصـة الإعلامية والاتصالية والثقافيـة، سيرفع من توقعات المواطنين فى مزيد من المشاركة فى الثروة والسلطة، وفى تبنى أنماط استهلاكية معينة، تكون الدولة القطرية إما غير مـستعدة للاستجابة لهـا (المشاركة فى السلطة والثروة)، أو غير قادرة بإمكاناتها الذاتيـة على إشباعها للجميع (التطلعات الاستـهلاكية). فإذا استجابت لبعض هذه التطلعات، من خلال الاسـتدانة والمساعدات الأجنبية، فهى تقع إن عـاجلا أو آجـلا فى سلسلة من المآزق، منها مـأزق «التبـعيـة». فبـحكم الاعتماد المتزايد على الخارج تضحى بالاستقلال، والتضحية بالاستقلال تؤلب على الدولة قطاعات مهـمة، أولها الطبقـة الوسطى. ولكن التبعية، فـى مرحلة تالية، تعنى الوقوع تحت ضغوط مـعينة لاتخاذ اجراءات اقتصادية مـعينة (مثل إلغاء دعم السلع الأساسـية) وهذه تؤلب عليها قطاعـات أكبر، فى مقـدمتها الطبقـة العاملة والطبقات الدنيا، ويعم السخط بدرجات متفاوتة بين معظم فئات المجتمع[1].

ولأن التحديات الخارجية تأتى من مصادر مخـتلفة ـ بعضها عالمى، وبعضها إقليمى، وبعضهـا عربى ـ فإنها لا تؤثر بشكل متناغم فى الاتجـاه نفسه. فمن هذه التحديات ما يسـبب سخط فئات معينة على مصـدرها، وعلى الدولة العاجزة عن التـعامل مع هذا المصـدر. ولكن أطرافًا خـارجيـة أخرى، تسـتغل هذا السـخط لأهدافها الخاصة. إن تطبيق نظريات النظام الضمنى يقـتضى قراءة متأنية للتجارب الحضارية الإنسانية كما يقتضى اسـتيعاب الراهن الاستراتيجى للمنطقة للخروج من اللحظة السيـاسية الاقـتصادية الراهنة إلى رؤية مـستقـبلية واضحـة لعوامل الأمن

1 ـ د. خلدون النقيب ـ نفس المرجع ص359.

الاجتماعى فى المنطقة مع ضرورة نقل هذه الرؤية إلى الاختصاصيين لاعتمادها فى مواجهة تحديات الأمن الاجتماعى خصوصا وأن هذه المنطقة تشكل خزانا استراتيجيا عالميا يجعلها مرتبطة باستراتيجيات السياسة العالمية ومن ثم الحاجة إلى الرؤية التكاملية الجامعة بين مستقبل المنطقة وتحديد نقاط الضعف فيها وإمكانيات تفجيرها[1]. ولتوضيح هذه التأثيرات المتعارضة والمتقاطعة داخليًا وخارجيًا، نعطى بعض النماذج المعاصرة أو المحتملة مستقبلا لبعض الحالات القطرية.

مظاهر عجز الدولة القطرية عن مواجهة التحديات

كل الدول الوطنية الحديثة فى العالم الثالث، تواجه تحديات خارجية وداخلية من النوع الذى ذكرناه آنفًا. وليست الدول القطرية العربية استثناء من هذه القاعدة. فقد واجهت تلك التحديات منذ نشأتها. ولكن الجديد فى الأمر وامتداداته المنطقية طبقًا للمشهد الاستشرافى الأول، فى الوقت الحاضر، هو:

زيادة عدد هذه التحديات وتزامنها معًا. وزيادة حدة هذه التحديات. وتناقص قدرة الدولة على الاستجابة الخلاقة لهذه التحديات. وهذه التطورات نفسها مرتبط بعضها بالبعض الآخر. فزيادة عدد التحديات الداخلية والخارجية، يعنى بداية أن جهاز الدولة لم يتنبأ ببعضها، ومن ثم لم يتخذ الاجراءات الواقية لمنع ظهورها، أو احتوائها عند أول فرصة ممكنة. وبالتالى، تتعدد التحديات وتتزامن فى الوقت نفسه. ولكن اعتياد جهاز الدولة على أن يتعامل مع تحد واحد إلى أن يفرغ منه، يجعل التحديات الأخرى القائمة (والتى تنتظر دورها فى أولويات جهاز الدولة) تتفاقم وتشتد حدتها. وهكذا يجد هذا الجهاز نفسه فى لحظة ما، محاصراً بعدد كبير من التحديات المتفجرة. فيلهث من تحد إلى آخر، فى محاولة يائسة أو نصف ناجحة، لمجرد الاحتواء أو إخماد الحرائق، ناهيك عن

1 ـ د. محمد أحمد النابلسى ـ المرجع السابق ص9.

بل ليوضح مـدى الضعف والوهن وتردى الأوضاع الداخلية والعـسكرية، علما بأن سبب الحرب مع روسيا كان فى سبـيل استقلال «بولونيا»، ومما جاء فى المعاهدة:ـ تنفصل خانية «القرم» عن العثمـانيين وتكون دولة مستقلة وعلى الجيش الروسى أن ينسحب من «القرم» فى أول فـرصة تراها مناسبة، وأن يكون التـتار القاطنون على ساحل البحر الأسود فى «بسارابيا» والتتار فى بحر «آزاك» مستقلين عن العثمانيين، ويشكلون مناطق محـايدة وعازلة بينهما ويتـرك العثمانيـون لروسيا ساحل البحر الأسود القـصير. وكان من نـتائج تلك المعاهدة صـعود روسيا إلى مـصاف الدول العظمة بعد بريطانيـا وفرنسا وسقوط الدولة العثمـانية من صدارة الدول إلى المرتبة الرابعة، كمـا ينتهى تحكم العثمـانيين فى البحر الأسود كـبحيرة مغلقـة إلى تحقيق الحلم الروسى للوصول إلى المياه الدافئة وبناء موانئ وقواعد بحرية للأسطول، كما يدفع العثمانيون لأول مرة فى التاريخ غرامات حرب، ويترك مستقبل القرم لروسيا والذى كان يسكنه أكـثر من مليون ونصف تركى، حـيث تحتلها روسـيا فيمـا بعد وكذلك احتلتها «القفقاس»، «بسارابيا» و«آزاك».

دخلت الدولة العثمانيـة مرة أخرى فى الحرب ضد روسيا والنمســا معا عام 1787 ـ 1792 لوقف المجازر التى ارتكبها الروس ضد مـسلمى القرم، واستمرت عـدة سنوات، ثم وقعت مـعـاهدة «زيستـوفى» Zistovi 4/8/1791 وحصلت بموجبـها النمـسا على منـطقة orsova وكانت هذه آخـر حروب العـثمانـيين مع النمسا، ثم وقعت أيضا معاهدة باش 1792 وانتهت الحرب الروسيـة ـ العثمانية، وأخليت كل من «بغدان» و«بيسارابيا» و«بودوليا الجنوبـية» و«ميرجان» وأعيدت إلى العثمانيين، أما سـاحل البحر الأسود بين نهرى Bug و«وينستر» (أوديسا) انتقلت إلى روسيا.

أصيب عبدالحميد بنزيف فى المخ ومات إثر قراءته عريضة الصدارة التى تبين سقوط قلعة «أوزد» فى «أوكرانيا»، وذبح الأهالى المدنيين بالسيف لأنه كان رقيق القلب ومؤدبا رحيما وطنيا متحمسًا مصلحا باعتدال. واستمرت سلالة آل عثمان من السلطان عبدالحميد خان فقط والتى دامت سلطنته خمسة عشر عاما وشهرين وسبعة عشرة يوم وتوفى عن عمر يجاوز الـ64 بثمانية عشرة يومًا، ومنذ 1566 أى منذ عهد سليمان القانونى لم يبلغ أى سلطان هذا القدر من العمر.

(32) «الحياة الاجتماعية ومشكلة الرعايا البريطانيين من التجار الهنود فى قائمقامية قطر العثمانى 1871 ـ 1882» قدم إلى المؤتمر العالمى الثانى للدراسات العثمانية عن الحياة الاجتماعية فى الولايات العربية فى العهد العثمانى ـ مركز الدراسات والبحوث العثمانية «زغوان» حمامات 5مارس 1986 ـ ونشر ضمن أعمال هذا المؤتمر فى مجلدين.

يعد البحث حول موضوع الحياة الاجتماعية ومشكلة الرعايا البريطانيين من التجار الهنود فى قطر، من المواضيع المهمة، وذلك لعدة أسباب، أهمها اعتبار هذه المرحلة من أهم مراحل فترة تأسيس إمارة قطر، وخاصة بعد ظهور الشيخ قاسم ابن الشيخ محمد بن ثانى مؤسس الأسرة الحاكمة، إضافة إلى الدور الذى لعبه الشيخ قاسم فى بناء أركان حكم الأسرة فى الوقت الذى اشتد فيه الصراع البريطانى ـ العثمانى حول قطر ومحاولة بريطانيا إيجاد منفذ لها فى الدوحة، إلا إن الشيخ قاسم الذى طلب من القوات العثمانية الدخول إلى قطر ثم خضوعه لسيادة الباب العالى، جعله فى وضع أقوى ومتساو مع جيرانه، خاصة مع شيخ البحرين الذى كان يطالب بقطر باعتباره تابعا لشيخ البحرين، وكذلك مطالب شيوخ أبوظبى فى أجزاء من قطر، ولكون البحرين وأبوظبى خاضعتين للنفوذ البريطانى فإنه من الصعب على الشيخ قاسم الحصول على استقلاله إن لم يكن مستحيلا وإذا علمنا ان الأمير سعود حاكم نجد كان أيضا متعاونا مع البريطانيين بل

وأرسل رجـاله لاحتـلال قطر، كل هذه العـوامل دفعت الـشيخ قـاسم أن يطلب الدخول فى طاعة السلطان عبدالحمـيد ومن ثم يواجه المشاكل التى أثارتها بريطانيا عن طريق التجار الهنود.

بدأ البحـث عن الموقع وعن أهم المدن القطرية فى تلك الفتـرة، ثم السكان والتركـيب القبلى، ثم وضع قطر قـبل مجىء العثـمانييـن إليها، وبعـد دخولهم، والموقف البريطانى من الوجود العثمانى فى قطر، ثم مشكلة الرعايا البريطانيين من التـجار الهنود وطردهم من قـطر والضغـوط التى مارسـتهـا بريطانيـا على الوالى العثمانى الشيخ قـاسم ورفضه لهذه الضغوط والتهديدات مما اضطر بريـطانيا للتغير من استخدام القوة إلى سياسة المرونة واستخدام الطرق السلمية والتقرب من الشيخ قاسم، مما أسفر عنه دفع الشيخ قاسم التعويضات للتجار الهنود والسماح بعودتهم إلى قطر.

يكشف لنا كيف أن بريطانيـا حاولت استغلال هذه المشكلة لصالحـها لإيجاد بعض النفوذ لولا وقوف قاسم فى مواجهـة هذا المخطط البريطانى وإحباطه،إضافة إلى وقوف الحكومة العثمانية بقوة إلى جانب الشيخ قاسم.

(33) «الحياة الفكرية فى شرق الجزيرة العربية 1871 ـ 1913» قدم إلى المؤتمر العالمى الثالث للدراسات العـثمانية ـ الحياة الفكرية فى الولايات العـربية فى العهد العثـمانى ـ مـركز الدراسـات والبحـوث العثمـانية ـ زغـوان ـ حمـامات ـ 25 ـ 20مارس 1988، ونشـر فى المجلة التاريخـية المغـاربية ـ العـدد 57 ـ 58 السنة السابعة عـشرة يوليو 1990. وكانت الحـياة الفكرية فى شرق الجزيرة العـربية من أبرز سمات عصر النهضة الفكرية التـى بدأت فى المنطقة فى أعقاب الحرب العالمية الأولى وبالرغم من أن أبناء المنطقة لم يكونوا بعيـدين عنها فى التاريخ الحديث إلا إن فترة الحكم العثـمانى بعد مجىء مدحت باشا إلى المنطقـة، إضافة إلى العوامل

البيئـة المحلية والنشاط التجارى والجذور التـاريخة للفكر والأدب العربى لدى أبناء المنطقة كل ذلك لعب دورا هامًا فى إحياء الـفكر فى شرق الجزيرة العربية فى هذه الفتـرة. وتبدأ الدراسة للبحث عن الأسس التـاريخية للسيـادة العثمانيـة فى شرق الجزيرة العربية ثم عن أثر الـبيئة فى الحياة الفكرية وتعتـبر الفترة من 1871 ـ 1913 فتـرة انتقاليـة من مرحلة الجمـود إلى مرحلة عصـر النهضة الذى بدأ بعـد الحرب العالميـة الأولى ولذا تعتبر هذه الفـترة الانتقاليـة مهمة حيث كـانت البداية الأولى للحياة الفكرية وبرز فـيها بعض الرواد الأوائل، أما عن سبب تأخـر الحياة الفكرية فى نهضته فى هذه الفترة عن بقية الأقاليم العربية.

أوجدت التجمعات السكانية والنشاط الاقتـصادى المشترك لديها إنتاجا ثقافيا متميزًا بموروثات الثقافة العربية ومجلوبات الثقافة الهندية والأفريقية وتمثل ذلك فى التعليم والأدب وكـان لشرق الجزيرة العـربية نظامهـا التربوى الفكرى والتـعليمى البسيط والبدائى المتوارث وهو عبارة عن المساجد والكتاتيب والديوانيات.

وأدرك المثقفون فى المنطقة بأن تعليم الكتاتيب يعنى استمرار العملية التعليمية فى فلك البدائية وأن المنطقة بدأت تتجه نحو نهضة شاملة فى مختلف شئون الحياة ولايمكن لهـذه النهضة أن تمتـد لتشـمل كافة أبناء المنـطقة إلا بعد تطوير الـتعليم بطريقة مناسبة ومن هنا بدأ التعليم الحديث فى شرق الجزيرة العربية مما أعطى دفعة قوية للحـياة الفكرية التى نتج عنه رواد الفكر المعـاصر وتطور الحـركة الفكرية فى المنطقة. تبدأ هذه الدراسة بالمقـدمة ـ السيادة العثمانية على شـرق الجزيرة العربية ـ تطور الحياة الفكريـة، أثر البيئة فى الحيـاة الفكرية ـ بداية النظام التربوى الفكرى، أولا :ـ المساجـد ثانيا :ـ الكتاتيب (أ) العـملية التعليمـية :ـ (ا) الخالى (2) الربط (3) القراءة (4) الكتابة (ب) رسوم الكتاتيب (ا) الدخالة (2) الخمسية (3) النافلة

(4) العيدية (5) الفطرة (٦) الجزء (7)الختمة، ثالثا:ـ المجالس والديوانيات ـ رابعًا:ـ أول مدرسة فى شرق الجزيرة العربية ـ الأدب فى شرق الجزيرة العربية ـ أولا:ـ النثر ـ ثانيًا:ـ الشعر النبطى ـ ثالثًا:ـ الشعرالعربى الفصيح، رابعًا:ـ قصائد من التراث الشعبى (أ) قصيدة التحميدة (ب) قصائد الجلوة، خامسًا ـ التأليف ـ لبعض رواد الحركة الفكرية فى شرق الجزيرة العربية ـ أولا:ـ الكويت ـ عبدالله محمد فرج الصراف ـ ثانيا:ـ الاحساء (أ)الشيخ عبدالله على آل عبدالقادر (ب) أحمد عزة العمرى الوالى العثمانى فى الاحساء. ثالثا:ـ قطر ـ الشيخ قاسم بن محمد بن ثانى ـ الخاتمة.

(34) "The Iranian Expanstionst Policy Towards Iraq - Since of the ottoman Era to the Breakout of Iraq - Iran War." The Sixth Annual Conference of the center for Iranian Reserch and Analysis Co - Sponsored By: lenter For Middle Eastern Studies - University of Chicago - Ilhinoin - Apr l 8 - 10 - 1988 - Published in:-

Middle East Research Center - Ain Shams University Middle Eastern Studies - No. "87" - 1990.

تبدأ الدراسة بالسياسة التوسعية الإيرانية تجاه شمال الخليج العربى وخاصة عربستان وشط العرب وذلك للأهمية الاقتصادية الاستراتيجية ويعتبر شط العرب ذا أهمية قصوى بالنسبة للعراق لاعتباره المخرج الوحيد تجاه الخليج العربى فى حين لدى إيران سواحلْ كبيرة تمتد على طول السواحل الشرقية للخليج العربى. وبدأت إيران تنتهج السياسة التوسعية تجاه كل من عربستان والعراق منذ العهد العثمانى فى الوقت الذى كان الباب العالى مشغولا بالحرب فى الجبهة الغربية فى القارة الأوربية ولم يكن لديه مجال للتوجه إلى الشرق لوقف الهجمات الإيرانية على الممتلكات

العثمانية فى العراق وعربستان وكانت تحارب روسيا التى حاولت أن تخفف الضغط العثمانى على جيوشها بتوجيه إيران من الخلف واشغال الجيش العثمانى فى الشرق وكانت الدولة العثمانية تنظر إلى إيران على أنها دولة مسلمة يمكن التفاهم معها وبذلك كانت تقدم تنازلات كثيرة مقابل وقف هجماتها فاستغلت إيران هذه النقطة لشن الهجمات العسكرية واتبعت سياسة توسعية على حساب العراق العثمانى.

عقدت الدولة العثمانية عدة اتفاقيات مع إيران ومن هذه الاتفاقيات اتفاقية مراد الرابع عام 1639 ثم اتفاقية أرضروم الأولى عام 1823 ثم جاءت الاتفاقية التى تنازلت عن أجزاء كبيرة من مشرق الوطن العربى فى العراق وعربستان إلى الدولة الإيرانية وهى اتفاقية أرضروم الثانية عام 1847. ثم جاءت عدة اتفاقيات أخرى من بروتوكول الاستانة وبروتوكول طهران منذ عام 1911 وحتى عام 1913 وفيها أيضا قدمت الدولة العثمانية مزيداً من التنازلات أيام سياسة إيران التوسعية وخاصة فى الأجزاء الشرقية من الإقليم العراقى.

(35) "The Ottoman - portugese conflict in the Arabian Gulf during the second half of the sixteenth century - Presented to - Comitte International D,ETUDES- PRE - DTTOMANES - VLL Sympusium - The University of Minnesota August 14 - 19 - 1988 - Published in:-

Journal for Ottoman Studies No- (1) JAN - 1990.

إن الغزو الاستعمارى المسيحى البرتغالى للمياه الجنوبية استمرت أحداثه لفترة طويلة من بداية القرن السادس عشر حتى بداية القرن السابع عشر. ويتناول هذا البحث أهمية الخليج العربى فى الصراع العثمانى ـ البرتغالى، وتحويل البصرة

كقاعدة عثمانية فى الخليج العربى. ثم الحملات العثمانيـة لإبعاد الوجود المسيحى البرتغالى من المنطقـة. ومن أهم هذه الحملات، حملة بيـرى بيك رئيس وهجومه على مسقط وهرمـز، وحملة الرئيس مراد بيك وحملة سـيد على رئيس ثم هجوم والى الأحسـاء على البحرين، وفـترة الهدوء التى امتـدت من عام 1560 ـ 1581 على ميـاه الخليج العربى نظرا لانشغـال العثمـانيين على جبـهات القتـال الأوربية والفارسيـة، ثم عودة السياسة العثـمانية لإبعاد البرتغـاليين وهجوم على بيك على مسقط عام 1581، وانتقل الصراع العـثمانى ـ البرتغالى إلى سواحل شـرق أفريقيا فى أواخر القـرن السادس عشر، وتحـليل الصراع العثمـانى ـ البرتغالى، وأسـباب إخفاق العثمانيين فى أبعاد البرتغاليين من الخليج العربى.

(36) الموقف البريطانى من التـواجد العثمانى فى الأحـساء وقطر عام 1888 دراسـة وثائقيـة: قـدم هذا البحث إلى «ندوة» رأس الخـيـمة التـاريخيـة ـ مركـز الدراسات والوثائق لحكومـة رأس الخيمة ـ الصـلات التاريخيـة بين الخليج العربى والدولة العثمانية ـ رأس الخيمة فى 19 ـ 21 نوفمبر 1888.

تتناول هذه الدراسـة الموقف البريطانى من التواجـد العثمـانى فى ظل النزاع الأنجلو ـ عثمانى فى شـرق الجزيرة العربية من خلال المراسلات الرسـمية للرسائل السيـاسية البريطانيـة لعام 1888 كنموذج للدراسـة التاريخـية فى مرحلة مـا قبل الحرب العالمية الأولى بين الدولتـين البريطانية والعثمانية فى شـرق الجزيرة العربية والتنافس بينهـما فى الخليج العربى. فى البـداية سوف نشـير إلى أهميـة الرسائل السياسية البـريطانية ثم كيفية اتخاذ القرارالسيـاسى البريطانى من خلال المراسلات الرسميـة وبعدها نتناول بعض المعالم الهـامة للقرار السياسى البـريطانى من خلال الرسائل والتى تصور القلق البريطانى من التواجد العثمانى فى الأحساء وقطر ابتداء

من رسالة الوكيل المقيم البريطاني إلى رسالة المقيم السياسى البريطانى فى الخليج العربى إلى المعتمد السياسى البريطانى فى بغداد ثم رسالة القنصل العام البريطانى فى بغداد إلى السفير البريطانى فى أسطنبول.

ثم نتناول رسالة السفير البريطانى فى طهران إلى وزير خارجيته عن الأوضاع فى قطر ومشكلة الرعايا الفرس هناك وبعدها رسالة السفير البريطانى فى أسطنبول ثم رسالة الخارجية البريطانية إلى وزارة الهند وأخيراً رد حكومة الهند على رسالة الخارجية.

(36) «الحياة الإدارية فى سنجق الأحساء العثمانى 1871 ـ 1913» قدم هذا البحث إلى المؤتمر العالمى الرابع للدراسات العثمانية ـ زغوان ـ تونس 20 يناير 1990 ثم نشر فى المجلة التاريخية العربية للدراسات العثمانية العدد الخامس ـ فبراير 1992.

يتناول البحث الجوانب الإدارية لسنجق الأحساء العثمانى فى الفترة من 1871 ـ 1913 وهى من الفترات المهمة قبيل الحرب العالمية الأولى وهذا نظراً للدور العثمانى فى حكم الاحساء المباشر والتنظيمات التى وضعت فى عهد مدحت باشا الملقب بـ «أبو القانون العثمانى» وهو الذى وضع التنظيمات الإدارية للأحساء ورغم أنه لم يستمر طويلا فى منصبه واليا على العراق واستدعى إلى أسطنبول كانت بصماته الإدارية واضحة علما بأن الأحساء لها طابع خاص وظروف معينة ومع ذلك فإن النظام الإدارى استمر خلال هذه الفترة بين النجاح والإخفاق.

وتتعرض الدراسة إلى الموقع والسكان والقبائل ثم خلفية تاريخية لسنجق الأحساء وبعدها مجىء حملة مدحت باشا ودوره فى التنظيمات الإدارية التى تنقسم إلى ثلاثة أقسام وهى:ـ

أولا: التقسيمات الإدارية والموظفين ويساعد الوالى مجموعة من الموظفين وهم (1) كتخدا الوالى (2) المكتوبجى (3) الدفتردار (4) مدير الأمور الأصلية (5) الاى بك، ثم يأتى التنظيم الإدارى لسنجق الأحساء. ولم يبلغ العثمانيون الكيانات القبلية ولم يعتبروا وجودهم متنافيا مع بقاء مشايخ القبائل حكاما كأمراء الجزيرة العربية فأبقوا الشيخ قاسم بن ثانى قائمقام قطر وحاولوا إبقاء عبدالله بن فيصل آل سعود قائمقام نجد وساعدوا أمراء آل صباح حكام الكويت بعد حملتهم على شرق الجزيرة العربية بتوسيع نفوذهم وكانت إداراتهم لسنجق الأحساء تمتاز بالمرونة حسب النظام القبلى وعينوا بعض الرؤساء القبليين كابن عريعر شيخ قبيلة بنى خالد بإدارة بعض مناطق «الأحساء». ثم تتناول الدراسة متصرف لواء الأقضية ويحكمها قائمقام ويعين من قبل الدولة العثمانية بعد صدور الفرمان ثم مدراء النواحى والمجلس والدوائر المدنية ودائرة القضاء ودائرة الموانئ ودائرة المعارف ودائرة البريد والدائرة السنية وبعدها تناول الدراسة الدخل الوطنى لسنجق الأحساء أولا:ـ الزراعة. ثانيًا:ـ الصناعة. ثالثًا:ـ التجارة ثم المقياس والأوزان ثم العماة ثم النظام الضريبى وطبقت الحكومة العثمانية قانون الولايات وقانون الأراضى ضمن سياستها لتنفيذ القوانين الرسمية فى التنظيم الإدارى العثمانى وألغيت الضرائب التى لم ينص عليها القانون. ثم يتناول الإدارة العسكرية العثمانية واهتمت الحكومة بالإدارة المدنية وحافظث عليها عن طريق الإدارة العسكرية فكان المتصرف العثمانى يعتبر رئيسا للسلطة المدنية والعسكرية ومقره العاصمة فى الهفوف وتحت إمرته الإدارة العسكرية ومن أهم حكامها (1) رؤوف باشا (2) نافذ باشا (3) بركة بن عريعر (4) فريد باشا سعيد بك (5) نظيف باشا (6) محمد صالح باشا (7) عاكف باشا (8) إبراهيم باشا (9) توفيق باشا (10) موسى كاظم باشا (11) طالب نقيب.

(37) «السياسة العثمانية تجاه الخليج العربى فى النصف الأول من القرن التاسع عشر»

نشر هذا البحث فى:ـ المجلة التاريخية العربية للدراسات العثمانية ـ العدد الأول والثانى ـ يناير 1990.

يتناول هذا البحث بداية التواجد العثمانى فى الخليج العربى ثم انشغال العثمانيين عن الخليج العربى وعدم وجود قوة عثمانية فى الخليج العربى بسبب انشغالها فى مشاكلها فى القارة الأوربية ولاسيما حروبها مع روسيا التى كانت شبه مستديمة ثم حربها مع فرنسا التى نتجت عن احتلال نابليون لمصر عام 1798 وما أعقب تلك الحروب من صراع مع محمد على الذى آلت إليه ولاية مصر عام1805 ومنذ تلك الفترة لوحظ بأن الدولة العثمانية تغاضت عن امتداد النفوذ البريطانى فى إمارات الخليج العربى حتى تدعم هذا النفوذ تدريجيا خلال القرن التاسع عشر فى الإمارات العربية والبحرين وعمان. ثم تتناول الدراسة داود باشا والسياسة العثمانية تجاه الخليج العربى 1817 ـ 1831 وتزايد نفوذ السعوديين فى شبه الجزيرة العربية وتمكنوا من مد نفوذهم فى نجد والمناطق المجاورة لها ومن ثم بدأوا يتطلعون إلى شواطئ الخليج العربى مع بداية القرن التاسع عشر وكانوا يهدفون إلى نشر نفوذهم السياسى مما أثار حفيظة السلطان العثمانى وجعله ينظر بقلق للتحركات السعودية والنجاح الذى حققوه فى هذه المناطق وخاصة عندما تزايد نفوذهم ولم يقتصر على الحجاز وإنما تخطتها إلى الشام وأطراف دمشق وبعض مناطق فلسطين مما هدد أمن الدولة العثمانية.

عندما أقلقت حركة السعوديين الباب العالى بدرجة كبيرة واعتبر السلطان العثمانى تلك الحركة خطرا ينبغى التخلص منه كلف واليه على مصر محمد على

بإرسال قواته إلى الجزيرة العربية والذى بعث بالحملة المصرية عامى 1811، 1818 ثم عن الموقف البريطانى من الحملة المصرية ـ العثمانية وعندما دخلت القوات المصرية إلى نجد والأحساء رأت الحكومة البريطانية فى الهند أن وجود المصريين فى الأحساء فرصة طيبة لإيجاد إدارة منتظمة على شواطئ الخليج العربى بغية التعاون معهم لضرب المقاومة العربية فى ساحل عمان ولكن محمد على رفض طلب البريطانيين أو التعاون منهم ضد إخوانهم فى ساحل عمان وانسحبت القوات المصرية من الأحساء ونجد عام 1819. ولكنها عادت مرة أخرى إلى الخليج العربى عام 1838 ـ 1840 ولكن الموقف البريطانى تغير فى هذه الفترة واتخذت موقفا يختلف تمام الاختلاف عن موقفها السابق وذلك بعد ما قامت باحتلال ساحل عمان (دولة الإمارات العربية المتحدة) مما اعتبرته تهديداً لمصالحها فى الخليج العربى فى حين كان العرب فى إمارات الخليج العربى يتطلعون إلى المصريين للتخلص من البريطانيين الذين نجحوا فى تحريك الكثير من الدول الأوربية للقضاء على نفوذ محمد على فى المنطقة وعقد مؤتمر دولى فى لندن حضره ممثلون عن روسيا والنمسا وبروسيا كما شاركت فيها الدولة العثمانية نفسها وكان من أهم نتائجها توجيه إنذار إلى محمد على بسحب قواته العسكرية من الخليج العربى والجزيرة العربية وبلاد الشام فانسحبت القوات المصرية من المنطقة.

(38) «أوضاع الأقلية الإسلامية فى بلغاريا منذ نهاية الحرب العالمية الثانية حتى أحداث 1985»

قدم هذا البحث إلى الندوة العلمية الرابعة ـ المسلمون فى أوربا ـ جامعة القاهرة ـ قسم التاريخ 3 ـ 5مارس 1991 ـ ثم نشر فى مجلة المؤرخ المصرى ـ العدد التاسع ـ يوليو 1992.

تتناول هذه الدراسة موقع وأصل البلغار والأقلية الإسلامية التى تبلغ نسبتها

حوالى 25٪ من إجمالى السكان ثم عن دخول الإسلام والحكم العثمانى فى بلغاريا الذى استمر حوالى 515عامًا أى منذ فتح العثمانيين بلغاريا عام 1373 حتى معاهدة برلين عام 1878 بعد تدخل الدول الأوربية وأجبروا العثمانيين على الانسحاب ومنح بلغاريا حكما ذاتيا وإعطاء الاستقلال عام 1908 وفى نهاية حرب البلقان 1912 ـ 1913 أضافت بلغاريا إلى حدودها تسع مدن من غرب تركيا وأخيرا ضم مسلمو رومانيا عام 1940 فى منطقة «دوبركا» إلى بلغاريا ومن هنا بدأت مشكلة الأقلية الإسلامية وبدأت تقاسى ضغوط القومية السلافية منذ تولى الحكم الشيوعى السلطة فى بلغاريا التى اتبعت أسلوبًا معينا لإبادة الأقلية الإسلامية ولامتصاصها فى المجتمع البلغارى بالقوة والأساليب التى اتخذتها. وتتناول الدراسة زيارة المحقق الخاص للأمم المتحدة إلى بلغاريا وكذلك الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية للأقلية الإسلامية التى تدهورت بعد ما كانوا يسيطرون على أكثر من 70٪ من الأراضى الزراعية قبل عام 1944 وتم مصادرتها حتى أصبح ما يزيد عن 80٪ من المسلمين فى بلغاريا من المزارعين الصغار أمّا الذين كانوا يعيشون فى المدن اضطروا إلى مزاولة الحرف البسيطة ونظرًا للضغوط المفروضة عليهم لم يكن عددهم فى الصناعة أو التجارة أكثر من 1٪ بذلك اضطرب الغالبية العظمى من المسلمين إلى هجرة الأرض والعمل فى وظائف متدنية فى تعاونيات الحكومة وجمع القمامة ورعى الأغنام وأصبحت تعيش فى شبه عزلة تامة، ثم غيرت الحكومة البلغارية التركيبة السكانية للأقلية الإسلامية عن طريق تذويب المسلمين وإجبارهم على الانتقال من التهجير الإجبارى حتى أصبحت الأسر المسلمة لاتعرف مكان أبنائها المزروعين فى المحيط السلافى البلغارى.

ثم يتناول الأوضاع الثقافية للأقلية الإسلامية ومنعت الحكومة البلغارية اللغة التركية وألغتها من المناهج الدراسية وحظرت تعليمها وأممت كافة المدارس التابعة للأقلية الإسلامية وهذا ما يتناقض مع ما تعهدت به بلغاريا فى دستورها الجديد

لعام 1944 بالمساواة لجميع أقلياتها. ثم يتناول الأوضاع الدينية وإغلاق معاهد تدريب الأئمة وهدم المساجد وتدمير المقابر ومنع ممارسة العادات والتقاليد الإسلامية ثم شهادات من بعض أفراد الأقلية الإسلامية الذين كانوا يخاطرون بأنفسهم وتحدث عما أصابهم من التعذيب والممارسات القمعية واللاإنسانية ثم شهادات لوسائل الإعلام العالمية ثم الموقف التركى تجاه الأقلية والتبريرات التى أوضحتها الحكومة البلغارية وينتهى الدراسة بوضع الاستنتاج والخلاصة وبعض التساؤلات والإجابة عليها منها أولا: ما هو أثر الحضارة العربية ـ الإسلامية فى المجتمع البلغارى؟ ثانيا:ـ هل يوجد مسلمون من الجنس البلغارى السلافى؟ ثالثا:ـ لماذا اتبعوا سياسة البلغرة؟ رابعا:ـ عدم اندماج العنصر التركى مع البلغارى. وتثير هذه الدراسة عدة تساؤلات عن أسبابها وتوقيتها فى أوربا التى عرفت بحقوق الإنسان ولماذا تنتهك حقوق الإنسان المسلم فى أوربا فى الوقت التى توجد علاقات قوية مع الدول العربية والإسلامية وموقف هذه الدول.

(41) المجتمع القبلى ومفهوم السلطة فى شرق الجزيرة العربية فى العهد العثمانى 1871 ـ 1914:

قدم هذا البحث ـ إلى المؤتمر العالمى الخامس للدراسات العثمانية ـ المجتمع والدولة فى العالم العثمانى ـ مركز الدراسات والبحوث العثمانية ـ زغوان ـ تونس 18ـ23 أكتوبر 1996.

عجز المجتمع فى شرق الجزيرة العربية، نظرا لتفرقه، عن أن يحقق تقدما ولو جزئيا على صعيد السلطة السياسية فى العهد العثمانى، وذلك راجع للظروف الاجتماعية القائمة ولعدم تطور مفهوم السلطة السياسية فى القرن التاسع عشر بالمفهوم الذى تطور فى الغرب الرأسمالى، لأن ظروفهما اختلفت اختلافا كليا ولم

يتعد كونها أحادية الجانب لأن الدستور والنظام البرلمانى لم يكن أصلا قد تبلور فى وسط الوطن العربى وهو مركز الثقل فكيف بالجزء الشرقى البعيد عن المركز إضافة إلى أن الدولة العثمانية نفسها كانت بين الانجراف إلى الغرب لتستمد منه نظمه وأفكاره مما يجعل من الصعب استيعابه فى تلك الفترة بالذات، وبين الدعوة إلى التمسك بالإسلام الحضارى بمعناه التاريخى ومحاولة تطويره وتطبيقه من خلال الشريعة الإسلامية مما يحقق التكامل والتكافل والمساواة والعدالة الاجتماعية، ويحاول هذا البحث دراسة مشكلة السلطة السياسية فى شرق الجزيرة العربية فى العهد العثمانى فى الفترة من 1871 ـ 1914، والخلفية الاجتماعية لهذه المشكلة من خلال الإطار التاريخى للمنطقة والتركيبة الاجتماعية والصراع بين الفئات المختلفة فى المنطقة حيث ان الحكم العثمانى لم يكن يتدخل فى السلطة المحلية وإنما ترك لها الخيار فى الطريقة والنظام مع عدم الخروج عن سيادة الدولة العثمانية مع محاولاتها تطبيق «التنظيمات» التى عرفتها الدولة العثمانية كمفهوم السلطة السياسية والتى لم يكتب لها النجاح برغم محاولاتها للتطبيق فى شرق الجزيرة العربية بعد حملة مدحت باشا ويعود ذلك إلى التركيبة الاجتماعية القبلية للمجتمع العربى فى شرق الجزيرة العربية.

يحتوى البحث على النظام القبلى فى مجتمع شرق الجزيرة العربية أولا:ـ البادية ـ المجتمع فى شرق الجزيرة العربية ـ الحضر ـ المجتمع القبلى فى الكويت ـ المجتمع القبلى فى البحرين ـ المجتمع القبلى فى قطر ـ المجتمع القبلى فى الاحساء ـ السلطة والمجتمع القبلى (أ) الأسرة والقبلية والسلطة فى المجتمع القبلى (2) السلطة من خلال الملكية فى المجتمع القبلى (3) مفهوم السلطة لدى المجتمع القبلى أولا:ـ الأسرة والتبعية والسلطة فى المجتمع القبلى (أ) الأسرة الابوية (ب) التبعية القبلية والسلطة ـ ثانيا:ـ السلطة من خلال الملكية فى المجتمع القبلى ـ الاتاوة والخوة والتبعية والسلطة ـ ثالثا:ـ مفهوم السلطة لدى المجتمع القبلى. السلطة فى

المجتمع القبلى ـ السلطة القبليـة والطابع الإقطاعى لدويلات المدن ـ المجتمع القبلى والسلطة العثمانية فى شرق الجزيرة العربية ـ الخلاصة.

42 ـ الوضع الاجتـماعى والاقـتصادى لمدينـة الدوحة فى العهـد العثـمانى 1871 ـ 1913

قدم هذا البحـث إلى ندوة مكانة الخليج العربى فى العصر الحـديث ما بين 1820 ـ 1920 كلية الآداب قسم التاريخ ـ جامعة الإمارات العربية المتحدة ـ العين 14 ـ 15 ديسمبر 1997.

تتناول هذه الدراسـة الفتـرة العـثمـانية من عـام 1871 ـ 1913 وتبدأ بموقع الدوحة وتسـميتـها ونشأتـها وإحيـائها والتكوين الاجتـماعى لسكانهـا والأقليات الموجودة فيها وتتناول الأوضاع الاقتصادية والدخل القومى والضرائب وما تستورده المدينة من الخارج ثم تدرس الإدارة السـياسيـة والقلاع والمبانى والمرافق العـامة من الميناء والسوق والشوارع ومصادر مياه الشرب والحياة الثقافية والدينية.

تخضع قبـائل الدوحة لشيوخهـا فالنمط القبلى هو النموذج السائد وتعـتبر الدوحة فى تكوينها الاجتماعى بدأت بنواة صغيرة عندما نزحت إليها بعض القبائل العربية من فروع بنى خالد ثم تحولت إلى تشكيل سـياسى، وبعدها سيطرت عليها بعض الأسر من التجار. وتتناول الدراسة القـبائل والعشائر والأفخاذ والبطون التى يتكون منها المجتمع القطرى الحديث والمعاصر.

تقتصر الحـياة الاقتصادية لسكان الدوحة على النشاط البـحرى والصحراوى ويعتـبر النشاط البـحرى وما يـنتج عنه من المهن والأنشطة مصـدر الدخل القومى الرئيسى ممثـلا فى الغوص على اللؤلؤ والنقـل التجارى وصـيد الأسمـاك وصناعة السفن.

تعتبـر صناعة النقل البحرى الرافـد الثانى لصناعة اللؤلؤ ويقـوم البحارة فى فصـل الشتاء بـالنقل البحـرى فى موانئ الخليج العـربى وشرق أفـريقيـا والهند. وجاءت صناعة صيد الأسماك فى المرتبـة الثالثة من حيث الدخل القومى، وكذلك من حيث عـدد السفن العاملة فى هذا النشـاط الذى يلبى حاجات قطاع كبـير من الطبقات الاجتماعية المختلفة فى قـطر عامة ومدينة الدوحة خاصة. وظهرت فئات اجتماعية مـختلفة من جراء النشاط الاقتصادى ولعبت هذه الفـئات دوراً مهما فى الحياة السياسـية والإدارية فى مدينة الدوحة مما جعلها عاصمة مـركزية لشبة جزيرة قطر ومن ثم أخذت تتـوسع فى إحيائها وفى مخـتلف ميادين النشاط الاقـتصادى والسياسى والاجتماعى. وكانت سبباً فى بداية الـنهضة الحديثة والشاملة فيما بعد.

تبدأ الدراسـة ـ بالمقدمة ـ موقع الدوحـة ـ تسميـة الدوحة ـ نشأة الدوحة ـ إحـياء الدوحة التكوين الاجتـماعى لسكان الدوحة ـ القبائل الحضريـة ـ القبائل البدوية ـ الأقليـات فى الدوحة ـ توزيع سكان الدوحـة ـ الأوضاع الاقـتصادية ـ الـضرائب والدخل القـومى ـ الإدارة السيـاسية ـ الأمن الـداخلى ـ القلاع ـ سـوق الدوحة ـ الشوارع ـ الميناء ـ مياه الشرب ـ الحياة الدينية ـ المساجد ـ الحياة الثقافية ـ الخاتمة.

(43) القدس فى العهد العثمانى:

قدم هذا البـحث إلى مؤتمر مصادر تاريخ القـدس ـ جامعة القـاهرة ـ مركز البحوث والدراسات التاريخية ـ 21 ـ 23مارس 1998.

استمـرت القدس مدينة السـلام على مر العصور، ومن قـبل كانت ولاتزال القدس مدينة عربيـة منذ بداية التاريخ إلى نهايته، وإن عروبة القدس لاجـدال فيها ولا نقاش، وقد كان لظهور الإسلام دوراً كبيـراً فى إشراقة القدس كمدينة للسلام ولكافة الأديان السمـاوية، وأصبحت القدس التى كانت مدينة عـربية قبل الإسلام

تحفها روحانية الإسلام منذ الإسراء والمعراج، ومن ثم فى عهد الخلفاء الراشدين والأمويين والعباسيين الذين أعادوا لها هيبتها بالإسلام ورونقها وقدسيتها وأصبحت بذلك المدينة التى تفتح ذراعيها لكل معتد واستمرت لها نضارتها ونقاؤها فى العهد العثمانى.

فتح القدس السلطان سليم الأول عام 1516 بعد أن تغلب على المماليك فى معركة «مرج دابق»، وبذلك انتهى حكم المماليك لفلسطين بدخول العثمانيين للقدس. وعندما تولى السلطان سليمان الأول 1520 ـ 1566 الحكم قامت على عهده منشآت كثيرة فى القدس نتيجة لاهتمامه بحركة البناء والتعمير كما أمر بتجديد المنشآت القديمة. وفى عهد السلطان مراد الرابع 1622 كانت القدس تابعة لمصر وكانت أحوالها مضطربة إلى حد كبير ثم انتقلت تبعيتها للشام.

أمر السلطان محمود الثانى 1808 ـ 1839 بتذهيب قبة الصخرة وترميمها من الخارج، ثم استولى محمد على على القدس عام 1831 حتى عام 1841 عندما استرد السلطان عبدالمجيد القدس، وفى عهد السلطان عبدالعزيز 1860 ـ 1874 انفصلت القدس عن تبعيتها للشام وأصبحت مستقلة تتبع الباب العالى رأسًا.

وفى عهد السلطان عبدالحميد الثانى 1876 ـ 1908 نشبت الحرب بين الدولة العثمانية وروسيا 1877، وفى أعقابها صدر قانون 1882 يحرم هجرة اليهود إلى فلسطين وشراءهم الأراضى الزراعية والعقارات، ثم صدر تعديل لهذا القانون يسمح لليهود بدخول فلسطين للحج وإقامة طقوسهم الدينية على ألا يبقوا فيها أكثر من ثلاثة أشهر وبعد انعقاد مؤتمر التأسيس لمنظمة الصهيونية العالمية فى «بازل» عام 1897 برئاسة «تيودور هرتزل» الذى رسم خريطة الكيان الإسرائيلى والذى

عرض على السلطان عبدالحميد الثانى أن تسدد ديون الدولة العثمانية الباهظة بسبب الحرب مع روسـيا ويدفع إلى جيب السلطان خـمسة مـلايين من الجنيهات مـقابل السماح لليـهود بوطن فى فلسطين ولما اعتذر بأنه لا يملك المسـاومة على فلسطين وليس من خـاصة أمـلاكه فى صـفقة بـيع وشراء، تقـرر عزله وإسـقاط الخـلافة الإسلامية وعلى إثر ذلك تحـالفت الصهيونية العالميـة مع بعض الدول الغربية على خلع السلطان عبدالحميد وإبعـاده إلى سلانيك وبعدها احتلت بريطانيا القدس عام 1914 وأصدرت وعد بلفور عام 1917.

44 ـ الحضارم ودورهم فى التجارة البحرية فى العهد العثمانى :

قدم هذا البحث ـ إلى المؤتمر العالمى للدراسات العـثمانية ـ زغوان ـ تونس ـ 14/ 10/ 1998

ترجع أهميـة المسالك البحـرية فى جنوب الجزيرة العربيـة لموقعه الجـغرافى الواقع على سـاحل المحيـط الهندى وتوسطه بين دول ذات المواد الأوليـة للتجـارة الدولية، وخاصة فى الهند وجنوب شرق آسيا،وكذلك من شرق أفريقيا، من جهة أخرى، والدول المستهلكة فى أوربا، عن طريق المسالك البحرية فى الخليج العربى عن طريق مضـيق هرمز ثم البحرين، جـزيرة «فيلكا» ثم البصـرة ومنها عن طريق نهر الفـرات أو محاذاة ذلك النهر حـتى حلب ومنها إلى موانئ الشام على الـبحر المتوسط وبالتالى إلى موانئ أوروبا وخاصة اليونان وإيطاليا، أما المسلك الثانى فهو عن طريق البحر الأحمر ابتداء من ميناء عدن ثم «المخا» حتى «السويس» ومنها عبر القوافل إلى القاهرة ثم الاسكندرية ومنهـا إلى موانئ جنوب أوروبا. وكانت لتلك المسالك دوراً هامـا فى المساهمة الفـعالة فى التجارة الـدولية عبر العـصور، نظرا لوقوع المنطقة العربية فى قلب العالم القـديم وسيطرته على المسالك البحرية، التى تربط الشرق بالغـرب مما جعله حلقة وصل بين المصـادر الأساسية للمـواد الأولية

للتجارة الدولية فى الشرق، وبين الدول المستهلكة لتلك التجارة ومنتجاتها فى الغرب.

لعب التجار الحضارم عن طريق هذه المسالك البحرية دور الوسطاء فى نقل هذه التجارة مما كان له أثر إيجابى على الطرفين الأوروبى فى الغرب والتجار المحليين فى آسيا.

تمتع عرب الحضارم بالذكاء والخبرة فى علم البحار وفنونها، واشتهر منهم ربابنة كبار، برعوا وكتبوا العديد من المؤلفات فى المسالك البحرية ومن أهمهم «سليمان الشحرى». وكان لوقوع مناطقهم على ساحل المحيط الهندى ذى المياه العميقة والأمواج العالية دور كبير فى مواجهة هذا التحدى، ومع الطبيعة القاسية، من أجل البقاء والعمل فى التجارة عبر هذه المسالك البحرية، والتغلب على العقبات التى كانت تعترضهم.

اشتهر الحضارم فى نقل التجارة التقليدية عبر المسالك البحرية وخاصة تجارة العبور من المحيط الهندى والبحر المتوسط مروراً بالخليج العربى والبحر الأحمر. وعقدوا اتفاقيات مع التجار المحليين فى الدول المطلة على المحيط الهندى، وبذلك تمكنوا من السيطرة والتحكم فى تجارة البهارات والتوابل الشرقية، مما كان له أبعد الأثر على المجتمع العربى من الناحية الاجتماعية بعد الازدهار الانتعاش الاقتصادى الذى شهدته المدن الساحلية.

ساهم الحضارم من خلال تجارتهم فى المسالك البحرية مع التجار المحليين بكفاءة عالية فى سعر الشراء والتوصيل والتوزيع، وحصولهم على البضائع الاستراتيجية عالية الربح وتخزينها بكميات كبيرة، ثم يتم تصديرها بعد فترة، مما أدى على المدى البعيد إلى تحسين القدرة والحماية من تقلبات الأسعار الحادة التى كانت سمة من السمات التجارية البارزة لتجارة المضاربة التقليدية، وبذلك تم

السيطرة على الأسـواق المحلية والعالمية بكفـاءة عالية، ونجح الحضارم فـى المنافسة المحلية والعالمية إلى حد كبير، وكانت النتيجة تركز النشاط الاقتصادى التجارى فى الموانئ العربيـة وازدهار مدنها التى أصبـحت أيضا مركـزا لتجمع السفن التـجارية والتجار من مختلف الدول.

45 ـ «ابن سعود واتفاقية الصبيحية مع الدولة العثمانية 1914 دراسة وثائقية»

نشر هذا البحث فى مجلة الإنسانيات ـ جامعة الإسكندرية ـ آداب دمنهور ـ العدد الأول ـ 1998.

لم يرد فى معظم دراسات المؤرخين اتفاقية الصبيحية وقد أشار إليها بعضهم فى بضعة أسطر عابرة، برغم أهميتها فى الدراسات التاريخية المعاصرة. ونظراً لقلة ما كتب عنها، نجـد أن الباحث يحاول القيام بدراسة هذه الاتفاقيـة المهمة والمهملة فى التاريخ المعاصر، والتى جاءت نتيجة لإنهاء الصراع ونتيجة التنافس بين بريطانيا والدولة العثمانية فى الجـزيرة العربية والذى بدأ منذ عام 1871 بحملة مدحت باشا وانتهى بتوقيع اتفاقية «الصبيحية» لعام 1914 نتاجا طبيعيا افرزته الاتفاقية الأنجلو ـ عثمـانية لعام 1913، استهدفت بـريطانيا والدولة العثمانية من تلك الاتفـاقية منع التوتر والتنافس والصراع فيما بينهما، وقد ركزت الدراسة على الجوانب التالية:ـ

بريطانيا ومـفاوضات ابن سـعود والدولة العثـمانية ـ الموقـف البريطانى من الضغوط والسياسة العثمانية تجاه ابن سعود ـ دوافع اتفاقية الصبيحية.

أولا:ـ الدوافع الداخلية. ثانيا:ـ الدوافع الخارجية ـ موقف الشيخ مبارك من مفـاوضات ابن سعـود والدولة العثمـانية ـ اجتـماع الصبيـحية ـ تقـييم اجتـماع الصبيحية.

(46) الأحوال العسكرية فى العراق والشام إبان الحرب العالمية الأولى فى ضوء وثائق لجنة الدفاع الامبريالى:

نشر هذا البحث فى مجلة المؤرخ المصرى 1998

تتناول هذه الدراسة الوضع فى العراق والشام إبان الحرب العالمية الأولى، وذلك من خلال وقائق لجنة الدفاع الإمبريالى والتى تنشر لأول مرة عن العراق والشام، وهى عبارة عن ملخص تاريخى لمجريات الأمور فى تلك الفترة.

يتناول فى البداية الاستعدادات العسكرية للحرب، وكذلك السياسة التى سبقت الحرب، وذلك بجمع المعلومات والتقارير، خاصة لدى الطرف البريطانى عن طريق البعثات الدبلوماسية والقنصلية ودوائر الاستخبارات فى مختلف أنحاء الدولة العثمانية،و معرفة الرأى العام العربى فى الأقاليم العثمانية فى العراق والشام بما فيها لبنان والأردن وفلسطين.

يبدأ بعد ذلك بدراسة الأوضاع العسكرية ونتائج المعارك على الجبهتين، العراق وفلسطين، ثم الاحتلال البريطانى لهما، بعد هزيمة الجيش العثمانى.

(47) بريطانيا والقضية العربية أثناء الحرب العالمية الأولى:

نشر هذا البحث فى مجلة حوليات كلية الآداب جامعة عين شمس عام 1998

تبدأ هذه الدراسة بجذور القضية العربى بالمسألة الشرقية ثم المسألة العربية وتبنى الشريف الحسين للقضية العربية وبعد الاتصالات البريطانية مع الشريف حسين والرسالة الأولى التى بعثها الشريف الحسين إلى مكماهون ودراسة ومناقشة الرد البريطانى والمطالب العربية التى تبناها الشريف الحسين وخاصة «ميثاق دمشق» ثم يتناول البحث الموقف البريطانى تجاه القضية العربية، وبعد التعهد البريطانى تجاه القضية العربية وتختتم الدراسة بالخلاصة.

(48) المؤسسات التعليمية والعلماء فى اليمن فى العهد العثمانى

قدم هذا البحث إلى ـ المؤتمر الدولى حول العلم والمعرفة فى العالم العثمانى ـ بمناسبة الذكرى السبعمائة على قيام الدولة العثمانية ـ اسطنبول 12 ـ15 إبريل 1999

تعتبر المؤسسات التعليمية فى الجزيرة العربية، ذات صبغة خاصة، وهى من النوع التقليدى، لأن التعليم الحديث تأخر كثيراً فى المنطقة، وقد يرجع ذلك إلى الظروف المعيشية والحياة الاقتصادية والاجتماعية، اضافة إلى بعد المسافة بين أقرب المراكز التعليمية فى الولايات العثمانية الأخرى مثل سوريا ومصر.

لكن نظراً لانتقال العلماء من الجزيرة العربية واحتكاكهم ببقية إخوانهم، من العلماء والأساتذة فى الولايات العثمانية، أدى ذلك إلى التأثير والتأثر، بالحركة التعليمية فى المحيط العثمانى، وهذا ما ساعد على تطور العلم، وبالتالى قيام وتطور المؤسسات العلمية والتى كانت تتكون من عدة أنواع منها النوع الأول: وهو الكتاتيب، والنوع الثانى: هو المساجد، والنوع الثالث: وهو «الأربطة» ومفردها «رباط»، أى المكان الذى يترابط فيه الطلاب والأساتذة والعلماء لتلقى العلم، وهذا النوع متطور أكثر، وهو بمثابة «معهد» علمى أو أقرب إلى الكلية بالمعنى العصرى وليس الاكاديمى.

تعتمد هذه المؤسسات العلمية أو التعليمية، على الجهود الذاتية، وغالبًا يكون لها أوقاف مرصودة من قبل أهل الخير وكذلك من بعض الحكام أو الولاة. وبذلك تحافظ على بعض الاستقلالية فى قرارها وفى نهجها التعليمى بعدم التعرض لأية ضغوط خارجية.

لعب النوع الأخير دوراً كبيراً فى تطور المؤسسات التعليمية، نظراً لما كان يتخرج منه أعداد من أئمة المساجد ورجال الدين، والقضاة الشرعيين، والمدرسين وغيرهم ممن لعبوا دوراً كبيراً فى الحركة التعليمية والفكرية، وسوف نشير إلى

بعض العلماء والأساتذة الذين لهم دور بارز فى الحركة العلمية فى المنطقة أثناء العهد العثمانى، كما نشير إلى إنتاجهم الفكرى والتعليمى، إضافة إلى ذلك كان هناك مؤسسات تعليمية لمختلف المذاهب الإسلامية، يتدارس فيها طلاب العلم، وأحيانًا تكون مؤسسة علمية تجتمع فيها عدة مذاهب إسلامية، وهذا النوع من المؤسسات عادة تكون قليلة وتوجد فى المدن الكبيرة أو الرئيسية.

قامت بعض هذه المؤسسات التعليمية بتطور العملية التعليمية وإدخال التعليم الحديث، كما كان هناك اهتمام فى بعض المؤسسات التعليمية بتعليم الفتيات وكان لهن مدارس خاصة. وندرس فى هذا البحث أيضًا، أهمية هذه المؤسسات والدور الذى لعبته فى تطور المجتمع من الناحية التعليمية والفكرية فى العهد العثمانى.

تحتوى هذه الدراسة على ـ مقدمة ـ الحكم العثمانى لليمن ـ الحياة الفكرية فى اليمن قبل مجئ العثمانيين ـ الفكر والأدب فى عهد العثمانيين ـ المؤسسات التعليمية فى اليمن ـ المدارس فى عهد العثمانيين ـ المؤسسات التعليمية الدينية ـ المعاهد والأربطة الدينية ـ مدينة تريم ـ المعهد العلمى «رباط» تريم ـ العلماء والمدرسين ـ أسر الفكر والعلم والتدريس ـ أسرة آل العلوى ـ آل العيدروس ـ السقاف ـ الاهدل ـ الزيلعى ـ الشرفى ـ الخاتمة.

تقييم وضعية الدراسات العثمانية:

بعد استعراضنا للدراسات والأبحاث عن وضعية الدراسات العثمانية، نضع جدول بأسماء الباحثين والدول التى ينتمون إليها وعدد الأبحاث التى قاموا بها أو ساهموا فى دراستها:ـ

أولا:ـ المملكة العربية السعودية

1 ـ د. محمد عبدالله الزلفة ـ أربعة أبحاث.
2 ـ د. عبدالله سراج عمر منسى ـ بحث واحد.
3 ـ د. عايض حزام الروقى ـ خمسة أبحاث.

4 ـ د. عبداللطيف محمد الحميد ـ أربعة أبحاث.
5 ـ د. خلف دبلان خضر الوذيناني.
6 ـ د. عبدالله حسين الحامد.
7 ـ د. عبداللطيف الحميدان.
8 ـ د. يوسف حسن محمد العارف.
9 ـ د. أميرة علي المداح.
10 ـ د. سهيل محمد حيان.
11 ـ إيمان سليمان الفهد العيسى.
12 ـ سليمان محمد الغنام.
13 ـ محمد عبدالله السلمان.

الدراسات العثمانية:

من خلال المسح «البيبليوجرافى» لجميع ما صدر فى المملكة العربية السعودية من بحوث ودراسات ذات علاقة بالدراسات العثمانية تبين وجود أكثر من مائتى مادة متنوعة بين رسائل دكتوراه وماجستير وكتب منشورة ومقالات وبحوث. ويحتل موضوع التاريخ والسياسية المركز الأول من بين الموضوعات الأخرى، إذ بلغ 83 مادة، أى ما نسبته 41,5٪ من إجمالى الإنتاج، ويلى ذلك موضوع المكتبات والوثائق حيث تم رصد 34مادة، أى ما نسبته 17٪ من إجمالى الإنتاج. وأما موضوع الأدب والثقافة والفكر فقد احتل المركز الثالث بنسبة 12٪ يليها موضوع الآثار والعمارة فى المركز الرابع بنسبة 9,5٪ بينما كان نصيب موضوع التراجم والمذكرات المركز الخامس بنسبة 8,5٪. ويوضح الجدول التالى التوزيع الموضوعى للبحوث والدراسات المقدمة وقد أخذنا هذا الجدول من بحث الدكتور عبداللطيف محمد الحميد[1].

(1) د. عبداللطيف محمد الحميد ـ واقع الدراسات والبحوث العثمانية فى المملكة العربية السعودية ـ الدارة ـ جمادى الأولى 1416هـ ـ العدد الثالث ص21.

جدول رقم (1)
يوضح التوزيع الموضوعي للبحوث والدراسات

الموضوع	العدد	النسبة
الآثار والعمارة	19	9,5٪
الإدارة ونظم الحكم	7	3,5٪
الأدب والثقافة والفكر	24	12٪
الاقتصاد والتجارة	6	3٪
التاريخ والسياسة	84	42٪
التراجم والمذكرات	17	8,5٪
التربية والتعليم	3	1,5٪
الجغرافيا والرحلات	5	2,5٪
الدعوة ونشر الإسلام	4	2٪
المكتبات والوثائق	34	17٪
العدد الكلى	203	

ومن خلال التوزيع النوعى للإنتاج المقـدم، يتبين وجود 38 رسالة دكتوراه و32 رسالة مـاجسـتير و26 كتـابا مؤلفًـا والباقـى وعدده 16 يتضـمن المقالات والبحـوث المنشورة فـى الدوريات والمجلات المتـخصصـة. وهذا يشيـر إلى توازن التوزيع النوعى ووفرته فى مجال الدراسات العليـا والتأليف مع الأخذ فى الحسبان أن العدد الأكبر للمواد المنشورة كان من نصيب المقالات والبحوث[1].

جدول رقم (2) يوضح التوزيع النوعى للإنتاج المقدم

رسائل دكتوراه		رسائل ماجستير		كتب مؤلفة		مقالات وبحوث	
العدد	النسبة	العدد	النسبة	العدد	النسبة	العدد	النسبة
28	14٪	32	16٪	26	13٪	116	58٪

(1) د. عبداللطيف محمد الحميد - نفس المرجع ص24.

وفى ضوء البيانات الواردة فى الإنتاج المقدم يتبين أن أول رسالة دكتوراه ذات علاقة بالدراسات العثمانية تعود إلى عام 1394هـ/ 1974م لأحد الطلاب المبتعثين من جامعة الملك سعود إلى جامعة ليدز فى بريطانيا للدكتور صالح محمد العمرو بعنوان «الحجاز تحت الحكم العثمانى» وأخرى للدكتور عبداللطيف عبدالله بن دهيش مبتعث جامعة أم القرى إلى جامعة ليدز فى بريطانيا فى العام نفسه، بينما نجد أن أول رسالة دكتوراه تمنح من جامعة سعودية فى هذا المجال هى رسالة الدكتور خالد حمود السعدون بعنوان «الأوضاع القبلية فى ولاية البصرة العثمانية» من جامعة أم القرى بمكة المكرمة فى عام 1405هـ/ 1985م. وبالنسبة لرسائل الماجستير فإن أول رسالة فى المملكة فى هذا المجال أجيزت عام 1400هـ/ 1980م من جامعة أم القرى للطالبة أميرة على المداح بعنوان «العثمانيون والإمام القاسم بن محمد بن على فى اليمن» وقبل ذلك بسنتين أجيزت رسالة ماجستير لطالب سعودى من جامعة الأزهر بمصر بعنوان «سياسة السلطان عبدالحميد الثانى الإسلامية» لمحمد حمد الجعفرى. ويعود صدور أول كتاب مطبوع إلى عام 1378هـ/ 1958م حينما نشر العلامة حمد الجاسر صاحب دار اليمامة بالرياض كتاب «البرق اليمانى فى الفتح العثمانى» بينما نشرت أول مقالة فى مجلة المنهل عام 1375هـ/ 1956م بعنوان «من شعرائنا فى العصر العثمانى» بقلم الأديب محمد سعيدالعمودى. وهذا يعنى أن إصدار الكتب والبحوث سبق تأسيس الدراسات العليا فى الجامعات بفترة تتجاوز ربع قرن. وباستعراض مجمل الإنتاج الوارد حصره فى «الببيليوجرافيا» وعدده 203 مادة، نجد أن حوالى نصف هذا العدد يرتبط بموضوعات ذات علاقة بشئون الجزيرة العربية فى شتى فروع المعرفة، مما يعنى أن أحد أهداف البحث فى مجال الدراسات العثمانية فى اهتمامات الباحثين فى المملكة ينصب فى الدرجة الأولى على معرفة خلفية التاريخ المحلى والنشاط الفكرى والأدبى والتراث المعمارى للمنطقة. وتبلغ نسبة الباحثين السعوديين فى الدراسات والبحوث المقدمة 57٪ مقابل 53٪ لباحثين غير

سعوديين. بيما توجد خمس عشرة مادة قـدمتها باحثات سعوديات، أى ما يعادل 5، 7٪ من إجمـالى ما تم حصره. ويتـتبع إسهام الجامـعات السعودية فـى مجال الدراسات العثمـانية نجد أن جامعة أم القـرى تحتل المركز الأول، إذ بلغ 15 رسالة دكتوراه و11 رسالة ماجستير، يليها فى المركز الثـانى جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بواقع 7رسائل دكتوراه و10 رسائل ماجـستير، ثم جامعـة الملك سعود بواقع 5رسائل دكتـوراه أغلبها لطلبة مبتـعثين و3 رسائل ماجسـتير، وفى المركز الرابع جامعـة الملك عبد العزيز بواقع رسالة دكـتوراه واحدة و3ماجستـير وأخيرا كليات البنات التابعة للرئاسـة العامة لتعليم البنات بواقع 4 رسائل ماجستير. ولا شك أن أثر الجـامعـات السعـودية يتعـدى أثر الدراسات العليـا إلى المشاركـة فى الدوريات والمجلات التابعة لكلياتها (انظر جدول رقم 4).

ويلحظ تنوع المجلات والدوريات المتخصصة فى المملكة التى تناولت جوانب ذات علاقة بالدراسات الـعثمانية. وقد تمكن الباحـث من رصد أكثر من 14 مجلة دورية نشرت مواد تتعلق بموضـوع البحث، وعلى رأس هذه المجلات مجلة الدارة

جدول رقم (3)

يوضح إسهام الجامعات السعودية فى الدراسات العثمانية

الجامعة	دكتوراه	ماجستير	المجموع
جامعة أم القرى	15	11	26
جامـعة الإمام محـمد بن سعود الإسلامية .	7	10	17
جامعة الملك سعود	6	3	9
جامعة الملك عبدالعزيز	1	3	4
كليـات البنـات بالرئاسـة العامة لتعليم البنات	-	4	4

التى احتلت المركز الأول بواقع 25 مقالة وبحث، ثم مجلة المنهل، ثم مجلتى عالم الكتب والفيصل. ويلحظ أن النشر فى هذه المجلات قد تفوق على النشر فى المجلات والدوريات «الأكاديمية» الصادرة من الجامعات، وربما يعزى ذلك إلى قيود النشر فى هذه المجلات. ويوضح الجدول التالى إحصاءات بعدد المقالات الواردة فى كل مجلة ودورية متخصصة[1].

جدول رقم (4)
يوضح أعداد المقالات والبحوث المنشورة فى المجلات والدوريات المتخصصة

المجلة	المجلة	عدد المقالات والبحوث
الدارة	دار الملك عبدالعزيز بالرياض	25
المنهل	دار المنهل للصحافة والنشر بجدة	17
عالم الكتب	دار ثقيف للنشر والتأليف بالرياض	12
الفيصل	دار الفيصل الثقافية بالرياض	12
العرب	دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر بالرياض	6
العصور	دار المريخ للنشر ـ لندن ـ الرياض	5
مجلة كلية الآداب	جامعة الملك سعود بالرياض	4
مجلة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية	جامعة أم القرى بمكة المكرمة (فرع جامعة الملك عبدالعزيز سابقا)	4
مجلة جامعة الملك عبدالعزيز	جامعة الملك عبدالعزيز بجدة	3
مجلة كلية العلوم الاجتماعية	جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض	3
مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية	جامعة الملك عبدالعزيز بجدة	2
مجلة الجامعة الإسلامية	الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة	2
مجلة جامعة الإمام محمد ابن سعود الإسلامية	جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض	1
مجلة رسالة الخليج العربى	مكتب التربية العربى لدول الخليج بالرياض	1

(1) د. عبداللطيف محمد الحميد ـ نفس المرجع ص25.

نظراً لأهمية الموضوعات التاريخية فى مجال الدراسات العثمانية بالمملكة - إذ سبقت الإشارة إلى وجود أربع وثمانين مادة فى موضوع التاريخ والسياسة من بين أكثر من مائتى مادة، أى ما نسبته 42٪ من إجمالى الإنتاج.

ثانيا:- الكويت

1 - د. فيصل عبدالله الكندرى - تسعة أبحاث.

2 - د. ميمونة خليفة الصباح - بحثين.

3 - د. نجاة عبدالقادر الجاسم - بحث واحد.

ثالثا:- قطر

(أ) د. مصطفى عقيل الخطيب - بحثين.

رابعًا: دولة الإمارات العربية المتحدة

أ - د. محمد حسن العيدروس - خمسة وعشرون بحثا (يعمل فى جامعة الكويت).

يتضح من ذلك أن السعودية تتصدر قائمة الباحثين فى الدراسات العثمانية، وذلك راجع لوجود عدد كبير من الجامعات فيها، ثم تأتى الكويت فى المرتبة الثانية من حيث عدد الذين ساهموا فى كتابة الأبحاث عن العثمانيين، وكان من المفروض أن تكون فى الكويت أعداد أكبر ومساهمات أكثر فى الدراسات العثمانية لأن جامعتها قديمة فى المنطقة، إضافة إلى السمعة الجيدة التى يتمتع بها أعضاء الهيئة التدريسية فيها، ثم تأتى قطر والإمارات فى المرتبة الثالثة، والتى فيها باحث واحد لكل منهما فى حين لا يوجد باحثين فى الجامعة البحرينية أو أية مساهمة لأعضائها فى الأبحاث عن الدراسات العثمانية وكذلك عمان.

برغم وجود أكثر من عشرين جامعة فى دول شرق الجزيرة العربية، فإن عدد الباحثين قليل، لا يتناسب مع حجم هذه الدول وإمكاناتها المادية، كما نلاحظ وجود باحث واحد فقط فى جامعة قطر، وواحد من الإمارات ولكن يعمل فى جامعة الكويت، وعدم وجود باحثين فى الدراسات العثمانية من جامعة البحرين وعمان، ونجد أن دول شرق الجزيرة العربية تصرف مبالغ كثيرة على العملية التعليمية والبحث العلمى إلا إن النتيجة غير إيجابية مما يعنى وجود معوقات فى الدراسات العثمانية مما يؤثر سلبا فى هذه الدراسات.

مواضيع الدراسات العثمانية

بجانب الدراسات العثمانية بصفة عامة، فإن هناك أبحاثًا عن التواجد العثمانى أو الدراسات العثمانية فى الخليج العربى، ساهم فيها أبناء المنطقة وسوف نتناول النوع الأخير ونحاول تقسيمها حسب المواضيع الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والفكرية فى الخليج العربى.

أولا: المواضيع الاجتماعية

(1) الحياة الاجتماعية ومشكلة الرعايا البريطانيين من التجار الهنود فى قائمقام قطر العثمانى 1871 ـ 1882 د. محمد حسن العيدروس ـ نشر عام 1986 ـ رقم البحث (32).

(2) المجتمع القبلى ومفهوم السلطة فى شرق الجزيرة العربية فى العهد العثمانى 1871 ـ 1914 د. محمد حسن العيدروس نشر عام 1996 ـ رقم البحث (41).

(3) الوضع الاجتماعى والاقتصادى لمدينة الدوحة فى العهد العثمانى ـ 1871 ـ 1913. د. محمد حسن العيدروس ـ نشر عام 1997 ـ رقم البحث (42).

ثانيا:ـ المواضيع الاقتصادية

(1) قانون نامة لواء القطيف لعام 1556 ـ د. فيصل عبدالله الكندرى ـ نشر عام 1997 رقم البحث (٦).

(2) الحياة الإدارية فى سنجق الأحساء العثمانى 1871 ـ 1913 د. محمد حسن العيدروس نشر عام 1990 رقم البحث 36.

(3) الحضارم ودروهم فى التجارة البحرية فى العهد العثمانى د. محمد حسن العيدروس ـ نشر عام 1998 رقم البحث 44.

ثالثا:ـ المواضيع السياسية

(1) تقرير سليمان ريس ـ د. فيصل الكندرى ـ نشر عام 1994 ـ رقم البحث (1).

(2) رسالة السلطان سليمان القانونى إلى حاكم البحرين ـ د. فيصل عبدالله الكندرى ـ نشر عام 1995 ـ رقم البحث (2).

(3) نتائج حملة مصطفى باشا على البحرين ـ د. فيصل عبدالله الكندرى ـ نشر عام 1998 ـ رقم البحث (7).

(4) العثمانيون وسواحل البحرالأحمر فى منتصف القرن السادس عشر ـ د. فيصل عبدالله الكندرى ـ نشر عام 1998 ـ رقم البحث (8).

(5) المواجهة العثمانية ـ البريطانية فى الخليج العربى 1869 ـ 1914 د. عبدالله سراج عمر المنسى ـ نشر عام 1994 ـ رقم البحث ـ (10).

(6) العلاقات الكويتية ـ العثمانية 1718 ـ 1902 د. نجاة عبدالقادر الجاسم ـ نشر عام 1997 رقم البحث (11).

(7) الكويت حضارة وتاريخ ـ د. ميمونة خليفة الصباح ـ نشر عام 1998 ـ رقم البحث (12).

(8) الكويت فى الاتفاقية الإنجليـزية ـ التركية لعام 1913 د. ميمونه خليفة الصباح ـ نشر عام 1992 ـ رقم البحث (13).

(9) سياسة إيران فى الخليج العربى على عهد ناصرالدين شاه 1848 ـ 1896 ـ د. مصطفى عقيل الخطيب ـ نشر عام 1987 ـ رقم البحث (14).

(10) تاريخ العرب الحديث ـ د. مصطفى عقيل الخطيب ـ رقم البحث (15).

(11) إمارة ابن عريش وعلاقتها بالدولة العثمانية 1838 ـ 1849 ـ د. محمد عبدالله الزلفة ـ نشر عام 1996 ـ رقم البحث (16).

(12) المساندة الخليجية للأسطول العثمانى ضد البرتغاليين ومنطلقاتها، دراسة مقارنة ـ د. عايض حزام الروقى ـ نشرعام 1998 ـ رقم البحث (18).

(13) البحر الأحمر والجزيرة العربية فى الصراع العثمانى البريطانى خلال الحرب العالمية الأولى ـ د. عبداللطيف محمد الحميد ـ نشر عام 1994 ـ رقم البحث (21).

(14) العثمانيون والإمام القاسم بن محمد بن على فى اليمن 1598 ـ 1620 ـ د. أميرة على المداح ـ نشر عام 1984 ـ رقم البحث (22).

(15) العثمانيون وحكومة الأدارسة فى عسير ـ د. يوسف حسن محمد العارف ـ نشر عام 1995 ـ رقم البحث (23).

(16) العلاقات العربية ـ الإيرانية ـ د. محمد العيدروس ـ نشرعام 1985 ـ رقم البحث (25).

(17) زايد أمير بنى ساس وعلاقته بالقوى المجاورة ـ د. محمد العيدروس ـ نشر عام 1990 ـ رقم البحث (26).

(18) تاريخ الخليج العربى الحديث والمعاصر ـ د. محمد العيدروس ـ نشر عام 1996 ـ رقم البحث (27).

(19) تاريخ الجزيرة العربية الحديث والمعاصر ـ د. محمد حسن العيدروس ـ نشر عام 1996 ـ رقم البحث (28).

(20) تاريخ الكويت الحديث والمعاصر ـ د. محمد حسن العيدروس ـ نشر عام 1997 ـ رقم البحث (29).

(21) تاريخ العرب الحديث ـ د. محمد حسن العيدروس ـ نشر عام 1998 ـ رقم البحث (30).

(22) سياسة إيران التوسعية تجاه العراق ـ د. محمد حسن العيدروس ـ نشر عام 1990 ـ رقم البحث (34).

(23) الصراع العثمانى ـ البرتغالى فى الخليج العربى فى النصف الثانى من القرن السادس عشر ـ د. محمد حسن العيدروس ـ نشر عام 1990 ـ رقم البحث (35).

(24) الموقف البريطانى من التواجد العثمانى فى الاحساء قطر عام 1888 دراسة وثائقية ـ د. محمد حسن العيدروس ـ نشر عام 1988 ـ رقم البحث (36).

(25) السياسة العثمانية تجاه الخليج العربى فى النصف الأول من القرن

التاسع عشر - د. محمد حسن العيدروس - نشر عام 1990 - رقم البحث (37).

(26) الموقف البريطانى من التوجه المصرى نحو ساحل عمان 1839 - 1840 د. محمد حسن العيدروس - نشر عام 1997 - رقم البحث (39).

(27) ابن سعود واتفاقية الصبيحية مع الدول العثمانية 1914 - دراسة وثائقية - د. محمد حسن العيدروس - نشر عام 1998 رقم البحث (45).

(28) القرار السياسى البريطانى فى ظل النزاع الأنجلو - عثمانى فى شرق الجزيرة العربية 1871 - 1913 د. محمد حسن العيدروس - نشرعام 1995 - رقم البحث (40).

رابعًا:- المواضيع الثقافية

(1) الحياة الفكرية فى شرق الجزيرة العربية 1871 - 1913 - د. محمد حسن العيدروس - نشرعام 1990 - رقم البحث (33).

(2) المؤسسات التعليمية والعلماء فى اليمن فى العهد العثمانى - د. محمد حسن العيدروس - نشر عام 1999 - رقم البحث (47).

خامسا:- الأبحاث العثمانية خارج الخليج العربى

نتناول الأبحاث والدراسات العثمانية خارج منطقة الخليج العربى والذى تناوله أبناء المنطقة فى الفترة الماضية وهى كالآتى:-

(1) مظلمة أهالى حلب إلى الصدر الأعظم فى عهد السلطان سليمان القانونى - د. فيصل عبدالله الكندرى - نشرعام 1995 - رقم البحث (3).

(2) جان بردى الغزالى وموقفه من العثمانيين - د. فيصل عبدالله الكندرى - نشر عام 1996 - رقم البحث (4).

(3) الكتابة وأدواتها عند العثمانيين ـ د. فيصل عبدالله الكندرى ـ نشر عام 1997 ـ رقم البحث (5).

(4) منح رب البرية فى فتح رودس الأبية ـ د. فيصل عبدالله الكندرى ـ نشر عام 1998 ـ رقم البحث (9).

(5) الجزر الأيونية فى ضوء رسائل السلطان سليم الثالث إلى سلطان المغرب مولاى سليمان ـ د. محمد عبدالله زلقة ـ نشر عام 1990 ـ رقم البحث(17).

(6) حروب البلقان والحركة العربية فى المشرق العربى 1912 ـ 1913 ـ د. هايض حزام الروقى ـ نشرعام 1996 ـ رقم البحث (19).

(7) موقف الدولة العثمانية تجاه مأساة المسلمين فى الأندلس 1486 ـ 1609 ـ د. عبداللطيف محمد الحميد ـ نشر عام 1993 ـ رقم البحث (20).

(8) القدس بين أطماع الصهيونية والحكم العثمانى 1876 ـ 1904 ـ د. خلف دبلان خضر الوذينانى ـ نشرعام 1998 ـ بحث رقم (24).

(9) قيام الدولة العثمانية وتطورها ـ د. محمد حسن العيدروس ـ نشر عام 1995 ـ رقم البحث (31)

(10) أوضاع الأقلية الإسلامية فى بلغاريا منذ نهاية الحرب العالمية الثانية حتى أحداث 1985 ـ د. محمد حسن العيدروس ـ نشر عام 1991 ـ رقم البحث (38).

(11) القدس فى العهد العثمانى ـ د. محمد حسن العيدروس ـ نشر عام 1998 ـ رقم البحث (43).

(12) الأحوال العسكرية فى العراق والشام إبان الحرب العالمية الأولى فى

وثائق لجنة الدفاع الامبريالى - د. محمد حسن العيدروس - نشر عام 1998 - رقم البحث (46).

(13) بريطانيا والقضية العربية أثناء الحرب العالمية الأولى - د. محمد حسن العيدروس - نشر عام 1998 - بحث رقم (42).

وفى ما يلى حصر بيليوجرافى شامل لكل المواد ذات العلاقة بالدراسات العثمانية فى المملكة العربية السعودية: نقلا عن د. عبداللطيف الحميد - مجلة الدارة - جمادى الآخرة - 1416هـ:-

الآثار والعمارة:

1 - أعمال الخشب المعمارية فى الحجاز فى العصر العثمانى/ ناصر على عيضة الحارثى (ماجستير) جامعة أم القرى، كلية الشريعة، قسم الحضارة والنظم الإسلامية 1406هـ.

2 - تاريخ عمارة المسجد الحرام من العصر العباسى الثانى حتى العصر العثمانى/ فوزية حسين مطر (دكتوراه) جامعة أم القرى، الشريعة، التاريخ 1406هـ.

3 - تحصينات أبها خلال القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجرى/ محفوظ سعيد الزهرانى (ماجستير) جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، العلوم الاجتماعية، قسم التاريخ والحضارة، 1410هـ.

4 - جهود المعمار سنان فى مكة والمدينة/ محمد حرب (مقال) مجلة الدارة، ع2، محرم 1413هـ/ يوليو 1992م، ص 115 - 129.

5 - دراسة لبعض العمائر العثمانية بالهفوف فى النصف الثانى من القرن العاشر الهجرى/ عادل محمد غباشى (ماجستير) جامعة أم القرى، الشريعة، الحضارة والنظم الإسلامية، 1406هـ.

6 ـ سكة حديد الحجاز/ أحمد عبدالقادر المهندس (مقال) مجلة الدارة، س13، ع2، محرم 1408هـ/ أغسطس 1987م، ص 89 ـ 97.

7 ـ فن العمارة الإسلامية فى الحرمين الشريفين/ محمد مصطفى صبره (مقال) مجلة الدارة، س7، ع4، رجب 1402هـ/ مايو 1982م، ص89 ـ 96.

8 ـ فن المنمنمات التركية فى القرن 16/ نجلاء حسن حامد (مقال) الفيصل، ع 180، جمادى الثانية 1412هـ، ديسمبر 1992م، ص91 ـ 97.

9 ـ القنطرة العثمانية بمدينة أبها ـ دراسة أثرية/ عبدالمنعم رسلان (مقال) مجلة كلية الشريعة، والدراسات الإسلامية بجامعة أم القرى، ع6، س6، 1402هـ، ص117 ـ 141.

10 ـ الكتابات والنقوش العربية فى الحجاز فى العصرين المملوكى والتركى/ محمد فهد الفعر (دكتوراة) جامعة أم القرى، ى 1407هـ.

11ـ كسوة الكعبة وطرزتها منذ العصر العثمانى/ عبدالعزيز عبدالرحمن مؤذن، (ماجستير) جامعة أم القرى، الشريعة،الحضارة والنظم الإسلامية، 1402هـ.

12 ـ لوحان أثريان للسلطان قايتباى والسلطان سليمان القانونى فى قسم التاريخ والحضارة الإسلامية/ محمد أنور شكرى (كتاب) جامعة أم القرى كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، 1396هـ/ 1976م.

13 ـ مآذن إستانبول/ على أحمد باكثير (مقال) مجلة الفيصل، ع 178، ربيع الثانى 1412هـ/ اكتوبر 1991م، ص102 ـ 103.

14 ـ محمد أفضل هروى وأعماله الفنية بمكة المكرمة فى أواخر العصر العثمانى/ ناصر بن على الحارثى (مقال)، مجلة العصور، مج6، ج2، ذوالحجة 1411هـ/ يوليو 1991م، ص319 ـ 367.

15 ـ المسجد النبوى الشريف فى العصر العثمانى/ محمد هزاع الشهرى، (دكتوراة) جامعة أم القرى، الشريعة، الحضارة والنظم الإسلامية، 1407هـ.

16 ـ من آثار السلطان سليمان خان القانونى فى مكة المكرمة/ محمد أنور شكرى (مقال) مجلة جامعة الملك عبدالعزيز بجدة، س1، ع1، جمادى الثانية 1395هـ ـ 1975م.

17 ـ المنشآت المائية لخدمة مكة المكرمة والمشاعر المقدسة فى العصر العثمانى: دراسة حضارية/ عادل محمد نور عياش، (دكتوراه) جامعة أم القرى، الشريعة، التاريخ، 1410هـ.

18 ـ نحت الأثاث المعدنى فى العصر العثمانى، دراسة فنية حضارية/ ناصر على عيضة الحارثى (دكتوراه)، جامعة أم القرى، الشريعة، الحضارة والنظم الإسلامية، 1410هـ.

19 ـ نفقات عمارة الكعبة المشرفة فى صدر الإسلام حتى نهاية العهد العثمانى/ ضيف الله الزهرانى (بحث) بحوث تاريخية ـ إصدار الجميعة التاريخية السعودية، شوال 1409هـ وشوال 1410هـ، ص37 ـ 72.

الإدارة ونظم الحكم:

20 ـ التنظيمات العثمانية فى الولايات العربية/ عبدالعزيز محمد عوض (مقال) مجلة الدارة، س3، ع3، شوال 1397هـ/ سبتمبر 1977م، ص82 ـ 92.

21 ـ التنظيمات العسكرية فى ولاية البصرة أيام العثمانيين وحكم آل افراسياب 953هـ/ 1546م ـ 1079هـ/ 1668م طارق نافع الحمدانى (مقال)، مجلة العصور، مج 11، ج2، شوال 1406هـ يوليو 1986م، ص178 ـ 187.

22 ـ شئون شبه الجزيرة العربية فى سجلات الدستور العثمانى/ عبداللطيف بن محمد الحميد (كتاب) الرياض، 1416هـ.

23 ـ نظام الحكم العثمانى للعراق فى عهد ولاية مدحت باشا/ سعيد بن سعيد الغامدى (ماجستير) جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، العلوم الاجتماعية، التاريخ، الرياض 1401هـ.

24 ـ نظم الحكم والإدارة فى إمارة مكة فى العهد العثمانى الأول/ محمد بن حميدان الحربى (ماجستير)، جامعة الملك عبدالعزيز، الآداب، التاريخ، 1404هـ.

25 ـ نظم الحكم فى اليمن فى العصر العثمانى الأول/ تركى بن حميدان الحميدان (ماجستير)، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، العلوم الاجتماعية، التاريخ، الرياض، 1410هـ.

26 ـ النظم الإدارية العثمانية فى البلدان العربية وأثرها فى العلاقات العربية العثمانية/ عبدالرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم (مقال) مجلة الدارة، س9، ع1، شوال 1303هـ، يوليو 1983م، ص96 ـ 124.

الأدب والثقافة والفكر:

27 ـ الأدب التركى الإسلامى/ محمد عبداللطيف هريدى (كتاب) جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، مركز البحوث، الرياض، 1407هـ.

28 ـ الأدب التركى وترجماته إلى اللغة العربية/ مسعد سويلم الشامان (مقال) عالم الكتب، مج8، ع4، ربيع الآخر 1408هـ/ ديسمبر 1987م، ص529 ـ 534.

29 ـ أدب الحجاز وعلاقته بالدولة العثمانية ومصر/ ناصر عبدالله البركاتى (دكتوراه) مبتعث جامعة أم القرى إلى جامعة مانشستر فى بريطانيا.

30 ـ إستانبول وحضارة الخلافة الإسلامية/ برنارد لويس، تعريب سيد رضوان على (كتاب)، ص2، الدار السعودية للنشر والتوزيع، جدة 1402هـ.

31 ـ إسهام الأتراك فى الدراسات العربية/ مسعد سويلم الشامان (مقال) عالم الكتب، مج1، ع1، رجب 1401هـ/ مايو1981م، ص66 ـ 72.

22 ـ الأوضاع الثقافية فى تركيا فى القرن الرابع عشر الهجرى/ سهيل محمد صابان (دكتوراه) جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، كلية الشريعة، قسم الثقافة الإسلامية، الرياض، 1415هـ.

33 ـ بواكير المقالة الأدبية فى الحجاز قبل النهضة: العهد التركى/ محمد عبدالله العوين (مقال) مجلة الفيصل، ع172، شوال 1411هـ/ إبريل 1991م، ص95 ـ 97.

34 ـ تأثير اللغة العربية فى اللغة التركية/ أحمد فؤاد متولى (مقال) مجلة الفيصل، ع140، صفر 1409هـ/ سبتمبر 1988م، ص6 ـ 10.

35 ـ الجاليات الأوروبية فى الإسكندرية فى العصر العثمانى/ صلاح أحمد هريدى على (مقال)، مجلة العصور، مج2، ج2، ذو القعدة 1407هـ/ يوليو 1987م، ص 271 ـ 297.

36 ـ الحريم فى القصور العثمانية/ ماجد مخلوف (مقال) مجلة المنهل، مج5، ع466، ربيع الأول 1409هـ/ أكتوبر 1988م، ص166 ـ 171.

37 ـ خط السياقت التركى/ . . (مقال) مجلة الفيصل، ع32، صفر 1400هـ يناير 1980م، ص64 ـ 65.

38 ـ الدولة العثمانية والغزوالفكرى من عام 1566م/ 974هـ إلى عام 1909م/ 1327هـ/ ـ خلف دبلان الوذينانى (دكتوراه) جامعة أم القرى، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، التاريخ، 1411هـ.

39 ـ الدوغمة بين اليـهودية والإسلام/ غـيثان على جـريس (مقـال) مجلة المنهل، مج53، ع496، ذو الحجة1412هـ/ يونيو 1992م، ص90 ـ 96.

40 ـ السّير فى الأدب التـركى/ مسعد سويـلم الشامان (دكتوراة) مـبتعث جامعة الملك سعود إلى جامعة أنقرة بتركيا، 1983م:

Turk Edebiyat inda Siyer ler ve ib Hisamin Siyer'nin turkce Tercumesi/ Massad S. Al - Shaman, Ilahiyag Fakultesi Ankara Universitesi.

41 ـ السيرة النبـوية فى الأدب التركى ـ سعد سويلم الشامـان (مقال) عالم الكتب، مج2،ع3، محرم 1402هـ/ نوفمبر 1981م، ص442 ـ 447.

42 ـ الشـعـر اليـمنى منذ بداية الحكم الأيـوبى إلى نهـاية الحكم التـركى الأول/ ، أحمد حـافظ الحكمى (دكتوراه) مبتعث جـامعة الإمام محمـد بن سعود الإسلامية إلى جامعة الأزهر فى مصر، 1404هـ.

43 ـ العلمـانية وأثرها على الأوضـاع الإسـلاميـة فى تركيـا/ عبـدالكريم مشهدانى (كتاب)، المكتبة الدولية، الرياض، 1403هـ.

44 ـ العلم عند الأتراك العـثـمانيـين: لعـبـد الحق عدنان إديوار/ عـرض الصفصافى أحمد المرسى (مقال) مجلة الفيصل، ع137 ذوالقعدة 1408هـ/ يونيو 1988م، ص 59 ـ 62.

45 ـ قواعد اللغة التركيـة (التركية العثمانية والتركية الحديثـة) عبدالله مبشر الطرازى، (كتاب)، ط2، جدة، 1406هـ.

46 ـ اللغة التركيـة/ محمد السيد على بلاسى. (مـقال) مجلة المنهل، مج 53، ع493، رجب 1412هـ/ يناير 1992م ص 144 ـ 149.

47 ـ ملحمة القسطنطينية/ عدنان على رضا النحوى (كتاب)، دار النحوى، الرياض، 1408هـ.

48 ـ من شعرائنا فى العصر العثمانى: إبراهيم الأسكوبى 1264هـ ـ 1331هـ/ محمد سعيد العامودى (مقال) مجلة المنهل، مج 16، ج7، رجب 1375هـ/ مارس 1956م، ص397 ـ 401.

49 ـ النثر الأدبى فى الحجاز فى آخر العهد العثمانى/ محمد عبدالرحمن الشامخ (مقال)، مجلة كلية الآداب، جامعة الرياض (جامعة الملك سعود حاليا)، المجلد الأول، السنة الأولى، 1390هـ، ص141 ـ 164.

50 ـ الوحدة الإسلامية فى الشعر العربى الحديث منذ عهد السلطان عبدالحميد إلى قيام الدول العربية 1293 ـ 1365هـ/ عبدالعزيز بن عبدالرحمن بن ثنيان العمران (كتاب)، الرياض، 1402هـ.

الاقتصاد والتجارة:

51 ـ تجارة البصرة الداخلية والعوامل المؤثرة فيها خلال القرن السادس عشر/ طارق نافع الحمدانى (مقال) مجلة الدارة، س10، ع1، يونيو 1984م، ص159 ـ 170.

52 ـ العلاقة بين جدة وسواكن فى فترة الحكم العثمانى/ أحمد إبراهيم دياب (بحث) ضمن كتاب دراسات تاريخ الجزيرة العربية، الكتاب الأول، محاضرات تاريخ الجزيرة العربية، الجزء الثانى، منشورات جامعة الملك سعود، الطبعة الأولى 1399هـ/ 1979م، ص207 ـ 220.

53 ـ النشاط التجارى فى البحر الأحمر فى العصر العثمانى/ عبدالرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم (مقال) مجلة الدارة، س6، ع2، ربيع الأول 1401هـ/ يناير 1981م، ص89 ـ 107.

54ـ النشاط التجارى لميناء جدة خلال الحكم العثمانى الثانى/ مبارك محمد المعبدى (كتاب) النادى الأدبى الثقافى بجدة، الطبعة الأولى 1413هـ.

55 ـ نظرات فى تاريخ جدة الاقتصادى فى النصف الأول من القرن التاسع عشر/ محمد سعيد الشعفى (مقال باللغة الإنجليزية)، مجلة كلية الآداب بجامعة الرياض (جامعة الملك سعود حاليًا). مج3، س3، 1393هـ، ص23 ـ 39.

Note of the Economic History of Juddah in the first half of the ninteenth century/ Muhammad Saeed Al Sha'fi, Journal of the College of Arts, University of Riyadh vol.3. pp. 23 - 39.

56 ـ النقود والموازين والمقاييس فى سنجق الحسا فى العهد العثمانى 1871 ـ 1913م/ عبدالفتاح حسن أبوعلية (كتاب) دار المريخ، الرياض، 1404هـ.

التاريخ والسياسة.

57 ـ الأرض الفلسطينية فى الحكم العثمانى/ مجاهد على شراب (مقال) مجلة المنهل، مج49، ع464، ذو الحجة 1408هـ، يوليو 1988م، ص90 ـ 97.

58 ـ إستانبول فى مواجهة القوى الأجنبية بعد الحرب العالمية الأولى/ أحمد حسين العقبى (مقال) مجلة جامعة الملك عبدالعزيز، الآداب والعلوم الإنسانية، مج1، 1408هـ/ 1988م، ص329 ـ 360.

59 ـ الاقطاع العسكرى فى العهدين المملوكى والعثمانى/ محمد رجائى ريان (مقال)، مجلة الدارة، س14، ع2، محرم 1409هـ/ أغسطس 1988م، ص11 ـ 45.

60 ـ الإمارات التركية المستقلة فى آسيا الصغرى فى النصف الأول من

القرن السابع الهجرى/ سيد رضوان على (مقـال)، مجلة كلية العلوم الاجتماعية، العدد السادس، جامـعة الإمام محمد بن سعـود الإسلامية، الرياض، 1402هـ/ 1982م، ص87 _ 100.

61 _ إمارة الشـريف غالب بن مسـاعد فى مكة (1202 _ 1228هـ) سامـية محـمد أسـعد بشـاورى (ماجـستـير) جـامعة الملـك سعود، الآداب، التـاريخ، 1405هـ.

62 _ انقـضاض عنيـزة على جند خـورشـيد باشـا وحصـاره لهـا (صفـر 1254هـ)/ محمد ثنيان الثنيان (مقال)، مـجلة جامعة الملك عبدالعزيز، المجلد 1، 1408هـ/ 1988م، ص247 _ 279.

63 _ الأوضاع القبلية فى ولاية البصـرة العثمانية (1326 _ 1337هـ) خالد حمود السعدون (دكتوراه) جامعة أم القرى، كلية الشريعة، 1405هـ.

64 _ البحر الأحمـر والجزيرة العربية فى الصراع العثـمانى البريطانى خلال الحرب العالميـة الأولى/ عبداللطيف بن محمـد الحميد (ماجـستير) جامـعة الإمام محمد بن سعود الإسلاميـة، العلوم الاجتماعية، التاريخ 1405هـ طبع فى مكتبة العبيكان، الرياض 1415هـ.

65 _ البحرية العثمانية والبرتغالية فى القرن العاشر الهجرى، السادس عشر الميلادى على ضوء الوثائق التركية/ أحمد فـؤاد متولى (مقال)، مجلة كلية العلوم الاجتماعية، ع4، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، 1400هـ/ 1980م، ص 379 _ 397.

66 _ البرق اليـمانى فى الفتح الـعثمانى: تـاريخ اليمن فى القرن العـاشر الهجرى، وهى غزوات الجراكسة والأتراك فى جنوب الجزيرة العربية/ تأليف قطب

الدين محمد بن أحـمد النهروالى المكى (كتاب) نشره حمد الجـاسر، دار اليمامة، الرياض، 1378هـ.

67 ـ الترك وعـلاقتهم بالدولة الإسلامـية وعلاقة العـثمانيين بهم/ أحـمد حسـين العـقبى (مـقال)، مـجلة كلية الآداب والعلوم الإنسـانية، جـامعـة الملك عبدالعزيز فى جدة، مج 2، 1402هـ، ص33 ـ 51.

68 ـ تغلغل النفـوذ العثـمـانى فى شرق الجـزيرة العربيـة 1814 ـ 1841م/ عبدالوهاب صالح بابعير (دكتوراه) مبتعث جامعة الملك سعود بالرياض إلى جامعة انديانا بأمريكا، 1985م.

Ottoman penetration of the Easter Region of the Arabian Peninsula, 1814 - 1841. phD. Indiana University U.S.A 1985.

69 ـ التنافس الدولـى فى منطقـة الخليج العـربى فى الفـتـرة من 1278/ 1317هـ 1861/ 1899م ـ على محـمد أحمـد بهكلى (دكتـوراه)، جامعـة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، العلوم الاجتماعية، التاريخ والحضارة 1413هـ.

70 ـ الجامعة الإسلامية والاستعمار البريطانى فى جنوب الجزيرة العربية فى ضوء الوثائق البريطانية/ جاد طه محمود (مقال) مجلة الدارة، س10، ع2، رجب 1405هـ/ مارس 1985م. ص128 ـ 141.

71 ـ جده بين عامى 1286هـ/ 1326هـ فى ضوء المصادر المـعاصرة/ ثابره مؤمن اسماعيل (ماجستير) جامعة الملك سعود. الآداب، التاريخ، 1406هـ.

72 ـ جدة فى القرن العاشر الهجرى (900 ـ 1000هـ) نوال سراج شيشة (ماجستير) جامعة أم القرى، الشريعة، التاريخ 1403هـ.

73 ـ الجهاد الإسـلامى فى شرق أفريقيـا فى القرن العاشر الـهجرى/ نوال

حمزة يوسف الصيرفي (دكتوراه)، جامعة أم القرى، الشريعة، التاريخ، 1408هـ.

74 ـ جهاد العثمانيين ضد البيزنطيين حتى فتح القسطنطينية/ المعتصم بالله إبراهيم شعوط، (ماجستير)، جامعة أم القرى، الشريعة، التاريخ، 1401هـ.

75 ـ جهود العثمانيين لإنقاذ الأندلس واستردادها في مطلع العصر الحديث/ نبيل عبدالحي رضوان (دكتوراه)، جامعة أم القرى، الشريعة، التاريخ، 1407هـ طبع في مكة المكرمة، مكتب الطالب الجامعي، 1408هـ.

76 ـ الحجاز تحت حكم الدولة العثمانية وحكم الشريف حسين: دراسة نقدية مقارنة بالمناطق المجاورة/ عبداللطيف عبدالله بن دهيش (دكتوراه)، مبتعث جامعة أم القرى إلى جامعة ليدز في بريطانيا، 1394هـ/

The Hejaz Under the Ottoman and Sharif Husain Rule/ Abdulatif. A. bin Duhaish, phD, University of Leeds. U.K. 1974.

77 ـ الحجاز تحت الحكم العثماني 1869 ـ 1914م/ صالح محمد العمرو، (دكتوراه) مبتعث جامعة الملك سعود إلى جامعة ليدز في بريطانيا، 1394هـ/ 1974م:

The Hejaz under ottoman Rule 1869 - 1914: Ottoman vali, The Sharif of Mecca, and the Crowth of British Influence,/ Saleh. M. Al - Amr phD, University of Leeds. U.K 1974. Riyadh university publication 1978.

78 ـ الحجاز تحت حكم محمد علي/ نوال سراج شيشة (دكتوراه) جامعة أم القرى، الشريعة والدراسات الإسلامية، التاريخ، 1410هـ.

79 ـ الحجـار والحرمان الشـريفان فى القرن الثـالث عشر/ جعـفر شهـيد (بحث) ضمن كتـاب دراسات تاريخ الجزيرة العربية، الكتاب الأول، مـحاضرات تاريخ الجـزيرة العربية، الجـزء الثانى، منشـورات جامـعة الملك سـعود، الطبـعة الأولى، 1399هـ/ 1979م، ص247 ـ 250.

80 ـ حرب القرم وآثارها على المشـرق الإسلامى/ محمد كـمال الدسوقى (مقال) مجلة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، مكة المكرمة، فرع جامعة الملك عبدالعزيز، ع3، س3، 1397هـ، ص93 ـ 119.

81 ـ حروب البلقان والحركة العربية فى المشرق العربى العثمانى/ عائض بن حزام الروقى (دكتوراه)، جامعة أم القرى، الشريعة، التاريخ 1410هـ.

82 ـ حروب محمد على فى الشام وأثرها فى شـبة الجزيرة العربية/ عائض بن حزام الروقى (ماجستير) جامعة أم القرى، الشريعة، التاريخ، 1406هـ.

83 ـ حزام الأمـن العثمـانى حول الحـرمين الشـريفين فـى القرن العـاشر الهجرى/ عـمر سالم بايكور (ماجـستير) جـامعة أم القرى، الشريـعة، التاريخ، 1407هـ.

84 ـ حصار الموصل والعلاقات العثمانية الفارسية 1718 ـ 1743م/ روبرت دبليو أولس، ترجـمة عبـدالرحمن بن الحـاج أمين الجيلى (كـتاب)، دار العلوم، الرياض، 1403هـ.

85 ـ الحملات الحربيـة فى عهد سليمان القانونى/ محمـد حرب (مقال)، مجلة الجامـعة الإسلاميـة بالمدينة المنورة، العددان55، 56، ذو الحجة 1402هـ، ص228 ـ 237.

86 ـ حملات محـمد على ضد الدولة السعودية الأولى/ آمنة أحـمد جابر الدوسرى (ماجستير)، الرئاسة العامة لتعليم البنات، الآداب، الدمام، 1410هـ.

87 ـ حوار مع المؤرخ التركى يلماز أوزتونا/ عبداللطيف بن محمد الحميد (لقاء وحوار) مجلة الفيصل، ع196، شوال 1413هـ/ إبريل 1993م، ص60 ـ 63.

89 ـ دراسة تاريخية لموقف الاحساء من الاستراتيجية العثمانية فى نهاية القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين/ عبدالفتاح حسن أبو علية، (مقال) مجلة الدارة، س1، ع4، ذوالحجة 1395هـ/ ديسمبر 1985م، ص116 ـ 131.

90 ـ دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب وتأثيرها على مقاومة بلاد عسير ضد الحكم العثمانى ـ المصرى/ محمد بن عبدالله آل زلفة (ماجستير). مبتعث جامعة الملك سعود إلى جامعة كانساس بأمريكا، 1979م.

91 ـ الدمام والقطيف واستيلاء الأتراك عليهما فى جمادى عام 1288هـ/ (مقال) مصور من مجلة الجنان البيروتية، مجلة العرب ج5،6س 22، ذوالقعدة 1407هـ، ص400 ـ 404.

92 ـ الدولة العثمانية والولايات العربية/ الصفصافى أحمد المرسى (مقال)، مجلة الدارة، س8، ع4، إبريل 1983م، ص68 ـ 98.

93 ـ الدولة العثمانية وغربى الجزيرة العربى بعد افتتاح قناة السويس/ نبيل عبدالحى رضوان (ماجستير) جامعة أم القرى، الشريعة، التاريخ، 1401هـ. طبع فى جدة، تهامة، 1403هـ.

94 ـ سكة حديد الحجاز فى العهد العثمانى/ عبداللطيف بن محمد الحميد، (دكتوراه) مبتعث جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية إلى جامعة إسكس، بريطانيا، 1410هـ/ 1989م:

The Hejaz Railway 1900 - 1918: Policy objectives and consequences/ Ábdulatif Muhammad Al - Hemaid phD, University of Essex, U.K. 1989.

95 ـ السلطان عبدالحميد الثانى وفلسطين/ رفيق شاكر النتشه، (كتاب) الرياض، 1405هـ.

96 ـ سمات الحكم العثمانى وأسباب قيام الحركات الاستقلالية فى الولايات العربية العثمانية فى القرن الثامن عشر/ على إبراهيم الخليف (بحث)، بحوث تاريخية ـ إصدار الجمعية التاريخية السعودية، شوال 1409هـ وشوال 1410هـ، ص323 ـ 329.

97 ـ سياسة الدولة العثمانية فى الخليج العربى 1869 ـ 1914م/ عبدالعزيز سراج عمر منسى (ماجستير)، جامعة الملك عبدالعزيز، الآداب، التاريخ، 1405هـ طبع بعنوان المواجهة البريطانية فى الخليج العربى 1869 ـ القاهرة.

98 ـ سياسة الدولة العثمانية فى نجد والحجاز فى الحرب العالمية الأولى/ لطيفة ناصر المطلق (ماجستير)، الرئاسة العامة لتعليم البنات، كلية التربية للبنات فى مكة المكرمة، التاريخ، 1405هـ.

99 ـ سياسة السلطان عبدالحميد الإسلامية 1292 ـ 1326هـ / 1876 ـ 1909م/ إيمان سليمان فهد العيسى (ماجستير)، الرئاسة العامة لتعليم البنات، كلية التربية، 1413هـ.

100 ـ سياسة السلطان عبدالحميد الثانى الإسلامية/ محمد حمد الجفرى (ماجستير) مبتعث إلى جامعة الأزهر فى مصر، 1398هـ.

101 ـ سياسة العثمانيين فى الحجاز فى القرن الثامن عشر/ عبدالرحمن سعد العرابى (دكتوراه) متبعث جامعة الملك عبدالعزيز إلى جامعة أوتا بالولايات المتحدة الأمريكية، 1988م.

The Ottoman Policy in the Hejaz in The Eighteenth century/ Abdulrahman S.AL Orabi. phD. The Univerity of Utah, U.S.A, 1988.

102 ـ سياسة مماليك مصر التوسعية فى بلاد الشام فى العهد العثمانى 1770 ـ 1771م/ أحمد حسن جودة (مقال باللغة الإنجليزية)، مجلة كلية الآداب، جامعة الملك سعود، المجلد التاسع، 1982م، ص11 ـ 20:

The Expansionist Policy of the Mamlucks of Egypt in Ottoman Syria in 1770 - 1771 A.D/ Ahmad H. Joudah, Journal of The College of Arts; King Saud University, vol9, 1982, pp. 11 - 20.

103 ـ شيخ الحرم عنبر أغا يخرج أشياء من الروضة المطهرة حوالى 1220هـ هذا التوجيه هو من قبل السلطان إلى وزيره، ترجمة وقراءة الوثيقة رقم 4313/ محمد حسين زيدان (مقال) مجلة الدارة، س1، ع1، ربيع الأول 1395هـ/ مارس 1975م، ص161 ـ 178.

104 ـ شيخ الحرم يرسل هدايا للسلطان العثمانى من ذهب الخزينة النبوية حوالى 1221هـ، ترجمة وقراءة صورة الوثيقة رقم 4310/ محمد حسين زيدان (مقال) مجلة الدارة س1، ع1، ربيع الأول 1395هـ/ مارس 1975م، ص179 ـ 181.

105 ـ الصراع البريطانى العثمانى حول الكويت 1164 ـ 1332هـ/ نورة

إبراهيم القعود (ماجستير) الرئاسة العامة لتعليم البنات، كلية الآداب، الرياض، 1408/ 1988م.

106 ـ الصراع بين الإمبراطورية العثمانية وإمبراطورية الهابسبورج/ أحمد حسين العقبى (مقال)، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الملك عبدالعزيز فى جدة، مج3، 1403هـ/ 1983م، ص73 ـ 106.

107 ـ الصراع بين المسلمين والبرتغاليين فى البحر الأحمر خلال القرن العاشر الهجرى/ غسان على الرمال (ماجستير)، جامعة أم القرى، الشريعة، التاريخ، 1401هـ/ 1981م.

108 ـ صراع حسين باشا أفراسياب مع العثمانيين ونهاية حكم الأفراسياب فى البصرة 1067هـ ـ 1079هـ/ 1656م ـ 668م/ طارق نافع الحمدانى (مقال) مجلة العصور، مج2، ج2، ذوالقعدة 1407هـ/ يوليو 1987م، ص299 ـ 307.

109 ـ صندوق المجوهرات يقدمه نجيب أفندى وكيل محمد على فى إستانبول الى الباب العالى ترجمة وقراءة الوثيقة رقم 19661/ محمد حسين زيدان (مقال)، مجلة الدارة، س1، ع1، ربيع الأول 1395هـ/ مارس 1975م، ص190 ـ 191.

110 ـ العثمانيون والإمام القاسم بن محمد على فى اليمن (1006 ـ 1029هـ) أميرة على وصفى المداح، (ماجستير)، جامعة أم القرى، الشريعة، التاريخ، 1400هـ طبع فى جدة، دار تهامة، 1402هـ.

111 ـ العثمانيون وحكومة الأدارسة فى عسير/ يوسف حسن محمد العارف (ماجستير) جامعة الملك عبدالعزيز، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جدة، 1405هـ.

112 ـ العراق فى ظل الدولة العثمانية/ يوسف عز الدين (مقال) مجلة الفيصل، س7، ع82، كانون الثانى 1984م، ص75 ـ 79.

113 ـ العلاقات بين الدولة السعودية الأولى وولاة العراق فى العهد العثمانى/ محمد بن سليمان الخضرى (ماجستير) جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، العلوم الاجتماعية، التاريخ 1401هـ.

114 ـ العلاقات السياسية بين الدولة العثمانية والمماليك فى الربع الأول من القرن السادس عشر/ يوسف على الثقفى (دكتوراه) مبتعث جامعة أم القرى إلى جامعة متيشجان بأمريكا، 1401هـ.

115 ـ علاقة الدولة العثمانية بعسير والمناطق المجاورة 1840 ـ 1872م/ محمد ابن عبدالله زلفة (دكتوراه) مبتعث جامعة الملك سعود إلى جامعة كمبردج 1987.

116 ـ علاقة نجد بالشام من 1157 ـ 1225هـ/ عبّدالله حمد الحقيل (مقال) مجلة الدارة، س7، ع4، رجب 1402هـ/ 1982م، ص78 ـ 88.

117 ـ عوامل وأسباب سقوط الدولة العثمانية ـ دراسة تاريخية ـ عبداللطيف بن محمد الحميد (كتاب)، الرياض، 1416هـ.

118 ـ فتح القسطنطينية/ محمد على الحريرى (مقال) مجلة المنهل، مج47، ع439، محرم 1406هـ/ سبتمبر 1985م، ص56 ـ 66.

119 ـ فلسطين فى أواخر العهد العثمانى/ عبدالعزيز محمد عوض (مقال) مجلة كلية الآداب بجامعة الرياض (جامعة الملك سعود حاليًا)، مج4، س4، 1395هـ، ص27 ـ 42.

120 ـ قراءة جديدة فى تاريخ العثمانيين/ زكريا سليمان بيومى (كتاب)، عالم المعرفة، جدة، 1411هـ.

121 ـ قراءة جديدة فى مفاوضات هرتزل مع العثمانيين/ أمين عبدالله محمود (مقال)، مجلة العصور، مج2، ج1، جمادى الأولى 1407هـ/ يناير 1987م، ص 99 ـ 118.

122 ـ قراءة جديدة لسياسة محمد على باشا التوسعية/ سليمان بن محمد الغنام (كتاب)، الطبعة الأولى، جدة 1400هـ/ 1980م.

123 ـ قيام الدولة العثمانية/ عبداللطيف عبدالله بن دهيش (كتاب)، الطبعة الأولى، مكة المكرمة، 1409هـ/ 1988م.

124 ـ محمد على ودعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب السلفية/ رابح لطفى جمعة (مقال) مجلة الدارة، س7، ع4، رجب 1402 هـ / مايو 1982م، ص 44 ـ 54.

125 ـ مرآة جزيرة العرب/ أيوب صبرى باشا (كتاب) ترجمه من التركية أحمد فؤاد متولى والصفصافى أحمد المرسى، دار الرياض للنشر والتوزيع، الرياض، 1043هـ/ 1973م.

126 ـ المسألة الشرقية فى أواخر القرن الثالث عشر الهجرى، التاسع عشر الميلادى ـ الحرب التركية الروسية/ محمد محمود السروجى (مقال) مجلة كلية العلوم الاجتماعية، العدد الخامس، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، 1401هـ/ 1981م، ص151 ـ 186.

127 ـ معاهدة الامتيازات العثمانية الفرنسية عام 941هـ/ 1535م/ يوسف رابع الثقفى (مقال) مجلة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة أم القرى، ع6، س6، 1402هـ، ص143 ـ 177.

128 ـ مقاومة القبائل لسكة حديد الحجاز/ خالد حمود السعدون (مقال) مجلة الدارة، س14، ع2، محرم 1409هـ/ أكتوبر 1988م، ص46 ـ 60.

129 ـ مقاومة القسطنطينية للحصارات التى تعرضت لها منذ حكم أسرة هرقل حتى الفتح العثمانى لها سنة 857هـ/ 1453م/ سلوى عبدالقادر محمد السليمان (ماجستير)، الرئاسة العامة لتعليم البنات، كلية الآداب بالدمام، 1410هـ.

130 ـ من خصائص تاريخ العثمانيين وحضارتهم/ محمد عبداللطيف البحراوى، (مقال) مجلة الدارة، س13، ع4، رجب 1408هـ/ فبراير 1988م، ص200 ـ 215.

131 ـ المهجرون الأندلسيون من خلال وثائق محكمة الإسكندرية الشرعية فى العصر العثمانى فى مصر/ عبدالرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم (مقال) مجلة الدارة، س10، ع1، شوال 1404هـ/ يونيو 1984م، ص171 ـ 182.

132 ـ موقف إمارة حائل من الحرب العالمية الأولى كما صورته الوثائق البريطانية/ خالد حمود السعدون (مقال) مجلة الدارة، س9، ع2، أكتوبر 1983م، ص28 ـ 40.

133 ـ موقف الأهالى فى نجد والحجاز من الحملات العثمانية على الدولة السعودية الأولى/ أحمد بن صالح بن سليمان الدهش (ماجستير) جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، العلوم الاجتماعية، قسم التاريخ 1407هـ.

134 ـ موقف الدولة العثمانية تجاه مأساة المسلمين فى الأندلس/ عبداللطيف بن محمد الحميد (كتاب) الطبعة الأولى، الرياض، 1414هـ.

135 ـ موقف السلطان عبدالحميد الثانى من اليهود فى فلسطين/ سعيد بن

سعد الغـامدى (مقال)، مجلـة جامعة الإمام مـحمد بن سعود الإسـلامية، 24، محرم 1410هـ/ أغسطس 1989م، ص297 ـ 334.

136 ـ موقف المعـارضة فى المشـرق العربى من حكم السلطان عـبدالحمـيد الثانى الشام ومصر/ سـعيد بن سعد الغامدى (دكتوراه)، جامـعة الإمام بن سعود الإسلامية، العلوم الاجتماعية، قسم التاريخ، 1406هـ.

137 ـ النزاع التركى ـ المصـرى على شمال الحجاز وسـيناء وتدخل الحكومة البريطانية 1884 ـ 1906م/ صالح محمد العمرو (مقال) مجلة الدارة، س5، ع1، ربيع الآخر 1399هـ/ مارس 1979م، ص6 ـ 34.

138 ـ النشاط المصـرى فى الخليج العربى وموقف بريطانيا منه/ حـسين بن محمد الغامدى (دكـتوراه)، مبتعث جامعة الإمام محمـد بن سعود الإسلامية إلى جامعة إسكس فى بريطانيا، 1410هـ/ 1990م:

The Egyption activities in the Gulf and the British response 1818 - 1840/ Husain M. Al - Ghmdi phD, University of Essex, U.K, 1990.

139 ـ هجرة اليهود إلى فلـسطين وموقف الدولة العثمانية منهـا/ عبدالعزيز محمـد عوض (مقال)، مجلة كلية الآداب، جـامعة الرياض (جامعـة الملك سعود حاليا)، مج3، س3، 1393هـ، ص153 ـ 178.

140 ـ الوجود الأجنبى فى نجد/ محمد بن عـبدالله السلمان (مقال)، مجلة العرب، ج1، 2، س 29، رجب 1414هـ، 4 ـ 19.

141 ـ الوجود العـثمانى فى منطقة الأحـساء 1871 ـ 1914م/ عبدالعزيز بن عبدالرحمن الشعيل (ماجستير) قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة الزقازيق بمصر، 1409هـ/ 1989م.

142 ـ ولاية الحجاز: الحج، الشرافة، البدو 1869 ـ 1908م/ على إبراهيم الخليف (دكتوراه) مبتعث جامعة الملك سعود إلى جامعة وسكنسن ميديسون بالولايات المتحدة الأمريكية، 1406هـ/ 1987م.

التراجم والمذكرات:

143 ـ ابن كمال باشا ـ حياته ومؤلفاته/ محمود فجال (مقال) عالم الكتب، مج10، ع3، محرم 1410هـ/ أغسطس 1989م، ص 340 ـ 352.

144 ـ أضواء على مذكرات سليمان شفيق كمالى باشا متصرف عسير/ يوسف حسن محمد العارف (كتاب)، نادى أبها الأدبى، الطبعة الأولى، 1411هـ.

145 ـ بلاد العرب فى مذكرات سليمان شفيق كمال باشا/ حمد الجاسر (مقال) مجلة العرب، ج9، س5 (والأعداد التالية)، 1391هـ، ص855 ـ 863.

146 ـ تعليقات وتصويبات كشف الظنون لحاجى-خليفة/ أحمد عبدالغفور عطار (مقال) مجلة المنهل، مج20، ج2، صفر 1379هـ/ أغسطس 1959م، ص 85 ـ 88.

147 ـ الجانب الإنسانى فى حياة السلطان العثمانى محمد الفاتح/ سهيل إسماعيل فريد يمليخا (مقال) مجلة الفيصل، ع188، صفر 1413 هـ/ أغسطس 1992م، ص116 ـ 117.

148 ـ السلطان بايزيد الأول/ إبراهيم عبدالعزيز المسند (كتاب) الرياض، 1409هـ/ 1988م.

149 ـ السلطان الغازى أبو الفتح محمد الثانى/ محمد حرب (مقال) مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ع58، ربيع الآخر 1403هـ، ص215 ـ 221.

150 ـ شاعر الإسلام محـمد عاكف. عبدالسلام عبدالعـزيز فهمى (كتاب) مكتبة الطالب الجامعى، مكة المكرمة، 1406هـ.

151 ـ عـارف حكمت: حيـاته ومـآثره، أو شـهى النعم فى ترجـمة شـيخ الإسلام عارف الحكم/ شهـاب الدين أبو الثناء محمود بن عبدالله ـ تحقـيق محمد العيد الخطراوى (كتاب) مكتبة دار التراث، المدينة المنورة 1403هـ.

152 ـ كاتب جـلبى «حاجى خليـفة»/ على رضـا قره خـان (مقال) عـالم الكتب، مج5، ع3، محرم 1405هـ/ سبتمبر 1984م، ص501 ـ 506.

153 ـ محمـد الفاتح/ سليمان عبـدالعزيز السحيمى (مـقال) مجلة المنهل، مج32، ج4، ربيع الثانى 1391هـ/ يونيو 1971م، ص358 ـ 362.

154 ـ المختصر من كتاب نشر النور والزهر فى تراجم أفاضل مكة من القرن العاشر إلى القرن الرابع عـشر لعبدالله أبى مراد/ اختصار وترتيب وتحـقيق محمد سعيدالعامودى، أحمد على (كتاب)، ط2، عالم المعرفة، جدة، 1406هـ.

155 ـ مذكرات سليـمان شفيق باشـا ـ متصرف عسـير/ محمـد بن أحمد العقيلى (كتاب)، نادى أبها الأدبى، الطبعة الأولى، 1405هـ.

156 ـ من مذكـرات فلهوزن فى فتح القسطنطنيـة/ ترجمة حسن حـبشى، (كتاب)، جامعة الملك عبدالعزيز، جدة، 1403هـ.

157 ـ مؤرخـو اليمن فى العهد العـثمانى/ أيمن فـؤاد سيد (مقـال) مجلة العرب، ج4، س6، شوال 1391هـ، ص263 ـ 276.

158 ـ المؤرخون الأتراك: حاجى خليفة/ (مـقال) مجلة الفيصل، ع18، ذو الحجة 1398هـ/ نوفمبر 1978م، ص117.

التربية والتعليم:

159 ـ التعليم فى مكة والمدينة آخر العهد العثمانى/ محمد عبدالرحمن الشامخ (كتاب) ط2، دار العلوم، الرياض، 1402هـ.

160 ـ المدارس الأهلية بجدة والطائف فى أواخر العهد العثمانى/ عبداللطيف بن عبدالله بن دهيش (مقال) مجلة الدارة، س10، ع3، ربيع الآخر 1405هـ/ ديسمبر 1984م، ص153 ـ 168.

161 ـ المؤسسات التعليمية الأجنبية فى نهايات الخلافة العثمانية فى إستانبول/ سهيل صابان (ماجستير)، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، كلية الشريعة، الثقافة الإسلامية، الرياض، 1409هـ.

الجغرافيا والرحلات:

162 ـ بورصة الخضراء أول عاصمة للدولة العثمانية/ (مقال) مجلة الفيصل، ع178، ربيع الثانى 1412هـ/ أكتوبر 1991م، ص 27 ـ 35.

163 ـ تركيا/ أنور طاهر (مقال) مجلة المنهل، مج 48، ع455، ذو الحجة 1407هـ/ يوليو 1987م، ص50 ـ 59.

164 ـ تركيا بين سحر الشرق وجاذبية الغرب/ مصطفى محمد مصطفى (مقال) مجلة المنهل، مج51، ع479، شعبان 1410هـ/ مارس 1990م، ص34 ـ 43.

165 ـ الرحلات الجزائرية الحجازية خلال العهد العثمانى/ أبو القاسم سعد الله (بحث) ضمن كتاب دراسات تاريخ الجزيرة العربية، الكتاب الأول، محاضرات تاريخ الجزيرة العربية، الجزء الثانى، منشورات جامعة الملك سعود، الطبعة الأول 1399هـ/ 1979م، ص 335 ـ 347.

166 ـ فى طريقى إلى إستانبـول/ عبدالحق نقشبندى (مـقال) مجلة المنهل، مج23، ج10، شوال 1382هـ/ فبراير 1963م، ص597 ـ 604.

الدعوة ونشر الإسلام:

167 ـ الأتراك وانتـشار الإسلام فى شـرق أوروبا/ زكريا سـليمان بـيومى (مقال) مجلة المنهل، مج51، ع479، شعبان 1410هـ/ مارس 1990م، ص148 ـ 152.

168 ـ أثر الدولة العثمانية فى نشر الإسلام فى أوروبا/ فـائقة محمد حمزة عبـدالصمـد بحرى (مـاجستـير) جـامعـة أم القرى، كليـة الشريعـة والدراسات الإسلامية، 1409هـ.

169 ـ أثر فتح القـسطنطينية فى نشـر الدعوة الإسلاميـة/ رسلان محـمود المصرى (ماجستير) جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المعهد العالى للدعوة الإسلامية بالمدينة المنورة، الدعوة والاحتساب، 1403هـ.

170 ـ السلطان عبـدالحميد الثـانى وأثره فى نشرالدعوة الإسـلامية محـمد قربان نياز ملا، (كتاب)، دار المنارة، مكة المكرمة، 1408هـ.

المكتبات والوثائق:

171 ـ إستانبول وحـضارة الخلافة الإسلامية ـ لبرنارد لويس/ مـسعد سويلم الشـامـان (مـقـال) عـالـم الكتب، مج5، ع1، رجب1404هـ/ أبريل 1984م، ص160 ـ 166.

172 ـ أشـراف الحجـاز فى الوثائق المصـرية: الفتـرة العـثمـانية المصـرية/ عبدالحـميد محمد البـطريق (بحث) ضمن كتاب دراسات تاريخ الجـزيرة العربية، جامعة الملك سعود، الطبعة الأولى 1399هـ/ 1979م، ص229 ـ 245.

173 ـ امكانية إنشاء شبكة تبادل المصادر الإسلامية بين مكتبات جامعات المملكة وتركيا كدولة تمثل العالم الإسلامى/ عبدالرحمن إبراهيم الضحيان (دكتوراه) مبتعث إلى جامعة جنوب كاليفورنيا 1402هـ.

174 ـ أهمية دور الوثائق التركية لتاريخ الجزيرة العربية فى القرن السادس عشر/ صالح ازبران (بحث) ضمن كتاب دراسات تاريخ الجزيرة العربية، جامعة الملك سعود، الطبعة الأولى 1399هـ/ 1979م، باللغة الإنجليزية، ص105 ـ 122:

- The Importance of the Turkish Archives for the history of Arabian Peninsula in the sixteenth century/ by Salih Ozbaran, pp 105 - 112.

175 ـ البحوث والدراسات العثمانية والتركية فى المكتبة العربية ـ ببليوجرافيا مختارة/ سهيل محمد صابان (كتاب)، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 1413هـ/ 1992م.

176 ـ تدوين المخطوط العربى فى العصر العثمانى/ عدنان عبدالهادى (مقال) عالم الكتب، مج11، ع2، شوال 1410هـ/ مايو 1990م، ص189 ـ 197.

177 ـ تعليقات وتصويبات كشف الظنون لحاجى خليفة/ أحمد عبدالغفور عطار (مقال) مجلة المنهل، مج20، ج2، صفر 1379هـ/ أغسطس 1959م، ص85 ـ 89.

178 ـ تقارير القناصل البريطانيين فى جدة كمصدر لتاريخ غرب الجزيرة العربية/ صالح العمرو (مقال) مجلة العرب، س11، ج11 ـ 12، حزيران 1977م، ص876 ـ 890.

179 ـ الجزيرة العربية فى الوثائق العثمانية، فى الفترة ما بين 1257هـ ـ 1337هـ/ محمد داود التميمى (بحث) ضمن كتاب دراسات تاريخ الجزيرة العربية، الكتاب الأول، محاضرات تاريخ الجزيرة العربية، الجزء الثانى، منشورات جامعة الملك سعود، الطبعة الأولى، الرياض، 399هـ/ 1979م، ص163 ـ 175.

180 ـ دائرة المعارف الإسلامية الجديدة فى تركيا/ سهيل صابان (مقال) عالم الكتب، مج14، ع3، ذوالحجة 1413هـ/ يونيو1993م، ص263 ـ 269.

181 ـ دائرة معارف السلاطين العثمانيين/ سهيل صابان ـ ترجمة وعرض (مقال) عالم الكتاب، مج10، ع2، شوال 1409هـ/ مايو 1989م، ص243 ـ 245.

182 ـ دراسة حول المخطوط التركى حجاز سياحتنامه سى/ عبدالفتاح حسن أبوعلية (كتاب) دار المريخ، الرياض، 1403هـ.

183 ـ طريقة تاريخ ابن كمال باشا فى المخطوط الإسلامى/ جعفر هادى حسن (مقال) عالم الكتب، مج7، ع2، شوال 1406 هـ/ يونيه 1986م، ص164 ـ 170.

184 ـ فن الكتاب المخطوط فى العصر العثمانى/ عبدالعزيز عبدالرحمن مؤذن (دكتوراه) جامعة أم القرى، الشريعة والدراسات الإسلامية، قسم الحضارة والنظم الإسلامية، مكة المكرمة، 1410هـ.

185 ـ كتب الفتوح العثمانية وأهميتها فى كتابة تاريخ منطقة الخليج والجزيرة العربية/ محمد حرب (مقال) مجلة الخليج العربى، الرياض، ع17، س6، 1406هـ، 1986م. ص201 ـ 232.

186 ـ المخطوطات العربيــة فى متحف قــصر طوبقابى/ ترجــمة أنور طاهر رضا (مقال) مجلة المنهل، مج 52، ع487، رمضان 1411هـ/ مارس 1991م، ص 193 ـ 197.

187 ـ المخطوطات العربيــة فى مكتبــة آدى يمان/ أنور طاهر رضا (مــقال) مجلة المنهل، مج 52، ع488، ذوالحجة 1411هـ/ 1991م، ص 130 ـ 133.

188 ـ مخطوطات عن الجــزيرة العربية فى مكتبــة جامعة إستــانبول/ خليل ساحلى أوغلى (بحث) ضمن كتاب دراسات تاريخ الجزيرة العربية، الكتاب الأول ـ محــاضرات تاريخ الجزيرة العــربية، الجزء الثــانى، من منشورات جامــعة الملك سعود، الطبعة الأولى 1399هـ/ 1979م، ص145 ـ 162.

189 ـ مخطوط فتحــنامه يمن لمصطفى رموزى/ محمد حــرب (مقال) عالم الكتب، مج12، ع3، محرم 1412هـ/ أغسطس 1991م.

190 ـ المصادر العثمانية عن سكان جـزيرة العربّ/ ماكارثى (بحث) ضمن كتاب دراسات تــاريخ الجزيرة العربية ، الكتاب الأول، محــاضرات تاريخ الجزيرة العربيــة، الجزء الثانى، منشــورات جامعــة الملك سعود، الطبــعة الأولى 139هـ/ 1979م (باللغة الإنجليزية).

191 ـ المصادر العــثمانيــة لتاريخ الحجــاز/ ويليام أوكســنوالد (بحث) ضمن كتاب دراسات تاريخ الجزيرة العربية، الجزء الثانى، منشورات جامعة الملك سعود، الطبعة الأولى، 1399هـ/ 1979م (باللغة الإنجليزية):

- Ottoman Sources for the History of the Hijaz/ by William Ochsenwald, pp 163 - 175.

192 ـ المصادر العربية والتركية للفترة الأولى من تاريخ اليمن فى ظل الحكم

العثماني/ ج. دبلاكبيرن (بحث) ضمن كتاب دراسات تاريخ الجزيرة العربية، الكتاب الأول، محاضرات تاريخ الجزيرة العربية، من منشورات جامعة الملك سعود، الطبعة الأولى 1399هـ/ 1979م. (باللغة الإنجليزية)، ص197 ـ 210:

Arabic and Turkish Source Materials for the history of Ottoman Yemen/ by J.R. Blackburn, pp 197 - 210.

193 ـ مكتبات إستانبول/ حسين المالى (مقال) مجلة المنهل، مج50، ع467، ربيع الثانى 1409هـ/ 1988م، ص198 ـ 209.

194 ـ مكتبات المدينة المنورة فى العهد العثمانى/ عبداللطيف عبدالله بن دهيش (مقال) مجلة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، مكة المكرمة (فرع جامعة الملك عبدالعزيز سابقا)، ع3، س3، 1397هـ.

195 ـ مكتبة شيخ الإسلام محمد عارف حكمت/ محمد دفتردار (مقال) مجلة المنهل)، مج20، ج3، ربيع الأول 1379هـ/ سبتمبر 1959م، ص141 ـ 144.

196 ـ مكتبة متحف قصر طوب قابو فى إستانبول وفهارسها/ محمد حرب (مقال) عالم الكتب، مج12، ع4، ربيع الآخر1412هـ/ أكتوبر 1991م، ص505 ـ 509.

197 ـ ملاحظات وآراء حول الأرشيف العثمانى وأهميته فى دراسة التاريخ العثمانى/ محمد مهدى إيلهان (مقال) مجلة الدارة، س15، ع4 شوال 1410هـ/ فبراير 1990م، ص93 ـ 98.

198 ـ نوادر الزمان فى وقائع جبل لبنان لابكاريوس الأرمنى/ تحقيق ودراسة عبدالكريم إبراهيم السمك (ماجستير) جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية،

العلوم الاجتماعية، التاريخ، الرياض، 1405هـ، طبع فى لندن، دار الريس، 1407هـ.

199 ـ وثائق جديدة عن بعض قضاة جدة ونجد وعسير فى العهد العثمانى الأخير/ محمد صلاح الدين الأزهرى (تعقيب) مجلة المنهل، مج42، شوال 1401هـ، أغسطس 1981م، ص619 ـ 620.

200 ـ وثائق سكة حديد الحجاز فى الأرشيف العثمانى/ عبداللطيف بن محمد الحميد (مقال) مجلة الدارة، عدد 3، ربيع الآخر 1413هـ/ أكتوبر 1992م، ص61 ـ 74.

201 ـ الوثائق العثمانية بدير سانت كاترين بشبه جزيرة سيناء محمد محمود السروجى (مقال)، مجلة الدارة، س8، ع2،2 محرم 1403هـ/ أكتوبر 1982م، ص105 ـ 125.

202 ـ وثائق مخصصات الحرمين فى مصر إبانّ العصرالعثمانى/ مصطفى محمد رمضان (بحث) ضمن كتاب دراسات تاريخ الجزيرة العربية، الكتاب الأول، محاضرات تاريخ الجزيرة العربية، الجزء الثانى منشورات جامعة الملك سعود، الطبعة الأولى، 1399هـ/ 1979م، ص259 ـ 274.

نلاحظ أنه برغم أن معظم الباحثين من المملكة العربية السعودية فى الدراسات العثمانية، إلا أن إنتاجهم العلمى الاكاديمى متواضع ولايتناسب مع حجمهم وعددهم والمبالغ المالية التى تصرف من قبل الجامعات السعودية ولهذا نجد أن أكثر الأبحاث العلمية عن الدراسات العثمانية هى كالآتى (1) د. فيصل الكندرى تسعة أبحاث (2) د. محمد حسن العيدروس ـ خمسة وعشرون بحثا.

يبلغ عدد الأبحاث التى كتبها أبناء المنطقة عن الدراسات العثمانية فى الخليج العربى ستة وثلاثون بحثا، أما الأبحاث عن الدراسات العثمانية بصفة عامة خارج

منطقة الخليج العـربى فيبلغ عددها ثلاثـة عشرة، كما نجـد أن المواضيع السيـاسية تتصدر أعـمالهم حيث يبلغ عددها ثمـانية وعشرون موضـوعا، فى حين أن هناك نقص كبيـر وخلل فى توزيع الأبحاث فى مختلف المواضـيع الأخرى، حيث يبلغ عدد الأبحـاث التى كتبـت عن الوضع الاجتمـاعى فى الخليج العربى فى العـهد العثمـانى ثلاثة أبحاث للدكتور محـمد حسن العيدروس، أما الوضع الاقـتصادى أيضا ثلاثة أبحاث منهـا بحثين للدكتور مـحمد العيدروس وبحث واحـد للدكتور فيصل الكندرى، والوضع الثقافى بحثين للدكتور محمد حسن العيدروس.

أما بالنسـبة لتوزيع الأبحـاث على عدد الأعوام فنجد كـالآتى:ـ عام 84 = بحث واحد ، 85 = ثلاثة أبحاث، 86 = بحث واحد 87 = بحث واحد، 88 = بحث واحد، 89= لا توجد أبحاث، 90= سبعة أبحاث، 91= لا توجد أبحاث، 92= بحث واحد، 93= بحث واحد، 94= ثلاثة أبحاث، 95= ثلاثة أبحاث، 96= ستة أبحاث، 97= ستة أبحاث، 98= اثنا عشر بحثًا 99= بحث واحد.

نلاحظ مما سبق أن معـدل الأبحاث بدأ من عام 1984 ببحث واحد ثم زاد فى عام 1985 بثلاثة أبحاث ثم عاد ببحث واحد حتى عام 1988 وفى عام 1989 لم يوجد بحث واحد، وفى عام 1990 ارتفع عدد البحـوث العثمانية إلى سـبعة أبحاث ثم لم يوجد بحث عام 1991 وبعدها بحث واحد عامين متتالين ليرتفع عام 94،95 إلى ثلاثة أبحـاث ثم يرتفع بعدها إلى سـتـة أبحاث عـامين 96 ـ 97، وبعدها يرتفع إلى اثنى عشر بحثا عام 1998 ثم ينخفض إلى بحث واحد فى عام 1999 حتى شهـر يونيو، أى هناك تذبذب فى الإنتاج العلمى فـفى بعض الأعوام لايوجـد بحث أو بحث واحد وفى بعض الأعـوام يرتفع إلى سـتة أبحـاث واثنى عشر بحثا. وهذا يعنى عـدم وجود رؤية مشتركة أو إستراتيجـية علمية فى دراسة الأبحاث العلمية الاكـاديمية، كما أن الأحداث السياسـية فى الخليج العربى ليست

لها علاقة بالإنتاج العلمى، فبرغم الحرب العراقية ـ الإيرانية لم يتغير الانتاج العلمى وكذلك الحال أثناء حرب الخليج الثانية فقد ارتفع عام 1990 إلى سبعة أبحاث بعد ما كان بحث واحد قبل ذلك. كما أن الوضع الاقتصادى كارتفاع أسعار البترول أو انخفاضها لم يؤثر على الأبحاث العثمانية.

مقومات الدراسات واستشراف المستقبل:

نجد أن مقومات الدراسات العثمانية فى الخليج العربى عديدة، منها عدم اهتمام الجهات الرسمية كالمؤسسات ومراكز الأبحاث العلمية والجامعات بالأبحاث العلمية فى الدراسات العثمانية خلال العقدين الماضيين، كما لم نجد انعقاد المؤتمرات أو الندوات العلمية المتخصصة فى الدراسات العثمانية إلا مؤتمر واحد فقط فى رأس الخيمة من قبل مركز الدراسات والوثائق لحكومة رأس الخيمة عام 1988، ومنذ ذلك الحين لم يعقد مؤتمر أو ندوة عن الدراسات العثمانية فى الخليج العربى. أيضا من المعوقات الأخرى أن الدارسين والمهتمين من أبناء الخليج العربى تقل أبحاثهم فى الدراسات العثمانية ومشاركتهم فى المؤتمرات العلمية التى تعقد خارج منطقة الخليج العربى، وقد يرجع ذلك إلى عدم الاهتمام الكافى للبعض، فى حين توجد هناك قلة من الباحثين يهتمون بجهودهم الذاتية ويشاركون فى العديد من المؤتمرات والندوات، ويساهمون بالكتابة فى المجلات العلمية.

يرجع اختيارنا لدراسة وضعية الأبحاث العثمانية خلال العقدين الماضيين أى العشرين سنة الماضية، إلى أن معظم دول الخليج العربى حصلت على الاستقلال مؤخرًا فى السبعينات، وتم قيام معظم الجامعات فى المنطقة فى متنصف الثانى من السبعينات ماعدا جامعة الرياض والكويت، وبرغم هذا التأخر فى التعليم العالى إلا أننا نجد أنه قد حدث تشبع فى الدراسات التاريخية عن منطقة الخليج العربى

كمرحلة أولى، ثم جاء اختيار موضع الدراسات العثمانية كمرحلة ثانية، وقد يكون هذا سببا فى تأخر الدراسات العثمانية، ومع وجوذ عدد لابأس به من المتخصصيين من أبناء الخليج العربى فى الدراسات العثمانية إلا أن إنتاجهم قليل جداً لايتناسب مع عددهم وإمكانياتهم. وقد يكون من المعوقات الأخرى فى الدراسات العثمانية هو أن معظم الدارسين فيها من العرب والأجانب وخاصة المستشرقين الأوروبين وبعض العرب قد وضعوا رواسب ومفاهيم خاطئة عن العثمانيين، إضافة إلى ذلك وجود التيار القومى العربى والتركى كان سببا فى عدم التقارب السياسى والعلمى والأكاديمى، وبالتالى انعكس ذلك على الدراسات العثمانية، ولهذا يجب أن يفهم القوميون العرب والأتراك وكذلك التيار الإسلامى والعثمانى بأن التقارب بين العرب والأتراك يجب أن يكون فى أولوية العمل الاستراتيجى وخاصة من الناحية الثقافية الفكرية وأن يكون حجر الزواية لأية أعمال فى المستقبل القريب والبعيد، وذلك لأسباب الجوار الجغرافى والتقارب الاجتماعى والاقتصادى والفكرى والأهم من ذلك التقارب الأيدلوجى حيث يجمعهما العقيدة الإسلامية حيث إن المسلم أخو المسلم وليس القومية العربية والتركية برغم أهميتها ويجب أن تكون كهوية فقط لا أكثر، وبما أن دول الخليج العربى وخاصة السعودية تعتبر الإسلام أساس الحكم ومن هنا يجب على هذه الدول الاهتمام بالدراسات الإسلامية ومنها التاريخ الإسلامى حيث لعب العثمانيون دوراً أساسيا فى التاريخ الحديث.

يتضح مما سبق بأن مدرسة التاريخ العثمانى فى الخليج العربى جاءت متأخرة، حيث نجد أقدم الدراسات عن العثمانيين فى الخليج العربى يرجع إلى عام 85 _ 1986، وما تلاه من الدراسات، وقد يرجع ذلك لتأخر أبناء المنطقة فى الحصول على الدرجات العلمية والآن ليس هناك عذر لدول المنطقة ويجب عليهم تشجيع الدراسات العثمانية، فقد كانت معظم الدراسات العثمانية فى الخليج

العربى برغم قلتـها وندرتها قبل الستينات هى دراسات أوروبية وخاصـة بريطانية نتيـجة لاستـعمارها فى المنطقـة منذ عام 1820 وحتى عام 1971، ومن هنا نجد معظم الوثائق عن التـواجد العثمانى فى الخليج العـربى هى وثائق بريطانية، ومن الطبيعى أن تكون هناك وثائق عثـمانية هذا إذا ما استبعدنا المدرسـة العراقية، فهى قديمـة فى الدراسات العثمـانية ولعبت دوراً كـبيرا فيـها. كما نطالب المؤسـسات الرسمية ومراكز البـحوث فى دول الخليج العربى ان تلعب دوراً أكبر فى الدراسات العـثمانـية وذلك لما تملكه من إمكانيـات مادية كـبيـرة ووجود باحـثين ودارسـين متـخصصـين لديها. ونتمنى أن نرى دراسـات عثمـانية شاملة فى كـافة النواحى الاجتماعية والاقتصادية والثقافية مع إطلالة القرن الجديد القادم بإذن الله.

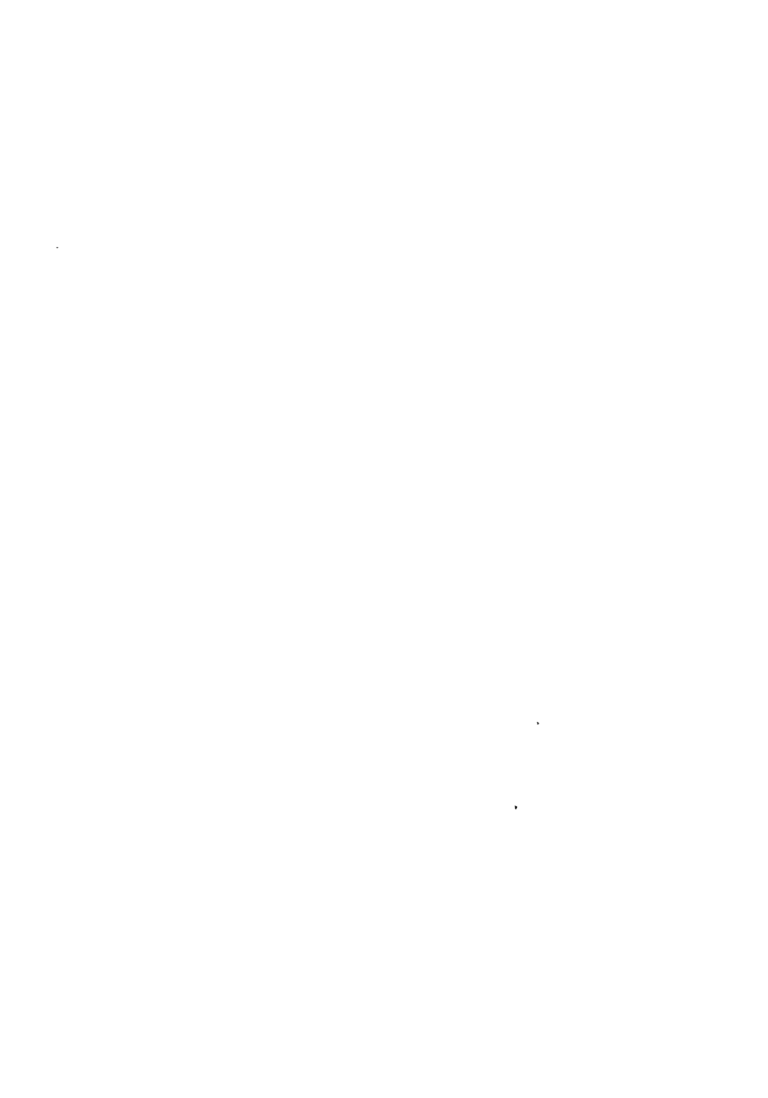


الفصل الثامن



العلاقات العربية - الإيرانية بين الواقع وطموحات المستقبل في بداية القرن الواحد والعشرين

قدم إلى ندوة العلاقات العربية ـ الإيرانية لمجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية بجامعة الكويت ـ كلية الآداب ـ مارس 2000.



العلاقات العربية ـ الإيرانية بين الواقع وطموحات المستقبل:

تعتبر العلاقات بين الدول من أهم علاقات التقارب أو التباعد، واليوم العرب والإيرانيون على المحك وفى مفترق الطرق، إما أن يتقاربوا وينسوا الجوانب السلبية فى العلاقات المشتركة ويبدأوا فى ترسيخ قواعد جديدة لهذه العلاقات المستقبلية مع حل الخلافات العالقة وخاصة الحدود وترسيمها دون التعدى على الحقوق التاريخية، وإما التباعد فى العلاقات مما يعنى مزيد من التوتر فى منطقة الخليج العربى وهى لاتنقصها التوتر، حيث إن الأمن فيها غير مستقر ويؤثر على شعوبها حاضراً ومستقبلا. ونحاول فى هذا البحث التركيز على العلاقات العربية ـ الإيرانية ودراستها فى الواقع الحالى والأوضاع الراهنة وما هى معوقات هذا التعاون ومن ثم المحاولة فى إيجاد حلول مستقبلية لهذه العلاقات التاريخية التى شهدت فى الماضى توتراً شديداً أثر على الجانبين العربى والإيرانى وإن كان على الأخير أكثر أضراراً فى الناحية الاجتماعية والاقتصادية لأسباب سياسية وديمغرافية. لعل تفسير الإشكالية القائمة حاليا فى العلاقات بين جمهورية إيران الإسلامية ودول مجلس التعاون الخليجى يطرح بعض الأسئلة التالية:

كيف تتفق المصالح العربية والإيرانية فى الخليج العربى وأين تصطدم؟ لكن قبل هذا السؤال لابد أولا من تحديد هوية الدور الإيرانى فى المنطقة ودوافعه الحقيقية وسياسته التوسعية وإرساله الهجرات البشرية بطريقة شرعية وغير شرعية استناداً إلى السوابق التاريخية والحقائق الجغرافية التى تؤثر على أحداث الواقع حاليا وتضغط عليها وكيفية موائمة ذلك مع طموحات المستقبل. هذا ما سوف نحاول الإجابة عليه من خلال هذا البحث.

الواقع الحالى للعلاقات العربية ـ الإيرانية:

تعتبر إيران عنصراً أساسيا فى استراتيجية الغرب الرأسمالى المسيحى منذ بداية العصر الحديث وحتى نهاية الحرب الباردة، وستظل مستقبلا تحاول أن تلعب دورا قياديا أو وصيا فى شئون منطقة الخليج العربى، وذلك لضعف وتفرق دول مجلس التعاون من جهة، وبحكم جغرافيتها وتعدادها السكانى وطموحاتها فى قيادة المنطقة من جهة ثانية، ولكن محاولات إيران فرض نموذجها للتنمية الاجتماعية والسياسية على جيرانها فى دول مجلس التعاون، وما أثاره ذلك من مخاوف لدى العرب بعامة، قد انعكس على المنظور التحليلى الذى يتم من خلاله تفسير السياسة الخارجية الإيرانية، وأن تعقيد عملية التنشئة السياسية للمجتمع الإيرانى، وموقف الشعب الإيرانى المعارض للتوجهات الغربية ولجيرانها من دول مجلس التعاون، علاوة على سياستها المتأرجحة، كل ذلك من شأنه أن يزيد من صعوبة الخروج بتفسيرات واضحة فى العلاقات العربية ـ الإيرانية، ولهذا فلابد من التزام الحذر، وعدم الإسراف فى التفاؤل عند البدء فى دراسة العلاقات العربية ـ الإيرانية وآلية رسم تلك العلاقة، ومدى أهمية دراسة وتحليل العلاقات بين الجانبين فى الماضى والحاضر ومايمكن أن تنبئ به هذه العلاقات مستقبلا[1].

نجد أن علاقة إيران مع العرب فى المشرق العربى، كانت قد ارتبطت منذ قرون بالقبائل العربية ومن ثم بالدول العربية بعلاقات اجتماعية وسياسية واقتصادية وثقافية مع الفرس[2] وهذا مايتضح ذلك إيجابيا أو سلبيا فى التاريخ الذى يحمل قواسم مشتركة في شتى المجالات عبر مختلف العصور[3].

لم تعد حاليا تلك العلاقات العربية ـ الإيرانية تتسم بالمواجهة والاعتماد على

(1) إيران والخليج ـ مركز الإمارات للدراسات الاستراتيجية ـ أبوظبى ـ ص14.
(2) نفس المرجع ص14.
(3) نفس المرجع ص14.

المبادئ المثالية كما كانت أثناء الحرب العراقية ـ الإيرانية، فقد كان ذلك الموقف ضروريا لتعزيز الثورة الإسلامية، أما اليوم فإن علاقة إيران مع العرب بعامة تتجه إلى الاعتدال والبراجماتية، مكرسة لتحقيق الاستقرار الاقليمى والحل السلمى للنزاعات الاقليمية، وهذا ماتتجه إليه السياسة العالمية، ويجب على إيران أن تطبق ذلك على نزاعها مع الإمارات حول الجزر العربية الثلاث، وهناك ثلاثة عوامل أدت إلى هذا التغير، العامل الأول يتمثل فى كون إيران تمر الآن بفترة انتقالية إلى مرحلة من مراحل الثورة الإسلامية تركز على إعادة البناء، فمنذ وفاة الخمينى ارتكزت علاقات إيران فى الحدود الشرقية العربية على المصالح الوطنية أكثر من الاعتبارات الإيديلوجية، فقد أدركت إيران عجزها الكامل عن تغيير الخريطة السياسية للمنطقة العربية تغييراً جذريًا عن طريق تصدير ثورتها الإسلامية إلى الخارج، والعامل الثانى هو أن الحكومة الإيرانية بدأت فى إعادة بناء الاقتصاد الإيرانى المدمر ويتطلب تحقيق هذا الهدف أن تساهم إيران بفاعلية فى تثبيت دعائم الاستقرار مع العرب فى المنطقة وتحسين علاقاتها السياسية وتوسيع العلاقات التجارية مع جيرانها العرب، وتسعى إيران من خلال مساهمتها فى توطيد أسس الاستقرار على حدودها الجنوبية إلى تحقيق هدفين أولهما: إقناع الدول العربية المنتجة للنفط فى دول مجلس التعاون بتخفيض مستويات الإنتاج ورفع أسعار النفط، وثانيهما أن تحول تركيزها إلى الجمهوريات الإسلامية فى آسيا الوسطى، حيث أتاح انهيار الاتحاد السوفيتى عام 1991 فرصا اقتصادية وسياسية مغرية، والعامل الثالث للاعتدال والبراجماتية، هو الوجود العسكرى الأمريكى فى المنطقة وتصميم الولايات المتحدة على حماية مصالحها والمتمثل فى البترول العربى فى دول مجلس التعاون الأمر الذى اقنع إيران أن قبول الأمر الواقع هو أكثر السياسات حكمة وحصافة[1].

---

(1) محسن ميلانى ـ بحث بعنوان ـ سياسة إيران فى الخليج من المثالية والمجابهة إلى البراجماتية والاعتدال ـ إيران والخليج ص125.

تجمع العرب وجمهورية إيران الإسلامية من الصفات ما يجعلها مرشحة للتقارب أو التباعد، وهى من جانب تمثل بحكم الموقع والموارد مادة صراع كتل المستقبل للسيطرة عليها ووضعها ضمن مناطق النفوذ الأساسية، وهى من جانب آخر تمثل حضارتين قديمتين تاريخيا، ويعتبر المشرق العربى كالعراق وشرق الجزيرة العربية أقرب الأقاليم العربية جغرافيا إلى إيران[1].

نجد أنه بما يملكه العرب وإيران من أهمية وموقع وعدد السكان فإنهم مؤهلون لإيجاد تكتل اقتصادى مثل جنوب شرق آسيا، وهى من جانب ثالث مؤهلة للضياع ومزيد من التشرذم، إما بحكم الممارسات الذاتية فى إهدار مواردها ونهجها التنموى غير الموفق أو بحكم الإسقاطات من الغير عليها إذ قد يطحنها صراع العالم الواعى المتحضر فى مقابل ضعف إيراداتها أو تداعيات الأوضاع فيها أو على أطرافها، وفى الوقت الذى كانت إيران ومازالت موحدة، فإن العرب منذ سقوط الحكم العباسى وبعد الاستقلال عن العثمانيين متفرقون، فالعرب بحكم الصراع بين دويلاتهم أو أقطارهم وهو أشد أنواع الصراع هدما وإيلاما وبحكم الصراع داخل تلك الأقطار بسبب إخفاق عمليات البناء الاقتصادى والاجتماعى وخاصة السياسى فى ايجاد مجتمع مدنى ديمقراطى بمشاركة الشعب فى الحكم، أمر تشارك فيها إيران يصعب وربما يستحل تصور إرادة منسجمة لهم بعضهم مع بعضهم الآخر أو مع الغير أو فى مواجهتهم. وعليه، فمن المتوقع أن تكون إمكانات الدفاع عن انتقاد جوهرى ورئيسى إمكانات ضعيفة، الأمر الذى يضعف بالتبعية من الحماس فى الاسترسال فى دعم الحجج لترجيح الدعوة إلى دفع ايران والعرب إلى الصنف الثانى المتوقع لدول العالم الثالث أو المتخلف[2].

---

(1) أحمد محمود الساداتى - تاريخ الدول الإسلامية بآسيا وحضارتها - القاهرة 1977 ص127.

(2) جاسم خالد السعدون المرجع السابق ص126.

تسير علاقات جمهورية إيران الإسلامية مع دول مجلس التعاون فى مسارين، الأول حاجتها الأكيدة إلى توثيق الصداقات وتجنب العزلة الإقليمية والاستمرار فى علاقاتها التجارية المهمة، والثانى هو رغبة إيران فى انتهاج سياسة خارجية قوية مستقلة، وإذا استعرضنا السياسة الإيرانية تجاه دول مجلس التعاون، فقد تثار الشكوك حول ما إذا كان لدى قادة إيران المهارة والدراية للموازنة بين هذين الهدفين المتعارضين غالبا، وبالفعل ظلت العلاقة بين إيران وجيرانها دول مجلس التعاون تعانى من التوتر لعشرات السنين، وخاصة الإسلامية بتأييد العراق أثناء الحرب العراقية ـ الإيرانية، ودفع مبالغ ضخمة لدعم المجهود الحربى لصدام حسين، ثم جاءت حرب الخليج الثانية عام 1990، وبالنظر إلى التفاوت الكبير فى عدد السكان وحجم الثروة بين دول مجلس التعاون وبين الدول المجاورة لها مثل إيران والعراق فليس غريبا أن تحتل قضية الأمن أهمية كبرى[1].

نلاحظ أنه على الرغم من أن الحماية العسكرية التى وفرتها أمريكا تمثل رادعًا قويًا ضد أى عدوان كبير مثل الذى وقع على الكويت عام 1990، إلا أن الوجود الأمريكى قد يكون أقل فاعلية ضد التهديدات السياسية وأعمال التخريب، ونظرًا للتعقيدات الاجتماعية فى دول مجلس التعاون، حيث الأعداد الكبيرة من الأجانب ذوى الخلفيات العرقية والقومية والدينية المختلفة إضافة إلى أقلية كبيرة إيرانية تحمل جنسيات دول مجلس التعاون وتتمتع بمكانة مرموقة ومزايا كبيرة حيث كبار التجار وضباط الجيش والسفراء والوزراء فى بعض أقطار مجلس التعاون من أصول إيرانية، فإن قضايا الأمن الداخلى تعتبر عاملا متزايد الأهمية للاستقرار وفى بيئة كتلك يتعاظم التهديد الإيرانى، ولدى دول مجلس التعاون قلق متزايد

---

(1) جيفرى كمب ـ انعكاسات السياسة الخارجية الإيرانية على الأمن الاقليمى ـ المنظور الخارجى ـ إيران واستقرار الخليج العربى ص186.

من إصرار إيران على أن تصبح القوة المهيمنة فى المنطقة، وأية محاولات استرضاء تبديها إيران طغت عليها أساليبها العدوانية باحتلالها للجزر العربية، وفرض سيادتها عليها[1]، مما أثار تخوفا واسع النطاق، لأن إيران إذا ما استمرت فى فرض سيادتها على الجزر المذكورة فإنها قد تمد مياهها الإقليمية لتشمل مناطق واسعة غنية بالنفط.

يلعب المناخ النفسى دوراً جوهريا فى تحديد سياسة إيران تجاه دول مجلس التعاون، إذ ترى العديد من الدوائر الإيرانية، أن الوضع الطبيعى هو أن تصبح طهران القوة الرئيسية فى الخليج العربى، ومن ثم يشعر الإيرانيون أن الوجود البريطانى الذى طال أمده فى المنطقة، قد حرمهم فترة طويلة من المكانة التى يستحقونها، علما بأن بريطانيا هى التى كانت السبب فى الحفاظ على قوة ووحدة إيران ضد التوسع الروسى وهى التى كانت تحرض إيران ضد الدولة العثمانية كما ساعدت إيران فى احتلال أجزاء كبيرة من الأقاليم العربية، والآن ترى إيران بأن أمريكا تلعب نفس الدور البريطانى فى المنطقة. فى حين لاتزال تلك التصورات الإيرانية وسياستها التوسعية المتأثرة بالتفاعلات التاريخية تنعكس على سياسة طهران الخارجية تجاه دول مجلس التعاون[2]، وأن إيران التى لعبت دور القوة الإقليمية الرئيسية لحقبة طويلة من الزمن بمساعدة بريطانيا ثم أمريكا فى عهد الشاه، لاتسعى إلى التخلى عن هذا الدور الذى كان قد فرضه عليها الاستعمار المسيحى الغربى، وهو ما أكدت عليه مقالة افتتاحية ظهرت فى صحيفة «طهران تايمز» الصادرة فى 6/5/1993. وهذا مايعزز من عوامل الشك والريبة فى نوايا إيران تجاه العراق

---

(1) جيفرى كمب ـ نفس المرجع ص186.

(2) أنور قرقاش ـ إيران ودول مجلس التعاون لدول الخليج العربى ودولة الإمارات العربية المتحدة. الاحتمالات والتحديات فى العقد المقبل ص193.

ودول مجلس التعاون ومن أهم المعوقات فى تطوير العلاقات العربية ـ الإيرانية[1].

لم تكن العلاقات العربية ـ الإيرانية فى التاريخ أسوأ مما كانت عليه فى عقد الثمانينات، والذى دخلت فى بدايته فى صراع عسكرى عنيف، ومدمر مع أكبر جيرانها العراق، ومولت الحرب من إيرادات النفط للدولتين المتحاربتين، ودفعت دول مجلس التعاون نصيبها من تمويل الحرب لصالح العراق، وتحولت دول الخليج العربى جميعها إلى دول عجز بعد أن كانت دول فائض مالى حتى بداية الثمانينات، وكان تمويل الحرب أو التسلح لمواجهة تداعياتها أو التسلح تحت ضغط الموقف التفاوضى الضعيف مقابل دول قوية لمبررات كافية للوصول إلى هذا الوضع، وإلى جانب هدر الموارد وكمية الدمار الذى يحتاج إلى موارد اضافية أضعف التمزق والشك المتبادل من قوى التفاوض لكل من إيران ودول مجلس التعاون، كما أضعف ذلك كثيرا من احتمالات الإصلاح الداخلى وبالتبعية لأمريكا، خلق موقفا تفاوضيا ضعيفا تجاه الغير، وزاد من سوء الأوضاع السيئة فى الأصل الحرب الخليجية الثانية وتكلفتها من قبل أمريكا وحلفائها، والذى لم تقف أثارها عند التحرير وإنما لازالت مستمرة حتى الآن من تحويل ماتبقى من دول فائض إلى دول عجز ومزيد من العجز لدول العجز أدت إلى مزيد من التدهور فى الموقف العربى التفاوضى للجانب العربى[2] لدول مجلس التعاون.

أدت الأنشطة الإيرانية طوال أكثر من عقد من الزمن إلى زعزعة الاستقرار بشكل خطير فى كثير من دول مجلس التعاون، ومنها المحاولة الفاشلة للإطاحة بالحكم فى البحرين عام 1981، والتفجيرات المتتالية التى وقعت فى الكويت أوائل الثمانينات، ومحاولة اغتيال أمير الكويت عام 1985، والمشاكل المستمرة فى

---

(1) د. جمال زكريا قاسم ـ العلاقات الإيرانية بالسعودية والخليج العربى 1925 ـ 1979 ص155.

(2) جاسم خالد السعدون ـ المرجع السابق ص127.

مواسم الحج، لذلك مازالت دول مجلس التعاون تتشكك بشدة فى نوايا إيران، وتساعد الدول العربية الحليفة لدول مجلس التعاون على تعزيز هذه المخاوف، بإشاراتها المتكررة إلى أطماع إيران التوسعية فى الخليج العربى، وهو يظهر صريحًا فى التصريحات العلنية للرئيس المصرى حسنى مبارك، وفى الوقت نفسه استمرت إيران فى التبشير باستراتيجيتها التقليدية التى تنادى باستبعاد الوجود الأمريكى من الخليج العربى، وأصرت إيران على أن أمن الخليج العربى هو مسئولية الدول المطلة عليها، إذ أدركت إيران أن الوجود الغربى المسيحى بقيادة أمريكا لن يهدد وضع الدول الصغرى فى الخليج العربى، لكنه سوف يمثل تحديا لدورها بالمنظور القريب. وكان من الطبيعى أن تعبر إيران عن احتجاجها إزاء استبعادها من النقاش حول الترتيبات الأمنية، فقد انزعجت كثيراً من «إعلان دمشق» ومن الدور المصرى على الأخص، فأطلقت طهران الكثير من التصريحات الغاضبة وأشارت الصحافة الإيرانية إلى وجوب تركيز سوريا ومصر على الدفاع عن حقوق المسلمين ضد الصهيونية وعدم التدخل فى الخليج العربى الذى يقع بعيداً عنهما، وكانت تلك الانتقادات أشد لهجة من شجب الدور الأمريكى التى تصفها إيران دائما «بالشيطان الأكبر»[1]. وتفسر دول مجلس التعاون بأن معارضة إيران «لإعلان دمشق» بأنها تريد أن تلعب دور الشرطى الذى كانت تلعبه أيام الشاه، مما يتعارض بشكل أساسى مع مواقف دول مجلس التعاون[2].

لم تكن الحرب العراقية ـ الإيرانية أو الحرب الخليجية الثانية أو الاحتلال الإيرانى للجزر العربية وحدها التى أثرت بالسلب فى العلاقات العربية ـ الإيرانية،

(1) أنور قرقاش ـ المرجع السابق ص204.

(2) نيفين عبدالمنعم مسعد ـ الرؤية الإيرانية لأمن الخليج ـ دراسة فى الإدراك والسياسات ـ الشارقة ـ مركز الإمارات ـ للبحوث الإنمائية والاستراتيجية ومركز البحوث والدراسات السياسية بجامعة القاهرة ـ 1994 ص14.

ولكن هناك أمور أخرى وضعت الطرفين موضع التقاطع حينا والتناقض أحيانا أخرى وفى مقدمتها تفكيك المشروع القومى العربى بعد رحيل الزعيم جمال عبدالناصر ودخول العرب مرحلة اللامشروع مع ما استصحبه ذلك من انفراط وانفلات، ثم تزايد النفوذ الغربى الرأسمالى عموما والأمريكى خصوصا ودخول العرب فى الحماية الأمريكية الإمبريالية، وتوقيع اتفاقية كامب ديفيد، وخروج مصر من الجبهة العربية ثم منظمة التحرير الفلسطينية والأردن مع الاستعمار اليهودى المحتل، وتراجع أهمية قضية بلاد المقدس «فلسطين» وإضعاف الجبهة العربية، وانفتاح الاستعمار اليهودى المحتل للتعامل مع العالم العربى والإسلامى قفزا فوق القضية الفلسطينية ،من دون حل أى من عناصرها الأساسية، الصدام بين بعض الأنظمة العربية وبين الحالة الإسلامية التى كانت الثورة الإسلامية فى إيران إحدى أهم تجلياتها ودعائمها، هذه العناصر أدت إلى مزيد من التباعد بين العرب وإيران، الأمر الذى لم يقتصر على المجال السياسى وحده وإنما كان له صداه التل ائى على المجال الإعلامى بحكم ارتباط الإعلام بالسياسة فى الأقطار العربية وإيران، وإذا ما حاولنا أن ندقق فى موقف لاعلام على الجانب العربى والإيرانى نجد أن السمة الغالبة ـه أنه كان عاكسا لموقف الحكومات [1].

الحرب العراقية الإيرانية:

فشلت كل من إيران والعراق فى فهم الرسائل الموجهة إليهما من النظام العالمى، لقد عجز صدام حسين عن استيعاب حقيقة أن سخاء الغرب فى مساندته لم يكن بهدف تمكينه من الهيمنة على المنطقة، ولكن لاحتواء إيران فقط لاغير. أما آية الله الخمينى، الذى أعمت المثالية بصيرته فلم يدرك أن القوتين العظيمتين وبخاصة الولايات المتحدة لم تكن لتسمح بانتصار إيران بأى حال من الأحوال، فمثل ذلك الانتصار كان سيلحق الضرر بمصالحهما وكان سيؤدى إلى قلب

(1) د. فهمى هويدى ـ 236.

التحالفات فى منطقة الشرق الأوسط بشكل جوهرى، وفى نهاية الأمر لم ينجح صدام حسين فى فرض هيمنته على المنطقة أو فى القضاء على الثورة الإسلامية فى إيران، كما لم ينجح آية الله الخمينى فى تصدير ثورته أو الإطاحة بصدام حسين، ومن المحزن أن تلك الحرب التى فاقت تقديرات تكلفتها المذهلة العائدات النفطية للبلدين معا إضافة إلى دول مجلس التعاون الذى دفع معظم تكاليف الحرب للعراق فى هذا القرن، أدت إلى تدمير اقتصاد إيران والعراق وقتل الآلاف وتشريد الملايين وكانت النتيجة خسارة الطرفين خسارة كبيرة[1]، وتفاقم العجز فى دول مجلس التعاون.

زادت الخلافات بين إيران ودول مجلس التعاون مع استمرار الحرب العراقية ـ الإيرانية وأصبح أكثر وضوحًا مما كانت عليه من قبل، وبرغم أن هذا الاختلاف يعود إلى العوامل السياسية فى المقام الأول فإن الاعتبارات الاقتصادية كان لها دور فى ذلك لأن سيطرة دول مجلس التعاون ـ القليلة السكان على احتياطيات ضخمة من النفط كفيلة بإيجاد وضع متوتر فى المستقبل، وفى هذا المجال نجد أننا لانستبعد احتمال نشؤ وضع حاليا أو فى المستقبل من شأنه أن تتجه إيران إلى اغتصاب الموارد، وذلك إذا ما استمرت فى عملية احتلال الجزر العربية التى تقع فى قلب أغنى مناطق البترول فى العالم، وفى مثل ذلك الوضع يتم التركيز على اختلال التوازن الاقتصادى وهو ما قد يدفع إيران إلى احتلال حقل نفط بحرى ضاربة عرض الحائط بالادعاءات التاريخية حول ملكيته[2].

(1) محسن ميلانى ـ المرجع السابق ص126.

(2) أنور قرقاش ـ المرجع السابق ص193.

العلاقات الإيرانية السعودية:

تنظر إيران إلى السعودية بعين الشك والريبة، ويعود جزء كبير من ذلك الموقف إلى الخلافات العقائدية طويلة الأمد بين المذهب الشيعى الذى تدين به إيران والمذهب الوهابى المعارض للشيعة الذى تدين به السعودية، كما تعود فى الوقت ذاته إلى العلاقة المعقدة بين نظام حاكم يسعى إلى تغيير الأمر الواقع، وآخر يسعى إلى الدفاع عنه، وعلاوة على ذلك اتسمت العلاقات السعودية ـ الإيرانية بالتنافس حتى فى ذروة تعاونهما فى عهد الملك فيصل والشاه، تلك الفترة التى شهدت درجة عظيمة من التعاون الأمنى والإستراتيجى نتيجة المخاوف من تسرب الأفكار التقدمية إلى المنطقة، وبالرغم من ذلك التعاون الذى عززته التغيرات الدولية والإقليمية لم تخل العلاقات بينهما من مشاكل، فبينما تزعمت السعودية المعسكر المحافظ فى منظمة الأوبك، كانت إيران تسعى لرفع أسعار النفط والتقليل من حصة الإنتاج وهذا ما كانت ترفضه أمريكا، كما أدى تراجع الطلب على نفط «أوبك» فى منتصف الثمانينات إلى زيادة حدة التوتر بين البلدين، وتمكنت الرياض من تعزيز دورها الاقليمى استناداً إلى ضخامة طاقتها الإنتاجية ونفوذها فى منظمة «الأوبك»، خاصة فى ظل انشغال إيران والعراق فى حرب طويلة الأمد، لكن النفوذ الذى اكتسبته الرياض لم يقابل بالترحاب فى طهران فما زالت إيران الثورة الإسلامية تنتقد ما تطلق عليه «قرارات سعودية منفردة» داخل منظمة «الأوبك»، وتهاجم سعى السعودية على حد زعمها إلى إخضاع مصالح المنظمة البترولية لمصالح الغرب المسيحى، ومازالت إيران ترتاب من العلاقات السعودية ـ الأمريكية وتهاجمها من حين لآخر، كما تعتبر إيران أن إعلان قيام مجلس التعاون عام 1981، ماهو إلا امتداد للنفوذ السعودى على دول المجلس، ويمكن القول أن العلاقات الإيرانية ـ السعودية تدهورت إلى أدنى مستوى لها عام 1987 عقب المصادمات العنيفة التى وقعت بين السلطات السعودية والحجاج الإيرانيين أثناء

موسم الحج وبالرغم من المحاولات المتكررة لتسوية الخلافات بين البلدين فسرعان ما كانت هذه الجهود تنتهى بالفشل لسبب أو لآخر[1].

يتحتم علينا أن نلاحظ أن الاعتبارات الإيديلوجية فى العلاقات السعودية ـ الإيرانية ليست المحرك الأساسى للسياسة الخارجية الإيرانية، خاصة فى تعارض تلك الاعتبارات مع المصالح القومية الإيرانية، فحقيقة الأمر أن السياسة الخارجية الإيرانية كانت فى أغلب الأحوال سياسة براجماتية إن لم تكن ميكافيلية، وأنها كانت تهدف قبل كل شىء خدمة المصالح القومية الإيرانية، فعلى سبيل المثال حافظت إيران على علاقات وثيقة جداً مع باكستان طوال سنوات الثورة الإسلامية وحتى الآن بالرغم من الارتباط الوثيق بين إسلام أباد وواشنطن، كما ظهر هذا الخط البراجماتى واضحًا عندما اشترت إيران سراً أسلحة اسرائيلية أثناء حربها مع العراق فى الوقت الذى كانت تندد فيه بالكيان الصهيونى علنا. وبعد حرب الخليج الثانية بدأت محاولات فتح صفحة جديدة بين إيران حيث كانت علاقاتهما السابقة مع إيران فى غاية التوتر، ففى مارس 1991 استؤنفت العلاقات الدبلوماسية بين طهران والرياض بعد أن ظلت مقطوعة منذ عام 1988، كما اتفقا على عدد الإيرانيين المسموح لهم بأداء مناسك الحج كل سنة، تلك القضية التى كانت مثاراً للانفعالات والنزاعات الحادة، وعقب ذلك التقارب جرت اتصالات رفيعة المستوى بين البلدين، ففى أبريل 1991، التقى الرئيس هاشمى رافسنجانى بالملك فهد فى الرياض، ثم قام الأمير سعود الفيصل وزير خارجية السعودية بزيارة طهران فى يونيو 1991، فكانت أول زيارة يقوم بها مسئول سعودى رفيع المستوى إلى إيران منذ سقوط الشاه[2].

---

(1) أنور قرقاش ـ نفس المرجع ص198.

(2) أنور قرقاش ـ نفس المرجع ص 206.

بذلك حدث تغيـر كبير فى العلاقات السـعودية ـ الإيرانية ويرجع ذلك إلى مساهمـة إيران بموقفها الحيـادى من حرب الخليج الثانية مما أدى إلى تخـفيف حدة التوتر فى العلاقـات السعودية ـ الإيرانية بل بدأت العلاقـات بين الدولتين تعكس مؤشرات ودية فى فترة مابعد الحرب، وقامت السعودية بمناقشة مستقبل العراق بعد الإطاحة المفـترضة بالحكومـة الحالية، وخـفت حدة الحملات الإعـلامية العـدائية المتبادلة، وقامت مجموعات من الحجاج الإيرانيين بتنظيم مظاهرات سلمية فى مكة المكرمة والمديـنة المنورة عام 1991 الأمـر الذى لم يكن معـهوداً منذ عـام 1980، وأصبحت إيران مـثل مصر وتركيـا إلى حدما مستـفيدا أساسيـا من حرب الخليج العربى الثانية، إذ زادت ترسانة أسلحتهـا بدرجة كبيرة بعد أن صادرت 150 طائرة عراقيـة وصلت إليها أثناء العمليـات الحربية، لكن الأسلوب العدوانـى الذى اتبعه رفسنجانى الرئيس الإيرانى مع بقية دول مجلس التعاون لم يحظ بقبول السعودية، عندما قامـت باحتلال جزيرة أبوموسـى صيف عام 1992، وصاحب هذا الموقف العدوانـى ظهور مؤشـرات أخرى على التـسليح وهو الأمر الذى ثبـت من خلال المشتريات الإيرانية الكبيرة للأسلحة المتطورة من روسيا ومن ضمنها طائرات مقاتلة وثلاث غواصات علاوة على المعدات اللازمة لاستئناف برنامجها النووى[1].

برغم تعاظم التـرسانة العسكرية فى إيران فإن عـلاقاتها بالسعـودية لم تتأثر وان اتسـمت بقدر كـبيـر من الهشـاشة، وفى ربيع عـام 1992، بدأ تنسيق بين الدولتين تجـاه المعارضـة العراقيـة إذ قامت السعـودية بدعوة رئيس حـزب الدعوة العراقى الشيخ مـحمد باقر الحكيم المقيم فى طهـران للمشاركة فى لقاء جـماعات المعارضة العـراقية المنعقدة فى الرياض فـى شهر فبراير، ولـم ينجح الاجـتماع فى الاعلان عن تشكيل حكومة فى المنفى، ولكنه أدى إلى توحيـد صفوف الجماعات

---

(1) صـالح المانع ـ البعـد الايدلوجى فى العـلاقات السـعودية ـ الإيـرانية واسـتقـرار الخليج ص238.

والمنظمات والشخصيات المختلفة داخل جبهة مناوئة لنظام صدام حسين، والأهم من ذلك أن زيارة الحكيم عززت الأسلوب البراجماتى الجديد للسعودية، حيث قبلت فكرة قيام نظام مستقبلى فى بغداد، يشارك فيه رجال الدين الشيعة بنسبة كبيرة ونجحت المقابلات التى أجراها الحكيم أثناء زيارته للرياض فى تقليل المخاوف من سعى إيران لإقامة دولة تابعة لها فى العراق بعد رحيل صدام حسين[1].

لاينبغى حصر العلاقات بين السعودية وإيران وهما أهم دولتين إسلاميتين فى المنطقة فى نطاق التفاعلات الدبلوماسية التقليدية أو قصرها على التعاون العملى من فترة لأخرى، فقد استفحل التوتر على المستويين الإيديلوجى والسياسى بين الدولتين وكان له ثمنه وان التعاون العملى بمرور الزمن له آثاره على السياسة الخارجية للدول، وأثبتت حالة العلاقات السعودية ـ الإيرانية وجود سياستين متنافستين وظلت السياسة الخارجية لكل منهما تعكس الخصوصية الإيديلوجية لمجتمعيهما باستثناء بعض الحالات عندما تكون مصالح الدولة على درجة عالية من الأهمية ولهذا يجب اتخاذ مبادرات جريئة فى المجال الإيديلوجى[2].

العلاقات الكويتية ـ الإيرانية:

شهدت العلاقات الكويتية ـ الإيرانية تحسنا ملحوظا عقب نهاية الحرب العراقية ـ الإيرانية، فقد قام السيد على أكبر ولاياتى وزير خارجية إيران، بزيارة إلى الكويت قبل الغزو بعدة أسابيع، كما قام الشيخ صباح الأحمد وزير خارجية الكويت بزيارة إيران أثناء حرب الخليج الثانية، وخلال تلك المرحلة علقت أمال كبيرة على حدوث تقارب بين إيران ودول مجلس التعاون، وساد المنطقة شعور عام بالتفاؤل عبر عنه مبارك الخاطر وزير خارجية قطر آنذاك فى مايو 1991 بأن إيران

---

(1) صالح المانع ـ نفس المرجع ص239.

(2) صالح المانع ـ نفس المرجع ص243.

دولة صديقة وجار ودود وأن عليها أن تساهم بدور فى أمن المنطقة، وكانت المصالح الاستراتيجية الإيرانية وثيقة الصلة بدول مجلس التعاون خلال تلك الفترة، إذ أدركت إيران أن أية تغيرات تعود على العراق بالنفع يمكن أن تحدث مضاعفات بعيدة المدى على ميزان القوى فى المنطقة، ومع ذلك لم تدم فترة توافق المصالح طويلا، إذ عادت السياسة الخارجية الإيرانية إلى سيرتها الأولى ولم تستثمر الدبلوماسية الإيرانية بحكمة الرصيد المعنوى الذى تراكم عقب حرب الخليج الثانية، فالتصريحات العنيفة التى أطلقها رجال الثورة الإسلامية فى إيران ضد الغرب وخاصة أمريكا، وتفسيراته لمصالحه الوطنية سرعان ما أثرت فى علاقته بالعديد من جيرانه وظهر الدليل على تلك التغيرات فى الجبهة الإقليمية مع اتضاح السياسة الإيرانية بشأن الجزر العربية المحتلة، وعلى الجانب الآخر لم تتفق دول مجلس التعاون على انتهاج سياسة موحدة تجاه العلاقات البعض الآخر معها بدرجة كبيرة من التنسيق وقد يرجع لعلاقات الثنائية[1].

العلاقات الإماراتية.الإيرانية:

ساهم النزاع على جزيرة أبوموسى مرة أخرى فى إثارة شكوك دول مجلس التعاون تجاه نوايا إيران فى فرض هيمنتها وذلك عندما طردت إيران فى أغسطس 1992 بعض العمال على متن عبارة قادمة من إمارة الشارقة بسبب عدم حيازتهم للمستندات الكافية حسب تفسيرها علما بأن نصف الجزيرة كانت تحت سيادة الشارقة، وبررت إيران تصرفاتها بأنه شأن أمنى داخلى بدعوى مذكرة التفاهم المبرمة بين إيران والشارقة عام 1971 منحت إيران حق السيطرة على شئون الأمن، وفى بداية الأمر طالبت دولة الإمارات العربية المتحدة بإجراء مفاوضات مباشرة مع إيران وهو ما قبلته طهران، وسرعان ما أعلنت مصر وبعض الدول العربية الأخرى استعدادها للدفاع عن حقوق وسيادة دولة الإمارات ضد «السياسة الإيرانية

(1) أنور قرقاش ـ المرجع السابق ص206.

التوسعية»، وفى ظل هذه المساندة القـوية طالبت الإمارات بإجراء المفاوضات ليس حول جـزيرة أبوموسى فحـسب بل أيضًا حول جـزيرتى طنبُ الكبرى والصـغرى الواقعتين تحت الاحتلال الإيرانى ولكن طهران رفضت الطلب[أ].

ترجع هذه المشكلة إلى عام 1899 عندما قامت إيران باحـتلال إمارة «النجة» التابعة للقواسم وكـانت أولى المواجهات فى الجزر العربية مع قبـيلة البوفلاسة فى جزيرة «هنجام» الاستراتيجية، فـقد حاولت إيران فرض ضرائب على وارداتها عام 1904 وأرسلت لتنفيـذ غرضهـا قوات إيرانية فطـلب سكانها العون والحـماية من سلطان عمان إلا أن هذا لم يردعـها فقررت إقامة دار للجـمارك فى الجزيرة لأخذ الضـرائب بالقوة إلى أن اندلعت الحـرب العالميـة الأولى فتـبدلت ظـروف كثـيرة وسقطت الجزر بمعظمها فى أيدى الإيرانيين منها جزيرة «صرى» و«فارور» و«قشم» وغيرها[2]. وتحتوى جـزيرة أبوموسى على معادن مثـل «الجرانيت» و«المغر» وهو أكسيد الحديد الأحمر[3].

يتلخص الوضع اليـوم فى إصـرار الإمارات على اللجـوء إلى التـحكيم فى محكمة العدل الدوليـة استنادًا إلى ثوابت قانونية وتاريخية ثابتة ومـؤكدة واعتمادا على الدعم والتفـهم الإقليمى والدولى لأحقـيتها فى ملـكية الجزر العربيـة، بينما ترفض إيران تخويل تلك المحكمـة بالقضية على أسـاس أنها نزاع داخلى ومن ثم فهى تواصل مطالبتها بإجراء مفاوضات ثنائية مباشرة على جزيرة أبوموسى فقط!! ولتسوية هذا النزاع سلمـيا يتعين على كلا الجـانبين أن يراعيا بشدة القـيود المحلية التى يعملان فى ظلها، والسياسة الإيرانيـة الراهنة تجاه الجزر العربية لاتختلف عن

(أ) محسن ميلانى ـ المرجع السابق ص138.
(2) مجلة الوسط ـ لندن ـ 20/ 9/ 1993.
(3) جريدة الطليعة الكويتية ـ 3 مايو 1995 ـ العدد 1175.

سياسة الشاه، فكثيرا ما كرر حكام إيران أنهم لن يتخلوا عن سيادة إيران على الجزر العربية أو يقبلوا حلا وسطا بشأنها وبذلك أغلقوا الباب على حل مشكلة الجزر نهائيا. وأن معظم الإيرانيين يؤيدون الوضع الراهن فى الجزر العربية، وفى الوقت ذاته فإن حكام وأبناء الإمارات العربية المتحدة والمدافعين عن الحقوق العربية يؤكدون على أحقية الإمارات فى استعادة جزرها السليبة، وبما أن كلا الجانبين على أحقيتهما فى الجزر العربية فيجب عليهما أن يحيلا تلك المشكلة إلى المحكمة الدولية فى لاهاى، وبرغم ذلك فإن العلاقات الاقتصادية المزدهرة تجمع بينهما[1].

أكدت الإمارات أن استمرار إيران فى تكريس احتلالها الغير شرعى لهذه الجزر العربية الثلاثة وفرض سياسة الأمر الواقع بها من خلال اتخاذها للعديد من الإجراءات والتدابير العسكرية والمدنية إنما يشكل مصدر قلق وتوتر بالغين بالمنطقة ويتعارض مع علاقات حسن الجوار وتوجهات دول مجلس التعاون الداعية إلى انتهاج الحلول السلمية فى تسوية الخلافات القائمة[2]. فى حين أكد ولى عهد رأس الخيمة الشيخ خالد القاسمى بأن جزر طنب الكبرى والصغرى وأبوموسى جزء لايتجزأ من الإمارات اغتصبته إيران فى عهود سابقة، وأن الإمارات بذلت وتبذل كل ماتستطيع وبكل الأساليب السلمية المشروعة والمدكنة لاستخلاصها من غاصبيها[3]. كما أكد على العطاس وزير خارجية إندونيسيا فى المؤتمر الإسلامى الرابع والعشرين لوزراء الخارجية فى «جاكرتا» تأييد بلاده لموقف الإمارات ومساعيها السلمية ووصف هذا الموقف بأنه عقلانى وحكيم ويتسم ببعد النظر. وقال إن أندونيسيا تؤيد التوجه السلمى للإمارات ببحث النزاع من خلال محكمة

---

(1) محسن ميلانى ـ المرجع السابق ص140.

(2) جريدة الخليج ـ الإمارات 24/ 9/ 1998 ـ العدد 7067.

(3) الحياة ـ لندن ـ 22/ 4/ 1995 ـ العدد ـ 11749.

العدل الدولية[1]. وطلبت الإمارات من مجلس الأمن الاستمرار فى الإبقاء على البند المتعلق باستمرار الاحتلال الإيرانى لجزر الإمارات الثلاثة إلى أن تنهى إيران احتلالها غير المشروع لهذه الجزر وتسترد الإمارات سيادتها على هذه الجزر وسيطرتها الفعلية عليها[2].

طموحات العلاقات العربية-الإيرانية:

تعتبر منطقة الخليج العربى أكثر بقاع العالم عرضة للاضطراب، حيث تتشابك المصالح الاقتصادية العالمية مع الضغوط السياسية الاقليمية، وبحكم مخزونها من النفط وعلاوة على تباين السياسات المنتهجة فى كياناتها سوف تظل منطقة الخليج العربى تحتل مكانة بارزة فى الدراسات الاستراتيجية مما يحتم على كياناتها إيجاد علاقات خاصة فيما بينها مما يعنى الاهتمام بعلاقات الجوار بين العرب وإيران. وتواجه أقطار مجلس التعاون تحديات جوهرية فيما يتصل بمسألتى الهوية والشرعية وسوف يؤدى النجاح فى معالجة هاتين القضيتين إلى تحقيق التضامن والمصداقية حيث يحتم على حكومات دول المنطقة معالجة هاتين القضيتين وفق استراتيجية وآلية مدروسة تأخذ فى عين الاعتبار المحددات السياسية والاقتصادية والاجتماعية فى أقطارها، لكى تصل بالمحصلة إلى تدعيم استقرارها، ومن هنا فإن انتهاج تلك الآلية من شأنها إحداث تحول ملموس فى مستوى الوعى وهذا قد يقود بدوره إلى بلورة سياسة إقليمية جديدة[3].

---

(1) الاتحاد - أبو ظبى - 12/ 12/ 1996 - العدد - 1085.

(2) الشرق الأوسط - لندن - 12/ 2/ 97 - العدد 6653.

(3) جيمس بيل - الشكل الهندسى لحالة عدم الاستقرار فى الخليج مستطيل التوتر - إيران واستقرار الخليج - ص165.

الأمن الداخلى والعلاقات العربية.الإيرانية:

تعتبر جمهورية إيران الإسلامية أكبر دولة فى الخليج العربى، مما يعد عاملا مهما فى تحديد الاتجاه المستقبلى لمسار العلاقات العربية ـ الإيرانية فى الحدود الشرقية للوطن العربى الذى مازال لغزاً غامضًا، ولذا فإن أسلوب تعامل كثير من أقطار مجلس التعاون مع إيران سوف يتوقف إلى حد كبير على كيفية تعامل إيران مع تلك الأقطار، ولاتبدو احتمالات تحسين العلاقات مثيرة للتفاؤل نظراً للسياسات المستقبلية التى تنتهجها إيران وبحثها الدؤوب عن دور إقليمى وبسبب مواقف إيران المتغايرة وبياناتها الرسمية المتضاربة فقد عجزت عن هدم جدار الشك القائم فى المنطقة، وأن التجارب التاريخية تعزز التخوف من الهيمنة الإيرانية على المنطقة ومن هذه التجارب سياسة الشاه التوسعية واحتلالها للجزر العربية، ولاشك أن استمرار حالة عدم الاستقرار الداخلى وصراع الأحزاب فى إيران سيظل يثير مخاوف جيرانها العرب، وفى أغلب الأحيان لاتدرك أقطار مجلس التعاون فى تعاملها مع إيران من هو المسؤل الحقيقى عن اتخاذ القرار، فمازالت العناصر الراديكالية الثورية تتمتع بالنفوذ خاصة بعد تحقيق عدة انتصارات مهمة على الرئيس الإيرانى، وتواصل تلك الجماعات التبشير بأيديلوجيتها الثورية وتوجيه النقد اللاذع لأقطار مجلس التعاون انطلاقا من إيمانها بشمولية نموذجها وقابليته للتصدير. ثم إن عزلة إيران عن المجتمع الدولى لاتثير قلقها بل إنها فى الواقع تؤيد القول المأثور عن الخمينى بأن إيران يجب أن تبقى معزولة لتحافظ على استقلالها[1].

للتأثير المتواصل لهذه الجماعات مع احتمال سيطرتها على النظام السياسى فإن المنطقة يخيم عليها أجواء عدم الاستقرار وعلى أقل تقدير سيكفل وجود هذه العناصر استمرار الثنائية وعدم الوضوح فى سياسة إيران الخارجية مما يعنى أن فجوة عدم الثقة لن يمكن تجاوزها وتتضح هذه النقطة المهمة من مطالعة تقارير الصحف

(1) أنور قرقاش ـ المرجع السابق ص222.

الإيرانية بدقة وعنـاية، ففى مايو 1993 تحدثت تلك التـقارير عن تحسن العـلاقة عقب زيارة ولاياتى وزير الخارجية، ولكن بعد خمسة أشهر فقط وجهت الصحيفة نفسهـا نقداً لاذعا إلى الكويت وأسرتهـا الحاكمة بسبب تأيـيدها لدولة الإمارات، واتسم الأسلوب الانفعالى المستخدم فى كلتـا المناسبتين بالمغالاة، علاوة على ذلك فإن استمرار المصاعب الاقتصادية الإيرانية وفشل السياسة الاقتصادية الحالية مقرونة بالزيادة الهائلة فى تعداد السكان سـيزيد من حدة التوتر فى المنطقة كـما أن الفجوة الاقتصادية الآخـذة فى الاتساع قد تضع إيران فى معسكر المعـدمين الأمر الذى قد يعرض إيران لمشـاكل داخلية، وستواجـه الحكومة الإيرانية على الصعـيد الداخلى تحديات خطيرة مما يضعف إيران فى انتـهاج سياسة خارجية مـوضوعية، وقطاعات كبـيرة من الطبـقة المتـوسطة تعانى ظروفـا اقتـصادية صعـبة ولم يعـد من الممكن إخضاعها بالحماس الإيديلوجى مما يدعو إلى توخى الحذر فى التعامل مع القيادات الإيرانية[1].

أمن الخليج العربى والعلاقات العربية.الإيرانية:

نجد أن معظم دول مـجلس التعاون لديها مطالب إقليمـية فيما بين بعـضها البعض كـالبحرين وقطر، والـسعودية والكويت والسـعودية وقطر، وقد شـهدت السنوات الخمس عشـرة الماضية حربين جلبتا الموت والدمـار الأمر الذى يحتم حل المشاكل الإقليـمية بأسلوب جديد ويمـكن لسياسة «الاحـتواء الثنائى» التى تتبعـها أمريكا أن تكون أكثـر ضرراً لإيران من الوجود العسكرى الأمريكى نفـسه، وبينما استـخدمت إدارة «بوش» أسلوب «العصـاة والجزرة» المبنى على أن «النوايا الطيـبة تثمر نوايا طيبـة» شنت إدارة «كلينتون» حملة متعددة الأوجـه لعزل إيران وزعزعة الاستقرار فيها.

---

(1) أنور قرقاش ـ نفس المرجع ص222.

عارضت أمريكا اشتراك إيران بدور فعال فى أى ترتيبات تتعلق بأمن الخليج العربى، ولم تكتف أمريكا ببيع كميات ضخمة من العتاد الحربى للسعودية والكويت والذى أثبت فشله عند الغزو العراقى للكويت، بل وقعت معاهدات دفاعية مع دول مجلس التعاون مما يتيح لأمريكا فرصة إجراء مناورات عسكرية منفردة ومشتركة بصفة متكررة فى المياه الإقليمية لأقطار مجلس التعاون. والحقيقة المؤسفة هى أن الخليج العربى أصبح أكثر مناطق العالم تسليحا، وباستثناء الإنفاق العسكرى لكل من قطر وإيران والعراق عام 1992 والذى لاتتوفر بشأنه بيانات فقد أنفقت كل من السعودية والكويت والإمارات مبلغا هائلا قدره 157 مليار دولار أمريكى على المشتريات العسكرية فى الفترة من 89 ـ 1992، وقامت إيران بعدة محاولات غير عسكرية لتتغلب على آثار الوجود العسكرى الأمريكى وسياسة «الاحتواء الثنائى» ولكن لم يحالفها الحظ، وحاول الرئيس الإيرانى تخفيف حدة التوتر الاقليمى وتجنب المواجهة المباشرة مع أمريكا واقناع دول مجلس التعاون بأن مايصلح لأمريكا لايصلح لهم بالضرورة، وحثت إيران دول مجلس التعاون على الابتعاد عن أمريكا باتباع سياسة خارجية محايدة ودعمت ذلك الرأى بتأكيد أن التعاون مع أمريكا سوف يجردهم من الشرعية الإسلامية والتأييد الشعبى، وكثيرا ما أشارت إيران إلى دورس الماضى التى أثبتت أن رغبة الغرب المسيحى وعلى رأسها أمريكا فى السيطرة على المنطقة وإبقاء اسعار النفط منخفضة مع تصدير كميات كبيرة، قد دفعته تاريخيا إلى محاولة بث الشقاق بين دول المنطقة بإبراز مواطن اختلافها وبتحريض كل دولة على الأخرى وبالحيلولة دون اتحاد تلك الدول. وتؤمن إيران بأن السياسة الأمريكية الراهنة تنسجم تمامًا مع هذه الاستراتيجية التقليدية وأن إيران فشلت فى إقناع أعضاء مجلس التعاون بأن ينأوا بأنفسهم عن أمريكا[1].

---

(1) حسن ميلانى ـ المرجع السابق ص136.

لم تنجح أمريكا هى الأخرى فى إقامة نظام جديد للأمن الجماعى، كما لم يصبح مجلس التعاون أكثر قوة فى فترة مابعد الحرب الباردة وعقب حرب الخليج الثانية، وكان هناك حماس كبير لإقامة نظام دفاع إقليمى صالح للتطبيق، وفى بداية الأمر بحثت دول مجلس التعاون فى إمكانية إنشاء تحالف عسكرى مع سوريا ومصر ولكن أمريكا منعتها. وبعدما أخفقت إيران فى إقناع أقطار مجلس التعاون بالوسائل الدبلوماسية بالابتعاد عن أمريكا، ركزت جهودها على القضايا التى يمكن أن ترسخ روابطها معهم مثل احتواء العراق وزيادة حجم التجارة والغريب أن السياسة الحالية المشتركة لاحتواء العراق بين كل من إيران ودول مجلس التعاون تتضمن أوجه شبه ملحوظة بالسياسات التى كان يتبعها الشاه فى السبعينيات. لقد خلقت سياسة المصالح المشتركة المناخ المناسب للبدء فى عملية التقارب فى العلاقات العربية ـ الإيرانية التى كان كلا الطرفين فى أمس الحاجة إليها[1] ولكن النزاع القابل للانفجار حول الجزر العربية يمكن أن يغير هذا الاتجاه الإيجابى إلى نقيضه إذا لم يتمكن الجانبان من حلها مستقبلا.

يجب على دول مجلس التعاون إعداد السياسة الأمنية على نحو يضع فى الحسبان التناقضات فى السياسة الأمنية الإيرانية وعلى وجه التحديد فإن المطلوب من دول مجلس التعاون عند رسم سياستها الأمنية تجاه إيران أن تركز على التخفيف من حدة اللهجة الثورية للقيادة الإسلامية الإيرانية وأن تأخذ بعين الاعتبار مجموعة من القضايا الاقتصادية الهامة كزيادة نصيب الفرد من إجمالى الناتج المحلى فى إيران، وخصخصة المؤسسات الاقتصادية الإيرانية وتطوير صناعات إيران التصديرية غير النفطية المرتكزة على وفرة العمالة وبخاصة تلك الصناعات التى تؤكد التوقعات بأنها ستلاقى طلبا فى شرق الجزيرة العربية وتخفيض القدرات العسكرية الإيرانية لاسيما فى مجال استخدام قواتها خارج أراضيها وفى مجال

(1) محسن ميلانى ـ نفس المرجع ص136.

الأسلحة غير التقليدية وتخفيض الوجود العسكرى الإيرانى فى مياه الخليج العربى وأخيرا التخفيض المرحلى للمعدات العسكرية فى منطقة الخليج العربى لدى العراق وإيران أولا ثم تلك التابعة للدول الغربية وعلى رأسها الولايات المتحدة ولن يكون إعداد مثل هذه السياسة الأمنية أمراً سهلا[1].

عانى الشعب الإيرانى حرمانا اقتصاديا واجتماعيا كبيرا منذ قيام الثورة ويعتقد العديد من المحللين أن القادة الإيرانيين الحاليين يسعون بصورة متزايدة لإيجاد حلول اقتصادية لادينية للمشاكل والتحديات اليومية التى يواجهونها كما أن الضرورة التكنولوجية لتحسين الإنتاج الصناعى الإيرانى وزيادة الصادرات من المنتجات النفطية وغير النفطية إلى السوق العالمية تقتضى من الحكومة الإيرانية استيراد المعونة الفنية الغربية وهذا التوجه البراجماتى للقيادة الإيرانية على صعيد السياسة الاقتصادية مقرونا بما تفرضه الثورة من كراهية وازدراء للغرب يتطلب أحيانا من الصحف الإيرانية التنديد بالمجتمع الغربى وفى الوقت ذاته الترحيب الحار بالشركات المنتمية إلى ذلك المجتمع. وعلى العموم يؤيد قادة دول مجلس التعاون الأثر الإيجابى للبراجماتية الاقتصادية الإيرانية على أمل أن تؤدى مع مرور الزمن إلى إعادة ترتيب الأولويات الإيرانية على نحو يشجع الاحترام المتبادل وتسوية النزعات عن طريق الحلول البناءة وفى الوقت نفسه نلاحظ تحويل الأموال الإيرانية الكبيرة إلى عملية تسليح استراتيجى تهدد وجود الدول الأعضاء فى مجلس التعاون ـ وكما كان الحال أيام الحرب الباردة يجب على الطرف الذى يسعى للحصول على الاستثمارات الاقتصادية الخارجية أن يزيل أولا خطر التهديد العسكرى المدمر شريطة أن يتم ذلك على نحو يمكن التحقيق منه[2].

---

(1) جمال سند السويدى ـ ص493.

(2) جمال سند السويدى ـ نفس المرجع ص 493.

إن التناقضات القائمة بين السياسة الخارجية والأمنية الإيرانية وما ينجم عنها من انتهاج استراتيجية التخويف والتهديد ستسبب اختلالا مستمرًا فى الأداء الإيرانى، بينما سوف تستمر دول مجلس التعاون على تماسكها وتحالفها مع أمريكا وغيرها من الدول الغربية المسيحية وستواصل قوات مجلس التعاون والقوات الأمريكية والغربية مجتمعة ردع إيران عسكريا وتهميش دورها اقتصاديا وفى نهاية الأمر لن يكون أمام إيران خيار يحمل مستقبلا اقتصاديا واعدا إلا سياسة نزع التسليح فمن شأن تبنى هذه السياسة أن يقلل من اعتماد دول مجلس التعاون على القوات الغربية - الأمريكية وأن يخفف من اتجاه دول مجلس التعاون لتحديث قواتها المسلحة وأن يحرر المزيد من رأسمال الاستثمار داخل إيران وأن يزيد من استعداد المستثمرين غير الأمريكيين على الأقل للمشاركة مع أصحاب المشروعات الإيرانية فى مشاريع مشتركة ويتعين على إيران أن تتبنى برنامجا للتنمية الاقتصادية ليحل محل برنامج التحديث العسكرى وأن تدخل شركاءها التجاريين فى مجال النفط والغاز لاسيما ألمانيا واليابان فى برامج تعاونية غير عسكرية[1].

ومع أنه يمكن وصف العلاقة بين العلماء الإيرانيين ونظرائهم السعوديين بالتوتر المستمر إلا أن هناك مؤشرات على حدوث تغيرات طفيفة وتدريجية فى كلتا الدولتين الأمر الذى قد يساهم فى إيجاد طريقة مماثلة للوصول إلى أرض مشتركة بشأن إصدار الفتاوى. فمع اعتماد علماء الشيعة - تاريخيا - على الحكم المستنير الذى يصدره الفقيه الحى (مصدر الاجتهاد) واعتماد علماء السنة - تاريخيا - على الإجماع بدأ جيل جديد من علماء السنة فى السعودية فى الاعتماد على الاجتهاد وكأساس للتشريع (الفتوى) باعتباره طريقة شرعية فى التعامل مع المستجدات التى تطرأ على الدولة والمجتمع (المصالح المرسلة) أو التشريعات المتعلقة بمصالح [2]

(1) جمال سند السويدى - نفس المرجع ص494.

(2) صالح المانع - المرجع السابق ص244.

العبـاد وإن الإيديولوجيا بتفسيرها المحـدد للأحداث تميل إلى وضع حدود ثقافية وإيديلوجية تاريخية فاصلة قد تؤدى على المدى البعيد إلى تعريض العلاقات بين الدول للخطر وإلى تعقيد التنافس الاقليمى وتسيسه فى الشقافات ذات النزعة الأيدلوجية فإن الحد الفاصل بين سياسات الدولة ونظم المعتقدات السائدة لايبدو واضحا، أولا يمكن التحقيق منه بسهولة والتنافس الإيديولوجى يحرم السياسة الخارجية من التأييد الداخلى المطلوب حتى فى الدول الدكتاتورية تبعا لما سبق هناك حاجة ملحة إلى محاولة فتح باب الحوار بين أصحاب المذاهب المختلفة مرة أخرى وهو حوار قد يكون طويلا وشاقا ولايبشر بالضرورة بالتوصل إلى نتائج فورية لكن مجرد إقامة مثل هذا الحوار سوف يساهم فى ترسيخ البعد الشامل لأخوة الإسلام والتخفيف من حدة النزعة الإقليمية وسوف يمكن الحوار واضعى السياسات فى كلتا الدولتين من البدء بمفاوضات دبلوماسية بناءة بل سيوفر أيضا الأسس الكفيلة بتحقيق السلام والتنمية فى منطقة الخليج العربى[1].

استشراف النظرة المستقبلية للعلاقات العربية.الإيرانية

يستوجب على أقطار مجلس التعاون أن يفكروا فى إيجاد مشروع لرؤية مستقبلية من أجل تحديد المسارات فى إطار من الخيارات العديدة فى العلاقات العربية ـ الإيرانية، لأهمية منطقة الخليج العربى وحيوتها التى تزداد دورها فى الاستراتيجية العالمية مع مرور الأيام، ومن غير الممكن أن تحدد الأطر والخيارات المستقبلية بين الجانب العربى والإيرانى فى الخليج العربى أبداً، ومن ثم معالجة الخلافات المزمنة بينهما بحسم المسائل المشتركة فى البقاء أسرى المخاضات التاريخية الصعبة والمعقدة مثل: قضية الجزر العربية والمياه الاقليمية والحدود الشرقية العربية فى القطر العراقى والهجرة الإيرانية غير المشروعة، ثم الانطلاق لكشف حدود المستقبل بإيجاد نظرة علمية لتشابك الحاضر ورسم المسارات القادمة لابد من أن

(1) صالح المانع ـ نفس المرجع ص245.

تمثل تحركات عناصر الجذب والقوة بكل مقوماتها ومحاورها على الصعيدين الإقليمى والدولى مع رسم خطط مشتركة نحو المستقبل الذى يعتبر حاجة ماسة وضرورية بين العرب وإيران فى ظل الانفراد الأمريكى بالتعاون مع أوربا، واحتلال إيران لأجزاء من أراضى عراقية وإماراتية كان ولايزال سببا فى التدخلات الأجنبية وبقاء الصراع بين العرب وإيران يعتبر لصالح الكيان الصهيونى، وهل يمكن للعرب وإيران الإفادة من علاقات أفضل فى تخفيف أثر تداعيات واقع الحال؟ وهل يمكن احتمال تداعيات واقع الحال ما لم يبادرا إلى اتخاذ خطوات إصلاح رئيسية ومن ضمنها الاتجاه إلى التعاون الإقليمى حكمها فى ذلك حكم معظم دول العالم العظمى وتلك الداعية بمتطلبات البناء وصراع المصالح فى المستقبل ولاتبدو الإجابة صعبة[1].

يجب إيجاد الطريق القويم لتقوية قوى التفاوض للطرفين، وتوفير الموارد وإعادة توزيعها تدفع من دون أدنى شك فى اتجاه تعاون جاد ووثيق والبديل غير محتمل، والمدخل إلى هذا التعاون بحكم الجغرافيا وبحكم اقتسام الموارد وبحكم اقتسام الآلام المحتملة لابد من أن يبدأ بين إيران ودول مجلس التعاون، فالأوضاع المالية التى يعكسها تنامى العجز الداخلى والخارجى يجعل من الاتفاق على سياسات نفطية حقيقية أمرًا يمثل مخرجًا رئيسيًا فى الزمن القصير والمتوسط لدول مجلس التعاون وإيران، وعلى العكس فإن هدر الموارد النفطية أو سوء توزيعها الناشىء عن علاقات الريبة والشك بينهما يجعلها أكثر دول الخليج إنفاقًا على التسلح والأمن، بينما إعادة توزيع تلك الأموال والموارد النفطية والجهود الذاتية فى اتجاهات البناء، سوف تخفف كثيرا من الضغوط المتحملة، كما أن توسعة رقعة الطاقة الاستيعابية بتبادل رأس المال وفرص الاستثمار سوف تكون نتاجًا طبيعيا لتحسين المناخ السياسى والاقتصادى، ويجب العمل فى المجالات التى تحقق

(أ) جاسم خالد السعدون ـ المرجع السابق ص244.

التكامل الاقتصادى بين العرب وإيران حيث توجد مكاسب اقتصادية مشتركة، وهناك التجربة التى مرت بها أوروبا، عندما أدركوا التعاون ضرورى بينهم، ويجب أن يتم توفير جانب من الموارد فى القطاعات العسكرية لتمويل القطاعات المدنية، وقد تتحول أجهزة الأمن والاستخبارات الموجهة ضد الشعوب إلى أجهزة بخلفيات اختصاص اقتصادى وتنمية داخلية، وقد تختلط الأوراق وتتغير التحالفات لتخلق معسكرات جديدة وربما يتحول فيها بعض أعداء الأمس إلى أصدقاء اليوم وحلفاء الغد، ووسائل القياس واضحة ومحددة وهى انعكاسات تلك التحالفات على المؤشرات الاقتصادية الرئيسية أى النمو والبطالة وعجز الموازين الداخلية والخارجية[أ].

ترتكز آفاق تطوير العلاقات الاقتصادية على خصائص مؤثرة فى عملية اتخاذ القرار فى كل من إيران ودول مجلس التعاون، وإن مصالح مجتمعية عليا ذات أهمية استراتيجية وفوائد تنموية يتوقف على تحقيقها مصير الطرفين ومستقبل مجتمعاتها واعتبارات المصلحة العامة، ويجب فى الحسبان عملية اتخاذ القرار السياسى فى إيران ودول مجلس التعاون عند اتخاذ قراراتهم ومنها: الإنفاق العسكرى والتهديد الإقليمى، أو التحالف الخارجى اللذان يقودان إلى الصراعات والحروب ويؤديان إلى الكوارث أو الصدام المسلح الذى ينهب الموارد المالية ويؤدى إلى التسلط والانفراد بالقرار باسم ضرورات المواجهة الأمنية، ولهذا يجب العمل على إيجاد المجتمع المدنى والمشاركة الشعبية فى كل بلد، إلى حد القدرة على ضبط الإدارة السياسية وترشيد قراراتها وفق المصالح المجتمعية العليا، ويبدوا أن اعتبارات التنمية وعمادها التنمية الاقتصادية لم تحظ بالاهتمام الكافى فى إيران وفى كل دول مجلس التعاون، والدعوة إلى تعاون اقتصادى إقليمى بين إيران ودول

(أ) جاسم خالد السعدون ـ نفس المرجع ص135.

مجلس التعاون تحتـاج إلى تقييم واقعى لأحوال كل طرف من الأطراف فى الوقت الحاضر ووضع إطار للمستقبل. وهناك أكثر من تساؤل عن مدى امكان التطوير فى العلاقات العربية الإيرانية ومن يملك القرار ومن يملك إرادة القرار وإرادة التنفيذ، ولعل هناك قدراً كبـيراً من الحذر والريبة والشك فى العلاقـات ليس على المستوى الرسمى فحسب ولكن حتى على المستوى الشعبى.

نجد أن التنمية الفعلية مطلب حيوى ومصيرى لإيران ودول مجلس التعاون، والنفط مرتكز رئيسى لتحقيق هذه التنمية الفعلية لو توفرت الإرادة السياسية الواعية الحرة الجادة والمشاركـة الشعبية، ولكن يصعب تنفيـذها فى الوضع الراهن لأسباب سيـاسية. والعـمل فى التعاون فى مـجالات البيئـة كقضـية اقتصـادية وسياسـية واجتماعـية، ومسألة التعاون المائى وتنقـلات العمال والتبادل التجـارى كمجالات للانطلاق أساسيـة فى بناء هيكل التعاون وفى خلق أجواء سـياسية مناسبـه خالية نسبـيا من شـعور الشك والريـبة فى العـلاقات العربـية ـ الإيرانيـة، وأن الحروب والخلافات الـتى نشبت بين إيران والعرب أضعـفت فرصة التقـارب، واليوم ندفع ثمن هذه الخلافات وسنسـتمر فى دفع ثمن هذه الخلافات فى المسـتقبل القريب إذا لم نتدارك أخطارها وعواقبها ونفهم كيف يمكن حل تلك الخلافات وبناء الثقة.

تتوفر مدخرات خاصة وعامة للطرفين إيران ودول مجلس التعاون فى معظم دول العالم المتقدم، ومهما تعرضت له هناك مـن مخاطر تبقى أكثر أمنا من جلبها إلى الداخل ما لم يكن هناك استقرار سياسى شـعبى أى ديمقراطى حقيقى. وتمثل السـوقان العـربيـة والإيرانية كـبيـرتين أى وسطًا بين حـجـمى السوق الأوروبيـة والأمريكيـة من حيث العـدد وليس القوة الشـرائية، وتحتـاج كل من إيران ودول مجلس التـعاون إلى عشـرات المليارات من الدولارات للاسـتثمـار فقط فى قطاع الإنتاج النفطى لمضاعفـة طاقته الإنتاجية ومواجهـة الزيادة المحتملة فى الطلب على

النفط، كما أن الأوضاع المالية الحالية والمستقبلية لن تسمح للحكومات بتوفير تلك المبالغ من موارد كل منهما الذاتية، الأمر الذى قد يفتح احتمالات خطيرة قد تؤدى إلى بيع النفط أو رهنه فى باطن الأرض من أجل صيانة الحقول وزيادة الطاقة الإنتاجية، ويكفى أن تكون بعض الدول مقترضة إلى أكثر من قدرتها على السداد وأن تكون المؤسسات أو الدول المقرضة تملك القوة مايجعلها تفرض وصايتها على النفط مثل أمريكا، فذلك إن حدث سيجعل التحكم فى جانب العرض أى إنتاج النفط أمراً مستحيلا إلى جانب عجز دول المنطقة عن مواجهة التزاماتها سيدفعها إلى القبول بمبدأ اقتسام احتياطياتها النفطية[1].

الابتعاد بشكل مدروس ومتأن عن الاعتماد الكلى على دعم ومؤازرة قوة عالمية خارجية وأن يحل محله علاقة متنامية قائمة على التعاون مع دول المنطقة، أما الوجود الأمريكى المتزايد بما ينطوى عليه من احتمال تحويل مجلس التعاون إلى مواقع عسكرية أمامية أو حاملات طائرات أرضية لأمريكا، فسوف يقود بالتأكيد إلى استفزاز واستعداء القوى المحلية ذات التوجهات القومية أو الحركات السياسية الإسلامية، وبدورها فإن هذه القوى إذا ما أطلق لها العنان سوف تزيد من حدة المواجهة بين القوة المهيمنة العالمية والقوة المهيمنة الإقليمية، إن البديل لما قد يحدث فى المستقبل من عنف وصراع فى الحدود الشرقية للوطن العربى ذات التوتر المتفجر يتمثل فى تقليص الوجود الأمريكى فى الخليج العربى، ولو حدث هذا فإن خطوط الصراع التى تميز الحدود الشرقية العربية يمكن أن يحل محلها تدريجيا علاقات قائمة على التعاون والتآزر، ويعكس الشكل الهندسى للنظام فى المشرق العربى اليوم حالة من الاستقرار القسرى المصطنع القصير الأمد، تخفى بين طياتها محورا

---

(1) جاسم خالد السعدون ـ المرجع السابق ص141.

من عدم الاستقرار أما النظام الجديد فسوف يتسم ببعض الاضطرابات السطحية بينما تتسم أسسه السياسية الاستراتيجية بالقوة والثبات والدوام[1].

يجب على إيران أن تحل مشاكلها مع الإمارات وتقوم بتسوية نزاعها بالسبل السلمية مما يعود بالنفع على جميع دول المنطقة، وإذا ما نجحت إيران فى حل نزاعها سلميا مع الإمارات عن طريق المفاوضات الثنائية المباشرة حول الجزر العربية الثلاثة فيمكن معه إرساء إطار جديد لتسوية النزاعات الاقليمية يكون مثلا يحتذى به فى المنطقة، لقد شهدت الأعوام الخمس عشرة الماضية حربين جلبتا الموت والدمار الأمر الذى يحتم حل المشاكل الإقليمية بأسلوب جديد، ويمكن للمنطقة اتباع نموذج قد ينقذها ويوفر عليها المزيد من الويلات فى المستقبل وهذا النموذج تتكون عناصره الأساسية من السلام بدلا من الحرب والتسلح، والتكامل الاقتصادى وزيادة التبادل التجارى فى المنطقة بدلا من العزلة والقيود الاقتصادية والحوار السياسى والتعاون والتنسيق بدلا من الشك والريبة[2].

نلاحظ أن الفقه الدولى لايؤيد إلغاء المعاهدات من جانب واحد وخاصة فى معاهدات الحدود التى تنظم أوضاعا إقليمية ثابتة أو احتلال أرض أو جزر بالقوة المسلحة، وبشأن تحديد وتخطيط الحدود وخاصة فى المياه الإقليمية فيمكن أن نقسمها إلى أربعة مراحل وهى: 1 ـ مرحلة تحديد الحدود 2 ـ مرحلة تخطيط الحدود وتضمن كل مرحلة من المرحلتين عددا من المراحل الثانوية ثم تسوية منازعات الحدود بنفس الطرق التى تسوى المنازعات الدولية، وهى 3 ـ التسوية الدبلوماسية أو السياسية 4 ـ التسوية القضائية، ولاشك فى أن تحركا إيرانيا إيجابيا باتجاه حل الخلاف حول الجزر الثلاث سيعتبر خطوة رئيسية لتحسين العلاقات مع مجلس التعاون ويمثل رسالة حسن نوايا إيران وسوف يخفض من احتمالات

---

(1) جيمس بيل ـ المرجع السابق ص165.

(2) محسن ميلانى ـ المرجع السابق ص14.

استخدامها مادة لخدمة استراتيجيات مخالفة وهى تعتبر الحصان الذى يوضع أمام عربة السلام والتعاون، وأن تتجاوز بعدم حلها يعنى وضع الحصان خلف عربة السلام والتعاون.

العمل على إيجاد مستقبل أفضل للعلاقات العربية ـ الإيرانية وأن يخلص النيات، ويصبح مبدأ حسن النية هو رائد العلاقات بين العرب وإيران والتى يجمعهما رابطة الإسلام وهى أكبر رابطة، وتعتبر أقوى من رابطة الدم والقومية وهى رابطة الأخوة الإسلامية، فالمسلم أخو المسلم، ومن هذا المنطلق فإذا لم تكن هناك نية مخلصة وصافية فإن العلاقات العربية ـ الإيرانية من الصعب أن تعود إلى مجراها الطبيعى، إن لم يكن هناك أصلا مجرى طبيعى لها فى التاريخ، ومنذ قيام الدولة الصفوية ومجىء العثمانيين للأقاليم العربية فى العصر الحديث وحتى العصر الحالى لم تكن هناك علاقات طبيعية ذات نية حسنة وصافية بين العرب وإيران، وإن كانت فى الظاهر بفعل عوامل خارجية ولمصلحة تلك الدول ونقصد هنا بريطانيا وأمريكا وذلك لثبات المصالح الغربية المسيحية فى الخليج العربى انطلاقا من حلف «سعد اباد» و«حلف بغداد» و«حلف السنتر» إلى سياسة العموديين وغيرها من السياسات التى اتبعتها مختلف الإدارات الأمريكية تجاه الخليج العربى منذ الانسحاب البريطانى وحتى اليوم وغداً، لتصبح العلاقات بين إيران والعرب وأن يكون هناك جو من الصفاء والأخوة وتزول الغيوم الملبدة فى سماء العلاقات العربية ـ الإيرانية. يجب الاحترام والاعتراف بالحدود والسيادة الدولية المعروفة والمعترف بها فى الوثائق التاريخية، وعدم التعرض لتغيير الحدود بالقوة أو الاعتداء أو التجاوز فيما بين الحدود وعدم التدخل فى الشئون الداخلية للدول المجاورة، عدم مساعدة المعارضين أو المعارضة للأنظمة القائمة بأى شكل من الأشكال وكذلك عدم تصدير الإيديلوجيات أو أى نمط من أنماط الحكم، ومن ثم التعاون فى كافة المجالات الاقتصادية والاجتماعية والسياسة، وإيجاد صيغة كحد أدنى فى

التفاهم السياسى نحو المشاكل القائمة، توحيد الجهود المستقبلية لحفظ الأمن والاستقرار فى المنطقة، إيجاد آلية مشتركة للدفاع عن أمن المنطقة باشراك كافة القوى الإقليمية فى الخليج العربى والجزيرة العربية بما فيها اليمن ضد الأطماع الخارجية، إيجاد محكمة فى الجزيرة العربية عليا للنظر فى أى مشاكل سياسية مستقبلا.

تكمن أهم الوسائل لهدم جدار الشك فى العلاقات العربية ـ الإيرانية، فى إرساء قواعد وأسس جديدة مع أخذ تجارب الماضى وأخطائه بعين الاعتبار، ولكن تلك الأطروحات التى ذكرناها سابقا طويلة الأجل ولاتوجد مؤشرات في الوقت الحالى على بدء أى مسعى فى هذا الاتجاه، وهناك حاجة ماسة إلى إرساء قواعد ودعائم لبناء الثقة تنفذ على المدى الطويل، ولكى تكون هذه الإجراءات فعالة يجب أن تتجاوز المجال السياسى إلى إنشاء مؤسسات وآليات للتعاون الاقتصادى والتفاهم الثقافى فى المنطقة[أ]، كما لعبت عوامل عديدة داخلية وذاتية وخارجية على عدم التقاء النخبات الشعبية وأحيانا الرسمية فى المنطقتين، وعلى تقاطع وتشابك الخطابين السياسى والإعلامى فيهما ويجب جمعها وتبادل النخب والزيارات.

يتضح من دراستنا السابقة ومن خلال عملية التمحيص فى التفاعلات بين الواقع والعوامل التى ذكرناها أعلاه، يظهر لنا أن مدخل بناء علاقات اقتصادية قوية كقاعدة لمنظومة اقتصادية إقليمية عربية ـ إيرانية وذلك بما تملكه من أهمية وموقع وعدد سكان وموارد بترولية، مؤهلة لولوج تجارب تكتلات اقتصادية. وذلك عن طريق محورين: الأول ـ عن طريق تعاون إيرانى ـ سورى ـ عراقى ـ تركى، ثانيا: مجلس التعاون مع إدخال اليمن، وللوصول إلى هذه المنظومة يجب محاولة الدول العربية التخلص من السيطرة والهيمنة الأمريكية على القرار

(أ) أنور قرقاش ـ المرجع السابق ص222.

السياسى والاقتصادى حتى ولو كان ذلك على مراحل طويلة نسبيا ثالثا ـ قيام إيران بالعمل على حل الإشكاليات الناجمة عن اتهامها بالتدخل فى الشئون الداخلية لبعض الأقطار العربية بشكل أو بآخر، مبادرة ذاتية ويتم خلالها تنفيذ هذا البرنامج العمل على بلورة تصور: إيرانى ـ خليجى مع اليمن ـ سورى مع الأردن ـ تركى ـ عراقى بعد نهاية الحصار ـ مشترك كبداية لانطلاق المنظومة الاقتصادية الإقليمية «العربية ـ الإسلامية» ولمواجهة التوجه الأمريكى القائم على العزل والتشويه والاحتواء المزدوج، ولابد من حفظ حقوق الدول وتقديم التنازلات المتبادلة والابتعاد عن التهديد أو التدخل فى الشئون الداخلية لكل من هذه الدول من قبل بعضها البعض.

فهرس المحتويات

الصفحة







المؤلف في سطور

- من مواطني دولة الإمارات العربية المتحدة.
- رئيس مركز العيدروس للدراسات والاستشارات ومجموعة العيدروس التجارية.
- حاصل على الليسانس من لبنان والماجستير في التطورات السياسية في الإمارات العربية 1932 - 1971 والدكتوراه من مصر عام 1983 في العلاقات العربية الإيرانية 1921 - 1971.
- عمل في دائرة الإسكان والمشتريات بالحكومة المحلية في إمارة أبو ظبي 1970 - 1973 ثم مديرا للعلاقات الثقافية بالحكومة الاتحادية لدولة الإمارات العربية المتحدة 1979 - 1984، ثم جامعة الإمارات العربية المتحدة 1984 - 1993 وقام بالتدريس في كلية زايد العسكرية في مدينة العين وكذلك بكلية الظفرة الجوية في أبو ظبي، كما شارك في دورة تدريب الدبلوماسيين في وزارة الخارجية بدولة الإمارات العربية المتحدة، ثم في جامعة الكويت 1993 - 2000 ثم في جامعة روتردام الإسلامية بهولندا 2000 - 2002، ثم في القوات المسلحة لدولة الإمارات العربية المتحدة في الفترة من 2006-2002: الأمين العام للجنة الإمارات للتاريخ العسكري، ثم رئيس مؤسسة اسكاندافيا للاتصال الثقافي والتجاري في السويد من عام 2007 حتى الآن، وهو عضو في العديد من الجمعيات العلمية الإقليمية والدولية وعضو في الأمانة العامة لاتحاد المؤرخين العرب منذ عام 1991 وحتى الآن ورئيس تحرير مجلة دراسات روتردام الإسلامية.
- صدر له أكثر من اثنى عشر كتابا وأكثر من أربعين بحثا معظمها في الخليج العربي والدراسات العربية والإسلامية.

الفصل الأول: التاريخ السياسي للدولة الصفوية.

الفصل الثاني: صراع القوى الإقليمية على البحرين في ضوء الوثائق البريطانية لعامي 1820 - 1830.

الفصل الثالث: الاحتجاجات الإيرانية على التصرفات البريطانية في البحرين 1862-1906.

الفصل الرابع: اتفاقية "دارين" لعام 1915 بين ابن سعود وبريطانيا.

الفصل الخامس: ظفار والتدخل العسكري البريطاني والإيراني.

الفصل السادس: الحدود السياسية العربية- العربية "مجلس التعاون الخليجي كنموذج".

الفصل السابع: وضعية الدراسات العثمانية في الخليج العربي 1979- 1999.

الفصل الثامن: العلاقات العربية- الإيرانية بين الواقع وطموحات المستقبل في بداية القرن الواحد والعشرين.



هذا الكتاب